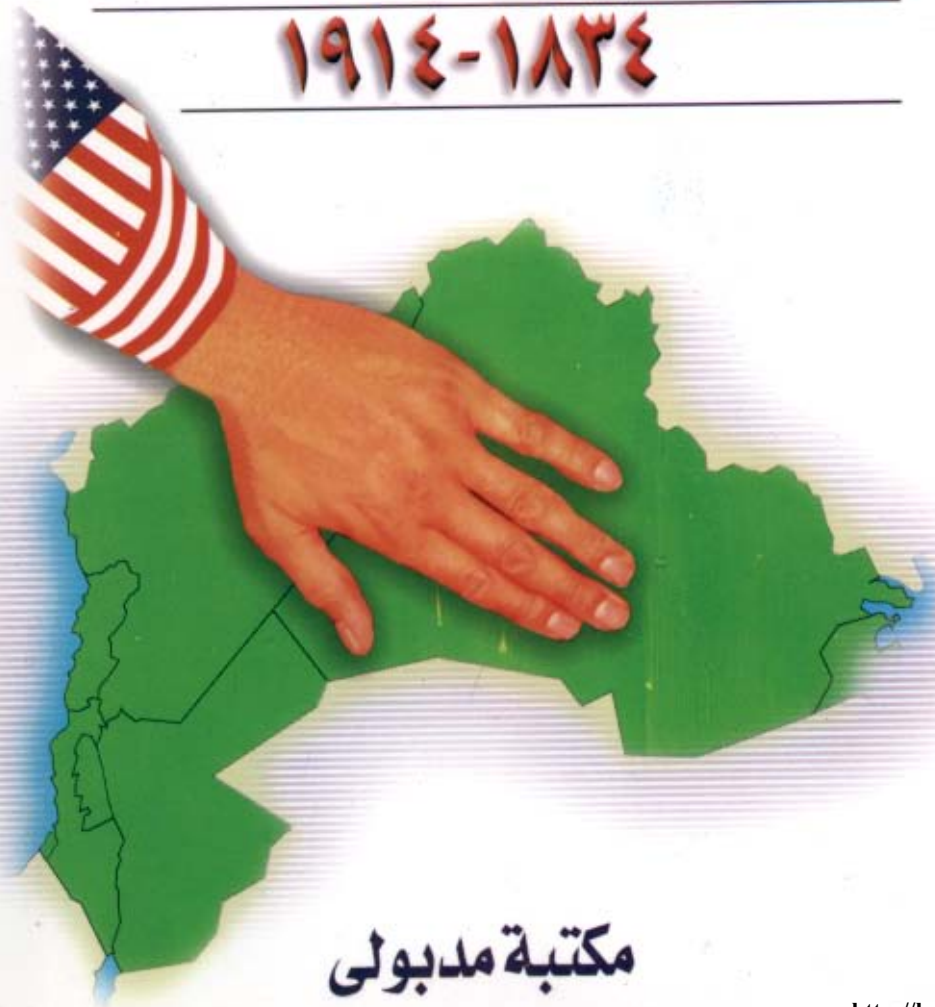


د. عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى

التصوير الأمريكى فى بلاد الشام

١٨٣٤-١٩١٤



مكتبة مدبولى

مكتبة حديوليس

العنوان: ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة
تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
الكتاب: التنصير الأمريكي في بلاد الشام
١٨٣٤ - ١٩١٤
الكاتب: د. / عبد الرازق عبد الرازق عيسى
رقم الإيداع: ١٣٤٨٠ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولي: 0 - 488 - 208 - 977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥

عربية للطباعة والنشر

العنوان: ٥٧ & ١٠ شارع السلام - أرض اللواء - المهندسين
تليفون: ٣٢٥٦٠٩٨ - ٣٢٥١٠٤٣ - فاكس: ٣٢٩١٤٩٧

التنصير الأمريكي في بلاد الشام

١٨٣٤ - ١٩١٤

تأليف

دكتور / عبد الرازق عبد الرازق عيسى

مكتبة مدبولي

2005

المقدمة

- اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسى والاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكية فى العالم العربى ولكن نفس هذه الدراسات أهملت دورها الدينى، وهو الأساس الذى بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

فأمريكا التى طبقت مبدأ مونرو فى سياستها الخارجية وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها فى مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنيتها من أسس الإرساليات فى الدولة العثمانية والبلاد العربية جزء منها . وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربى نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلئ. واحتتمئ بالدبلوماسية البريطانية الراعى والحليف لهم .

وعندما قررت أمريكا الخروج من عزلتها بحثت حولها فوجدت الإرساليات الأمريكية منتشرة فى أنحاء العالم العربى فمدت لها حمايتها ورعايتها واستفادت من وجودها ومعرفتها بل وأنشطتها المختلفة وهنا كشف الدور الدينئ والثقافئ للإرساليات الأمريكية عن دور سياسئ مدعوم من جانب أمريكا ، وأصبحت الإرساليات الأمريكية هى المقدمة للغزو الاستعمارئ الأمريكى، وأصبح المبشر الأمريكى الذى جاء فى زئ قسيس، وكان يبغئ نشر مذهبہ الدينئ- هو نفسه الرجل الاستعمارئ الذى يبغئ نشر النفوذ السياسئ لدولته فى المنطقة .

- وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربئ بداية ذات واجهة دينئة حيث كان البروتستانت الأمريكئون يؤمنون بالعقئدة الألفية ، التى تدعوا اتباعها لانتظار عودة المسيح قبل نهاية الألفية ولأجل ذلك لابد من عودة اليهود " شعب الله المختار " - فى نظرهم- لفلسطين الوطن القومئ لهم،

ولابد من نشر البروتستانتية بينهم ، وذلك لتقليل عدد أعداء المسيح بعد عودته ، من هنا كان السبب الأساسي لاختيار هذه الإرساليات لبلاد الشام كبداية لنشاطها فى العالم العربى ، ومن الشام انطلقت فيما بعد لبقية البلدان العربية .

جدير بالذكر أن أول إرسالية أمريكية وصلت للعالم العربى كله كانت لفلسطين عام ١٨١٩ ، ثم تبعتها إرسالية أخرى لبلاد الشام عام ١٨٢٠ وإن كانت البداية الفعلية لهم كانت عام ١٨٣٤م أثناء حكم محمد على للشام بوجهه العلمانى ، فى الوقت ذاته أدى النزاع بينه وبين السلطان العثمانى لمحاولة جذب الدول الأجنبية إليه عن طريق تقديم الامتيازات المختلفة لرعاياها ، لذا بدأت الإرساليات تعمل فى أمان وراحة .

ومارست الإرسالية فى الشام العديد من الأنشطة ، التى نتج عنها نهضة ثقافية وتعليمية شاملة ، فى الوقت ذاته أصبح هناك ولأول مرة فى البلدان العربية قاطبة طائفة بروتستانتية ، وأسست الكنيسة البروتستانتية الأولى فى بيروت ١٨٤٨ ، ونتج عن هذا النشاط اعتراف الدولة العثمانية بالبروتستانت كأحدى الطوائف الدينية الموجودة داخل الدولة .

المؤلف

التصنيف

أولاً: الشام في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٤) :

بعد أن سيطرت الدولة العثمانية السنية على أجزاء كبيرة من أوروبا وأصبحت دولة الإسلام الكبرى ؛ اعتبر العثمانيون أن واجبه الأول يتمثل في الدفاع عن الأقاليم الإسلامية ضد الأخطار والهجمات الخارجية التي كان أهمها الخطر البرتغالي ، فقد رأى العثمانيون انهم أجدر وأقدر من المماليك في الدفاع عن هذه المنطقة وتوحيدها في صف^(١) واحد ضد أي اعتداء أجنبي^(٢).

وبعد الفتح العثماني لبلاد الشام على أثر موقعة مرج دابق ١٥١٦م ؛ أبقى العثمانيون كثيراً من مظاهر الإدارة المملوكية بها لضمان استقرارها ، وعينوا ولاية تابعين لهم لحكم الشام ، كما أبقوا في بعض الأماكن على الأمراء المحليين الذين خضعوا لهم مثل الأمراء المعنيين في جبل لبنان^(٣) ، وبذلك فلم تخضع بلاد الشام لحكومة مركزية واحدة كما حدث في مصر بل قسمت إلى عدد من الولايات ، وكان يطلق على حاكم كل منها أول الأمر: أمير الأمراء ، ثم أطلق عليه فيما بعد لقب باشا^(٤). وهذه الولايات هي :

١- ولاية دمشق : وشملت عشرة ألوية أو صناجق هي : دمشق مركز الولاية ، والقدس ، وغزة ، وصفد ، ونابلس ، وعجلون ، واللجون ، وتدمر ، وصيدا مع بيروت ، والكرك مع الشوبك .

٢- ولاية حلب : وشملت تسعة ألوية وهي : حلب مركز الولاية ، وأندة ، وكلس ، وبيرة جك ، وبالس ، ومنج ، ومعرعة نعمان ، وتركمان حلب ، وإعزاز .

٣- ولاية طرابلس : وشملت طرابلس مركز الولاية ، وحماة ، وحمص ، وسلمية ، وجبلية ، واللاذقية ، والحصن^(٥) .

وظل هذا التقسيم الإداري للشام قائماً حتى سنة ١٦٦٥م حين زيدت عليه ولاية جديدة هي ولاية صيدا ، والتي جعل مقرها أولاً في صيدا ، ثم انتقل إلى عكا^(٦) .

وشهدت بلاد الشام تحت الحكم العثماني استقراراً سياسياً ، كما ازدهرت اقتصادياً واتسع نطاق عمليات التصدير والاستيراد بين الشام وأوروبا ، فكانت الشام تصدر لأوروبا

* ساعدت السيطرة العثمانية على العالم العربي على وحدة البلاد العربية في إطار سياسي واحد بعد أن كانت كيانات متنافرة ، وتكاد تكون متباعدة بين بعضها البعض منذ أن سقطت الوحدة الإسلامية نتيجة ضعف الخلافة العباسية وظهور زعامات طامعة في الحكم في أنحاء العالم العربي ، وبصفة خاصة بعد أن تعرضت بغداد للتدمير المغولي الشامل في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي . لمزيد من المعلومات راجع رافت غنيمي الشبخ (دكتور) : في تاريخ العرب الحديث ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٣٢ .

١ - جلال يحيى (دكتور) : العالم العربي الحديث والمعاصر ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ ، ج ١ ، ص ٣١

٢ - عبد الكريم رافق (دكتور) : بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص ٥

٣ - عبد انور الشنوي (دكتور) : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ج ٢ ، ص ٧٣٦

٤ - فيليب حسي (دكتور) : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمه كمال اليازجي ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ .

٥ - احمد عزت عبد الكريم (دكتور) : التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ٤٢

وشهدت بلاد الشام تحت الحكم العثماني استقرارا سياسيا . كما ازدهرت اقتصاديا واتسع نطاق عمليات التصدير والاستيراد بين الشام وأوربا . فكانت الشام تصدر لاوربـ فائض إنتاجها من القطن والحريـر والحبوب والمنسوجات الحريرية والقطنية والنـبع . وقامت بولايات الشام المختلفة قنصليات لدول أوربية . وأصبحت حلب منذ منتصف القرن السابع عشر السوق الرئيسة للشرق الأدنى ، في الوقت الذي ظلت فيه دمشق حتى أوائل القرن الثامن عشر مركزا فكريا ، حيث شهدت الحياة الثقافية في بلاد الشام تحت الحكم العثماني إنتاج العديد من المؤلفات في التاريخ والجغرافية وعلوم اللغة والأدب ، والعلوم والرياضيات^(١) .

واتسمت بلاد الشام بوجود حشد كبير من مختلف الطوائف والمذاهب : فمن المسلمين يوجد بها : السنة والدروز والنصيرية والمتولة الإسماعيلية^(٢) ، ويوجد بها من الطوائف المسيحية : الموارنة والسريان واللاتين والكاثوليك ، هذا بالإضافة إلى اليهود^(٣) . وكان رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين يخضعون لنظام خاص أطلق عليه اسم "نظام الملل" وهو نظام يرعى شئونهم الدينية ، ويفصل في قضاياهم الشخصية ، ولم تكن الدولة بموجب هذا النظام تتدخل في أي شأن من شئونهم ، وكانت تعتبر الرؤساء الدينيين لكل طائفة غير مسلمة مسئولين عن شئون تلك الطائفة^(٤) . وبذلك فقد ساوت الدولة العثمانية في المعاملة بين رجال الدين من المسيحيين والمسلمين ، وضمنت لرؤساء الطوائف المسيحية في بلاد الشام قدرا كبيرا من الاحترام وأنعمت عليهم بالأوسمة والألقاب ، كما سمحت لهم بإعادة بناء وتجديد كنائسهم على أن تكون الأرض ملكا للطائفة ، وأن لا يكون للطوائف الأخرى علاقة بها^(٥) .

وقد استمرت علاقة الدولة العثمانية بالطوائف في بلاد الشام مستقرة حتى القرن التاسع عشر ، فبدأت أمور هذه الطوائف وعلاقتها بالدولة العثمانية في التغيير نتيجة للتدخل الأوربي وبداية ظهور الأطماع الاستعمارية في بلاد الشام ، فعملت كل دولة على أن تتخذ طائفة تركز عليها مصالحها ، وتطلعت هذه الطوائف هي الأخرى لأوربا رغبة في تدخلها لنيل المزيد من الامتيازات ، كما تدخل القناصل الأجانب في شئون الشام تدعيما لنفوذ بلادهم^(٦) ، كما ساعد حكم محمد علي للشام ١٨٣١-١٨٤٠م ، على ازدياد

- ١ - أحمد عزت عبد الكريم (دكتور) : التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني ، حوايات كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ ، ص ١٤٢ .
- ٢ - عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٧٤٨-٧٤٩ .
- ٣ - عبد العزيز عوض : الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٨٨ .
- ٤ - عبد الكريم غرابية : سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١٥ ، ١١٨ .
- ٥ - زياد أبو غنيمة : جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٣ ، ص ٨٥ .
- ٦ - عبد العزيز عوض : مرجع سابق ، ص ٣١٣ .
- ٧ - عمر عبد العزيز عمر : تاريخ المشرق العربي ١٥١٦-١٩٢٢ ، دار النهضة العربية . بيروت . ١٩٨٥ ، ص ٣٥٧-٣٥٨ .

حدة الصراعات الطائفية داخل بلاد الشام ، هذا في الوقت الذي عملت إرساليات التبشير الأجنبية^(١) في بلاد الشام على ضرب علاقة هذه الطوائف بالدولة العثمانية^(٢) . وقد أدت هذه العوامل إلى اشتعال الصراع بين الطوائف خصوصا الدروز والموارنة ، وحدثت عدة مذابح كان أخطرها مذبحه ١٨٦٠م^(٣) . وعندما أصبح هناك نظام جديد لجبل لبنان ، حيث أصبح متصرفية يتولاها متصرف مسيحي تعينه الدولة العثمانية بعد موافقة الدول الأوروبية الكبرى لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد ، ويتصل بالباب العالي رأسا دون وساطة أو تدخل الباشوات العثمانيين الآخرين^(٤) . ونتج عن هذه المذبحة أيضا تشكيل إداري جديد للولايات في الشام فأصبح هناك ولاية الشام أو دمشق وولاية حلب ، واختفت ولاية صيدا^(٥) .

وبذلك نجم عن مذبحه ١٨٦٠م وعن النظام الإداري الذي تبعتها مزيد من التدخل الأوربي في بلاد الشام ، وأصبح هذا التدخل بمثابة صك دولي متفق عليه بين أوربا والباب العالي ، وموضوع تحت ضمانات أوربا الجماعية ، وبذلك يكون التدخل الأوربي سابقة بالغة الأهمية في تاريخ الشام لأنه انتقل من حيز النصح والترغيب إلى حيز الفعل والتطبيق العملي^(٦) .

ونتيجة لانتشار الفكر القومي والعلماني داخل الدولة العثمانية بعد ازدهار حركة الترجمة خاصة من الفكر الفرنسي إلى اللغة التركية خلال القرن التاسع عشر ؛ ازدهرت بعض الجمعيات التي تناهض السلطان العثماني مثل جمعية "تركيا الفتاة" ، وجمعية

١ - كانت إرساليات التبشير الأوربية قد بدأت تعمل في بلاد الشام منذ أوائل القرن السابع عشر ، ولكن عملها ظل مقصورا على النشاط بين الأوساط المسيحية ، وكانت كاثوليكية في غالبيتها ، كما حاولت خدمة العرب الذين يرتبطون بالكنيسة الرومانية . وقد اقتصررت مجهوداتها على نشر عدد من كتب العبادات ، وحصرت مجهودها على الطوائف المسيحية ، كما نشرت كتبها باللغات الأوربية ، ولم تكن تجسر على العمل بين أوساط المسلمين ؛ نظرا لقوة الدولة العثمانية التي وقفت بقوة ضد ذلك . راجع جلال يحيى : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨١ .

٢ - عبد الكريم رافق : العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦ ، دار أطلس ، دمشق ، ١٩٧٤ ، ص ٤١١ .

٣ - مذابح ١٨٦٠م : بدأت هذه الحركة في الأساس في شكل تمرد قام به الفلاحون ضد الزعماء الإقطاعيين ، فبدأت في منطقة كسروان ضد الإقطاعيين الموارنة من آل الخازن ، وقد أثار نجاح الفلاحين في كسروان آمال الفلاحين في المناطق الدرزية في الجنوب ، ولكن الفلاحين في الجنوب كسانوا بكثرتهم من الدروز ، فترددوا في الثورة على زعمانهم من الدروز ، في حين أن الفلاحين الموارنة لم يترددوا في الثورة على أولئك الزعماء الإقطاعيين الدروز ، وهكذا تحول النزاع الفلاحي إلى حرب طائفية نتيجة لدعم الفلاحين الدروز للإقطاعيين الدروز في حربهم ضد الفلاحين الموارنة السناثرين . ومما تجدر ملاحظته أن الزعماء الإقطاعيين في الجنوب استغلوا الخلافات المذهبية وأثاروا الطائفية في محاولة منهم لتدعيم مركزهم الإقطاعي وزعامتهم الفردية ، ونتج عن هذه النزاعات عدة مذابح أدت إلى تدخل الدول الأوربية . راجع عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤٢٢-٤٢٣ .

٤ - أحمد عزت عبد الكريم : مرجع سابق ، ص ١٨١ .

٥ - عبد العزيز عوض : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

٦ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٣٨١ .

"الاتحاد والترقي" (٢) التي نجحت في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨م وتعيين أخيه السلطان محمد رشاد ، بينما كان الاتحاديون مسيطرين على الحكم في تركيا بزعامة أنور باشا (١) . وقد مارس الاتحاديون سياسة استبدادية ، كان من أولى ثمارها إعلان سياسة التتريك ، فقد تبينوا الدعوة الطورانية ، وهي على نقيض الفكرة العثمانية التي تهدف إلى توحيد القوميات المختلفة في الدولة العثمانية في دولة واحدة على أساس المساواة ، كما أن الاتحاديون تراجعوا عن وعودهم التي سبق وقدموها للعرب مثل جعل اللغة العربية لغة التعليم ، كما مارسوا ضغوطا شديدة على العرب في بلاد الشام (٢) . ومن هنا فقد ارتبطت سياسة البطش والتتريك التي مارسها الاتحاديون بأذهان الشوام .

حكم محمد علي للشام ١٨٣١-١٨٤٠م :

للشام وضعه الخاص وإغراؤه الملح الذي مضى يراود محمد علي بين الحين والآخر ، فمنذ عام ١٨١٠ وهو يصوب نظره إلى تلك المنطقة ويخطط للاستيلاء عليها ، وفي أثناء حربه في الجزيرة العربية أوضح محمد علي أنه في حاجة إلى استراتيجيتها لتعيه على الانتصار ، كما أنه بعد الانتهاء من حرب المورة طلب من السلطان ولاية صيدا كمكافأة له ولكن السلطان اكتفى بأن أسند له حكم كريت ، ومضت نزعة الحصول على الشام تلاحقه ، والسلطان يصر على عدم تحقيق هذه الأمنية لمحمد علي (٣) .

عقد محمد علي النية على الاستيلاء على الشام بالقوة ، مستغلا خلافا وقع بينه وبين عبد الله باشا حاكم عكا ، وأعدت لذلك حملة عسكرية وقتنا للنظام الحديث في نوفمبر ١٨٣١م ، وكانت بقيادة إبراهيم باشا ومعه عدد من كبار القادة العسكريين ، ونجح الجيش

* الاتحاد والترقي : كانت جمعية الاتحاد والترقي منظمة سرية أنشأها بعض أعضاء جمعية تركيا الفتاة، واستقر بها الحال في مدينة سالونيك ، وضمت الجمعية أخطا من شتى العناصر ذات جنسيات مختلفة وديانات متعددة ، وكانت تضم أعدادا كبيرة من اليهود ، وعملت على عزل السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٩٠٨ وتولية أخيه محمد رشاد ، وبذلك خلا الجو لأعضاء الاتحاد والترقي الذين حولوا جمعيتهم إلى حزب سياسي علني في أبريل ١٩٠٩ ، وانفردوا بالسلطة في الدولة العثمانية . ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدولة العثمانية قومية تركية بعد أن كانت عثمانية إسلامية ، وأصبح الحكم قوميا ، وأصبح هناك صراع بين القوميات داخل الدولة العثمانية ، وخصوصا القوميتين العربية والطورانية ، وكانت هذه الجمعية مسنولة عن إفساد العلاقة بين الشام والدولة العثمانية بسبب ما فعله رجالها في الشام من مأس ، وإعدام كثير من القادة العرب ، حيث كانت جماعة الاتحاد والترقي تمثل اتجاها مانهاضا لفكرة الجامعة الإسلامية . لمزيد من المعلومات راجع : اسماعيل أحمد ياضي (دكتور) ، محمود شاكر : العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، مكتبة العكبيات ، الرياض ، ١٩٨٠ ، ج١ ، ص ٢٠٣ . وانظر أيضا : ماجدة مخلوف (دكتور) : الخلافة في خطاب أتاتورك . مركز بحوث آسيا ، الزقازيق ، ٢٠٠١ ، ص ٢٠ . وعبد العزيز الشناوي : مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠٠٦ .

١ - نفسه ، ص ٤٤٧ .

٢ - عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٥٣٦-٥٤٣ .

٣ - لطيفة محمد سالم (دكتور) : الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١م ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ١٩٩٠ ، ط ٢ ، ص ١٨ .

المصري في تحقيق سلسلة من الانتصارات التي انتهت بفرض سيطرته على كامل بلاد الشام^(١).

بدأ إبراهيم باشا" توجيه الإدارة في الشام وجهة علمانية ، فبدأ في إعلان المساواة بين كافة الطوائف في بلاد الشام ، وشارك النصارى في الحكم ، حيث ألف في كل مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين ألف نسمة مجلسا يسمى "ديوان المشورة" يتراوح عدد أعضائه ما بين ١٢ إلى ٢١ عضوا للنظر في مصالح كل بلدة ، ومطلوبات الميرى ، والفصل في الدعاوى ، وكان ديوان بيروت يتألف من ١٢ عضوا منهم ستة من المسلمين وستة من المسيحيين^(٢).

وقد عملت "الإدارة المصرية" في الشام على التقرب من النصارى واليهود ، فألغت كافة العوائد والمرتبآت التي كانت مفروضة على الأديرة والمعابد ، ودفع تعويض لمستحقيها من الخزانة ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل سمح إبراهيم باشا بإعادة بناء الكنائس والمعابد وتقديم التسهيلات لهم^(٣) . وأعلن مبدأ المواطنة كبديل للدولة الدينية ، فقال : "إن النصارى واليهود رعية سعادة أفندينا وواجب لهم الصيانة والحماية والرعاية"^(٤). وبذلك شهدت الشام ميلاد المساواة بين كافة الطوائف الدينية في البلاد ، وهو كسب جديد لصالح الدولة المدنية التي عملت إدارة محمد على على قيامها .

وأدى إعلان المساواة بالمفهوم الغربي إلى غضب المسلمين ، لأنهم لم يقبلوا هذا الوضع فذهب عدد من علمائهم إلى إبراهيم باشا يشكون له هذا الوضع ، وأن ما يفعله النصارى خروج على عهد الذمة ، ولكن إبراهيم باشا سخر منهم ، بل وحضر احتفالات النصارى^(٥).

وقد نتج عن هذه المساواة اشتداد النزاع الطائفي في الشام بسبب استخدام إبراهيم باشا لجنود مسيحيين ضد الدروز ، وعندما عاد الملتزمون الدروز الذين ثاروا على إدارة محمد على وجدوا الموارد قد سيطروا على كثير من مناطقهم ، وازدادوا تنظيما تحت إدارة رجال الكنيسة المارونية ، وبذلك سادت الفوضى والاضطرابات بلاد الشام^(٦) .

في تلك الأثناء عمل "محمد على" على كسب ود الدول الأوروبية للوقوف إلى جانبه في تمرد ضد السلطان العثماني وسعيه لبيسط نفوذه على الشام ، ومن هنا فقد منح لهذه الدول كثيرا من التسهيلات . واعتمادا على الترحيب والتسهيلات التي قدمت الإدارة المصرية

١ - مؤلف مجهول : تاريخ حوادث الشام ولبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقي ، تحقيق أحمد غسان سبانو . دار قنينة ، دمشق ، ١٨٨٢م ، ط٢ ، ص ١٤٨-١٥٢ .

٢ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٣٤٩ .

٣ - دار الوثائق : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ٧٤ ، وثيقة رقم ١٣٩ . وانظر أيضا محفظة رقم ٨١ ، وثيقة رقم ٢٧١ .

٤ - نفس المصدر : محفظة رقم ٧٠ ، جرنال ديوان محروسة دمشق ، جلسة يوم الاثنين ٢٢ ربيع الثاني ١٢٤٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٣٢م .

٥ - حسين مؤنس (دكتور) : الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، مطبعة حجازي ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ط٢ ، ص ٢٧٥ .

٦ - عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤١١ .

في الشام للقناصل ، نجد أن هؤلاء قد استغلوا الموقف لمصلحتهم ، وكان القناصل عموما بما فيهم قنصل أمريكا أداة فعالة لحماية الإرساليات التبشيرية التابعة لدولهم في الوقت الذي تدخلوا فيه لحماية من نجحت هذه الإرساليات في جذبهم لمذهبهم الديني^(١) .

وبذلك فقد بدأ النشاط التبشيري الأمريكي الفعلي في أثناء الحكم المصري الذي أعلن علمانية الحكم ، وذلك بالاستفادة من الامتيازات التي منحتها إدارة محمد علي للأجانب كسبا لود دولهم . وهنا يمكننا أن نؤرخ بدايات الوجود الأجنبي والتغلغل في المجالات الاقتصادية والثقافية في بلاد الشام^(٢) . فقد ظهر الحكم المصري على أنه يحمل عوامل تساعد الإرساليات التبشيرية ، فأخذ الكاثوليك في فتح كليتهم الخاصة في عين طورة ، وبدأ الأمريكيون في نقل مطبعتهم من مالطة إلى بيروت ، وأنشأوا المدارس لنشر التعليم التبشيري^(٣) .

ونجحت الدولة العثمانية متحالفة مع الدول الأوروبية في إخراج الجيش المصري من الشام ، بعد حصار للسواحل ، وبصفة خاصة بيروت ، مما اضطر قوات إبراهيم باشا إلى الانسحاب من الشام ، وبذلك عاد الحكم العثماني إلى الشام مرة أخرى^(٤) .

ورغم انسحاب القوات المصرية من الشام ؛ إلا أن التدخل الأوربي قد ازداد ؛ بسبب ازدياد المنافسة بين هذه الدول التي وجدت في النزاعات الطائفية - التي تآججت ناراها تحت حكم محمد علي - مجالا للتدخل فدعمت كل دولة طائفة معينة^(٥) .

يتضح مما سبق أن حكم محمد علي هو المسئول عن زيادة النزاعات الطائفية وبالتالي زيادة التدخل الأجنبي ومن ثم التبشير ، بسبب ما أعلنه من علمانية الحكم لأول مرة في بلاد الشام .

الشام في فترة التنظيمات العثمانية :

عانت الدولة العثمانية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر من الضعف ، فقد كانت أوربا بدولها المختلفة تقف في وجه الدولة العثمانية وتحرص على إخراجها من أوربا الشرقية واقتطاع أجزائها ، وقد اتحدت كلمة دول أوربا على هذا الهدف رغم التنافس الشديد والاختلافات القوية فيما بينها.

وبدأ سلاطين الدولة العثمانية في الإصلاح ، في محاولة للنهوض والوقوف في وجه هذا التيار الأوربي الجارف ، وقد مر الإصلاح بمرحلتين خلال القرن التاسع عشر :

١ - دار الوثائق : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ٧٥ ، وثيقة رقم ٧٧ . وانظر أيضا محفظة رقم ٧٦ ، وثيقة رقم ٢٢٣ .

٢ - جلال يحيى (دكتور) : مرجع سابق ، ج١ ص ١٨١ .

٣ - نفسه ص ١٨٣ .

٤ - لطيفة محمد سالم : مرجع سابق ، ص ٣٠٨-٣٠٩ . وانظر أيضا : مؤلف مجهول : مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

٥ - عبد الكريم رافق : مرجع سابق ، ص ٤٢٠ . وعمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٣٥٧ .

المرحلة الأولى : وقد بدأت على يد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) ، والذي قدم بمحاولات للإصلاح أهمها إنشاء وحدات عسكرية جديدة فيما عرف بالنظام الجديد ، ولكنه فشل نتيجة توقوف الانكشارية والعلماء في وجهه ، وتمكنوا من الإطاحة به في عام ١٨٠٧م .

المرحلة الثانية : وقد بدأت على يد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) فيما عرف بالتنظيمات الخيرية ، حيث أصدر "خط شريف كلخانة" عام ١٨٣٩م ، وخط شريف همايون في عام ١٨٥٦م . وقد اقترنت هذه التنظيمات بأسماء الوزراء الذين تعلموا في الغرب وعادوا محملين بتقافة غربية لاسيما الأفكار المادية والعلمانية والقومية ، ومن هؤلاء رشيد باشا ، وعالي باشا ، وفؤاد باشا ، ومدحت باشا .

جدير بالذكر أن هذين المرسومين - كلخانة وهمايون - أعلنوا تحت ضغط الدول الأوروبية ، ورغبة من النولة العثمانية في كسب مساندة هذه الدول لها في حربها ضد محمد علي لإخراجه من الشام ، وهو ما حدث عام ١٨٤٠م ، وكذلك كسب مساندة هذه الدول لها في حربها ضد روسيا في حرب القرم ١٨٥٤م . كما مثل الوزراء الذين تعلموا في الغرب وأمنوا بالأفكار الجديدة قوة ضغط على السلطان لإعلان المرسومين .

وأهم ما نص عليه مرسوم كلخانة ١٨٣٩م احترام الحريات العامة ، ومساواة الجميع أمام القانون بغض النظر عن الدين ، ونص على أحقية غير المسلمين في ترميم كنائسهم ومعابدهم ومقابرهم حسب هيكنتها الأصلية ، وإجراء الحريات الدينية كاملة ، وحذف كل الألفاظ والتمييزات التي كانت تستخدم في الكتابات الرسمية وتميز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم ^(١) .

أما خط شريف همايون والذي أعلن في عام ١٨٥٦م - قبل مؤتمر باريس الذي عقد في ٢٥ فبراير ١٨٥٦م - فقد جاءت مواده لتؤكد على المساواة التي أعلنها خط كلخانة ١٨٣٩م ، بالإضافة إلى تأكيد حق الدولة في تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية ، مع تخويلهم الحق في دفع البديل النقدي للإعفاء من هذه الخدمة إذا أرادوا ، كذلك - بمقتضى مواد هذا المرسوم - لم يعد ممكناً إجبار المسلمين الذين يعتقدون النصرانية على الارتداد عنها ^(٢) . وبذلك بدأت علمانية القوانين في الدولة العثمانية وهو ما هيا جوا مثاليا لعمل الإرساليات التبشيرية في بلاد الشام .

كان من نتائج هذين الخطين في بلاد الشام - حيث التعدد الطائفي والديني - أن زاد ترابط الطوائف المسيحية ، فبالرغم من أن الدولة قد كفلت لنفسها ولاء البطارقة ، وذلك بإسقاط أسماء المرشحين الذين يشك الباب العالي في ولائهم من قائمة الانتخاب ، إلا أنها تركت جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية لأبناء الطائفة في أيدي رؤسائهم

١ - محمد فريد : تاريخ الدولة العثمانية . دار الجيل ، بيروت . ١٩٧٧ . ص ٢٥٤-٢٥٦ . حيث أورد نصوص المرسوم كاملة

٢ - نفسه . ص ٢٥٨ . وانظر أيضاً عبد العزيز الشناوي : مرجع سابق ، ج١ ، ص ٩٦ .

الروحانيين ومجالسهم المليية ، وكذلك جميع الأمور المتعلقة بأملالك الأديرة والكنائس وشئون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة^(١).

أما المسلمون فقد قابلوا المرسومين بعدم الرضى لأنهما عملا على مساواتهم بأهل الذمة ، وكانوا ينظرون إلى ذلك بامتعاض شديد^(٢) خصوصا بعد أن ركب أهل الذمة الخيل وتركوا ما كان يفرضه عليهم عهد الذمة^(٣) . ورصد القناصل في بلاد الشام - في خطاباتهم إلى حكوماتهم - هذا الموقف ، حيث ذكروا أن المسلمين أجزنتهم تلك المساواة وأنها كانت سببا في حالة الهياج التي أصابت بلاد الشام ، واعتقد المسلمون أن الحكومة العثمانية جارت عليهم بتلك الامتيازات التي أسبغتها على غير المسلمين ، ونظر بعض المسلمين إلى هذه الامتيازات بأنها ضد الشرع ولذلك فعليهم القيام ضد المسيحيين.

واعتقد المسلمون أن خط شريف همايون ١٨٥٦م صدر بضغط من الدول الأوربية لذلك أخرجوا في دمشق خمسة "كلاب" ، وعلى كل كلب منها اسم ملك من ملوك أوربا الموقعين على اتفاقية باريس^(٤) . أما للمسيحيين فقد زاد نفوذهم ، وتطلخوا إلى الدول الأوربية لتحميمهم ، ولتتدخل لدى السلطان ليحصلوا على مزيد من الامتيازات ، ونتيجة لهذا التدخل الأوربي فقد هدفت كثير من الطوائف المسيحية في الشام إلى إعلان الاستقلال عن الحكم العثماني ؛ وهو ما أدى إلى مزيد من التوتر داخل بلاد الشام^(٥) .

وخالصة القول أن هذه التنظيمات قد مثلت بداية الإعلان عن علمانية قوانين الدولة العثمانية ، وخروجها عن قوانين وعهود أهل الذمة التي جرى العمل بها منذ نشأتها وحتى إعلان المساواة بين كافة الطوائف بغض النظر عن المذهب الديني .

كما مثلت هذه التنظيمات وما جاء فيها من نصوص بيئة مثالية لعمل المبشرين في الإرساليات المختلفة داخل بلاد الشام ، حيث وفرت لهم الحماية اللازمة .

كما زادت الامتيازات الجديدة من حالة الغليان بين الطوائف في بلاد الشام ، فقد رأى المسلمون أنها تنقص من حقوقهم ، وأنها خروج على عهد أهل الذمة ، في حين تطلع المسيحيون إلى نيل المزيد ، وأصبحت أنظارهم متجهة صوب أوربا أكثر من قجاهم صوب الدولة العثمانية .

١ - عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٧٩ .

• حذر مترنيخ Metternich المستشار النمساوي العثمانيين من الخطر الكامن وراء استعارة أساليب الحضارة الغربية لأنها تتعارض مع الحضارة الإسلامية العثمانية ، وطالب العثمانيين بأن يتمسكوا بطابعهم الإسلامي في الشرق ، هذا في الوقت الذي أيدت فيه إنجلترا وفرنسا هذه التنظيمات ؛ لأن إخال النظم الأوربية إلى الإدارات العثمانية سيفتح أمامهم مجالا اقتصاديا وسياسيا وتبشيريا واسعا داخل أرجاء الدولة العثمانية . راجع عمر عبد العزيز : مرجع سابق ، ص ٢٧٦ .

٢ - عبد الكريم غرابية : مرجع سابق ، ص ٢٨-٢٩ .

٣ - رسالة من شارل أوبائل ، وردت في فيليب وفريد الخازن : مجموعة المحررات السياسية، جنوبية، لينان، ١٩١٠، ج٢ ، ص ٢٠٧ .

٤ - عبد الكريم غرابية : مرجع سابق ، ص ٣١ .

ثانياً: التبشير : المعنى ، الدافع ، الهدف

أ - المعنى :

كلمة التبشير في اللغة من البشرى، واليشارة مصدر لفعل: بشر، أبشر، بشرى، بشرى، بشر أى أخبر خيراً يؤثر في البشرية، وهو يكون بالفرح كما يكون بالحزن^(١) إلا أن استعماله الأكثر في الفرح كما في قوله تعالى {وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا من ثمرة رزقوا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل} ^(٢) وقد يستعمل في الحزن كما في قوله تعالى: {ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم} ^(٣).

أما المعنى الاصطلاحي للكلمة، فيقصد به الإشارة لمحاولات الدول الغربية نشر المسيحية بين الأمم الأخرى، سواء مسلمين أو يهود أو أصحاب الديانات الأخرى، وحتى بين المخالفين لهم في المذهب من أتباع الديانة المسيحية نفسها^(٤).

ويرى المسلمون أن كلمة التبشير التى يطلقها المبشرون على نشاطهم تجافى الحقيقة تماماً، ذلك لأنه نشاط يستهدف تحويل الفرد عن عقيدته الدينية للنصرانية، ودعوة من لا عقيدة له لى يصبح نصرانياً، فضلاً عن أن جزءاً من هذا النشاط موجه للمسيحيين، أضف لذلك فإن كلمة التبشير استخدمت إبان

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، ١٩٧٩، مادة بشر .

(٢) سورة البقرة، آية ٢٥ .

(٣) سورة الجاثية، آية ٨/٧ .

(*) يرفض بعض الباحثين المسلمين استخدام كلمة التبشير بين المسلمين، اعتماداً على قولهم إن النصوص القرآنية هي الفيصل في هذه المسألة، ويورد بعض الآيات مثل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي إننا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ الأحزاب ٤٥ : ٤٧، وغيرها من الآيات - راجع خالد نعيم (دكتور): الجذور التاريخية لإرساليات التصير الأجنبية في مصر، مكتبة المختار الإسلامى، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٣ .

عهد المسيح حين قدموا الإنجيل للأمم الوثنية قبل الإسلام^(١)، لذا لا يجوز استخدامها بعد ظهور الإسلام^(٢).

ظهور التبشير :

كان للإخفاق الذي منيت به الحملات الصليبية في الوصول لغايتها، أثره في انعدام الدوافع التي يمكن أن تحرك المسيحيين الأوربيين للالتحاق بمثل هذه الحروب، مما أدى إلى نمو الفكرة التي نبتت إبان الحروب الصليبية، وهي استمالة المسلمين واجتذابهم إلى المسيحية بطرق سلمية وودية^(٣) واستفاد التبشير في نشأته من الاستشراق الذي نشأ لمقاومة الامتداد والتوسع الإسلامي الذي سيطر على إسبانيا^(٤) وكان لتولى الراهب الفرنسي "جربرت" Gerbert منصب البابوية باسم "سلفستر الثاني" عام ٩٩٩م عاملا قويا لدراسة اللغة العربية وترجمة القرآن^(٥) لذا فعندما بدأت الرسائل التبشيرية في ممارسة عملها بين المسلمين، أقبل المبشرون على الاستشراق لينهلوا من علومه حتى يتسنى لهم فهم الإسلام والمسلمين^(٦). وكان المشرق العربي هدف الرسائل التبشيرية لأنه؛ مهد المسيح من جهة، وللثار من الإسلام

(١) كرم شلبي (دكتور): الإذاعات التصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، د/ت، ص ١٨ . انظر أيضا: علي أبو جريشة: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٨٦، ص ٢٧ .

(٢) ويمكن الرد على الرأي السابق بأن أصحاب هذه الرسائل يتعاملون مع كل الخارجين عن المسيحية كصنف واحد، يستوى فيه الجميع، وهم يختارون من الألفاظ ما يناسبهم هم لا ما يناسب الآخر، وعلى هذا فلا داعي لمثل هذه المناقشات حول اللفظ، لأنه لن يفيد كثيرا حتى لو استبدل بلفظ "التصير" طالما أن الهدف في النهاية واحد .

(٣) ليلى الصباغ (دكتورة): الجاليات الأوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين ١٦، ١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩، ص ٧٧١ . انظر أيضا:

عبدالودود شلبي (دكتور): أفيقوا أيها المسلمون، الدار السعودية، جدة، ١٩٨١، ص ١٧

(٤) أنور الجندی: الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية، مطبعة الرسالة، القاهرة، د/ت، ص ٢٧٢ .

(٥) محمد بديع شريف (دكتور): اليقظة الفكرية السياسية في القرن التاسع عشر، منشور ضمن كتاب 'دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٦٧ وما بعدها .

(٦) محمد البهي (دكتور): الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨١، ج ١، ص ٤٣٠ .

السذى أمكنه أن يبسط جناحيه على أراض شاسعة في العالم، وخاصة بيت المقدس منذ زمن الفتوحات الأولى^(١).

ب - دوافع التبشير :

هناك عوامل متعددة كانت وراء ازدياد حركة التبشير في العالم العربي، خصوصاً في القرن التاسع عشر لعل أهمها .

١ - الدافع الدينى :

وردت الإشارة واضحة في الأناجيل لمعتقيها للانطلاق لكل أنحاء العالم لأجل نشر العقيدة المسيحية مثل "ذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر"^(٢) وكذلك "ذهبوا إلى العالم وأكرزوا"^(٣) بالإنجيل للخليفة كلها، فمن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يبدن"^(٤) وعلى أساس هذه الدعوة الواضحة خرجت الجماعات التبشيرية للتبشير بالديانة المسيحية، وهم يرون أن مهمة التبشير مهمة مسيحية أصلاً، غايتها عرض الإيمان المسيحي على من لم يعرفه بقصد اجتذابه إلى المسيحية بفعل الروح القدس^(٥)، ويرى هؤلاء أن المسيح عليه السلام أسس الكنيسة لغاية التبشير، على أساس أنه كان مرسل من السماء، وأرسل هو الرسل للعالم لنشر رسالته وإقامة الكنائس .

أما القس صموئيل زويمر - وهو من أعمدة التبشير في العصر الحديث - فقد أوضح المقاصد الحقيقية لتبشير المسلمين في "أن الله لم يقصد أن يقاسم المسيح أحد في ملكوته، بل قصد أن تكون مملكة المسيح بدون حدود، وأن تكون حروبه خالية من شروط الحياد عند أية أمة، وهناك مواعيد كتابية بنجاح هذه المشروعات التبشيرية، كذلك فالله يحب العالم الإسلامي لأنه لا يزال بعيداً عنه، فبتحن أحشاؤه الأبوية على حالتهم المستحقة لرأفته

(١) محمد الهادي: أحمد فارس الشدياق ١٨٠١ : ١٨٨٧م دار الغرب الإسلامي، بيروت،

١٩٨٩، ج١، ص ٣١ .

(٢) إنجيل متى إصحاح ٢٠، ١٩، ١٨ .

(*) أكرزوا: انصخوا .

(٣) إنجيل مرقس - الإصحاح، ١٦ .

(٤) انقس بورتر: الصلاة من أجل المرسلين في الوطن وفي الخارج، النشرة الأسبوعية،

بيروت، الاثنين ٩ شباط ١٨٨٥، العدد ٦، ص ٤١ .

وشفقتة"^(١) أما عن أسباب عودة العمل التبشيري في القرن التاسع عشر بعد ما أصابه الركود، فبسبب تلك اليقظة الدينية التي عمت إنجلترا منذ أواخر القرن الثامن عشر، وما قابلها من يقظة دينية مقابلة لها في الولايات المتحدة التي تمثلت فيما يسمى بـ "روح إنجلترا الجديدة" لذا فقد ظهرت العديد من الجمعيات التي كرست نفسها لحمل الإنجيل لجميع البشر^(٢). وعلى هذا كانت الروح الدينية بمثابة عامل الشحن الذي دفعهم لتكوين الإرساليات للتبشير بها، إيماناً بما جاء في الكتاب المقدس، إلى أن انضمت العديد من العوامل الأخرى، وربما يفسر لنا هذا السبب أن موجة الإرساليات الأولى بدأت أهلية وبعيدا عن الحكومات.

٢- الدافع السياسي والاقتصادي :

استغل التبشير استغلالاً حرقه عن وجهته الأساسية، حتى أصبح وسيلة للاستعمار يستغله لفرض سيطرته إن كانت معدومة، ودوامها إن كانت موجودة، واستقرارها إن كانت مهتزة^(٣) من هذا المنطلق أصبح التعاون وثيقاً بين التبشير والاستعمار، ولم يكن ذلك وليد القرن التاسع عشر فقط، بل منذ قبل ذلك بقرون، عندما قام المبشرون بأعمال سياسية تخدم مصالح المسيحية الأوربية وأطماعها في الشرق، فهم بذلك أصابع لبلادهم وعيون لحكوماتهم^(٤) وعلى هذا فقد التقت مصلحة المبشرين مع أهداف الاستعمار، فاعتمد عليهم بعد أن أقتنع المبشرون زعماء الاستعمار بأن المسيحية ستكون قاعدة للاستعمار الغربي في الشرق وبذلك أسبغ عليهم حمايته^(٥). وعلى هذا الأساس ففي القرن التاسع عشر ازدادت المطامع السياسية والاقتصادية في

(١) صموئيل زويمر (دكتور): طريق المحبين إلى قلوب المسلمين، طبع على نفقة اللجنة التبشيرية للإرسالية الأمريكية، القاهرة، د/ت، ص ٩ وما بعدها.

(٢) نبيه أمين فارس: أميركا والنهضة العربية الحديثة، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، سبتمبر ١٩٥٨، ص ٣٨١.

(٣) أحمد شوكت الشطبي (دكتور): زبدة ما قيل في المئة سنة الأخيرة عن التراث العربي، ضمن كتاب نشاط العرب العلمي في مائة سنة، إشراف هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٣، ص ٣٠١.

(٤) مصطفى الخالدي (دكتور): وعمر فروخ (دكتور): التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٥٣، ص ١٥. انظر أيضاً: ليلي الصباغ: مرجع سابق، ص ٧٧٤.

(٥) إبراهيم خليل أحمد: المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعى العربي، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٤٢.

ممتلكات "الدولة العثمانية" ومن المحتمل جدا أن يكون لهذا العامل علاقة باختيار هذه المنطقة للتبشير فيها^(١)، وهو ما أدى بعد ذلك للتفكير فى نوع من الدمج والتوحيد بين الأنشطة السياسية والاقتصادية والدينية، بحيث يصبح التصير فى خدمة الاقتصاد والسياسة فى آن واحد^(٢).

وبذلك فقد كان التبشير هو المقدمة للغزو الاستعماري للعالم العربي، وبعد أن كانت الإرساليات التبشيرية فى مرحلتها الأولى أهلية وبعيدة تماما عن الحكومة، التقت المصلحة بينهما فى المرحلة الثانية، فقد اعتمد الاستعمار على المبشرين الذين أمدهم بالمعلومات والطرق التى يستطيع أن يفرض من خلالها سيطرته على البلاد العربية، وبالتالي قدم لهم الاستعمار المقابل لهذه الخدمة وهو أن أسبغ عليهم حمايته فأصبحوا يعملون فى أمان.

٣- الدافع الحضارى :

الصراع الحضارى بين الشرق والغرب مستمر ولم يهدأ، وإن اتخذ أشكال مختلفة، فتارة يأخذ شكل الحروب والحملات المسلحة مثل الحروب الصليبية، وتارة يبعد عن الشكل العسكرى متخذا وسائل أخرى مثل الاستشراق والتبشير ثم الاستعمار.

والعامل الحضارى وأن كان أضعف العوامل جميعا فى توجيه حركة التبشير إلا أنه لا يمكن تجاهله، فقد هدف التبشير لإظهار أصحابه فى ثوب الأبرار حماة الحضارة والعلم، وذلك حتى يتمكنوا من الوصول لقلوب العوب والمسلمين^(٣) وهذا ما دعاه الاستعمار بمهمة الرجل الأبيض فى تحضير غير البيض، وهو تبرير ضعيف لم يقم عليه دليل.

ووجدت الإرسالية اليسوعية للعمل فى بلاد الشام منذ القرن السابع عشر ولكن نشاطها كان ضعيفا، وتوقف فى نهايات القرن الثامن عشر حتى استأنف مرة أخرى فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وهو نفس الوقت الذى مارست فيه الإرسالية الأمريكية نشاطها الواسع فى الشام، فوجدت نظرية تضع حركة التبشير الأمريكى فى الإطار التاريخى المتعلق بالصراع الدينى والحضارى بين الشرق والغرب، على اعتبار أن الولايات المتحدة قد ورثت من بين ما ورثت من مقومات ثقافتها الفكر الدينى الأوروبى، ومن ثم

(١) نبيه أمين فارس: مرجع سابق، ص ٣٨٢ .

(٢) محمد البهى: مرجع سابق، ص ٤٢٥ . انظر أيضا: كرم شلبى: مرجع سابق، ص ١٩ .

(٣) أنور الجندى: مرجع سابق، ص ٢٩٠ .

فقد جاءت حركة التبشير الأمريكي في العالم الإسلامي محاولة أمريكية لوراثة الدور الأوربي التقليدي في المنطقة^(١) وعمل التبشير الأمريكي في الشرق على التمهد للنفوذ السياسي والاقتصادي الأمريكي في هذه الجهات في مقابل حصول الكنيسة الأمريكية على مركز ديني في العالم الإسلامي، حتى تتمكن - من خلاله - من منافسة الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية^(٢).

ج - أهداف التبشير :

كانت هذه هي الدوافع وراء القيام بعمليات التبشير الأمريكي في بلاد الشام، وهي في الحقيقة وراء عمل الإرساليات الأخرى في العالم الإسلامي خصوصاً وبقية أنحاء العالم عموماً، أما عن الأهداف فيمكن استخلاصها في الآتي:

- ١- تحويل المسلمين إلى المسيحية البروتستانتية، وكذلك كل المخالفين لهم في المذهب، وعندما أدركت الإرسالية الأمريكية صعوبة تحويل المسلم للمسيحية عملت على التركيز على الطوائف المسيحية المختلفة معهم في المذهب.
- ٢- العمل على نشر التعليم الغربي والأفكار الغربية بين المسلمين بعيداً عن صبغتها الدينية، لربط المسلمين بالفكر الغربي وجعلهم يدورون في الفلك الغربي.
- ٣- حاولت الإرسالية الأمريكية الحصول على مكان مناسب للكنيسة الأمريكية في الشرق، وخاصة أنه لا يوجد لها أي قواعد من قبل، وهذه المكانة هي التي ستكسب الأمريكيين أنصاراً وأتباعاً فهي مقدمة للغزو الاستعماري الأمريكي في العالم العربي كله. وبذلك يصدق القول أن المبشر هو كتيبة الغزو الأولى التي تسبق الاستعمار.

(١) محمد فؤاد محمد خليل: التبشير الأمريكي في منطقة الخليج العربي ١٨٩٠: ١٩٦٢.

رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٩٦، ص ١١.

(٢) George Lenczowski: United States interests in the Middle East. American Enterprises Mstitute For public policy research, Washington. 1968. p83.

٤- كانت الإرسالية تعمل على عودة اليهود "شعب الله المختار" إلى (*) أرضه الموعودة "فلسطين" وذلك تمهيدا لعودة المسيح للأرض في نهاية الألفية وذلك تبعا لعقائدهم الدينية، وبالفعل بدأت الإرسالية الأمريكية في إقناع اليهود بذلك، وبدأوا في محاولة تنفيذ ذلك الهدف، وبالفعل كان البروتستانت الأمريكيون أسبق من اليهود أنفسهم، في الإيمان بهذا الهدف ومحاولة تنفيذه.

(*) أن الدعم الاستشراقي لليهود قد بدأ مبكرا من خلال تلك المساهمات التلقائية التي خدمت التوجهات اليهودية الصهيونية نتيجة الاهتمام الأوربي بالدراسات اليهودية فقد أتاحت حركة الإصلاح الديني البروتستانتى فى القرن السادس عشر الفرصة لنهوض اليهودية القومية من خلال التغييرات اللاهوتية التى جاءت بها وأبرزها الترويج لفكرة التفضيل الخاصة بالشعب اليهودى، والتأكيد على ضرورة العودة اليهودية إلى فلسطين، وكذلك توجيه الاهتمام إلى اللغة العبرية باعتبارها لغة مقدسة، وساعد ذلك على إيجاد تربة ملائمة لفهم الصهيونية الدينية، وساهم أدب الرحلات الأوربية فى تقديم صورة كاملة عن فلسطين، ويمكن القول بأن ازدهار الحياة الدينية والثقافية فى المجال اليهودى- العبرى بالإضافة لازدهار النشاط الاستشراقى المرتبط بها يشكلان معا إرهاصات من إرهاصات استفادة المشروع الصهيونى من الاستشراق الأوربى عموما، وبعد ذلك ورثت أمريكا هذا الدور .

- ريجينا الشريف: الصهيونية غير اليهودية جذورها فى التاريخ الغربى، ترجمة أحمد عبدالله عبدالعزيز، عالم المعرفة، الكويت، رقم ٩٦، ديسمبر ١٩٨٥، ص ٣٠٠

الفصل الأول

**أوضاع الطوائف الدينية في بلاد الشام
في القرن التاسع عشر**

تتسم مجتمعات العصور الوسطى الأوربية والشرقية على حد سواء بالطائفية سواء في ذلك طوائف الحرف والتي كانت تجمع في داخلها الحرفيين من أبناء الطائفة الواحدة مهما اختلفت أديانهم، وأيضاً وجدت الطائفية الدينية التي تجمع أبناء المذهب الواحد مهما اختلفت أعراقهم الجنسية، وبظهور الدول الحديثة في أوروبا القرن الخامس عشر اختلفت الطوائف الحرفية، وهو ما تأخر في العالم العربي للقرن التاسع عشر، ولكن بقيت الطوائف الدينية لأنه من العسير ذوبانها، واتسم مجتمع الشام في القرن التاسع عشر بالطائفية الدينية. تتفرد بلاد الشام بسمه لا تشاركها فيها بقية بلاد العالم قاطبة إلا وهي وجود طوائف دينية لا يوجد لها شبيها في العالم إلا إذا كانت خارجة من بلاد الشام في الأساس، وهذا التركيب الطائفي المعقد ساعد على وجود العديد من المشكلات التي لا تزال أصدائها مستمرة حتى الوقت الحاضر، كما كانت الطائفية مغنما للعديد من الدول التي تدخلت بصور وأشكال مختلفة إما لمساندة طائفة ضد أخرى أو بحجة حل الأزمة بين الطوائف، وأدى هذا بدوره لتعقيد المشكلة الطائفية، حتى أنها أصبحت المحرك الأساسي للمشكلات في هذه المنطقة.

وينبغي الإشارة إلى أن معظم الطوائف الموجودة في بلاد الشام دخل عليها العديد من الأفكار التي ربما تكون مستمدة من ديانات أخرى أو من عقائد أسطورية مرتبطة بالبيئة الموجودة فيها، مما جعل عوامل تحللها الفكرى مجتمعة داخلها، وساعد هذا بدوره الإرساليات التبشيرية في القيام بما جاءت من أجله حيث استغلت هذه الإرساليات المتناقضات الموجودة بين الطوائف لمصلحتها ولبذر بذور التعصب بينها في نفس الوقت الذي استغلت فيه هذه الإرساليات نقاط الضعف الموجودة داخل الفكر السائد لدى هذه الطوائف لتوجيهها للوجهة التي تريدها وكانت المحصلة النهائية تكريس الفكر الطائفي في الشام، لذا اصطبغ تاريخه بالصبغة الطائفية.

من هنا ينبغي أن نشير في شئ من الإيجاز لهذه الطوائف حتى نرى البيئة التي عملت فيها الإرسالية الأمريكية موضوع البحث وللدلالة على مدى ملاءمة الظروف المختلفة لها.

أولاً : المسلمون :

أ- السنة :

كان طبيعياً في أعقاب الحروب الصليبية أن يرتفع شأن المسلمين من أهل السنة لأنهم كانوا الأداة الرئيسية في الجهاد ضد الحملات الصليبية، وقد عمد الحكام المماليك لنقل أسر سننية لسواحل الشام حتى تتولى حمايتها من أي

عدوان جديد، ولتكون قوة رادعة لأي تحرك مسيحي من الداخل لذا ما زال معظم السنيين مقيمين في المدن الساحلية^(١).

وفي العصر العثماني شكل المسلمون السنيون من عرب وأكراد وأتراك وتركممان أكثرية بسيطة في الشام، وانتمى أكثر العرب السنيين لمذهب الإمام "الشافعي" بينما اتبع الأتراك والأكراد والتركممان مذهب "أبي حنيفة" الذي أتبعه أيضاً بعض الأعيان العرب تقريباً من السلطات العثمانية التي جعلته المذهب الرسمي للبلاد^(٢).

وتوزع المسلمون السنيون في مختلف الأماكن في الشام، فكان منهم عدداً يتركز في أطراف البلاد الشرقية على حدود فلسطين من ناحية الشمال، وكان عددهم قليلاً في جبل عامل^(٣) أما لواء دمشق فقد توزع السنيون في جميع مدنه وقراه وشكلوا نحو ثلاثة أرباع المجموع الكلي للسكان^(٤) وتركز المسلمون السنة في لبنان في مدن بيروت وطرابلس وصيدا وبعبك، أما في الريف فانتشروا في عكار والبقاع^(٥).

ولم تكن طائفة أهل السنة بعيدة عن مظالم الولاية العثمانية فقد كان يقع عليها نفس ما يقع على غيرها من الطوائف من مظالم، فعلى سبيل المثال في عهد يوسف باشا الكردي ١٨١٨م أمر أهل السنة بإطلاق لحاهم ومن خالف هذا الأمر جزاؤه الإعدام كما حتم عليهم أن يكحلوا عيونهم بكحل أسود^(٦) وهو أمر غير مفهوم أن كان للتمييز أو تشدداً في التمسك بالسنة النبوية.

-
- (١) عبدالعزيز نوار (دكتور): الحرب الأهلية وأبعادها الطائفية، مجلة السياسة الدولية، العدد (٤٣)، القاهرة، يناير ١٩٧٦، ص ٨.
- (٢) عبدالكريم غرايبة (دكتور): سوريا في القرن التاسع عشر، ١٨٤٠: ١٨٧٦، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١١٠.
- (٣) تيسير خليل الزواهرية (دكتور): تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء دمشق ١٨٤٠ - ١٨٦٤، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٥، ص ١٦.
- (٤) سوسن سليم (دكتورة): الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٠٢.
- (٥) أحمد سيد أحمد عمر: الطائفية وعدم الاستقرار السياسي في لبنان، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التجارة أسيوط، ١٩٩٣، ص ٨٩.
- (٦) ميخائيل مشاققة (دكتور): منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب، تحقيق أسد رستم، (دكتور) وصبحي أبو شقرا، وزارة التربية الوطنية اللبنانية، بيروت، ١٩٥٥، ص ٤١.

وبالرغم من أن أهل السنة مثلوا العمود الفقري للنظام العثماني إلا أنهم كانوا أكثر الطوائف الشامية تعرضاً للظلم، وذلك لأن السلطات العثمانية كانت ترضخ لضغوط الدول الأوروبية المختلفة في الدفاع عن الطوائف التابعة لها، مثلما حدث في عام ١٨٦١م عندما أصبح المتصرف العثماني في لبنان مسيحياً وله نائبان أحدهما من الدروز والأخر من الموارنة لرعاية الطائفتين^(١) هذا بينما لم يكن لأهل السنة نائب عنهم بالرغم من أن نسبتهم العددية تفوق الدروز، ويبدو أن الأمر هنا راجع للعلاقات بالقوى الأجنبية المتحكمة أكثر من نسبتهم.

وقدر عدد المسلمون السنيون في عام ١٨٧٤م بـ ٨٠٠,٠٠٠ نسمة، بينما قدروا في آخر القرن بمليون نسمة عشرهم من العشائر البدوية^(٢) وللأسف فإننا لا نملك نسب حقيقية لتعداد السكان حتى يمكننا معرفة نسبة المسلمين السنيين ونسبة بقية الطوائف.

أما عن العشائر البدوية فيمكننا القول أن تطبيق الدين عندهم ليس له اهتمام كبير، ولكن يسهل إقناعهم بالدين لأن تدينهم فطري ولهم إيمان بالمعتقدات الأسطورية والأولياء، وإذا ما صلى البدوي فقد يقول كلاماً ليس من القرآن ولا من السنة مثل "يا رب فرشت عباتي أقبل صلاتي" والبدو إما حنابلة أو مالكية لاختلاطهم بعشائر نجد والحجاز^(٣).

ومن خلال استقراء المصادر المختلفة لتلك الفترة^(٤) نلاحظ أن أهل "السنة" مثلوا عنصر الاعتدال الوحيد بين الطوائف الشامية^(٥)، وكانوا هم الطائفة الوحيدة التي ظلت على ولائها للدولة العثمانية باعتبارها دولة إسلامية

-
- (١) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١٠٣ .
 - (٢) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١١٠ .
 - (٣) تيسير خليل الزواهرية: مرجع سابق، ص ١٦ .
 - (٤) أحمد عزت عبدالكريم : (دكتور): مرجع سابق، ص ١٦٧ .
 - عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١١٢ وما بعدها .
 - سوسن سليم إسماعيل: مرجع سابق، ص ١٠٣ وما بعدها .
- (*) وجد في بلاد الشام بعض الطوائف الانعزالية مثل النصرية كما سنرى فيما بعد. ووجد بعض الطوائف التي طالبت بالتدخل الأجنبي مثل الموارنة، هذا في الوقت الذي ربط الدروز والروم الأرثوذكس مصالحهم بمصالح دول أجنبية هي إنجلترا وروسيا.

سنية، وكان ظاهر العمر^(*) هو الوحيد من بين الطائفة السنية الذي قام بحركة مناوئة للدولة العثمانية في القرون الثلاثة الأولى [١٦، ١٧، ١٨] للحكم العثماني في الشام.

ويعيب السنيون أنهم كانوا أقل الطوائف الشامية حتى من الشيعة والدروز قدرة على الاتصال بالمدنية الغربية، فقد سيطرت عليهم روح الشك في الغرب وربما كان ذلك من أن الاتجاهات السياسية والثقافية داخل طائفة أهل السنة كانت تختلف من منطقة لأخرى، وذلك تبعاً لتشعب الثقافة وروافدها من منطقة لأخرى، مما صعب إيجاد اتجاه سياسي واحد للرابطة بينهم بعكس الطوائف الأخرى.

ب- المتأولة :

ينتمي المسلمون الشيعة في الشام للمذهب الاثني عشري، وهم من حيث العدد بين الطوائف الإسلامية يلون السنة، ويلاحظ أنهم عاشوا منعزلين عما حولهم من الطوائف في أغلب الأحيان، وأطلق على هذه الطائفة لقب المتأولة^(*).

(*) ظاهر العمر: بنى ظاهر العمر مجده وقوته المرهوبة الجانب في فلسطين، وبفضل مساعدة أولاد السبعة حصل على السلطة والسيادة على أغلب أجزاء فلسطين وفي عام ١٧٦٨م كان قد حصل من استانبول على لقب "شيخ عكا" وأمير الأمراء" وسيطر على ميناء عكا، كما تحالف مع العديده من أعداء الدولة العثمانية مثل على بك مما عرضه لنقمتها، ذلك أن طرد على بك من مصر عرضه لنقمة السلطان وقاد مباشرة إلى هزيمته وموته عام ١٧٧٥م بعد عامين من موت على بك. راجع دانيال كريسيوس: (دكتور) جذور مصر الحديثة، ترجمة وتعليق عبدالوهاب بكر، (دكتور) مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥، ص ١٨٢، ص ١٨٣.

(*) المتأولة : أول مرة أطلق لفظ المتأولة على الشيعة في الشام كان في أواخر القرن السابع عشر، حيث كانت الفوضى ضاربة في بلاد الشام، وكان كل فريق يعتمد على قوته. بحيث انتشرت الحماسة الوطنية فكان أبناء هذه البلاد يلقبون أنفسهم بنى متوال، وهذا اللقب "متأولة جمع متوال" قد يكون مشتقا من توالى أى من تابعمهم واسترسالهم خلفا عن سلف في موالة آل البيت، ويلاحظ أن هذا اللقب لم ينتشر إلا بين الذين خاضوا غمار الحروب في ذلك العصر مثل سكان بلاد بشارة وبعلبك وكسروان، أما الذين لم يندمجوا في هذا النسلك مثل سكان دمشق وحلب فلم يطلق عليهم لفظ متأولة. راجع أحمد رضا: المتأولة أو الشيعة في جبل عامل، مجلة المقتطف، القاهرة، مايو ١٩١٠م، مجلد ٣٦، ص ٤٢٥، ص ٤٢٩.

وبدأت أهمية المتأولة خلال القرن السابع عشر، وسكنوا في جنوبي لبنان فيما يعرف بجبل عامل^(*) وكان لهذا الموقع أثره في حياة هذا الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فموقع جبل عامل كحلقة وصل بين جبل الدروز وفلسطين وسوريا جعله يتأثر لحد كبير بتقلبات موازين القوى المجاورة له^(١) أما عن أعدادهم فقد قدرهم "إلياس مطر" بـ ١٢٥ ألف عام ١٨٧٢م بينما قدرهم همسلي في عام ١٩١٤م بما يتراوح بين ٨٠,٠٠٠ : ١٠٠,٠٠٠ نسمة^(٢) ولا يتوافر لنا إحصائيات عن العدد الكلي للسكان حتى يمكننا قياس نسبة المتأولة للعدد الإجمالي للسكان .

وعاش المتأولة^(**) في بلاد الشام متأخرين ولا يملكون إلا القليل من الأرض، وكانت علاقاتهم مع جيرانهم تتراوح بين الخوف والكره والتحالف

(*) جبل عامل: هو اسم لمقاطعة من الأرض جنوبي الشام، ويسمى جبل الجليل، ويعرف بالشارتين، ولا تزال القطعة الجنوبية منه تعرف ببلاد بشارة، ويطلق على ما كان منه بين النهرين (الليطاني والزهران) بلاد الشقيف، وعلى ما ورآهما من جهة الشمال إقليم التفاح والشومر، والريحان، والخروب، وهو الموطن الأصلي لطائفة المتأولة لمزيد من المعلومات راجع:

- محمد تقي الفقيه: جبل عامل في التاريخ، دار الأضواء، بيروت،

١٩٨٦، ط ٢، ص ٣٤ .

- (١) حسين سليمان: لبنان في فترة الصراع الداخلي ١٧٣٥ : ١٧٩٠، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٥٥ .
- (٢) إلياس ديب مطر: العقود الدرية في تاريخ المملكة السورية، مطبعة المعارف، بيروت، ١٨٧٤، ص ٢٠ انظر أيضا: ستيفن هامسلي لونغبرغ: سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٦ .

(**) يذكر المتأولة عن أنفسهم أنهم أقدم فرقة شيعية ظهرت في العالم الإسلامي بعد الحجاز وذلك منذ خلافة "عثمان بن عفان" حيث يزعمون أن أبي ذر خلال إقامته في الشام عمل على الدعوة لآل البيت، وهم هذه الفرقة التي استجابت له، ولكن إذا جاز لنا أن نعتبر النظريات السبئية أصلاً للمذهب الشيعي فإنه لا يجوز القول بأن الشيعة نشؤوا منذ ذلك الوقت بوصفهم فرقة مستقلة ذات وجود وكيان، لأن نظريات ابن سبأ لم تمثل في أول الأمر اتجاهًا جماعيًا معلنًا بل اعتنقها قلة من الأفراد لاذوا بالتستر والتخفي، ومن هنا نرى خطأ ما يذكر من أن التشيع في الشام بدأ بدعوة أبي ذر الغفاري - لمزيد من المعلومات راجع محمد الأنور السنهوتي: (دكتور) مذاهب الفرق الكلامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د/ت، ص ٤٦ .

القصير الأجل ولكن حس العصبية عندهم كان قويا للغاية^(١) فقد عاشوا في تشكيل أقرب للشكل العشائري العربي التقليدي، وأن استطاعت أسرة حمادة في القرن السابع عشر أن تمد سيطرتها من البقاع لمنطقة المورانة الجبلية^(٢).

وأدرك المتأولة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر ضعف الدولة العثمانية وضعف ولايتها لذا فقد عملوا على الاستفادة من ذلك للضعف بالتحالف مع أعداء الدولة والثائرين عليها مثل الشيخ ظاهر العمر في فلسطين، والذي استفاد من التحالف معهم في كافة الميادين^(٣) في نفس الوقت تقريبا ضغط ولاية دمشق على أمراء بعلبك من "آل حرفوش" للمتأولة الذين غدوا في حالة ثورة مستمرة، ورغم كل هذه الضغوط فقد نجح المتأولة في الصمود أمام منافسيهم بزعامة "آل على الصغير" في الجنوب، و"آل حرفوش" في بعلبك طوال هذه الفترة^(٤) واعتبرت الدولة العثمانية المتأولة رديفا للصفويين لذا فقد عاملتهم كأعداء لها، ومع ذلك فقد تركت سطحية الحكم العثماني للشريعة عموما أمورهم في أيديهم مما أدى لظهور زعامات قوية نسبيا، مثل "آل حرفوش" في بعلبك، أو آل نصار في جبل عامل، ولكن هذه الزعامات كانت في صراع فيما بينها، في الوقت نفسه فقد تعرضوا لضغط الأسرة الشهابية التي كانت تسعى لفرض سيطرتها عليهم^(٥).

وبذلك فقد كانت علاقتهم بالسلطة العثمانية مضطربة، وبالتالي أصبحت علاقتهم بوالى دمشق على نفس المستوى. مما مثل عامل شد وجذب بين الطرفين، فقد حاول المتأولة في فترات الضعف استغلال ذلك في الحصول على أكبر قدر من المكاسب، أما عندما يتولى أحد الولاة الأقوياء فيحاول بسط سلطة الحكومة عليهم بكافة الوسائل. وهم في كل الأحوال محرومين من كافة الخدمات الحكومية.

(١) ستيفن هامسلي: مرجع سابق، ص ١٦ .

(٢) عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص ٩ .

(٣) حسين سليمان: مرجع سابق، ص ١٦٠ .

(٤) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١٠٣ .

(٥) عبدالعزيز نوار (دكتور): تطور لبنان السياسي والاجتماعي منذ أواخر القرن

الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصري ١٨٤٠م، منشور ضمن كتاب الأزمة

اللبنانية، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ١٠، ص ١١ .

ومما يؤمن به المتأولة الرجوع لعلمائهم فى القضاء والافتاء، ويعتبرون ذلك جزءاً من أحكام مذهبهم، سواء رضى الحكام بذلك أم لا، وهم يبتعدون عن علماء الدين الذين تختارهم السلطة للقيام بهذه الصلاحيات^(١).

ولقد انتعشت الحالة الاقتصادية للمتأولة فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر وذلك لانتشار زراعة التبغ فى بلادهم، وأيضاً عمروا ميناء صور وجعلوه ميناء للتصدير لمصر، فى الوقت نفسه تميزت بلاد عاملة بأهميتها بالنسبة لتجارة فرنسا نظراً لمرور القوافل القادمة من بلاد الجليل وصفد وصيدا عبر أراضيها^(٢).

ومن خلال استقراء مصادر تلك الفترة^(٣) يمكننا القول أن التعليم بين المتأولة كان متخلفاً وقاصراً على بعض علومهم الدينية فقط، وهو ما أدى بالتالى لتخلفهم الفكرى ولانتشار الأساطير والجهل، مما مثل بيئة مناسبة لعمل الإرساليات بينهم، وخاصة الإرسالية الأمريكية التى استغلت هذا الوضع السئ لصالحها، فعملت على نشر التعليم عن طريق بناء المدارس والمستشفيات والمكتبات وغرف القراءة، ولعبت الإرسالية على وتر الخلاف المذهبى بين الشيعة وغيرهم من المذاهب الأخرى، لإشاعة العداء فيما بينهم واجتذابهم بجانبها.

ج الإسماعيلية^(*) :

إحدى الفرق التى انشقت عن الشيعة الاثنى عشرية، وهم وأن اتفقوا مع الشيعة على التسلسل التاريخى للأئمة الستة الأوائل^(**) إلا أنهم اختلفوا حول

(١) محمد تقى الفقيه: مرجع سابق، ص ٣٤ .

(٢) ميخائيل مشاقفة: مرجع سابق، ص ٢ .

- انظر أيضاً: حسين سليمان مرجع سابق، ص ١٥٦ .

(٣) أحمد رضا: مرجع سابق، ص ٤٢٧ : ٤٣٠ .

- ستيفن هامسلى لوفنريغ : مرجع سابق، ص ١٦ .

(*) عرفت الإسماعيلية بألقاب كثيرة فهم بالعراق يسمون القرامطة المزدكية، والباطنية، وهو أشهر ألقابهم، وذلك لقولهم بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل، وفى خراسان يسمون "التعليمية" والمملحة ولكنهم يحبون لقب "الإسماعيلية" لأنه يميزهم عن بقية فرق الشيعة. راجع محمد الأنور السنهوتى، مرجع سابق، ص ٨٦ .

(**) التاريخ يجهل تماماً متى بدأت الدعوة لإمامة إسماعيل بن جعفر، ولم يعرف التاريخ شيئاً اسمه فرقة الإسماعيلية حتى أواخر القرن الثالث الهجرى حين ظهرت حركة القرامطة فى البحرين والشام، فكان ظهورها ايذاناً بظهور =

إمامه إسماعيل بن جعفر الصادق، وأبطلوا إمامه أخيه الأصغر موسى الذى اعترف به جزء كبير من الشيعة كإمام سابع^(١).

والإسماعيلية من أقدم الطوائف الشيعية فى بلاد الشام ومركزهم الرئيسى هو "السلمية" فى شمال شرقى حمص^(٢) وشكلوا طائفة متوسطة العدد حيث بلغ عددهم ما بين ١٢,٠٠٠ و ١٥,٠٠٠ نسمة فى القرن التاسع عشر^(٣).

بدأ الإسماعيلية بداية عقائدية لا تختلف عن سائر فرق الشيعة الأخرى، ولكن المتأخرين منهم تأثروا بالفلسفات اليونانية والهندية، والفارسية والروحية والأخيرة تجعل للكواكب والحروف والأعداد تأثيرات على العالم الأرضى، وكتبهم مليئة بهذه الأشياء الدخيلة التى يمزجونها بالعقائد مزجا غريبا^(٤) وبعد تأسيس الدولة الفاطمية حدث أول نزاع داخلى كبير داخل المعتقدات الإسماعيلية ذلك أن احتياجات الفاطميين شملت بعض التعديلات فى العقيدة الإسماعيلية نفسها^(٥) من هذه الأمور "فكرتهم عن الإمام" فهم يغيرون ويبدلون

=الإسماعيلية على مسرح السياسة راجع محمد كامل حسين (دكتور): طائفة الإسماعيلية، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩، ص ١٣ .

(1)B. Lewis; Ahistory Of the Trusads, Vol.1, Philadelphia. 1958. P. 101.

- انظر أيضا: نيفين عبد المنعم مسعد (دكتور): الإقليبات والاستقرار السياسى فى الوطن العربى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٩٥ .

(2)Hourani Albert, Minorities in The Arab World. Oxford, University press, 1947, p8.

(٣) ستيفن هامسلى لونغفريغ: مرجع سابق، ص ١٧ .

(٤) أبو الوفا الغيمى التفتازانى (دكتور): علم الكلام وبعض مشكلاته، القاهرة الحديثة، القاهرة، مايو ١٩٦٦، ص ٩٠ .

(5)P. Lew is. Op. Cit, p 105.

في المبادئ حسب أهوائهم^(*) وأتباعهم يعتقدون أن لهم حرية التصرف في أمور الدنيا والآخرة^(١) فمن معتقداتهم أن الإمام هو الواحد الأحد الفرد الصمد^(٢).

ولعل أكثر الآراء أثرا في الإسماعيلية هذه الآراء التي في كتب الآباء المسيحيين، ففي كتب الإسماعيلية التي ألّفت في الدور المغربي آراء هي من صميم العقيدة المسيحية، واعتراف دعاة الإسماعيلية بصلب المسيح هو تأثير قوى من تعاليم المسيحية، كما أنهم أولوا الكتب المقدسة بما فيها القرآن مثلما فعل القديس "أوجستين" عند تأويله الكتاب المقدس، وهم يتبعون نفس الترتيب الكنسي عند ترتيب دعائهم^(٣).

ولقد شابت الأسطورة هذه المعتقدات فعلى سبيل المثال نتيجة لإيمانهم بالرقم سبعة يرفضون ما أصبح من بديهيات العلوم الحديثة مثل الكواكب فهم يعتبرونها سبعة فقط، كما أن هذه الفرقة يوجد في داخلها العديد من الفرق التي تختلف حول تأويل الآيات القرآنية، كما يختلفون حول تفسيرهم لزعماءهم وهل هم رسل أم ملائكة. وأدت هذه المعتقدات لوقوف أهل السنة منهم موقف العداء، وشاركهم في ذلك بعض طوائف من الشيعة أنفسهم^(٤).

في الوقت نفسه عانى الإسماعيلية من عدم انتشار التعليم بينهم بالتالي مثلت هذه الأمور ثغرات نفذت منها الإرساليات، التي عملت على محاولة الربط بين المعتقدات الإسماعيلية وما يناسبها من عناصر الديانة المسيحية،

(*) يعتقد الإسماعيلية أن الإله هو العقل الكلي في العالم العلوي ويقابله الإمام في العالم الجسماني، ومعنى ذلك أن الصفات والأسماء التي خلعت على العقل الكلي هي أيضا صفات وأسماء للإمام لأن الإمام مثل العقل الكلي، إذن فالإمام هو الواحد الأحد الفرد الصمد.

- (١) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١١٣ .
- انظر أيضا: رفيق التميمي ومحمد مجت : ولاية بيروت القسم الشمالي، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٥٨ .
- (٢) سليم حسن هني: (دكتور) : الإسماعيليون عبر التاريخ، بيروت ١٩٦٩، ص ٤٤، والمؤلف كما هو واضح من كتابه إسماعيلي المذهب .
- محمد كامل حسين: مرجع سابق، ص ١٥٧ .
- (٣) محمد كامل حسين: نفسه، ص ١٥٧ .
- (٤) نيفين عبدالمنعم: مرجع سابق، ص ٩٦ .

خصوصاً وأنه لم يكن هناك رباط فكري قوى داخل هذه الطائفة، فكانت تحمل عوامل تحللها داخلها.

د- النصيرية :

هم أحد الفرق الشيعية التي انبثقت عن الجسم الرئيسي للشيعية، وظهروا في فترة الاضطرابات الفكرية التي أصابت العالم الإسلامي إبان القرن الثالث الهجري، وهي آخر فرقة انشقت عن الجسم الرئيسي للشيعية.

وهم يذكرون عن أنفسهم أنهم قبائل عربية هاجرت لبلاد الشام على ست دفعات، وكانت هجرتهم الأولى كما يشيرون قبل المسيح عليه السلام، أما الأخيرة فكانت في عام ١٥١٦م عند الفتح العثماني للشام^(١) ولكن لا يوجد أدلة على صدق هذا القول، ولكنه يدخل في إطار الصراع بين الطوائف الشامية ومحاولة كل منها لأن تبرهن أنها صاحبة الحق الأصيل في البلاد.

وهناك العديد من الاختلافات التي تحيط بهذه الفرقة ونشأتها ونسبتها، فيرى البعض أنها تصغير احتقاري لكلمة "نصراني" أي مسيحي، بينما يرى آخرون أنها تحريف لكلمة "نازاري" اللاتينية التي تشير لإمارة صغيرة كانت موجودة في سوريا زمن الحروب الصليبية^(٢) ويرى أصحاب هذا الرأي أن النصيريين نتجوا عن اقتران الأهالي بالإفرنج وهم يستندون في ذلك على وجود صفات جسمانية متشابهة بين الاثنين، ويقود هذا الرأي بعض مؤرخي الغرب^(٣) وكون النصيرية جماعة ذات وعى ذاتي يسكنون في جبال النصيرية^(٤)، ووجد بعضهم في دمشق^(٥).

(١) منير الشريف: المسلمون العلويون من هم؟ وأين هم؟ المطبعة العمومية، دمشق، ١٩٦٠، ط٢، ص ١٠٦.

(٢) نيفين عبد المنعم: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(٣) رفيق التميمي ومحمد بيجت: مرجع سابق، ص ١٠٦.

(*) النصيرية على أرجح الأقوال تنسب لمحمد بن نصير وهو أحد وزراء معاوية بن أبي سفيان، وينسجون حوله الأساطير لدرجة أنه تنزل عليه الروح الأمين وبشره بغلام وهو يبلغ من العمر ١١٥ عاماً. تقى الدين شرف: النصيرية دراسة تحليلية، بيروت، ١٩٨٣، ص ٥١.

(٤) يعقوب الجريديني: النصيرية، مجلة الجنان، بيروت، ١٥ تشرين الأول ١٨٧٥م، ص ٧٠٢ - انظر أيضاً: مجهول المؤلف: تاريخ تقسيم جبل لبنان وحالة الحكام وعوائدهم والمذاهب، دار الكتب المصرية، ١٦ تاريخ فاضل، ص ٥٨.

وقدرت سالنامه ولاية بيروت عام ١٨٣١م عدد النصيرين في الشام بـ ١٣٠ ألف نسمة أى أقل من ٥% من السكان آنذاك^(١) وهم بذلك أقل عدداً من الدروز وأكثر من الإسماعيلية .

ويكتنف الغموض عقيدة النصيرية؛ ومرد ذلك أنهم لا يكتبون عن عقيدتهم، وإذا كتبوا فهم يستخدمون "التقية" المعروفة عن الشيعة عموماً، وعلى وجه العموم فقد ساعد الحكم المصرى فى الشام على خروج بعض كتبهم الدينية، ومن خلال ما كتب عن عقيدتهم يلاحظ أنها تمثل تنويعاً فقهياً خاصة بها يختلط فيها ما هو إسلامى بما هو مسيحى بما هو مستمد من الوثنيات السابقة وخاصة الفينيقية .

ويوجد عندهم عقيدة التثليث "أى إيمانهم بثلاثة آلهة ويسمون أول هؤلاء الآلهة: "المعنى" والثانى "الاسم" والثالث: "الباب". ويستعين علماء النصيرية فى إثبات ذلك ببعض الأدلة والبراهين التى يتمسك بها علماء اللاهوت^(٢) .

وللنصيرية مصطلحات ورموز عقائدية خاصة بهم، وهم يؤمنون بأن الغاية الرئيسية التى ترمى إليها هى أن لكل عمل وكل قول تأويلاً خاصاً لا يعرفه إلا المشايخ الذين تعلموه عن الأئمة، فهم ينسبون مناقب خاصة وصفات قدسية عالية على الإمام "على" ويستخدمون المعجزات كدليل تأييه للأئمة^(٣) ويقولون أن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص، ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من على وأولاده المخصوصين، فقد ظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم^(٤) .

(١) عبدالكريم غراية: مرجع سابق، ص ١١٣ .

(٢) سعد الدين إبراهيم: (دكتور) الملل والنحل والإعراق، هموم الإقلييات فى الوطن العربى، مركز ابن خلدون، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٨٢ .

- نيفين عبدالمنعم: مرجع سابق، ص ١٠٩ .

(٣) مصطفى غالب: الحركات الباطنية فى الإسلام، دار الكاتب العربى، بيروت، د/ت، ص ٢٧٣ . ويلاحظ هنا أن الكتاب شيعى، لذا فهو يميل لطوائف الشيعة وينقم على أهل السنة متهما إياهم بالعديد من الصفات السيئة ومجاملًا للشيعة لأقصى حد لذا فأرى هنا لا به تماماً .

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل، طبعة لبيزج، ١٩٢٣، ص ١٤٣ .

ومن المبادئ الدينية التي يؤمن بها النصيرية في عقيدتهم الدينية^(*)، عقيدة الحلول والاتحاد والتأليه، وإسقاط التكليف الدينية والتأويل الرمزي الباطني، والتناسخ ونفى البعث والعقاب والثواب، وهم في هذه التعاليم كثيرون الشبه بالمعتقدات المسيحية^(١)، وهم لا يعلمون أبناءهم الذكور الذين إلا بعد أن يبلغوا التاسعة عشرة، ويقسم كل منهم اليمين بأنه لا يبوح به ولو أريق دمه، ويعتقدون أن المرأة إذا تعلمت الدين تصير أختاً لزوجها فمن ثم تحرم عليه شرعا، لذا فهم يلعنون كل من علم امرأة ديننا^(٢).

ولقد ظل معظم الشيعة لوقت قريب ينكرون الاعتراف بالنصيرية كأحدى الفرق الإسلامية الشيعية المشروعة^(٣)، وحاول علماء النصيرية بكل ما أوتوا من قوة إصدار العديد من البيانات والنداءات التي تقول بأنهم مسلمون مثل بقية المسلمين، وأنهم شيعة اثني عشرية جعفرية، وأصدروا بيانا في عام ١٩٣٦م ذكروا فيه أن كل علوي مسلم ويعتقد بالشهادتين، ويقدم أركان الإسلام الخمسة، وبعد ذلك أصدروا العديد من البيانات لتأكيد نفس المعنى^(٤) وهذه الخلطة الفكرية والدينية فتحت العديد من الثغرات التي نجح المبشرون في النفاذ من خلالها للنصيرية والعمل بينهم.

(*) ومن جملة ما نسبته النصيرية للإمام علي رضي الله عنه: إحياء الموتى، ورد الشمس وعلم الغيب، ويذكر أحد مؤلفيهم قوله "وجاء في بعض كتبنا الإمامية المعتمدة على أن الإمام سلام الله عليه وسائر الأئمة لم يكونوا من سلالة أو نطفة كما في القرآن الكريم، وفي حرب الجمل ورد أن الإمام علي تشخص بتسعين ألف صورة فما من منهزم إلا ويقول على هزمني وما من قتيل إلا ويقول على قتلتي ولا من أسير إلا ويقول على أسرى. راجع منير الشريف:

مرجع سابق، ص ٣٣.

(١) تقي الدين شرف: مرجع سابق، ص ١٢٨.

- انظر أيضا: مجهول: مرجع سابق، ص ٥٩.

- سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١١٢.

- انظر أيضا: يعقوب الجريديني: مرجع سابق، ص ٧٠٣.

(٣) سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص ٨٢.

(٤) الشريف عبدالله آل الفضل: تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، مطبعة

الإرشاد، اللاذقية، ١٣٥٧هـ، ص ١٢.

أما عن الأحوال السياسية للنصيرية في القرن التاسع عشر، فقد ناصبوا الحكم المصري العداء^(*) وكانوا أول من أشهر العصيان عليه، وامتنعوا عن دفع الضرائب للحكومة المصرية في الشام، لذا أرسل شريف باشا إليهم الجند لمحاربتهم، فاعتصموا بجبال اللاذقية، وهزموا الحملة في البداية مما اضطر إبراهيم باشا لتوجيه حملة أخرى هزمتهم^(١).

كما خرج من بينهم من تمرد على السلطة العثمانية، مثل "إسماعيل بك" الذي انتهاز فرصة انشغال الحكومة العثمانية بحرب القرم، وأعلن استقلاله عن الدولة العثمانية عام ١٨٥٤م وسمى نفسه مشير الجبل، واتخذ من "صافيتا" مقراً له، وأخذ يمارس سلطاته بحرية تامة، حتى تمكنت الدولة من القضاء عليه عام ١٨٥٩م^(٢).

وبذلك فقد أدت علاقتهم المضطربة بالسلطة من ناحية وبجيرانهم من ناحية أخرى، وإحساسهم بالضغط من الجميع، وتوجيه الاتهامات لهم من المحيطين بهم، لعزلتهم الفكرية وتمردهم على السلطة السياسية، كما يتضح لنا أن لديهم العديد من الأمور المتشابهة في المعتقدات الدينية مع العقائد المسيحية وهي الثغرة التي نجح المبشرون في النفاذ إليهم من خلالها.

هـ - الدرروز^(**):

نشأ^(***) الدرروز في مصر، ومنها هاجر المذهب للشام، ربما لأن البيئة المصرية لا تسمح بنمو هذه المذاهب، بينما التربة في الشام خصبة

(*) كان النصيرية يعتصمون دائماً في جبال النصيرية وهي بلاد واسعة جيدة التربة تمتد من شمالي طرابلس إلى حدود الجبل الأقرع في جنوبي السويدية، وأكثر أهل هذه المنطقة من النصيرية.

(١) تقى الدين شرف: مرجع سابق، ص ٦٠.

- انظر أيضاً: ميخائيل مشاقفة: مصدر سابق، ص ١١٥.

(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١١٢.

- انظر أيضاً: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١١٣.

(**) الدرروز لا تعجبهم كلمة الدرروز هذه فليست اسمهم، بل أنها اسم شهرة لصق بهم منذ البداية، نتيجة للدعاية نشكين الدرزي، وهم كجماعة يجيئون تسميتهم باسم الموحدين، أو بنى معروف التي أطلقها عليهم امامهم "حمزة بن علي" والدرروز لفظه فارسية معناها الخياط.

راجع عادل تقى الدين: في تقديم كتاب الكايتان بورون: الدرروز، مطبعة القديس بولس، حريصا، لبنان، ١٩٣٤، ص ٢٢.

- انظر أيضاً: جمال الألفي: الدرروز. مجلة المصور، العدد ٣٠٧٥، القاهرة، ١١

سبتمبر ١٩٨٣، ص ٢٤.

(***) ظهر المذهب الدرزي في وقت كان العالم الإسلامي يموج فيه بالعديد من الفرق الإسلامية الجديدة التي تأثرت بثقافات عديدة للشعوب الأخرى التي =

لمثل هذه الأفكار، والدروز لا يتحدثون عن عقائدهم التي لا يعرفها إلا كبار رجال الدين عندهم والذين يطلقون عليهم العُقَال. ولكن أثناء ثورتهم على الحكم المصري عام ١٨٣٦ استولى الجند على العديد من كتبهم فانتشرت منها بعض الأسرار. كما أن الدروز نتيجة لأهميتهم في بلاد الشام ظهرت بعض الدول التي تحاول نسبة أصولهم إليها- كما سنرى فيما بعد .

أصول الدروز :

حاول بعض المؤرخين الشوام مثل فليب حتى ومن خلفه بعض المستشرقين الغربيين القول بالأصل الفرنسي للدروز اعتماد على نسبتهم للكونت الفرنسي "دروكس" الذي لجأ مع فرسانه الصليبيين بعد معركة حطين

=انفتح عليها المسلمون نتيجة للاختلاط العرقي والثقافي، في مثل هذا المناخ تولى الحاكم بأمر الله الفاطمي الحكم وهو يبلغ من العمر إحدى عشر سنة، وكان على قدر كبير من الغلو والتطرف في شخصه، فأراد أن يجعل لنفسه جامعة سرية، فأمر الخطباء بأن يقرؤا بدل البسمة باسم الله الحاكم المحيي المميت"، وكان أحد أنصار الحاكم وهو حسن ابن حيدرة الفرغان المعروف "بالأحرم" كان يرى أن المعبود هو الحاكم ودعا لأبطال النبوة واعتبر التنزيل بل والتأويل خرافات وقشور، أما محمد بن إسماعيل الطهراني وهو الملقب بنشتكين الدرزي صنف كتابا ذكر فيه أن روح أدام انتقلت لعلی بن أبي طالب ومنه لإسلاف الحاكم حتى وصلت للحاكم بأمر الله. واضطر الحاكم أن يرسله سرا للشام. وعندما اختفى الحاكم بأمر الله فجأة في ١٠٢١م اعتقد الدروز أنه غائب لم يمت ولذا فهم في انتظار عودته كالمهدي المنتظر ومنذ هذا التاريخ أقفل باب الدعوة في وجه طالبيها واكتفى بمن انضم إليهم وذلك خوفا من افتضاح أسرار الدعوة، ومنذ ذلك الوقت أصبح عددهم يتوقف على معدل الزيادة الطبيعية .
راجع لمزيد من المعلومات .

- حنا أبي راشد: جبل الدروز، مطبعة زيدان، القاهرة، ١٩٢٥، ص٦٣ .
- انظر أيضا: عبدالمعتمد ماجد: الحاكم بأمر الله الخليفة المقتدى عليه، الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٩، ص١٠٦ .
- هاشم دفتر دار مدني ومحمد علي الزغبي: الإسلام والمسيحية في لبنان، دار الأنصاف، بيروت، ١٩٢٥، ص٦٣ .
- صالح زهر الدين: تاريخ المسلمين الموحدين الدروز، المركز العلمي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٤، ط٢، ص٢٥ .

١٨٨٧م لسفوح جبل الشيخ زاعمين أنهم امترجوا مع الدروز هناك وناصروهم ضد العدو المشترك من الأعراب ويذكر هؤلاء أن دروكس هي الترجمة العربية لكلمة الدروز^(١). ومن الفرنسيين من قال أن الدروز ينسبون إلى الغالين في آسيا الصغرى، وصاحب هذا الرأي يعتمد على أن الدروز ذو بشرة صافية وعيون شهل، والشنب الأشقر الهابط والشعر النحاسي، لذا يمكن أن يكون الدروز من الشعب الغالي نسبة لغاليا التي كانت تشمل بلاد فرنسا قديماً، ولجأوا للجبل بعد أن نزحوا عن آسيا الغربية بعد زحف البربر من الشرق^(٢).

ودخل الإنجليز أيضاً هذا المجال في القرن الثامن عشر بعد ازدياد مصالحهم في بلاد الشام، واحتياجهم لطائفة يستندون عليها في مواجهة فرنسا وطائفها من المورانة، لذا فقد ذكر بعض مؤرخيهم أن الدروز من أصول إنجليزية من سلالة الجنود الإنجليز الذين صاحبوا الملك ريتشارد قلب الأسد في حروبه الصليبية في بلاد الشام^(٣).

ولكن سعى بريطانيا لإقامة حلقة وصل مع الدروز كانت أقل فعالية وتأثيراً على المدى الطويل^(٤) والدروز يذكرون عن أنفسهم أنهم قبائل عربية يمنية تنسب لنتيم الله بن ثعلبة، وأنهم أول من جاهد في فتوح الشام في العصر الإسلامي، وانتشرت بينهم الدرزية^(٥) وحقق بعض الباحثين أصل الدروز وذكروا بالفعل أنها تنتمي لنتيم الله بن ثعلبة وأنهم هاجروا في

(1)Hitti, Philip, Origins of the druze. People and Religion, Columbia University Press, 1928, p62=

- انظر أيضاً: حسن أمين البعيني : دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠-١٩٤٣ - المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٩٣.

- صالح زهر الدين: مرجع سابق، ص٧٦ .

(٢) الكايبان بورون: الدروز، ترجمة عادل تقي الدين، مطبعة القديس بولس، حريصاً، لبنان ١٩٣٤، ص٤٨ .

(٣) صالح زهر الدين: مرجع سابق، ص٧٧ .

- انظر أيضاً: جمال الألفي: مرجع سابق، ص٤٣ .

(4)Holt, p.M., Egypt and the Ferital Crecent, London, 1979. Pp,237 : 238.

(٥) محمد كامل حسين: (دكتور) طائفة الدروز تاريخها وعقائدها، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢، ص١٠ .

الجاهلية من بيئة الجزيرة العربية للفرات ثم شاركوا في فتوح الشام^(١) وهذا هو الأرجح، حيث أن الخلاف حول أصل الدروز ما هو إلا خلاف لأجل مصالح سياسية بين الدول، واستخدم التاريخ فيه كعامل من عوامل الصراع بين هذه الأطراف المتصارعة.

عقائد الدروز :

انشق الدروز عن الجسم الرئيسي للشيعنة الإسماعيلية، ولكنهم بعد ذلك كان لهم وقفة مع إمامه حاكم واحد، منادين به كالوحي الإلهي الأخير، ورافضين الاعتراف بخلفائه، ولبعض الوقت بعد اختفاء الحاكم بأمر الله احتفظ الدروز بعلاقات مع أفرع المجتمع الإسماعيلي ولكن لمدة صغيرة^(٢) والدروز لا يفشون أسرار دياناتهم لذا فهم يحرسون على عدم مخالطة شبابهم للشباب من الديانات الأخرى، وكان من أهم أسباب تعنت الدروز وثورتهم على الحكم المصري رفضهم لتجنيد أبناءهم في الجندية، فقد خافوا على إضعاف دينهم السرى بمرور الزمن^(٣).

وهم يعتقدون أن الإله تجسد في روح الحاكم بأمر الله ويبررون ذلك بأن الحاكم عندهم بشر في الأعين المجردة، ولكن الإله المعبود اتخذ لنفسه صورة أشبه سماها الناس "الحاكم بأمر الله" الإله المعبود ليس من جنس الصورة التي اتخذها ولا هي شبيهه به، وهو يظهر في الصورة الناسوتية مختلفاً عن الأخرى^(٤) ويؤمن الدروز بالتناسخ^(٥)، ويستخدمون في التذليل على ذلك العديد من آيات القرآن، وأيضاً الإنجيل مثل "من ذلك الروح هو الذى يحيا أما الجسد فلا يفيد شيئاً وأيضاً "أن يوحنا المعمدان قام من الأموات والقرآن، يقول "ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

(١) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١٠٧ .

- انظر أيضاً: اللطائف: الجزء التاسع، العام التاسع، القاهرة، ١٥ سبتمبر

١٨٩٦، ص ٣٨٩ .

(2) B. Lewis, The Sources for the history of the Syrian the assassins Speculum. vol. Xxvii, Taisahusehes, 1952, p.481.

(٣) أسد رستم (دكتور): صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٣٤ :

١٨٣٨، مجلة المشرق، بيروت، المجلد ٣٥ عام ١٩٣٧، ص ٤٧٨ .

(٤) مصطفى غالب: مرجع سابق، ص ٢٣٥ .

- انظر أيضاً: مجهول: مصدر سابق، ص ٣٥ .

(٥) حافظ أبو مصلح: تاريخ الدروز، دار الفنون، بيروت، ١٩٩٢ ص ١٣ و جدير

بالذكر أن المؤلف درزى .

تارة أخرى^(١) وهم يذكرون عن أنفسهم أنهم يتبعون القرآن ولكنهم يخالفون السنة في تفسير بعض الآيات فهم لا يجيزون تعدد الزوجات ولا يعيدون المطلقة بتاتا لعصمة زوجها ، وفي مسألة الميراث للرجل أن يوصى بكل ماله لأحد أولاده ويحرم الآخرين بشرط أن يقطع ميراثهم ولو بأقل شيء، كما أنهم يمنعون الفتاة من الإرث^(٢).

وينقسم الدروز من الناحية الدينية لطبقتين هما:

أ- طبقة العقال أو الأجاويد: الذين لهم الحق في معرفة العقيدة الدينية وهم ينقسمون لثلاث درجات .

ب- طبقة الجهال: والجهل هنا لا يعنى الحمق بل يعنى عدم الإطلاع على أسرار المذهب وجهلها^(٣).

وللعقال مكانة كبيرة في المجتمع الدرزي ولهم ملابس معينة لا يتعدونها ولا يشربون المسكرات وممنوع عليهم التدخين^(٤) ولقد نظر المسلمون للدروز على أنهم خرجوا عن تعاليم الإسلام، فعانوا كثيراً من اضطهاد الحكام المسلمين لهم، واحتموا في المناطق الجبلية الوعرة في جبل الدروز^(٥).

وفي القرن التاسع عشر حدثت العديد من المنازعات بين الدروز وجيرانهم الموارنة ونتج عنها عدة مذابح مثل مذبحه عام ١٨٤١م والتي نتج عنها نظام القائمقاميتين عام ١٨٤٢م والذي قضى بتأسيس قائمقامية للنصارى في الشمال وأخرى للدروز في الجنوب وعليها قائمقام درزي واستمر هذا النظام سائداً حتى قامت فتنة ١٨٦٠م التي ترتب عليها نظام المتصرفية^(٦).

(١)سورة طه، آية، ٥٥ .

(٢) عادل تقي الدين: مرجع سابق، ص ٢٤ . انظر أيضاً: مجهول: مصدر سابق، ص ٣٨ .

حسن أمين البعيني: مرجع سابق، ص ٩٦ . ثمرات الفنون، بيروت ٢ ربيع الثاني

١٣٠٧هـ، عدد ٧٥٩، ص ٤ .

(٣)محمد كامل حسين: مرجع سابق، ص ٣٢ . انظر أيضاً: اللطائف : الجزء التاسع، العام

التاسع، القاهرة، ١٥ سبتمبر ١٨٩٦، ص ٣٨٣ .

(٤) نعمان قساطلي: مذابح سورية ١٨٦٠ ومقدماتها الأهلية، اللطائف، الجزء الخامس، السنة

السادسة، ١٥ سبتمبر ١٨٩١، القاهرة، ص ١٨٨ .

(٥)عبدالعزیز نوار: مرجع سابق، ص ٩ .

(٦) أحمد عزت عبدالكريم: مرجع سابق، ص ١٧٩، ص ١٨١ .

ونتيجة لانعزال الدروز في الجبال، حتى تتوفر لهم الحماية لممارسة شعائرهم ازدادت حرية مشايخهم في الإضافة والتعديل في العقيدة الدرزية ووقف أهل السنة منهم موقف العداء نتيجة لمخالفتهم الإسلام في العديد من الأمور ولغلوهم في بعض المسائل الدينية التي تخرج عن نطاق الدين ولتقديسهم للحاكم بأمر الله الفاطمي^(*)، من هنا فقد مثل الدروز أرضاً خصبة لعمل الإرساليات التبشيرية التي اعتبرتهم مسيحيين أو قريبيين منهم، لذا انصبت جهودهم وخاصة التعليمية بينهم .

ثانياً : المسيحيون :

متلما انقسم المسلمون لعدة طوائف انقسم المسيحيون كذلك لطوائف كثيرة ولكن المجتمع الطائفي في الشام كما قلنا سابقاً لم يكن يقصر الطائفية على المذهب الديني، ولكنه يشمل التقسيم العرقي، وكذا التقسيم الطائفي المهني أى طوائف الحرف، والطائفة الدينية، وهو تشكيل رأسى لا يقبل إلا أبناء المذهب الواحد بصرف النظر عن الاختلافات العرقية، في الوقت ذاته التقسيم العرقي أيضاً تقسيماً راسياً لا يقبل إلا أبناء العرق الواحد، وقد تختلف المذاهب فيما بينهم، بعكس الطائفة الحرفية فإنها تقسيم أفقى يقبل الجميع وحسب المهنة فقط. ومع نشأة الدولة الحديثة في الشام لم يبق سوى الطائفية الدينية. ونجد الطائفة الدينية مثل الكاثوليك يجمعون داخل الطائفة عدة أعراق مختلفة ولكنها متففة في المذهب الديني .

وكان المسيحيون أكثر اتصالاً بأوروبا، وأكثر قدرة على التعامل مع الغرب ومنجزاته الحضارية، وترتب على ذلك أنهم كانوا أكثر ديناميكية في تعاملاتهم، وبذلك فقد تقدمت النواحي الفكرية والعلمية بينهم، وأصبحوا فى بداية حركة اليقظة العربية الحديثة بمثابة الوساطة في التعامل بين أوروبا والمشرق واختلف ذلك من طائفة لأخرى حسب درجة استجابتها للمؤثرات الأوروبية .

واتخذت الدول الأوروبية من الطوائف المسيحية مبرراً لتدخلها فى الشام، فقد ادعت فرنسا حماية الكاثوليك، وادعت روسيا حماية الأرثوذكس،

(*) دعا نشكين الناس إلى أن يعتقدوا أن الحاكم هو الأله الذى صنع العوالم، وصنف كتاباً يشبهه بالقرآن سماه الدستور، وكان قريب من الحاكم وارتفع مركزه، فكانت لا تقضى الحاجات إلا بوساطته. راجع عبدالمعتم ماجد: مرجع سابق، ص ١٠٧ .

وفيما بعد تدخلت إنجلترا لدى السلطان للاعتراف بالبروتستانت وحمائهم وأدى التدخل الأوربي في هذه المنطقة إضافة لتضارب المصالح الخاصة بكل دولة لنتائج بالغة الخطورة.

وكانت الطوائف المسيحية هي المقصد الأول للإرساليات التبشيرية وخاصة البروتستانتية، فلجأت للتقارب معها ودراسة أحوالها ونشر التعليم والخدمات الاجتماعية والعديد من الأفكار الجديدة بين أبناءها، ووضح أثر ذلك في زيادة الصراعات والتنافس بين الطوائف، وصيغت هذه الأحداث تاريخ الشام في القرن التاسع عشر بصبغة الصراعات المستمرة والتي لا زالت اصدؤها مستمرة. حتى الوقت الحاضر وانقسمت الطوائف الدينية المسيحية في بلاد الشام لثلاث طوائف رئيسية هم: الكاثوليك والأرثوذكس، والأقباط الأرثوذكس، وتحت كل طائفة دينية منهم العديد من الأعراف الجنسية. والمهم هنا أن الطائفة الدينية تضم العديد من الأجناس المختلفة ولكن المتفقين في المذهب الديني.

أولاً. الكاثوليك^(١):

تعتبر طائفة الكاثوليك أكبر الطوائف العديدة بين الطوائف المسيحية في بلاد الشام، فهي تضم بين جنبتها العديد من الأعراف المختلفة مثل المورانية والأروام واللاتين والسريان، وكانت هذه الطائفة مرتبطة في الأساس بروما، وعملت الإرساليات اليسوعية واللاتينية على تقديم كافة الخدمات إليهم، وخصوصاً التعليم والحماية السياسية. في الوقت ذاته مثل الكاثوليك حجر عثرة شديد الوضأة أمام الإرسالية الأمريكية في محاولاتها العمل بين الكاثوليك عموماً. وفي مقدمة الطائفة الكاثوليكية يأتي المورانية.

أ- المورانية^(٢):

ينسب المورانية لرجل يقال له مارمارون ظهر في بعض نواحي نهر العاص بسوريا، ويطلقون حوله العديد من المعجزات والأساطير^(٣).

(١) الكاثوليك: هم جماعة المسيحيين المتحدين إيماناً وطاعة بكنيسة روما.
(٢) لفظة مارون منقولة من اللغة السريانية، فإن نطقت بالضم فمعناها السيد والرب وأن نطقت بالفتح فمعناها المريرة التي يكسر بها الحجاره، وهاتان اللفظتان على ما توجه قواعد اللغة السريانية أهمها في حالة التصغير يصيرا "مرونا" ضمًا وفتحًا، وفي حالة الجزم "مورون" و"مارون" بالضم والفتح، وتعين حينئذ أن يكون علماً شخصياً، وعند نقلها للعربية حولت لصيغة مارون بزيادة الألف لكون النقل يخرج الأشياء عن أصولها. راجع مار اسطفان الدويهي: تاريخ الطائفة المارونية، تحقيق رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعية. بيروت، ١٨٩٠م، ص ١٣.

(٣) نفسه: ص ١٧.

وقد ظهر من أتباع مارون رجلاً يسمى "يوحنا مارون" نادى برأيه عام ٦٦٧م وهو أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو مشيئة واحدة، ولأجل هذا اجتمع المجمع العام السادس فى القسطنطينية سنة ٦٨٠م وقرر حرمان مارون ولعنه وتكفيره هو ومن يذهب مذهبه^(١) وبذلك فالمارونية منذ البداية لم تكن كاثوليكية فى الأصل، والحقائق التاريخية تشير لنبوعها الشرقى، ولم يحدث انضمامها للمعسكر الغربى، إلا لظروف طارئة إبان الحروب الصليبية فهو انضمام مصلحة أكثر منه انضمام عقيدة^(٢)، ولم ينجحوا فى التكامل مع روما إلا منذ مؤتمر اللوزة ١٧٣٦م، وأصبحوا بذلك جزء من الكنيسة المتحدة، واعترفوا بالسلطة البابوية^(٣) نهائياً.

ولكن المورانة ينفون ذلك ويذكرون عن أنفسهم أنهم جماعة من السريان السوريين الذين آمنوا بالدين المسيحى منذ كان فى مهده وأنهم استمروا منذ البداية متشبهين بعرى الكاثوليكية رغم ظهور البدع، وأن يوحنا مارون ذهب لروما وحلف الطاعة للكنيسة الرومانية وأنه حمل أتباعه منذ البداية على الاعتقاد بصدق الطبيعتين والمشيئتين^(٤) وأنهم بسبب ذلك تعرضوا للنفى والاضطهاد من الإمبراطور البيزنطى وبابا القسطنطينية الذين طلبوا من يوحنا الاعتراف بالمشيئة الواحدة فرفض وفر إلى دير مارون بالقرب من انطاكية، فوجهوا إليه جيشاً ولكنه انتصر عليه^(٥) وظل يوحنا مقيماً فى دير

(١) محمد أبو زهرة: محاضرات فى النصرانية، دار الفكر العربى، القاهرة، د/ت، ص

١٤٧ .

(٢) عزت زكى (دكتور): كنائس المشرق، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٥٢

- انظر أيضاً: فليب فارح، يوسف كارياج: المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى، ترجمة بشير السباعى، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٧٦ .

(*) الواقع المسيحى سواء أكانوا منسحقين، كالليونان الأرثوذكس أم هراطقة كاليعاقبة والأرمن سوف يحافظون على خصوصيتهم خلال الحروب الصليبية فيما عدا مورانة لبنان "فليب فارح، يوسف كارياج: مرجع سابق، ص ٧٦ .
(٣) Holt, p.m., op, cit, p243.

(٤) يوسف الدبس: الجامع المفصل فى تاريخ المورانة المؤصل، المطبعة العمومية الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٥، ص ٢٠ وما بعدها.

(٥) ماراسطفان الدويهى: مرجع سابق، ص ٧٨ .

مارون حتى هدمه المسلمون وشتتوا رهبانه فاضطروا للهروب لجبل لبنان للاحتماء فيه فاستقلوا فيه بعيداً عن الحكم العربي^(١).

ولم يقتصر الوجود الماروني في الشام على جبل لبنان فقط، فقد وجدت أعداد منهم في المدن الشامية الأخرى مثل دمشق التي وجد بها الدير الماروني في باب توما وفيه دار البطريركية. ووجد منهم عدد فسي بعلبك والنبك^(٢) وبلغ عدد المورانة في عام ١٨٧٢م حوالي ٢٢٠,٠٠٠ نسمة فسي بلاد الشام، وكان لهم قضاؤهم وأحوالهم الشخصية ومحاكمهم الخاصة بهم والتي يشرف عليها رجال الأكليروس الماروني، وتتنظر هذه المحاكم في قضايا الإرث والزواج والطلاق وتشرف على إدارة الأوقاف والمؤسسات الخيرية^(٣) والمتابع لتاريخ الطائفة المارونية يلحظ شدة تعلق أبناء الطائفة بكنيستهم، فزعماءهم الدينيون هم نفس الزعماء الزمانيون أيضاً، وهذه الصفة الفريدة زادت من قوة الطائفة والتفافها حول آراء موحدة بعيداً عن التفكك، لذا فإن البطريرك الماروني هو الوحيد بين زعماء جميع الطوائف الدينية الذي يجمع في يده السلطتين الدينية والزمنية فأثر هذا كثيراً على توجهات الطائفة ومواقفها.

ومن جانبها حافظت الكنيسة المارونية على مرونة جعلتها تواكب التطور لمواجهة المتغيرات الفكرية والسياسية والاقتصادية، فبالرغم من أنها حافظت لمدة طويلة على لغة الصلوات الأرامية، السريانية، إلا أنه عندما تفوقت اللغة العربية وانتشرت وأصبحت لسان الناس ظهرت دعوة بين المورانة بأن تكون لغة الصلوات العربية فقط فحافظت الكنيسة بذلك على الارتباط الوثيق بين الأكليروس ورعيته^(٤).

(١) المطران يوسف دربان: نبذة تاريخية في أصل الطائفة المارونية، المطبعة العلمية، بيروت، ١٩١٩، ص ٣١، ص ٥٤.

(٢) تيسير خليل الزواهره، مرجع سابق، ص ٢١.

(٣) محمد السماك: القرار العربي في الأزمة اللبنانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٣٤.

-انظر أيضاً: الأخبار: القاهرة - ١١ أكتوبر ١٩٠٧، العدد ١٩٢.

(٤) عبدالعزيز نوار: (دكتور): وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧: ١٩٢٠م، جامعة بيروت العربية، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٥.

وأثناء الحملات الصليبية حدث نوع من الاحتكاك المباشر، فقد ساعد المورانة الصليبيين في حالات كثيرة جداً^(١) وهم يعترفون في كتبهم "أنهم اخلصوا لهم كل الإخلاص وزحف معهم على "أورشليم" قسم لا يستهان به منهم، وقد أفاوهم كثيراً جداً في كل أمر حتى تم لهم جميعاً فتح المدينة المقدسة، ونالوا قسماً من الغنيمة^(٢) وكافأهم الصليبيون بأن سمحوا لهم بالحقوق والامتيازات التي كانت تتمتع بها البرجوازية اللاتينية بما في ذلك ملكية الأرض في مملكة بيت المقدس، ولكن بعد انتهاء الحروب الصليبية انتقم منهم المماليك شر انتقام^(٣).

ولقد حافظ المورانة على علاقتهم بالكنيسة البابوية، حتى أنهم كانوا يطلبون من البابا تثبيت بطريركهم على كرس أنطاكية كلما توفى مطران وتلاه آخر، وكان الشخص الذي توكل إليه هذه المهمة هو رئيس الرهبان الفرنسيسكان^(٤)، وأنشأ البابا جريجوار الثالث عشر كلية خاصة للمورانة في روما عام ١٥٨٤م ليدرس فيها طلاب اللاهوت المورانة، بل أن البابا كان يمنحهم مزيداً من التمييز حتى على الطوائف المسيحية الأخرى المرتبطة بالكرسى البابوي في المشرق^(٥) ولا سيما خلال مواجهة البابوية للحركة البروتستانتية.

وقد ترتب على ذلك نتائج بالغة الخطورة، فقد أدت لخروج المورانة من عزلتهم التي فرضوها على أنفسهم في الجبل، ولهذا علقوا آمالهم باستمرار وفي كافة الأزمان على التدخل الأوربي لصالحهم، في نفس الوقت فقد أصبح المورانة أكثر الطوائف في بلاد الشام تعليماً وثقافة وقدرة على الاتصال بمنجزات الحضارة الغربية، وأصبحوا أمل القوى الأوربية الطامعة في الشام حيث اتخذوا كمخالب قط لهم.

(1) Kenneh, CRAGG, Cristian in history In The Middle East, London, p215.

- (٢) يوسف دربان: مرجع سابق، ص ٧٧.
- (٣) محمد السماك: مرجع سابق، ص ١٣٤.
- (٤) ليلي الصباغ: مرجع سابق، ص ٧٧٣.
- (٥) سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص ٥١٦.

وبذلك فقد كان المورانة يعملون على التحرر من الدولة العثمانية التي كانت في نظرهم محتل لبلادهم بينما كانوا يرون^(*) أن احتلال بلادهم من جيش أجنبي لا يمس جوهر استقلالهم في شيء.

وللمورانة علاقة متميزة مع فرنسا وهم يفخرون بهذه العلاقة ويعتبرون أنفسهم بل ويعتبرهم الفرنسيون "فرنسيو الشرق"^(١) وأعلن لويس الرابع عشر ملك فرنسا في عام ١٦٤٩م حمايته للأمة المارونية التي اعتبرها جزءاً لا يتجزأ من الأمة الفرنسية وطلب من قناصل فرنسا في "الليفانت" إعطاءهم كافة ما يحتاجون إليه وإمدادهم بالحماية والرعاية حتى لدى موظفي الدولة العثمانية، كما أعلن لويس الخامس عشر عام ١٧٣٧م نفس هذه الحماية قائلاً "فنحن قد قبلناهم تحت حمايتنا ووصياتنا لكي يحظوا بالإفادة في سائر الأوقات" ثم طلب من قناصل فرنسا في الليفانت أن يسعفوا باجتهادهم ووظائفهم وحمايتهم حضرة قدس البطريرك الأنطاكي وكامل المسيحيين المورانة في كل مكان^(٢) ومنذ منتصف القرن الثامن عشر اعتنق المسيحية عدد كبير من الأمراء الشهابيين وتبعهم عدد آخر من الأمراء اللمعيين أصحاب إقطاع المتن^(٣)، وبذلك قدموا بدورهم العديد من المساعدات للمورانة على كافة الأصعدة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

بعد خروج المصريين من الشام على يد القوات المتحالفة عام ١٨٤٠م ظهر المورانة على مسرح الأحداث كقوى جديدة وكبيرة ومعهم السلاح سواء من المصريين أو القوات المتحالفة، ذلك بجانب احترام الإدارة

(*) مما جاء في رسالة من مورانة لبنان للكونت دي كاتربارب وإذاعها في مجلس النواب الفرنسي بتاريخ ٦ يناير سنة ١٨٤٧م قولهم "نحن نطلب إليكم رفع نير الحكومة التركية الظالم عنا وإعادة أميرنا المسيحي إلى حكم جميع طوائف لبنان، ومجمل الرجاء ألا يسمح لحاكم تركي أن يتولى إدارة جبلنا بل لحاكم مسيحي... أن المفاوضات بهذه المسألة جارية منذ بضع سنوات" نشرها، نادر العطار (دكتور): تاريخ سورية في العصور الحديثة، دمشق، ١٩٦٨، ج١ الوثيقة رقم ٢٣ ص ٢٩٩.

(١) دار الوثائق القومية: القاهرة، محافظ الأبحاث، محفظة رقم ١١٩ ملف الدين

المسيحي، وهي مراسيم الحماية التي أعلنها ملوك فرنسا للمورانة.

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ١١٩، ملف الدين المسيحي.

(٣) حسين سليمان سليمان: مرجع سابق، ص ١٤٣.

- انظر أيضا: فيليب فارج، يوسف كرياتج: مرجع سابق، ص ١٤٣.

العثمانية لهم حيث منح السلطان للبطريك الماروني شارة من الماس، ومنحة الحق في أن يكون له وكيل لدى الباب العالي للوساطة في قضاياها، أعطى ذلك الموارد الجراة في مساعيهم لنيل المزيد من الامتيازات، وكذلك الطمع في المساهمة الخاصة في شؤون إدارة الجبلين^(١) وبعد فتنة ١٨٤١م، تقرر نظام خاص يحكم بأن يكون هناك قائمقام درزي وقائمقام ماروني كل يحكم المنطقة التي يوجد بها أغلبية من طائفته^(٢) وهو يحمل في داخله عوامل فشله، لأن الطائفتين مختلطتين داخل الأماكن الجغرافية المحددة لكل قائمقام .

وقامت فتنة ١٨٦٠م التي راح ضحيتها الآلاف من الدروز والموارنة، وتدخلت فرنسا وأرسلت جزءاً من أسطولها وقواتها لحماية الموارد وصرح أحد الضباط الفرنسيين أثناء الحملة أن الموارد استقبلوا الحملة برضا كامل واعتبروا ذلك تحقيقاً لحلم كان يراودهم منذ فترة طويلة^(٣)، وهذا يؤكد النظرية المارونية التي ترى في الاستعانة بفرنسا استقلالاً لها بينما ترى في الخضوع للدولة العثمانية الاستعمار الذي يجب التخلص منه .

ونتج عن فتنة ١٨٦٠م وضع نظام جديد للحكم تمثل في تعيين متصرف مسيحي له اثنان من النواب أحدهما ماروني والآخر درزي، وبذلك نال الموارد العديد من الامتيازات السياسية التي استمرت كأساس لهم في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ولقد عملت الإرساليات اليسوعية في بلاد الشام على فتح المدارس ونشر التعليم والثقافة بين الموارد، ولهذا كانت الطائفة المارونية من أكثر الطوائف في بلاد الشام تعليماً وأثراً في حياة الشام وتاريخه، وكانوا من أشد الحانقين على الثقافات الأخرى المعادية للثقافة الفرنسية مثل الأمريكية، وتبع ذلك الصراع والتنافس الهائل بين الإرساليات الأمريكية واليسوعية، وكان الأكليروس الماروني شديد البطش بالأفراد الذين ينضمون لكنائس أخرى،

(١) بازيلي: مرجع سابق، ص ٣٠٥ : ص ٣٠٧ .

(٢) أحمد عزت عبدالكريم: مرجع سابق، ص ١٧٩ .

(٣) ياسين سويد (دكتور): فرنسا والموارنة - تقارير ومراسلات الحملة العسكرية الفرنسية على سوريا ١٨٦٠ - ١٨٦١ - شركة المطبوعات، بيروت، ١٩٩٢، ص ٦٥ .

سيما البروتستانتية وظلوا حجر عثرة شديد الوطأة أمام الإرسالية الأمريكية في الشام .

ب- الروم الكاثوليك :

انشق الروم الكاثوليك عن طائفة الروم الأرثوذكس، لذا فقد قاموا باضطهادهم، وكثيرا ما كانت تحدث الخلافات بين الطرفين خصوصا قبل اعتراف الدولة العثمانية بالكاثوليك، لذا فقد تسلط عليهم البطريرك الأرثوذكسي، فكان القساوسة الكاثوليك لا يستطيعون القيام بمهامهم الدينية مثل تجنيز الموتى وعقد الزيجات إلا بإذنه^(١).

وفي عام ١٧٢٤م شكل الروم الكاثوليك طائفة جديدة وانتخبوا بطريركا خاصا بهم واعترفوا برئاسة البابا، كذلك اعترفت بهم الدولة العثمانية في ٢٤ مارس ١٨٣٣م، وكان لبطريركهم وكيل ينوب عنه في شئون البطريركية في الآستانة^(٢)، ولقيت هذه الطائفة المساعدة من أوروبا طوال القرنين ١٧، ١٨ نتيجة لسببين:

أولهما: تدخل فرنسا على أنها حامية للكاثوليك في الشرق .

وثانيهما: إنشاء الهيئة الدعائية الكاثوليكية للإشراف على البعثات الكاثوليكية في الشرق^(٣).

ويلاحظ أن السلطات العثمانية غالبا ما كانت تأخذ جانب الروم الأرثوذكس في صراعهم مع الروم الكاثوليك على أساس أن الأرثوذكس وطنيون، أما الكاثوليك فهم أتباع أوروبا أعداء الدولة العثمانية، ووصل هذا الأمر لدرجة أن السلطان العثماني أصدر فرمانا بمنع انضمام أبناء الروم الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس لطائفة الروم الكاثوليك قائلا: "وأن من يريد من أبناء إحدى الطائفتين اعتناق مذهب الطائفة الأخرى لا يقبل بأى حال من الأحوال ويرفض رفضا باتا^(٤) وحجة الأرثوذكس التي يرفعونها للسلطان أن من يدخل الكاثوليكية يصبح من أعداء الإسلام المحاربين للدولة العثمانية،

(١) عبدالكريم غراية: مرجع سابق، ص ١١٧ .

- ميخائيل مشاقة: مصدر سابق، ص ٧٦ .

(٢) تيسير خليل الزواهرية: مرجع سابق، ص ١٩ .

(٣) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٤ .

(٤) دار الوثائق القومية: محافظ أبحاث الشام، محفظة رقم ٨٠ ترجمة صورة فرمان

رقم ٧٠ أواسط ربيع الآخر ١٢٥٤هـ .

واستمر هذا الوضع قائما حتى بدأت حروب البلقان فتغيرت نظرة الدولة
للأرثوذكس وتعاطفت بالتالي مع الكاثوليك .

ج- السريان الكاثوليك^(*) :

وكان يتولى رئاستها بطريرك السريان "الأنطاكي الكاثوليكي الذي
يقيم في بيروت شتاء، وفي دير الشرفة بجبل لبنان صيفا، وتشمل سلطته
البيعية مطارنة حلب والموصل ودمشق وبغداد وأساقفة حمص وحماة ومصر
والجزيرة وما بين النهرين وتركيا^(١) وهذه الطائفة انشقت في الأساس عن
الكنيسة السريانية اليقوبية نتيجة لانتخاب "المطران ميخائيل جروة" بطريركا
يقوبيا في ١٦ سبتمبر ١٨٠٠م واتبع "جروة" الكاثوليكية وأسس الكنيسة
السريانية الكاثوليكية ويتضح من خلال الحوليات التاريخية الخاصة بفتره
الحروب الصليبية مدى التعاون الوثيق الذي كان بين السريان والصليبيين،
وعند نهاية هذه الحروب وارتحال الأخيرين من الشرق العربي تركوا لهم
ديرين كبيرين من أديارهم هما "دير ستي مريم" و"دير التلميذ" والخاصة من
السريان يستخدمون اللغة السريانية بعكس العامة الذين يتحدثون العربية التي
كتبوها بأحرف سريانية^(٢) .

د- اللاتين الكاثوليك :

بعد جلاء الصليبيين عن بلاد الشام عام ١٢٩١م ظل عدد من
اللاتين أتباع الكنيسة الكاثوليكية يقيمون بها ويمارسون شعائرهم الدينية حسب
الطرق الكاثوليكية الغربية، وشكلوا طائفة خاصة بهم ابتداء من ١٨٤٧، حيث
نصب بابا روما يوسف فالرجا Valerga بطريركا مقيما بالقدس وعند
وصوله في عام ١٨٤٨م وجد أن رعاياه لا يتجاوز عددهم أربعة آلاف، ومع
ذلك كان لهم ٨ كنائس^(٣) .

(*) ضمت بلاد الشام قديما عدد كبير من السريان، ويذكروا عن أنفسهم أنهم
موجودون في الشام منذ بداية عهد النصرانية، ولكن تضاءلت أعدادهم في
العصر الحديث بسبب الفتوحات والحروب الأهلية والزلازل والأوبئة التي
قضت على الكثيرين منهم، في الوقت نفسه انضم منهم البعض لدين الفاتح
الجديد (الإسلام) راجع أديب فرحات: سوريا ولبنان، المطبعة الوطنية،
بيروت، ١٩٢٣، ص ١١١ .

- (١) فليب دي طرازي: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من تاريخ
السريان، مطابع جوزف سليم، بيروت، ١٩٤٨، ج١ ص ١٣ .
(٢) سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١١٧ .
(٣) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١٢١ .
- انظر أيضا: سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١١٩ .

ويتضح من العرض السابق أن الطائفة الكاثوليكية نالت عطف ورعاية الدول الكاثوليكية الأوروبية وعلى رأسها فرنسا التي ادعت حق حماية الكتلة في الدولة العثمانية، في الوقت ذاته قام بابا روما. بمساعدة هذه الطوائف في مجالات التعليم والدين حيث أمدهم برجال الدين، وذلك لمواجهة الإرساليات البروتستانتية وفي مقدمتها الإرسالية الأمريكية.

ثانياً : الأرثوذكس^(١) :

ضمت طائفة الأرثوذكس العديد من الأجناس التي تنتمي للمذهب الأرثوذكسي وفي مقدمة هذه الأجناس الروم الأرثوذكس الأرمن والسريان الأرثوذكس.

أ- الروم الأرثوذكس :

وهم ذو أصول عربية فهم ينتمون للغساسنة الذين كانوا في سوريا عند الفتح العربي، وساعدوا الفاتحين ضد الرومان مغلبين بذلك عنصريتهم على دينهم، وبعد الفتح العربي الإسلامي أسلم قسم منهم، بينما بقي قسم آخر على دينه القديم^(١) وتعرب لسانهم بصورة نهائية منذ القرن الثالث عشر تاركين لغتهم الآرامية - وهي لغة السيد المسيح - ماعدا فئة قليلة منهم في بلاد القلمون وقرية معلولا^(٢).

وبعد الفتح العثماني للقسطنطينية نظروا إلى كنيسة الأرثوذكسية نظرتهم لكنيسة وطنية فنظم "السلطان محمد الفاتح شئونها وأخضعها لسلطة بطريرك أعطى له رتبة الباشوية الشرقية بثلاثة أطواغ، وجعل له محكمته الخاصة وسجنه الخاص به، ومارس البطريرك سلطة تامة على أتباع كنيسته باستثناء السلطة المدنية التي كانت حقاً للدولة العثمانية^(٣).

(*) بعد مؤتمر خلقدونية ٤٥١م أطلق على أتباع كنيسة القسطنطينية الأروام الأرثوذكس، وكنيسة روما والقسطنطينية يعتقدان بأن للمسيح طبيعتان ومشيئتان؛ والأرثوذكس كلمة يونانية معناها مستقيم الرأي.

(١) حمدى الطاهري (دكتور): سياسة الحكم في لبنان. القاهرة، ١٩٧٦، ط ٢، ص ٢٤.

(٢) رياض نجيب الريس: المسيحيون والعروبة، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩١، ط ٢، ص ٨٩.

(٣) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٢.

واتبع عدد كبير من مسيحيي بلاد الشام الكنيسة الأرثوذكسية، التي انقسمت لبطريركيتين: الأولى في القدس وتشرف على كنائس الأرثوذكس في فلسطين، والثانية في دمشق وتشرف على مصالح الكنائس الشرقية من صور حتى الأناضول، ويلحق بها أسقفيات الشام وبعليق وحلب^(١) وكان لهم في دمشق سبع عشرة كنيسة أقدمها الكنيسة المريمية، وخلال القرن التاسع عشر رمم الروم الأرثوذكس كنائس عديدة في المدن السورية^(٢).

وكان بطرك الروم الأرثوذكس وكبار مناصب الأكليروس في هذه الطائفة من اليونانيين الذين سيطروا على هذه المناصب حتى نهاية القرن التاسع عشر، لذا عدت اللغة اليونانية التي لم تكن معروفة من معظم أبناء الطائفة هي لغة الصلاة، مما أدى لصراع كبير داخل الطائفة، ودخلوا في صراع عنيف من أجل تعريب الكنيسة وتم لهم ذلك في نهاية القرن التاسع عشر^(٣) وقدر عدد الروم الأرثوذكس عام ١٨٧٢ بـ ٢٤٠,٠٠٠ نسمة حيث شكلوا أقليات كبيرة في مدن دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية وطرابلس وعكا والناصرية وبيت لحم^(٤).

وفي عام ١٨٥٣م أرسل قيصر روسيا يطلب من السلطان العثماني الاعتراف بحق روسيا في حماية الأرثوذكس داخل الدولة العثمانية وبعد أن وضع الروم الأرثوذكس أنفسهم تحت حماية روسيا وشجعوا الحركات الاستقلالية في البلقان، غيرت الدولة العثمانية نظرتها لهم وعمدت لتغيير سياستها القديمة الرامية للمحافظة على وحدة الكنيسة واعترفت بالكنائس الكاثوليكية المنشقة عنها^(٥).

ومن الغريب أنه أثناء الفتن بين الدروز والموارنة ١٨٤١م شارك الروم الأرثوذكس الدروز ضد الموارنة المسيحيين، وذلك كرهاً لهم لأنهم يعتبرون كل من ليس على مذهبهم هرطيقاً يحل قتله^(٦).

(١) نفسه ونفس الصفحة .

(٢) عبدالكريم غراية: مرجع سابق، ص ١١٧ .

(٣) مصطفى الشهابي: القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميتها - معهد الدراسات العربية، القاهرة، د/ت، ص ٤٤ .

(٤) إلياس ديب مطر: مرجع سابق، ص ٢٦ .

(٥) فطين أحمد فريد: حروب لبنان، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٨ .

(6) Holt, p.M, Op; Cit., p.238.

وأدى انتشار الأرثوذكس كأقليات تتعايش بين الأكرثية الإسلامية في بلاد الشام بجعل تنظيمها الكنسي أضعف وبالتالي أكثر تجاوباً وتعاطفاً مع محيطها الديني الاجتماعي، كما أنه لم يكن للأرثوذكس يوماً صناعة أو إنتاج اقتصادي يجمع بين فصائل الطائفة وقطاعاتها الإنتاجية^(١) لذا أصبحت هذه الطائفة بالذات أرضاً خصبة لعمل الإرساليات التبشيرية لعدة عوامل أهمها انعدام الصلة بين الأكليروس والرعية معظم فترات القرن التاسع عشر، نتيجة لسيادة اللغة اليونانية، وأدى هذا بالتالي لتدهور الفكر الديني عندهم. ومن الملاحظ أن الأصل العربي للروم الأرثوذكس سهل اندماجهم في المجتمع العربي لبلاد الشام، وفي البلدان العربية عموماً التي فتحت أبوابها أمامهم للعمل، وكانوا من أكثر الطوائف المسيحية في الشام دفاعاً عن العروبة والقومية العربية ولا سيما بعد صراعهم من أجل تعريب كنيستهم، والشعور العربي هو الذي جعلهم يأخذون الخط العربي دائماً فلم يكونوا يوماً مثل المورانة، ولم يقفوا مع الصليبيين بل حاربوهم.

ب- الأرمن الأرثوذكس^(٢) :

أسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين الفارسية والعثمانية عن تقسيم أرمينيا بينهما، فأطلق اسم "أرمينيا العثمانية" على ست ولايات، وهي: "وان، وبتليس، ووخريوط، وسيواس، ودياربكر، وأرضروم"، وأطلق اسم "أرمينيا الفارسية" على المنطقة الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر السرس وقد استولى عليها الروس منذ عام ١٨٢٨م^(٣).

(١) جلال يحيى (دكتور) ومحمد نصر مهنا (دكتور): مشكلات الأقليات في الوطن العربي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢١.

(٢) الأرمن: من الأقليات اللغوية الدينية الوافدة على الوطن العربي، وتنتمي لغتهم إلى أسرة اللغات الهند أوروبية وهي لغة مكتوبة ذات تراث ثقافي غني ومدون ويعيش معظم الأرمن الموجودين في الوطن العربي ببلاد الشام، والتي هاجروا إليها بكثرة بعد المذابح التي تعرضوا لها على أيدي الأتراك، وقد حافظوا على حياتهم الطائفي. راجع.

- سعد الدين إبراهيم: مرجع سابق، ص ٥٥.

- عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص ٩.

(٣) محمد رفعت الإمام: الأرمن في مصر في القرن التاسع عشر، دار نوبار، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٨.

ولما كان "الجاثليق" - الأب الروحي للأرمن - يقيم في الغالب "بابيشمادزين" الواقعة خارج نطاق الدولة العثمانية؛ فقد أسس السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) بطركية أرمنية^(١) بالأستانة في عام ١٤٦١م وبهذا تعين البطريرك الأرمني رئيساً رسمياً لملته^(٢) هذا بالرغم من أن الدولة العثمانية لم تستولى على أجزاء من أرمينيا، إلا أثناء حروبها مع الدولة الصفوية في بداية القرن السادس عشر، وبذلك لم تكن تخضع أعداد كبيرة من الأرمن للدولة العثمانية إبان هذه الفترة.

أما عن الأرمن في الشام فيمكن القول بشكل عام أنه لما كانت مدن الشام مراكز تجارية مزدهرة أثناء الحكم العربي، وترتبط مع مدن أرمينية بطرق تجارية، عدة؛ لذا فقد استوطن الأرمن في مختلف المراحل التاريخية الشام، وأن كانت المعلومات التاريخية الجازمة عن أول هجرة أرمنية^(٣) إلى سورية تعود إلى القرن السادس عشر للميلاد^(٤).

أما عن أعداد الأرمن فلا توجد إحصائيات دقيقة عن ذلك وأن كانت بعض المصادر الأرمينية تذكر أن عدد الأرمن في الشام آنذاك بلغ ما بين السنوات ١٨٧٠م : ١٨٩٠م ما بين ٨٠,٠٠٠ - ٨٥.٠٠٠ أرمني تركّزوا في حلب ودمشق وبيروت وطرابلس^(٥).

وانقسم الأرمن إلى أرثوذكس وكاثوليك، بعد أن كانوا حتى أوائل القرن السابع عشر من أتباع الكنيسة اليقووية، ولكن في عام ١٧٣٩م انشق بعضهم ونصبوا منهم بطريركا كاثوليكياً، وأنشأوا لهم كنيسة عام ١٨٦٠م بالقرب من دير الرهبان اللعازريين، أما الأرمن اليعاقبة فقد كانت لهم كنيسة قديمة في

(*) يذكر أحد الباحثين: أن الدولة العثمانية تأخر اعترافها بطائفة الأرمن حتى سنة ١٦٤١م ويعود ذلك لأن رئيس هذه الطائفة كان يقيم خارج حدود الدولة العثمانية، ولكن لا تتفق مع هذا الرأي خصوصاً ونحن نعلم أن السلطان محمد الفاتح اعترف بملّة الأرمن وملة اليهود رغم وجود أعداد قليلة منهم داخل الدولة العثمانية وعين المطران الأرمني الأرثوذكس لمدينة بروسة بالأناضول الغربي هراكيم بطريكا للأرمني الأرثوذكس وضمت إليهم الدولة العثمانية جميع المسيحيين العثمانيين من غير معتقّي الديانة المسيحية الرومية الأرثوذكسية. راجع عبدالعزيز محمد عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(١) فؤاد حسّس حافظ: تاريخ الشعب الأرمني، القاهرة، ١٩٨٦ ص ١٨٧.

(*) زحفت الصخرات الأرمينية الكبيرة للشام في سنوات ١٨٧٦، ١٨٩٥، ١٩٠٩ و ١٩١٥. ووفق بعض المصادر الأرمينية ترى أن عدد الأرمن في سوريا ولبنان آنذاك بلغ ١٢٥ ألف أرمني.

(2)Azazan, Hory, The Armenian Communities in the Arabic countries, Syria, 1993 - p.p 44- 49.

(3)Ibid., p 51.

دمشق (مار سركيس) وكان بطرك الأرمن الأرثوذكس يقيم في القدس، بينما يقيم بطرك الأرمن الكاثوليك في بيروت^(١).

ورغم استقلال الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية، إلا أنها كانت جزءاً من الطوائف الأرثوذكسية الشرقية، واتبع عدد قليل منهم المذهب البروتستانتي نتيجة لدعاية الإرساليات البروتستانتية وخاصة الأمريكية التي لعبت دوراً كبيراً وسط الأرمن.

ج- السريان الأرثوذكس :

ويتولى رئاسة هذه الطائفة رئيس أعلى يقال له "بطريرك السريان الأنطاكي الأرثوذكسي" وكرسيه الرسمي في دير الزعفران بجوار ماردين، ويخضع لسلطته البيعية بجانب بلاد الشام عدد كبير في بلاد الملبار بالهند وله أساقفته هناك^(٢).

د- الأقباط الأرثوذكس(*):

جاءت أول جماعة من الأقباط والأقباش الأرثوذكس للقدس في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي بمناسبة تدشين كنيسة القيامة، ولهم أديرة وكنائس بالقدس منها دير السلطان، وهو ملاصق لكنيسة القيامة من الناحية الجنوبية^(٣) ونتيجة لإخلاصهم للمسلمين في الحروب الصليبية ردت إليهم أموالهم وأملكهم التي صادرها منهم الصليبيون^(٤) وظهرت المنازعات بين الأقباش والأقباط على ملكية بعض الأديرة ولا سيما "دير السلطان" فعهد إمبراطور الحبشة في ١٨٥٢ للكنصل البريطاني في القدس برعاية مصالح الأقباش، ولكن السلطات العثمانية تدخلت بعد ذلك لحسم المسألة لصالح الأقباط^(٥).

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١١٩ وما بعدها. انظر أيضاً: سوسن سلم: مرجع سابق، ص ١٢٨. عبدالعزيز محمد عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٣.

(٢) فليب دي طرازي: مرجع سابق، ج ١، ص ١٣.

(*) الأقباط الأرثوذكس: وهي الكنيسة الوطنية المصرية وهي ضمن العائلة الأرثوذكسية التي رفضت مجمع خلقدونية وهي تضم في داخلها الكنائس "القطبية - السريانية - الأرمنية - الحبشية - والفرق بين هذه العائلة والروح الأرثوذكسي حول طبيعة السيد المسيح وهل هي طبيعة واحدة أم طبيعتان.

(٣) على السيد على (دكتور): القدس في العصر المملوكي، دار الفكر للدراسات، القاهرة، د/ت، ص ٨٦ وما بعدها.

(٤) عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٥٢.

(٥) Hourani, Albert, The Ottoman Back ground of the Modern Middle East, Esset, 1970, p.9.

ثالثا- اليهود :

سمح السلطان محمد الفاتح (١٤٥١-١٤٨١) لليهود بالاستقرار فى إستانبول وعين لهم "حاخام باشى" (١٠). وبعد طرد اليهود من أسبانيا عام ١٤٩٣م أصدر السلطان "بايزيد الثانى" (١٤٨١-١٥١٢) مرسوماً يقضى بحسن معاملتهم فى الدولة العثمانية^(١)، شأنهم شأن غير المسلمين باعتبارهم من أهل الذمة .

فى ظل هذه التسهيلات، وفد اليهود على بلاد الشام، حيث عملوا فى التجارة لموائى الشام. وانقسم اليهود قسامين هما : أجانب مهاجرون ، ومستوطنون . وكان الأجانب أكثر عدداً من المستوطنين، ومعظمهم يقطنون فى القدس وحيفا ويافا وصفد وطبريا ودمشق وحلب وبيروت وصيدا^(٢) .

وينقسم اليهود دينياً إلى: اليهود الحاخاميون (الربانيون) وهم الذين يستمدون معتقداتهم الدينية من التوراة، كما فسرها الحاخامات فى التلمود، وهم بدورهم ينقسمون ما بين الأشكنازيم وهم يهود الدول العربية، والسفارديم وهم اليهود الأسبان. والفرقة الثانية هم اليهود القراءون الذين انشقوا عن الإجماع اليهودى فى القرن الثامن، بإعلانهم عن رغبتهم فى العودة باليهودية لأصولها الأولى، ورفضوا الأخذ بتفسيرات الحاخامات للتوراة، والفرقة الثالثة وهم اليهود السامريون الذين قبلوا تفسيرات الحاخامات للتوراة التى ترد فى التلمود ما دامت تتماشى مع نصوص التوراة ، ويرفضون ما دون ذلك من تفسيرات ، وهم يتشددون فى تطبيق التعاليم الدينية^(٣) .

(*) إخاخام باشى : كانت له سلطات واسعة على اليهود فى الدولة العثمانية شبيهة بتلك السلطات التى منحها محمد الفاتح لبطريك طائفة الروم ، وقد بلغ نفوذ الإخاخام أوجسه فى عهد السلطان سليم الثانى (١٥٦٦-١٥٧٤) ثم ما لبث أن انتهى نفوذ طائفة اليهود بتولى السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) الذى استبعد إخاخام اليهود "أوناسى" من الاشتراك فى شئون الدولة وصادر أملاكه بعد وفاته فى عام ١٥٧٩م . وفى ٢٣ شوال ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م أصدرت الدولة نظام "الإخاخانة" الذى تضمن ٤٨ مادة تنص على الشروط التى يجب توافرها فى الإخاخام باشى وطريقة انتخابه وبيان وظائفه وكيفية انتخاب أعضاء المجلس العمومى ووظائف المجلس الروحاني والمجلس الجسماني وغير ذلك من الهيئات اليهودية. راجع محمد عوض: مرجع سابق، ص.ص. ٣٠٢، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢ .

(١) هاملتون جـ وهارولد بروين: المجتمع الإسلامى والغرب، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور): هـ.م.ع، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٤٠٢ .

(٢) أديب فرحات: مرجع سابق، ص ١١٣ .

(٣) يمين عبد المنعم : مرجع سابق ، ص ٨٩ .

وسيطر اليهود على تجارة صنف ودمشق، ولعبوا دوراً بارزاً في حلب وبيروت وعكا، وكان لهم في دمشق وحدها أكثر من أربعة وعشرين بيتاً تجارياً رأسمالها قرابة خمس ملايين فرنك، كما سيطروا على تجارة دمشق مع بريطانيا^(١) ومن أشهر العائلات اليهودية في مجال التجارة في الشام عائلة "أل فارحي" ويذكر شاهد عيان قوله "وكانت بلاد الشام مع قراياها وأموالها الميرية ومصارف الحكومة جميعها بأيديهم، وكانوا مع أقربائهم كما يقال بلسان العامة: الولاة ماسكون قرون البقرة وأولئك يأكلون حليبها"^(٢) وساعد اليهود في القيام بأعمال التجارة امتلاكهم للأموال السائلة، وكذلك ارتباطهم ببعضهم في المدن فيما يشكل شبكة خاصة بهم، إضافة لعلاقاتهم الخارجية التي تساعدهم في ذلك، وتمتع معظم اليهود بالحماية الأجنبية^(٣).

ولقد مثل حاخامات القدس أعلى سلطة دينية لليهود الشرق وخصوصاً منذ منتصف القرن التاسع عشر وهو ما مثل عاملاً قوياً ساهم في حفاظ يهود الشرق على رابطتهم الدينية القومية بفلسطين، ونمى رغبتهم في الهجرة إليها عند توفر الظروف الاقتصادية والسياسية المناسبة^(٤).

وقبل حكم محمد علي لبلاد الشام كان من المحرم على اليهود شراء عقارات أو أراضي في فلسطين، ولكنهم استغلوا فرصة علمانية حكم محمد علي، فطالبوا بشراء الأراضي وسمح لهم ولكن مع استثناء منطقة القدس كما منع اليهود الإفرنج من ذلك لعدم وجود مسوغ شرعي لذلك^(٥) ولكن بالرغم من هذا وقف اليهود موقف الحذر المتوجس من الحكم المصري للشام، وتدخل قناصل الدول الأوروبية لحماية أتباعهم اليهود فمثلاً نجح قنصل

(١) عبدالكريم غرابية: مرجع سابق، ص ١١٩ .

(٢) ميخائيل مشافة: منتخبات - مصدر سابق، ص ٤٣ .

(٣) لمزيد من المعلومات راجع: عبد العزيز الشناوى: مرجع سابق، ج-٣، ١١١. وانظر أيضاً: عبد الكريم غرابية: مرجع سابق، ص ١٢٤، ص ١٢٩ .

(٤) صموئيل اتينجر: اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ : ١٩٥٠م ترجمة جمال أحمد الرفاعي (دكتور) مراجعة رشاد الشامي (دكتور) سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٧، ص ١٣٤ .

(٥) دار الوثائق القومية: محافظ أبحاث الشام، محفظة رقم ٢٥، وثيقة رقم ٧٩ بتاريخ ١٧ محرم ١٢٥٣هـ .

النمسا "أنطوان كتافاكو" في الحصول على بيورلدي (*) لحماية اليهود، "بل أرسل إبراهيم باشا طابور من جنوده لصفد وطبريا لإعادة الأمن والطمأنينة لليهود الساكنين فيهما، والذين انزعجوا من الجيش المصري" (١).

وبعد نهاية الحكم المصري للشام عملت بريطانيا على مساعدة اليهود في الإقامة بفلسطين مستخدمة في ذلك أسلوب الإغراء لدى السلطان حتى يسمح بإصدار قانون بعودتهم ولكنها فشلت في ذلك وكان موقف بريطانيا يخضع لاعتبارين هما:

أ- الإيمان بأن اليهود هم الذين أعطاهم الرب في الأصل هذه الأرض ملكاً لهم .

ب- أن المسيحيين البروتستانت وهم سلالة الرب الشريفة - حسب اعتقادهم - يريدون الحفاظ على اليهود وعودتهم لفلسطين تطبيقاً للنبوءات التوراتية (٢).

أما عن علاقة اليهود بالمسيحيين فبعد انتهاء الحكم المصري ١٨٤١م تزامن المسلمون واليهود وطالبوا السلطان العثماني باسترداد المزاي التي حصل عليها المسيحيون أثناء الحكم المصري، وفي فترة فتنة ١٨٦٠م وقف اليهود فيها موقف المشارك السلبي مع المسلمين ضد المسيحيين، فقد ساندوا المسلمين واشتروا منهبوات النصرى بأقل الأسعار وأقرضوا المسلمين لشراء الأسلحة، فكانوا بذلك هم المستفيدين الوحيدين من هذه الفتنة.

(*) بيورلدي: فعل ماضى مبني للمجهول من المصدر التركي بيورمق بمعنى أن يأمر ومعنى كلمة بيورلدي هو أمر بـ "تحولت هذه الصيغة إلى الاسمى وصارت علما على الأمر المكتوب بالرسم الهمايون من الصدر الأعظم أو من أحد =الولادة. راجع أحمد السعيد سليمان (دكتور): تأصيل ما ورد في تاريخ الجيرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤٩ .

(١) رسالة من كتافاكو إلى البارون دونفيل في الآستانة بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٨٣١ م، منشورة في الخوري بولس قرالى: فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا نقلا عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا وصيدا، مطبعة العلم لبنان، ١٩٣٧، ص ٢١ .

(٢) مذكرة من بالمرستون إلى سفير بريطانيا في تركيا بتاريخ ١١ أغسطس ١٨٤٠ م نقلا عن، ملف وثائق فلسطين، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٩ ، جـ ١، ص ٤٧، ويوجد رسالة أخرى من بالمرستون لسفيره في تركيا في نفس المصدر بتاريخ فبراير ١٨٤١، جـ ١، ص ٤٣ .

رابعاً- العلاقة بين الطوائف في بلاد الشام :

الطائفة في معناها الحرفي هي الوحدة الاقتصادية والاجتماعية السائدة في المجتمع التي ينتظم فيها أصحاب رأس المال والعمال ، وهي تشكل مجتمعاً قائماً بذاته يكاد يكون منعزلاً عن المجتمعات الأخرى^(١) ، ولكن ما نعنيه هنا هو الطائفة بمدلولها الديني ، وقد فهمها العثمانيون على أنها جماعة من الناس تنتظمها رابطة مذهبية واحدة بغض النظر عن الجنس أو اللغة أو القومية ، فمثلاً كانت طائفة الأرثوذكس تضم عناصر مختلفة من اليونان والصرب والبلغار والرومان والعرب ، ولم تكن الدولة العثمانية تعبر هذه الاختلافات العرقية أي اهتمام ، فهم جميعاً يتبعون ملة الروم "روم ملتي" وهي تعنى بذلك جميع المسيحيين التابعين للكنيسة اليونانية الأرثوذكسية. ونتيجة للطبيعة الجغرافية لبلاد الشام فقد كانت مكاناً خصباً للعديد من الطوائف الدينية والعرقية التي لجأت إليها.

وتجمع نظريات الصراع بين الجماعات أن هذه الصراعات تنشأ من عدة أسباب أهمها وجود اختلاف أو تباين بين الجماعات النوعية التي يتكوّن منها المجتمع، لأن وجود جماعات تنتمي لعناصر مختلفة أو أديان مختلفة وثقافات فرعية مختلفة يعتبر أرض خصبة لنشأة ونمو التعصب، كما أن الجهل وعدم وجود فرص للاتصال بين الجماعات المختلفة في المجتمع الواحد يساعد على ازدياد حدة التعصب بين الجماعات فقد أثبتت الدراسات أنه كلما ازدادت معرفة الفرد بالحقائق والمعلومات عن الجماعات التي يتعصب ضدها قل تعصبه، كما يرى بعض العلماء أن التعصب يزداد كلما ازداد حجم الأقلية موضوع الاتجاه التعصبي لأن ذلك يسبب قلق وخوف الجماعات الأخرى^(٢).

وبذلك نرى أن هذه الأسباب قد ظهرت جميعها في بلاد الشام، مما أدى لزيادة حدة التنافس فيما بينها حتى وصلت للفتن المسلحة التي ضاعت بسببها الآلاف من الأنفس، وأدت لتدخل الدول الأوروبية الطامعة في الشام، فعلى صعيد الطوائف المسيحية تعددت تلك الطوائف وحاولت كنيسة كل طائفة أن تجتذب أتباع الطائفة الأخرى إليها، وكذلك تبدلت الاتهامات بين

(١) عبد السلام عبد الحليم عامر (دكتور) : طوائف الحرف في مصر ١٨٠٥-١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ١٤ .

(٢) معتز سيد عبدالله (دكتور) : الاتجاهات التعصبية، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٩، ص

الطوائف الإسلامية فقد نظرت كل طائفة للأخرى وكأنها ليست إسلامية، وأحيانا عديدة يكون الصراع بين طائفة إسلامية وأخرى مسيحية، ويصف لنا أحد شهود العيان ذلك بقوله "أن المرء يحسب أن كل رجل غير متدين بدينه جاز له قتله والاعتداء عليه، لا إثم في ذلك ولا تثر يب في ابتزاز ماله وعرضه، وانتشرت هذه الروح حتى عمت السواد الأكبر من القوم ولم يستطع العلماء وأهل التقوى رد الرعاع عن ذلك، والمعاملة بالحسنى لسيادة الجهل والهمجية^(١) .

ونشب العداء بين طائفة اليهود والطوائف المسيحية، واشتد هذا الصراع على أثر مقتل الراهب المسيحي "توما الكبوشي" الذي نسب قتله لليهود؛ مما أثار تأثر المسيحيين، وناصرهم المسلمون في ذلك، وتدخل قناصل الدول الأوروبية وخاصة قنصل فرنسا، وأصدر محمد علي الأوامر للجهات الإدارية في الشام بإعادة التحقيق في القضية بعناية بالغة فدفع اليهود ستين ألف كيسا قبلها وأطلق سراح المتهمين اليهود^(٢) .

هذا ويلاحظ أن النزاع بين الطوائف وخاصة الدروز والمورانية لم يظهر ويشتد إلا في بداية القرن التاسع عشر، وذلك لعدة أسباب أهمها :

١- التدخل الأجنبي الذي عمل على إثارة الأحقاد والتنافس بغية اجتذاب طوائف يستند عليها في تدخله، ومن هنا كان الصراع المحموم بين إنجلترا وفرنسا وروسيا للتنافس على السيادة في الشام كل من خلال الطائفة التي يعتمد عليها .

٢- لعب حكم محمد علي في ذلك دورا عندما قرب إليه المورانية الموالين له وذلك من منطلق العلاقة الخاصة التي تجمع محمد علي والمورانية مع فرنسا وعمل على اضطهاد الدروز الخارجين عليه، والموالين للدولة العثمانية لذا سلم السلاح للمورانية- الذي استخدموه بعد ذلك ضد المصريين - وأيضا التجنيد الذي كان إجباري للدروز واختياريا للمسيحيين عموما، كما أدى إعلان المساواة بين الجميع والتي كانت تعنى المساواة بين المسلمين وغير المسلمين بالمفهوم الغربي العلماني وهو ما اعتبرته الطوائف الإسلامية انتقاصا من مكانتها، خاصة وأنه بعد عودة الحكم العثماني مرة أخرى تدخلت الدول الأوروبية لحماية

(١) ميخائيل مشاققة (دكتور): مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، ملحم عبده وأندراوسى حنا، القاهرة، ١٩٠٨، ص ٢٦ .

(٢) دار الوثائق القومية، محافظ عابدين الشام، محفظة رقم ٥٢ ترجمة الوثيقة رقم ٢٩/٥١

تاريخ ٤ صر ١٢٥٦ هـ .

المسيحيين مما أثار حفيظة الطوائف الإسلامية ضدهم، ويشرح أحد شهود العيان منظر عودة زعماء الدروز المنفيين بعد انتهاء الحكم المصري قائلا: "وكان لقدوم عمدة الشوف المذكورين رنة فرح وسرور في جميع أنحاء البلاد، ولكنهم شاهدوا في أحوال البلاد والعباد تغيرات عظيمة وتقلبات ذات بال فقد وجدوا أحوال البلد قد تغيرت، فقد عز النصارى وسكنوا العلالى الشاهقة ولم يعودوا كما كانوا يعهدونهم صفر اليديين وخلو الوفاض ٠٠٠ كما وجدوا الدروز في حالة من الضعف والهوان لم يصلوا إليها قط منذ وطئوا البلاد الشامية"^(١).

وكانت النتيجة التي وصلت إليها البلاد^(٢) هي مزيد من الفتن المسلحة ذات الطابع الانتقامى التعصبى، مثل فتنة الستين - التي بدأت كحركة إقطاعية قام بها بعض الفلاحين النصارى ضد مشايخهم الإقطاعيين في الشمال، ولكنها اتخذت طابعا دينيا عندما ثار الدروز ضد السادة النصارى في المدن المختلفة، وقتل في هذه الحركة كم هائل من النصارى مما كان مبررا لتدخل الدول الأوربية تحت ستار حماية المسيحية^(٣).

أما عن موقف الدولة العثمانية من الطوائف، فقد فهم العثمانيون الملة أو الطائفة على أنها جماعة من الناس تنظمها رابطة مذهبية واحدة، بغض النظر عن الجنس أو اللغة أو القومية، فبالرغم من أن ملة الأرثوذكس كانت تضم عناصر مختلفة كاليونان والصرب والبلغار والرومان والعرب وغيرهم،

(١) يوسف خطار أبو شقرا: الحركات في لبنان في عهد المتصرفية، تعليق وتحقيق عارف أبو شقرا، بيروت، د/ت، ص ٣٣ .

(*) ولتفسير لجوء الطوائف الدينية المختلفة للشام فيرجع السبب لأن الشام دون تتمتع بحماية طبيعية من الجبال، لذا فهم في مأمن من أعدائهم مثل الدروز والمورانة والنصرية وغيرهم. فانكفأت على نفسها في بيئتها الجبلية الجديدة، منعزلة عما حولها؛ مما نمي عوامل التعصب في داخلها، وأدى التقادم الزمنى بين هجرات هذه الطوائف إلى اعتبار كلا منها صاحبة الحق الأول والأصيل في البلاد دون غيرها من الطوائف، ومن هنا نشأت التزاغات ولكن يضاف إلى ذلك أيضا البيئة الشامية وعدم قدرتها على تذويب وهضم الجماعات التي تلجأ إليها بعكس البيئة المصرية مثلا، كل هذا أدى إلى زيادة التعصب وانتشاره وبالتالي أدى للتدخل الأجنبي الباحث عن ذريعة لتبرير وجوده .

(٢) د/ عبدالكريم رافق: العرب والعثمانيون مرجع سابق، ص ٤٢٢ .

إلا أن الحكومة العثمانية كانت لا تعير هذه الاختلافات القومية أو الجنسية أى اهتمام^(١).

وفى بعض الأحيان كان بعض الولاة ينظرون للرعايا من المسيحيين على أنهم موالون لأعداء الدولة لذا فأى انتصار يحرزه اليونانيون مثلاً فى حروب الاستقلال على جيوش الدولة العثمانية كانت مغبته تقع على عاتق الرعايا المسيحيين، وفى يوم ١٨ مارس ١٨٢٦م هاجمت سفن يونانية بيروت، فما كان من عبدالله باشا والى عكا وبيروت إلا أن أرسل جيشاً لبيروت أعمل النهب والسلب فى جميع المسيحيين^(٢) الذين قاسوا ضغوطاً شديدة^(٣).

وفى النهاية لقد مثلت هذه الطوائف التربة الخصبة لعمل الإرسالية الأمريكية فى الشام، حيث يلاحظ أن الطائفية والتناقض بين هذه الطوائف، إضافة للتخلف الفكرى لكل هذه الطوائف وإن اختلفت درجاته من طائفة لأخرى، مما يمثل أرضية ساعدت العمل التبشيرى على النماء، كما أدى التفكك والخلافات بين هذه الطوائف إلى عدم القدرة على القيام بعمل موحد ضد هذه الإرساليات.

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٩.

(*) كان ظلم بعض الولاة يقع على عاتق الجميع بدون تفرقة بين مسلم ومسيحي ويهودى فعلى سبيل المثال كان أحمد باشا الجزائر يسجن علماء ومشايخ المسلمين وكهنة الذميين وعقال الدروز وحاخام اليهود، ولا يفرق عنده اختلاف مذاهبهم

راجع ميخائيل مشاقفة - مشهد - مصدر سابق، ص ٤٧.

(٢) أحمد مصطفى أبو حاكمة: دراسة علاقة فلسطين بمشروعات محمد على وإبراهيم فى الشام، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٣٨.

الفصل الثانى

**تأسيس الإرسالية الأمريكية
ونشاطها الدينى فى بلاد الشام**

شهدت بلاد الشام قبل القرن التاسع عشر نشاط عدة إرساليات معظمها يسوعية، ولكنها لم تأت إلا بنتائج قليلة الأثر، وذلك لقوة الدولة العثمانية آنذاك ووقوفها ضد النشاط التبشيري^(١)، ولكن في الثلث الأول من القرن التاسع عشر شهدت البلاد مجئ الإرسالية الأمريكية التي غيرت من وجه تاريخ المنطقة، وكان لها الأثر الأعظم من كافة الجوانب، فعن طريقها شهدت بلاد الشام التعليم الحديث، والحركة الفكرية المصاحبة له، ولكن الأثر الديني أيضا كان عميقا، فعند نزول الإرسالية الأمريكية في هذه البلاد لم يكن بها طائفة بروتستانتية على الإطلاق، ونتيجة للعمل الدؤوب للإرسالية أصبح هناك طائفة بروتستانتية، وتم بناء أول كنيسة بروتستانتية في العالم العربي في بيروت، ومن بلاد الشام خرجت الإرسالية الأمريكية للعراق ومصر والخليج العربي، حيث كانت الشام هي المحطة الأولى لهم في الشرق العربي^(٢).

بدأت الإرسالية الأمريكية في الشام أهلية بعيدة تماما عن أي نفوذ حكومي، وكانت مدفوعة في ذلك بعوامل دينية نحو الأرض المقدسة التي ستشهد عودة المسيح حسب اعتقادهم^(٣)، ولكن بعد فترة، وحينما ولت الولايات المتحدة الأمريكية وجهها شطر المشرق العربي، لم تجد أمامها سوى المبشرين الأمريكيين الذين أسبغت عليهم حمايتها - بكافة أنواعها - فكانوا كتائب الغزو الاستعماري الأمريكي، الذين يعملون على توطيد نفوذ أمريكا في المشرق انطلاقا من قاعدته الأساسية في بلاد الشام.

وفي سبيل التوصل لأعمال التبشير استخدمت الإرسالية الأمريكية كافة الوسائل، بدءا من التعليم وحتى الصحافة والكتب والجمعيات، مروراً بأعمال التطبيب والأعمال الاجتماعية الأخرى، مستفيدة في ذلك من ضعف الإدارة تارة وتقاعسها تارة أخرى، ومحتمية في الامتيازات الأجنبية.

(١) وفدت إلى بلاد الشام بعثات تنصيرية أهمها : اليسوعيون الذين وصلوا إلى حلب في عام ١٦٢٥ م ، كما أسسوا أديرة في دمشق ١٦٤٣ م ، وقد أغلقت مؤسساتهم وعهد بها إلى الرهبان اللعازين عام ١٧٧٣ م ، ولم يعد اليسوعيون إلى بلاد الشام إلا عام ١٨٣١ على أثر مقدم الإرسالية الأمريكية . عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٧٤٥ .

(٢) راجع محمد فؤاد خليل : مرجع سابق ، ص ٨-١٠ .

(٣) نبيه أمين فارس : مرجع سابق ، ص ٣٨١ .

أولاً : تأسيس الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام (١) :

ارتبط تأسيس الإرسالية الأمريكية للتبشير في الشام بعدة عوامل خاصة بالفكر الديني البروتستانتي الذي كان يرى حتمية عودة المسيح، وهو ما يعرف باسم العودة الثانية، وذلك انطلاقاً من إيمانهم بالعقيدة الألفية، وارتبط هذا بالتالي بوجود العمل على محورين:
أولهما: دعوة اليهود للعودة إلى فلسطين ووطن شعب الله المختار كما جاء في الوعود التوراتية .

والآخر : محاولة تقليل عدد المسلمين وعدد أعضاء الكنائس الشرقية، وهي في نظرهم خارجة عن المسيحية الحقّة، وذلك لتقليل عدد أعداء المسيح عند عودته^(٢).

ارتبط تاريخ الإرسالية الأمريكية في الشام بتأسيس المجلس الأمريكي لأمناء الإرساليات الخارجية " The American of Commissioners Foreign Missions، عام ١٨١٠م في بوسطن وضم في عضويته الكنيسة المشيخية Beres Byterian والكنيسة المستقلة Independent Church"^(١) ومنذ عام ١٨١٢م أعلن المجلس عن رغبته في إرسال المبشرين للهند وإن كان الاهتمام في الحقيقة موجهاً للأرض المقدسة . . . حيث أسسوا ثلاث إرساليات متميزة. واحدة لاستانبول عاصمة الدولة العثمانية، وواحدة لفارس والثالثة لبلاد الشام^(٢).

(*) الإرسالية هنا المقصود بها جماعة من الناس الذين يتفقون حول هدف واحد. ويقومون بنشاط موحد لخدمة هذا الهدف .

(*) هناك العديد من الوعود الكتابية بثواب من يعمل للتبشير وبسجاح أعماله في النهاية من ذلك ما ورد في الإنجيل "احتمل المشقات. اعمل المبشر تم خدمتك"، من ٤ : ٢٥ "أسعى نحو الغرض لأجل جعلالة دعوة الله العليا في المسيح ليسوع" فيلبي ٣ : ١٤ - لهذا ترى هؤلاء مندفعين للعمل بقوة في كافة الظروف .

(١)David Shavit,the united States in the middle East,A Historical Dictionary, New York,1988,p7.

(٢)Robertw. Stookey; American and the Aral States an uneasy Enchants, Center For Middle Encounter Studies, the university of Texas at Austin . New York, 1975 p.11.

ومن خلال نظرة دقيقة على أعضاء المجلس الأمريكي، والذي كان يضم في عام ١٨١٣م ٢٦ عضواً من بينهم ١٨ على الأقل من خريجي المعاهد العليا بينهم عدد من القساوسة البروتستانت، وكان رجال الدين آنذاك هم الأعلى ثقافة في المجتمع الأمريكي، وضم كذلك ثلاثة من كبار التجار، وعدد من أعضاء حكومات الولايات، وهنا يمكننا القول، أن هذه الإرسالية كانت مؤيدة بقوة من الرأي العام الأمريكي^(١).

وابتداءً من عام ١٨١٩م تم التجهيز لإرسالية الشام للانطلاق، وذلك بتكليف المبشرين الأمريكيين "بلينى فسك Pliny Fisk" و "ليفى پارسنز Levi parsons" للقيام بالتبشير في الأرض المقدسة، وهي المرة الأولى التي يظهر فيها الأمريكيون اهتماماً بفلسطين، في الوقت ذاته هي بداية الوجود التبشيري الأمريكي في العالم العربي كله^(٢).
وبذلك فقد كان أتباع الكنيسة المشيخية^(*) "البريسبتريون" أول من وصل من الأمريكيين في الإرسالية الأمريكية التي عملت في بلاد الشام بعد أن انتقلوا من مالطة لبيروت^(٣).

واهتمت الإرسالية الأمريكية أساساً في البدايات، ببلاد الشام وذلك للعديد من العوامل التي يتميز بها الشام، حيث التعدد الطائفي ووجود تشابه بين بعض هذه الطوائف عقائدياً مع المسيحية، كذلك أن لبلاد الشام علاقات واسعة مع الغرب منذ الحروب الصليبية، فهي منطقة شبه معروفة بالنسبة لهم، ولنصارى بلاد الشام دور في الوساطة ما بين الغرب والشرق، ويجب ألا يغرب عن أذهاننا وجود الأرض المقدسة التي سيعود إليها المسيح داخل بلاد الشام.

-انظر أيضاً: أنور الجندي: الإسلام والثقافة العربية، مطبعة الرسالة، ١٩٦٧، ص ٧٧ .

(1)Robertw. Stookey: op. Cit., p. 10.

(2)Addison James, The christen Approach to The moslem,Ahistorical Study, New York. 1966,p.82.

(*) الطائفة المشيخية هي طائفة بروتستانتية استبدلت النظام الكنسي التقليدي بتربيات جديدة، تقوم على نظام كنسي جماعي يقوده "الرعاة" لمعينون للقيام بالخدمات الروحية بالمشاركة مع "شيوخ علمانيين ينتخبهم أعضاء الكنيسة، وللطائفة المشيخية مجلس إداري أعلى في كل قطر يجمع بين كنائسها وينسق بينها.

(٣) جورج انطونيوس: يقظة العرب، تقدم نبيه أمين فارس، ترجمة ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧، ط ٨، ص ٩٨.

تؤكد معظم الروايات التي رواها الكتاب البروتستانت، على أن غرض المبشرين الأمريكيين في الشام كان موجهاً في الأساس نحو العمل بين اليهود أكثر من الرغبة في إنشاء طائفة بروتستانتية في الشام^(١)، فلقد تغيرت الفكرة المسيحية الأوروبية السائدة في القرون الوسطى عن اليهود- بصفتهم شعباً غريباً ينبغي تجنبه واضطهاده- تغيراً جذرياً بعد حركة الإصلاح الديني في أوروبا^(٢) فلقد ارتبط بهذه الحركة إحياء التاريخ اليهودي القديم، وأعلن لوثر أن اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للكنيسة البروتستانتية لأنها لغة الكتاب المقدس، وارتبط بذلك إحياء الوعود التوراتية التي يؤمن بها اليهود، وتسربت للبروتستانتية مع الإصلاح الديني، ومن هذه الوعود أن فلسطين هي أرض شعب الله المختار "اليهود"^(٣).

وبذلك فقد أصبحت فلسطين بالنسبة لأمريكي القرن التاسع عشر تمثل موقعاً جغرافياً للقوى، ومكاناً للقديسة، والأرض التي ولد فيها يسوع وبدأت فيها المسيحية، وهي مرتبطة في الأساس بالعقيدة الألفية^(٤) التي يؤمنون بها^(٤).

(١) نبيه أمين فارس: مرجع سابق، ص ٣٨٢ .

(٢) ميخائيل سليمان: فلسطين والفلسطينيون في العقل الأمريكي، ضمن كتاب فلسطين والسياسة الأمريكية من ويلسون إلى كليتون، مركز الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٧ .

(٣) أحمد محمد عوف: (دكتور): المؤامرات الخفية ضد الإسلام والمسيحية، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٨٩ : ٩١ .

(*) دخلت هذه الفكرة للمسيحية عن طريق اليهود أنفسهم، الذين ظلوا ينتظرون المسيح المخلص الذي سيخلصهم من حكم الرومان، ويجعلهم يعيشون في سلام، معتمدين في ذلك على ما ذكره أشعيا النبي في الاجتماع الحادي عشر، وعندما تعمد بعض اليهود حملوا معهم هذه الأفكار، ووجدوا في الإصحاح العشرين من سفر الرؤيا ضالتهم المنشودة، وعادت هذه الفكرة مع حركة الإصلاح الديني على يد البروتستانت في القرن ١٦، وهذا الملك الألفي هو في حقيقة غير ما فهمه اليهود ومن ورائهم البروتستانت فهو ملك روحي وليس ملكاً جسدياً، راجع لمزيد من المعلومات "كنيسة القديسين مار مرقس الرسول والبابا بطرس خاتم الشهداء: شهود يهوه، القاهرة، د/ت ودون تحديد المطبعة، ص ١٤٣، ص ١٥٢ .

(٤) ميخائيل سليمان: مرجع سابق، ص ٢٥ .

واعتبرت الشام هي المحطة الأولى للإرساليات الأمريكية في الشرق العربي، ومنها انتقل نشاطها إلى الموصل وعينتاب وآسيا الصغرى^(١)، كذلك كانت المحطة الأولى للإرسالية الأمريكية لمصر منذ منتصف القرن التاسع، وبذلك فقد كانت بلاد الشام هي الأساس الذي خرجت منه الإرساليات الأمريكية للبلاد العربية ومنطقة الشرق الأوسط كله فيما بعد، بعد أن تسلحت بما يكفي من العلوم والمعارف والإعداد اللازم للمبشرين من حيث فهم نفسية المتعاملين معهم، وكيفية التبشير بينهم.

فقد كانت منطقة الشرق الأوسط تختلف عن كل من أمريكا اللاتينية وأوروبا والشرق الأقصى، من حيث أن أمريكا لم تعرفها أهمية كبيرة من وجهتي النظر السياسية والتجارية طيلة القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين، حقيقة أنها أبدت نشاطا عسكريا بحريا في منطقة المغرب العربي في أعقاب استقلالها عن بريطانيا، إلا أن ذلك لم يتضمن اهتمام أمريكا بهذه البقعة من العالم إلى ما هو أبعد من حماية المصالح الأمريكية، لذا فإن المبشر الأمريكي الذي كان يعتبر الشرق الأدنى أرض الإنجيل - هو الذي حدد أسلوب العلاقات العربية الأمريكية طيلة القرن التاسع عشر^(٢) وكان المبشرون الأمريكيون قبل عام ١٨٥٠م يعتمدون اعتمادا كلياً على الحماية الدبلوماسية البريطانية، أما بعد ذلك فقد نالوا حماية الدبلوماسية الأمريكية، فقد كان العديد من المبشرين يعملون في الشرق الأوسط ولهم صلاحية القنصل^(٣) وبعد أن تضررت مصالح الإرسالية الأمريكية في الدولة العثمانية عموماً من جراء موقف الدولة العثمانية من تمرد الأرمن ١٨٩٤ - ١٨٩٥، انتهزت واشنطن الفرصة فوجهت للآستانة في عام ١٩٠٠م بعثة خاصة برئاسة الأميرال "تبستر" على متن المدرعة كينتوي، لطلب تعويضات وامتيازات خاصة للمبشرين، والمطالبة بعدة تنازلات ذات طابع سياسي

(١) عبدالعزيز سليمان نوار (دكتور): تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٣١٤.

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى: (دكتور) الولايات المتحدة والمشرق العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص ٥.

(٣) توماس بريسون: العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط ١٧٨٤ - ١٩٧٥، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٥، ص ٦٣ : ص ٧٨.

واقتصادي^(١) وبذلك فقد أسبغت الولايات المتحدة الأمريكية حمايتها على الإرسالية الأمريكية في الشام، واستفادت من ذلك في كافة المجالات سواء السياسية أو التعليمية والاقتصادية، حيث بدأت في نشر النفوذ الأمريكي في هذه المناطق، حتى يمكننا القول أن المبشر الأمريكي كان عبارة عن كتابت الغزو الاستعماري المبكر للعالم العربي^(٢).

ثانياً- المحطات التبشيرية :

بعد أن تأسست الإرسالية الأمريكية في "بوسطن" بالولايات المتحدة الأمريكية، وحددت أهدافها في ارتياد الأراضى المقدسة، للعمل بين ظهراني اليهود طبقاً للنبوءات التوراتية التي يؤمن بها البروتستانت، عمل هؤلاء على عدم الوثوب على بلاد الشام مرة واحدة، بل فضلوا الاستقرار المؤقت في محطة "مالطة" التي كانت تخضع آنذاك للحكم الإنجليزي، ومنها راقبوا أحوال الشام، وأعدوا عدة رحلات استكشافية صغيرة ذهبت إلى هناك، لجمع المعلومات وبيان كيفية العمل، وأيضاً إعداد المبشرين للعمل في هذه الأماكن، إضافة لإعداد الكتب والكراسات الدينية، وطبعها ونشرها في هذه البلاد، وعندما حانت الفرصة لهم بخضوع الشام لإدارة محمد علي ذهب المبشرون إليها، حيث كانت بيروت هي المحطة الأولى لهم في المشرق العربي كله، ومن الميزات العديدة التي كانت تتمتع بها بيروت أنها كانت ذات موقع متميز بالنسبة للمدن الشامية الأخرى، ومنها خرجوا لاستكشاف المدن الأخرى، وبيان إن كانت مناسبة للعمل التبشيري بها، في محاولة لإقامة محطات تبشيرية بها، فكانت محطة "عبيه" ذات الموقع المتميز بالقرب من الدروز، وتوالى إقامة المحطات التبشيرية في صيدا وطرابلس، ولم يكن العمل التبشيري قاصراً على هذه المدن فقط، بل امتد للمدن والقرى المحيطة بها، كما امتد لمدن أخرى مثل دمشق، وحمص، وحلب، وشهدت هذه المحطات

(١) فؤاد المرسى خاطر: دراسات في الأطماع الاستعمارية في الوطن العربي، دلتا للطباعة، طنطا، د/ت، ص ٩١ .

(*) كانت الولايات المتحدة الأمريكية في سياستها تجاه المشرق العربي في القرن التاسع عشر كانت تنهج سياسة المتردد الحذر، وهي في ذلك تخضع لتوجيه جورج واشنطن" عام ١٧٩٦م في خطبته "الوداع" التي نصح فيها بالألا تدخل الولايات المتحدة في مشاكل القارة الأوربية، وكذلك هناك "مبدأ منرو" ١٨٢٣ الذي قام على أساس عزلة أمريكا عن الأحداث الأوربية والعالم .

نشاطاً تبشيراً هائلاً، وكانت هي المحطات الأساسية لعمل الإرسالية الأمريكية في الشام^(١).

أ - محطة مالطة :

عندما قرر "المجلس الأمريكي للإرساليات" أن يرسل إرسالية للشام، اختار مالطة كمحطة أولى لهذه الإرسالية، ومنها يراقب أحداث الشام ويختار المحطة التالية له في داخلها، وهي خطوة تالية في العمل التبشيري.

وكانت مالطة أكثر الأماكن ملائمة لهم، فقد كانت تحت السيطرة البريطانية منذ مطلع القرن التاسع عشر، وأسس الأميركيون مطبعتهم الخاصة بهم فيها عام ١٨٢٢م، ومن مالطة تقدم ليفي بارسنز Levy Barcenz ولبيني فسك Pliny Fisk نحو الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط في رحلة استكشافية^(٢)، ويتضح من المحاولات الاستكشافية الأولى التي قام بها فسك وبارسنز أنهما اختارا بيروت لتكون المحطة الأولى في الشام، وذلك للتعدد الطائفي بها، ولوقوعها في وسط العالم العربي، ولأمكان نشر النشاط التبشيري منها لكل أنحاء الأقاليم العربية^(٣)، ولكن لم تقم الإرسالية الأمريكية بنقل المقر الأساسي لها لبيروت إلا ابتداء من نهايات عام ١٨٣٣م بعد ما ظهرت الأسباب المشجعة على ذلك.

وفي مالطة كان الاهتمام الأساسي موجه للترجمة والطباعة، فحتى عام ١٨٢٧م ترجموا إلى الأرمينية ستة كتب، وذلك في محاولة لنشر الفكر القومي بين الأرمن وهي الكتب الآتية:

- ١- الأناجيل الأربعة.

- ٢- خطبة عن A New Hearth The Childs Portion وهي من خطب جورج برور.
- ٣- خطبة عن "صلاة الرب".

- ٤- خطبة عن قدوم مملكتك كتبها يوحنا ورتابت Y. Wortabet
- ٥- خطبة عن "المسيح الطريق إلى الرب والسماء".

(١) مذكرات كرنيليوس فانديك : الهلال ، مجلد ١٤ ، الجزء الخامس ، ١٩٦٠ ، ص ٢٧٦ . وانظر أيضا : جلال يحيى : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٢) نبيه أمين فارس : مرجع سابق ، ص ٣٨١ .

(٣) خالد محمد نعيم : مرجع سابق ، ص ٥١ .

٦- خطبة عن "الإنقاذ العظيم وخطر إهماله"^(١).

وبالإضافة للطباعة، كان الاهتمام الأساسي من جانب الإرسالية بتعليم مبشرها اللغة العربية، حتى يمكنهم العمل وسط الشوام، لذا سافر مستر سميث Mr. Smith لمصر لمدة عام لتعلم العربية، وبعد ذلك قام برحلة استكشافية للشام^(٢)، كما تعلم مستر بيرد Mr. Bird اللغة العربية، وأصبح قادراً على الوعظ بها، وعمل غيرهما من المبشرين على اكتساب معلومات إضافية عن اللغات العبرية والأرمنية؛ حتى يكونوا قادرين على العمل بحرية وسط اليهود والأرمن ببلاد الشام، وكذلك أفادت هذه اللغات في الترجمة والإعداد لطباعة الكتب والكراسات للتبشير، وفي الإشراف على المطبعة^(٣) وكان هذا يتمشى مع سياسة الإرسالية التي رأت في مالطة أفضل مكان لعملية الطباعة الخاصة بالإرسالية، كما وجد في مالطة عدد من المبشرين الذين تم إعدادهم لإرسالهم للشام، في الوقت الذي ضمت الإرسالية لديها عدد ممن قبلوا البروتستانتية من الشام، وتم إعدادهم وتأهيلهم لإعادة إرسالهم إليه مرة أخرى مثل يوحنا ورتابت Y-Wortabet^(٤) كما عين المجلس الأمريكي للإرساليات التبشيرية في "بوسطن" مستر أندرسون "Anderson" كوكيل عنه، ليتباحث ويتشاور مع المبشرين الأمريكيين في مالطة، حول الخطط المستقبلية للعمليات التبشيرية في حوض البحر المتوسط، ووصل في يناير ١٨٢٩، بعد رحلة بحرية استمرت ٣٤ يوماً، وقام أثناء رحلته بالعديد من الرحلات الاستكشافية لاختيار المكان الملائم كمحطة قادمة للإرسالية، ووقع الاختيار الملائم على بيروت كمحطة قادمة للإرسالية ولكن أجل اتخاذ أى خطوة في هذا السبيل^(٥).

(1) Missionary Herald, Dec, 1827. Extract From Mr. Goodell's Correspondence.

(2) Missionary Herald., Jan – 1828. Western Asia, vol. 24(1828).p.7.

(3) Missionary Herald, Jan., 1830. Western Asia : Stations, Vol.26 (1830),pp.8-9.

(4) Missionary Herald, Jan 1829. Western Asia : Stations., Vol.25 (1829),pp.8-9.

(5) Missionary Herald, May, 1829. Special Agency To The Mediterranean. Vol . 25, pp. 166 –167 .

ويتضح من خلال البيانات المتوافرة عن مالطة، أن الاهتمام الأساسي كان موجهاً للطباعة، خصوصاً بعد أن احتوت المطبعة على جهاز للطباعة بالإيطالية واليونانية والأرمنية واللغة العربية، التي بدأ الإعداد للكتب والكراسات التبشيرية بها لإرسالها للشام والأراضي المقدسة^(١) كمقدمات العمل التبشيري المباشر داخل هذه البلاد .

وعندما ثار سؤال في عام ١٨٣١م لماذا لا تنقل المطبعة إلى بيروت؟ بحيث تكون قريبة من الذين أسست الإرسالية والمطبعة لخدمتهم، وحتى تكون على اتصال مباشر وقريب منهم، جاء الرد من القائمين عليها بأن مكان المطبعة في مالطة مكان مؤقت، وأن المكان الطبيعي لها بالفعل بيروت، ولكن ذلك غير مناسب لعدة أسباب: أن نقلها للأماكن السابقة سوف يجلب معارضة شديدة لها، وسوف تتدخل السلطات ضدها، وهو ما يؤدي لعرقلتها أو توقف عملها، يخشى من ذلك على المطبعة إذا ما نقلت لبيروت، بعكس مالطة التي يوجد بها حكومة مستقرة ومكان آمن للعمل^(٢) .

وابتداءً من عام ١٨٣٣ بدأ الاستعداد للرحيل إلى بيروت، حتى يكون هناك فرصة للجهد التبشيري المباشر أكثر مما كان في مالطة، كما أن المبشرين سوف يكونون أكثر ميلاً للكتابة للمطبعة عندما تكون قريبة منهم، أكثر مما لو كانت في مالطة، وترجع هذه الخطوة لأن الظروف أصبحت مواتية بعد أن أصبحت الشام تحت حكم إدارة علمانية هي إدارة محمد علي^(٣) .

ب - محطة بيروت :

منذ بداية العشرينيات من القرن التاسع عشر بدأت الأنظار تتجه إلى بيروت لجعلها المحطة التبشيرية الأساسية في بلاد الشام، فقد أسس بها بليني فسك "PlinyFisk" وهو أول مبشر أمريكي زار بيروت بالاشتراك مع

(1) Missionary Herald, Feb., 1830, Vienna and Proceeding in Reference To The Mission Vol 26. Pp. 73- 82.

(2) Missionary Herald, Jan, 1831, Extract Of a letter From Mr King Vol.27 (1831), pp. 42- 44

(3) Missionary Herald, Dec., 1833. Printing Establish ment For The Meaditerranean.

زميله إسحق بيرد مدرسة عام ١٨٢٢ وكانا يعلمان فيها اللغتين الأنكليزية والإيطالية^(١) ولكنها لم تتحول إلى مركز أساسي إلا ابتداء من عام ١٨٣٤ .

أما عن العوامل التي جعلت بيروت المركز الأول والأكبر للإرسالية الأمريكية في الشام ومن بعدها بقية الإرساليات اليسوعية :

فأولها : أنها كانت مركزاً تجارياً وصناعياً يقصده الجميع للتجارة، سواء من الأوربيين أو من أهل الشام أنفسهم الذين يذهبون للتزود باحتياجاتهم، في الوقت ذاته فهي ميناء واسع ورحب تقصده السفن الأوربية للتجارة، لذا فقد كانت بيروت من أوائل المدن الشامية التي تأثرت بالمؤثرات الغربية الحديثة، ففي الوقت الذي لم يكن يستطع قنصل بريطانيا دخول دمشق إلا في أثناء الحكم المصري، نجد أن الأوربيين كانوا ينتقلون في بيروت بكل ثقة واطمئنان، من هنا فقد مثلت البيئة المثالية لبذر هذه البذرة فيها.

وأما العامل الثاني أن في بيروت مراكز القناصل الأجانب، وفيها، أكثر بيوتهم التجارية، والعامل الثالث "فهو أن لبيروت أفضلية أخرى بارزة على سائر المدن في الشام تقوم هذه الأفضلية على حرية العبادات الدينية وامتيازاتها، هنا رعاة دينيون من بلاد شتى، يقيمون في المنازل الجميلة حيث يتلاقى أحياناً رجال مثقفون أقبلوا من الأديرة في الجبال، بينهم الأساقفة والكهنة واللاهوتيون من مورانة وأرثوذكس وكاثوليك"^(٢).

بدأ المركز التبشيري في بيروت بالمستر جودل "Mr Goodell" في خريف ١٨٢٣م وكان معه مستر بيرد Mr.Bird، وأيضاً وصل إليهم في ديسمبر ١٨٢٥ مستر نيكولايسون "Mr. Nicolayson" من إنجلترا كمبشر لليهود، وكان هؤلاء الثلاثة هم المبشرون البروتستانتيون في الشام كلها

(١) يوسف قزماخوري : الدكتور كرنيليوس فان ديك ونهضة الديار الشامية

العلمية في القرن التاسع عشر، دار سورقيا، بيروت، د/ت، ص ٢٦ .

(٢) جون كارن: رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، ترجمة

رئيف خوري. دار المكشوف، بيروت، ١٩٤٨، ص ١٥ .

فى عام ١٨٢٦^(١) واضطروا لحصار نشاطهم التبشيرى داخل بيروت، بعد إنذار الأمير بشير الشهابى الكبير لهم بالأى يعملوا خارج بيروت، كما أن الدولة العثمانية أمرت بمنع توزيع الأناجيل العربية المطبوعة فى أوربا، وذلك تجنباً للشقاق والمنازعات بين الأهالى^(٢). وداخل بيروت نجح بيرد وجودل فى تبشير عشرة أشخاص بالخاص بالخاص واتباع التعاليم البروتستانتية وهم أربعة من الكنيسة الأرمنية، واثنان من الموارد الكاثوليك، واثنان من اليونان الكاثوليك، واثنان من الكنيسة اللاتينية، وبدأوا فى توزيع الكتب الدينية، وقراءة الكتب المقدسة باللغات الأرمنية واليونانية والتركية والعربية والإيطالية^(٣).

وتبتهت الكنائس الوطنية لهذا النشاط الكبير للمبشرين البروتستانت، فعملوا على مقاومتهم بشتى الوسائل، فتارة بتفنيد آرائهم مثلما فعل "المارونى بطرس كرم"، أو كما فعل الروم الأرثوذكس بإنشاء "الجمعية السورية الأرثوذكسية للخطابة" فى موضوعات دينية، وقراءة كتاب ملاطوس ضد البروتستانت، وأيضاً بدأوا فى طباعة ما أهملوه من الكتب المقدسة، إضافة لذلك فرض عقوبة "الحرمان" ضد من يتبع أو يساعد البروتستانت^(٤).

وبالرغم من هذه البداية المشجعة؛ فقد اضطروا المبشرون البروتستانت لمغادرة بيروت والشام كله فى عام ١٨٢٨م، وذلك نتيجة لعدم الاستقرار والمنازعات فى البلاد، وعادوا ومعهم القسيسان الأرمنيان كاربت Carbet وورتابت Wortabet "المالطة، وكان عليهم الاستمرار فيها" حتى يفتح الله باب الإفاذة فى مكان آخر^(٥)، ولكن ابتداء من ١٨ مايو ١٨٣٠م عاد المبشرون الأمريكيون مرة أخرى لبيروت، حيث استقبلوا بالترحاب الشديد

(1) American Board Of Commissioners For Foreign Missions, Missionary, paper, No. 7, Memoir Of Asaad Eshs hidiak. P5.

(٢) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص ٢٧.

(3) Missionary Herald, Jan., 1828. Western Asia. Vol. 24 (1828), p.7.

(٤) الأب لويس شيخو: بيروت تاريخها وآثارها، مطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٥، ص ١٠٠.

- Missionary Herald, Feb., 1830, Operations Of The church. Missionary Society in The Mediteran pp. 55-57

(5) Amemair Of Asaad Eshs nidiak, op, cit, p.6.

من تلاميذهم السابقين، ويذكر تقرير الإرسالية "ولم تكن هناك أى سخريّة، بل على العكس كانت هناك التحيات بمنتهى الاحترام أثناء مرورنا بالشوارع، ولكن القساوسة الوطنيين من كافة الكنائس ما كانوا ليرضوا بذلك الوضع فأخذوا في وضع، العراقيل أمام الإرسالية الأمريكية"^(١)، وبالرغم من هذا النشاط فقد كان مقدّمة للعمل الفعلي الذي بدأ منذ عام ١٨٣٤م عندما أصبحت بلاد الشام تقع تحت حكم محمد علي الذي أعلن علمانية الحكم وبذلك وفر الاستقرار للإرسالية، فنقلت مطبعتها من مالطة لبيروت التي أصبحت المركز الرئيسي لهم في الشام بل في الشرق الأوسط كله.

وبعد نقل المطبعة عملت بمنتهى الجدية وكان الهدف واضحاً أمام القائمين عليها، فقد كانوا ينظرون إليها كواحدة من أهم المطابع التي يصدر منها شيء لتتصير السلالة العربية^(٢).

وابتداء من عام ١٨٣٤م وهو بداية النشاط الفعلي للإرسالية في الشام تم تأسيس كنيسة صغيرة في بيروت، وانضم إليها أربعة وطنيين، منهم ناظر مدرسة طرابلس، وبالرغم من عدم وجود تغير كبير في بيروت إلا أن تقرير الإرسالية رصد بداية لتغيرات في مفاهيم الوطنيين الشرقيين تجاه كنائسهم وشعائهم الدينية^(٣) وهو ما اعتبر نجاحاً للإرسالية الأمريكية^(٣) التي عملت على هز الثوابت في أذهان الناس.

وبدأت الإرسالية في التركيز الشديد على الطباعة والتعليم لاستخدامهما كأهم أدوات للتبشير الأمريكي، ولمحاولة ضم الأتباع عن

(1) Missionary Herald, Nov., 1830. Arrival of messrs Bird and Whiting at Buyروت Vol. 26, pp. 373-378.

(2) Missionary Herald, Nov. 1836- Extract From a general Letter Of The Missionary pp. 458.467.

(*) من أمثلة ذلك محاولات الأروام الأرثوذكس لتعريب كنائسهم من اليونانية، وظاهرة النقاش مع رجال الدين في الكنائس.

(3) Missionary Herald, Sep., 1834. Extracts. From a communication of messrs Bird, smith and Thomson. Pp. 410 – 414.

طريقهما^(١) فغن طريق توزيع الكتب التي طبعت في المطبعة الأمريكية في بيروت، كانت الإرسالية تبث فيها الأفكار الدينية التي تريدها، وأيضاً كان يتم اختيار الموزعين كمبشرين أيضاً، لعقد المناقشات مع أتباع الكنائس الأخرى في محاولة اما لضمهم للبروتستانتية، وإما لتشكيكهم في شعائر دينهم^(٢) وفي عام ١٨٤٨ تم تأسيس أول كنيسة إنجيلية في بيروت في بناء خاص بها وبلغ عدد أعضائها ١٩ عضو وأصبح اسمها "الكنيسة الإنجيلية الوطنية"^(٣) وكان المبشرون يقيمون صلواتهم فيها ويقومون صلواتهم بالإنجليزية في منزل قنصل أمريكا ببيروت "جيسبر شاسور" Gebseber Shasour كل أحد قبل الظهر واستمر ذلك ثلاثين عاماً^(٤).

وفي بيروت كان هناك قداسين باللغة العربية أحدهما يعقد في التاسعة صباحاً والأخر في الثالثة والنصف بعد الظهر، وكانت الإرسالية تساندهما، وفي الشتاء كان معدل حضور الاجتماع في القداس ثمانية، وأحياناً كان العدد يزيد على ذلك، وحوالي ثلث الاجتماع من الإناث، أما في الصيف فقد كان العدد أقل لأن العديد من عائلات الإرسالية والعديد من الوطنيين يغيبون عن بيروت في الصيف، وفي المجلد العام كان هناك قدره على التبشير وهناك حالة من التساؤلات الجادة^(٥) ولكن ازداد عدد الحضور في الاجتماعات الدينية، وأصبح يتراوح ما بين ٦٠ و ١٢٠ فرداً، ولكن خلال الصيف تنخفض عدد الحضور كالمعتاد، وإن كان قداس الصباح والذي كان يشرف عليه أحد الوطنيين قد توقف لبعض الوقت. ويذكر تقرير الإرسالية "وقد كانت الاجتماعات عادة يقظة وجادة لدرجة كانت تجعل منه عمل لم يسبق ويدعو للأمل أن نبشرهم، إننا نثق أننا حققنا شيئاً طيباً"^(٦).

(1) Missionary Herald. Nov, 1836. Report of The station at Beyroot. For The year 1835. pp414 –421.

(2) Missionary Herald, July, 1841. Report of The station at Bayroot Pp. 301-304..

(٣) اسكندر بك بارودي: تعليم المرأة عندنا، الكلية، العدد الثامن، يونيو ١٩١٢ ص ٢٣٤ .

(٤) مذكرات كرنيليوس فان ديك، الهلال، مجلد ١٤/ عام ١٩٠٦، ص ١٩٨ .

(5) Missionary Herald, July., 1852, Beirut: Annual report. Pp. 193 – 200.

(6) Missionary Herald , June. 1824, Beirut. Annual report. p. 232.

ونتيجة لهذه الجهود التبشيرية، دخل ثلاثة في الكنيسة البروتستانتية عام ١٨٥٦م أحدهم هو نائب القنصل الأمريكي في بيروت، منهم فتاة كانت إحدى الطالبات في المدرسة العليا تحت إشراف د/ دي فورست، ثم عملت بعد ذلك مدرسة ناجحة في مدرسة البنات في بيروت^(١) وخلال علم ١٨٥٩م دخل عضو جديد في الكنيسة، وحرّم عضو آخر منها، وبلغ عدد أعضاء كنيسة بيروت ٣١ عضو من الأهالي، "بذلك ظهر انتعاش للحياة الروحية وطاقة بين الأعضاء، وأيضا تزايد انتباه المجتمع لموضوع الدين"^(٢).

ولكن أصيبت الأعمال التبشيرية للإرسالية الأمريكية خلال عام ١٨٦٠ بالتوقف، وذلك بسبب مذابح الستين الشهيرة في الشام، حتى سمي ذلك العام "عام التوقف"^(٣) والملفت للنظر أن الإرسالية شجعت المنضمين إليها من الأهالي على الاجتماع سويا في الاثنيين الأول من كل شهر، وهؤلاء عملوا على المساعدة في نفقات التعليم وافتتاح أنشطة أهلية يتولون هم الإنفاق عليها، ولكن في الوقت ذاته ابتداء من عام ١٨٦٢م بدأت المعارضة المنظمة والجادة ضد البروتستانت من جانب كنائسهم القديمة في الظهور^(٤) وخلال عام ١٨٦٤م عانت الإرسالية من المشكلات العديدة مثل: القحط والطاعون الذي أصاب البلاد، مما اضطر عدد من المبشرين للخروج من بيروت، بالإضافة للمقاومة العنيفة من جانب الكنائس الوطنية، والإرسالية اليسوعية، وأيضا المسلمين، ولكن في أبريل من نفس العام، بدأت المشاكل في الاختفاء، وتم قبول ٦ من المتقدمين للكنيسة ومن بين هؤلاء شباب صغار، ورؤوس عائلات، وجميعهم اثبتوا عزم صادق لخدمة الله. كما تم قبول ثلاث سيدات "وبذلك فقد بعدت السحابة التي تعلقت فوق الكنيسة بقدر كبير. وقد أتم الله وعوده" وذلك على حد قول التقرير^(٥).

(1) Missionary Herald, June, 1856, Beirut: Annual report, Pp 177,181.

(2) Missionary Herald, May, 1859, Station Reports, pp. 131-142.

(3) Missionary Herald, March, 1861, station Reports. Pp. 134- 142.

(4) Missionary Herald, July 1862. Beirut : Letter From Mr. Jessup Pp. 251-253.

(5) Missionary Herald., April, 1864. Annual report of The Beirut. pp. 105-110.

وبعد ذلك وفي عام ١٨٦٧م انضم للكنيسة ١١ شخصاً منهم فقط اثنيان ولدا للأبوين بروتستانتين، واثنيان منهم كانا يدرسان بمدرسة عيية العليا، وثلاثة عاشوا لسنوات عديدة في عائلات من المبشرين^(١) وبذلك نجد أن التعليم كان في الأساس وسيلة للتصير، ونتيجة لهذه الجهود فقد رأى مجلس الإرساليات الأمريكي أن يهنئ الإرسالية في بيروت على نشاطها، وعلى الانتعاش الناتج عن جهودها، خصوصاً بعد أن نجحت الإرسالية في استخدام الطباعة في إعداد الترتيلة "الترنيمية"، وتوفيق الموسيقى الأمريكية للغة العربية، وذلك يأتي بتأثير أكبر على الناس وخصوصاً المنضمين للإرسالية^(٢).

وأنشئت "جمعية بيروت الإنجيلية" التي هدفها نشر الإنجيل، وكانت تتلقى التبرعات لطبع وبيع الكتب الدينية البروتستانتية التي يؤلفها أعضاء الإرسالية^(٣). وأقيمت الاحتفالات الدينية في كنيسة بيروت، من ذلك ما حدث في الاحتفال بمرور ٤٠٠ عام على وفاة مارتن لوثر، وخطب فيه فارس نمو عن "احتفال الشعوب بميلاد لوثر، كما خطب إبراهيم سركيس في "الشراة وتدنيس يوم الرب، وحب الشهوات، وعموم الرذائل، والتواني في الروحيات والمقاومة العلنية للأمور المقدسة" حيث دعا فيها للتمسك بالبروتستانتية والبعد عما سواها^(٤).

وجرت محاولات لاتحاد الكنائس الإنجيلية في "سنودس"^(٥) خاص بهم، وعقد الاجتماع في ٧ أبريل سنة ١٨٨٤م في كنيسة بيروت، وخطب

(1) Missionary Herald, May 1867. Letter From Mr. H. Jessup. Pp. 145-199.

(2) Missionary Herald, Oct. 1867. Annual Meeting Of The Board: p. 337.

(٣) النشرة الأسبوعية : ٢٦ تشرين الثاني ١٨٧٢م، العدد ٤٨، ص ٣٨٢ .

(٤) النشرة الأسبوعية : ١٨٨٤، ص ١٢٨، ص ٣ راجع أيضاً النشرة الأسبوعية:

الاثنين ٢٨ نيسان، ١٨٨٤، العدد ١٨، ص ١٣٧، ص ١٣٨ .

(*) سنودس : هي في الأصل كلمة يونانية بمعنى : مجمع .

فيهم د/ أدي William Addy في نظام الكنيسة، وتم الاتفاق على الاجتماع مرة ثانية في يونيو من نفس العام^(١).

وبذلك فقد لعبت الإرسالية الأمريكية في بيروت دوراً كبيراً من النشاط في إيجاد طائفة بروتستانتية في بيروت من العدم، وأسست الإرسالية أول كنيسة إنجيلية في العالم العربي في عام ١٨٤٨م في بيروت، وبعد اعتراف الدولة العثمانية بالبروتستانت ساعدهم ذلك في العمل ولا سيما بعد المساعدات التي كانوا يحصلون عليها من جانب القناصل الإنجليز والأمريكان، والاحتفاء بالامتيازات الأجنبية.

يلاحظ كذلك أن تكوين الطائفة البروتستانتية كان في الأساس على حساب الطوائف المسيحية الأخرى والدروز، أكثر مما هو بين المسلمين الذين كان العمل بينهم صعب، لذا بدء بينهم بالتعليم لمحاولة زحزحتهم عن دينهم.

ج - محطة القدس :

للقدس مكانة خاصة في الفكر الديني المسيحي عمومًا والبروتستانتية خصوصًا لإيمانهم بالعقيدة الألفية وعودة المسيح، لذا نالت أهمية كبيرة في عمليات التبشير الأمريكي في بلاد الشام.

وبدأت الإرسالية نشاطها بالمبشرين فسك "Fisk" وبارسنز "Parsons" اللذين غادرا بوسطن "Boston" في خريف ١٨١٩م^(٢)، فكانا بذلك أول مبشرين بروتستانت يزوران القدس بغية العمل التبشيري فيها، ولكن بعد عدة شهور غادرا القدس للاضطرابات الموجودة فيها، ولم يعودا

(١) النشرة الأسبوعية: بيروت، الاثنين ١٣ نيسان ١٨٨٥، العدد ١٥، ص ١١٩.
 (*) يغفل د/ علي المحافظة وغيره من ذكروا بدايات الإرسالية الأمريكية في القدس الرحلة الأولى لفسك وبارسنز ١٨١٩م ويعتبروا عام ١٨٢٣م هو البداية الفعلية للإرسالية الأمريكية في القدس، راجع علي المحافظة: (دكتور) الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٣ - خالد نعيم: مرجع سابق، ص ٥٢.

إليها مرة أخرى إلا في ١٨٢٣م،^(١) وكانت هذه الزيارة أشبه بالاستكشاف للقدس وأجوارها، ومدى مناسبة هذه الأماكن للعمل التبشيري^(٢)، ولم تكن هذه المحطة حتى ذلك الوقت محطة أساسية.

وكانت أعمال المبشرين الأمريكيين حتى ذلك الوقت قاصرة على الوعظ والصلاة أيام الأحاد، وكان يقوم بذلك المبشر "هوايتن" في مكتبة ولا يحضر الوعظ سوى ستة أشخاص، بالإضافة لوجود مدرسة الأحد في بيت لحم^(٣) وبعد استقرار الإرسالية في المركز الرئيسي ببيروت بدأ التفكير في إقامة المحطة الأخرى "القدس" فبدأ الاستكشاف مرة أخرى للاستقرار في القدس وأجوارها.

بدأ المبشر الإنجليزي نيكولايسون "Nicolayson" والذي يعمل في إطار الإرسالية الأمريكية. يطلب المساعدة من الإرسالية للاستقرار في القدس، منذ بداية عام ١٨٣٤م، ولكن المسؤولين أجلوا النظر في ذلك الموضوع حتى يزداد عدد المبشرين مرة أخرى^(٤)، ولكن المبشر طومسون "Thomson" وزوجته قررا الانضمام لنيكولايسون وإقامة مركز تبشيري أمريكي في القدس ابتداء من أبريل ١٨٣٤م^(٥) ولم يكن هذا الأمر بالسهل فقد لاقوا العديد من الصعاب في البداية، خصوصاً في ظل الثورة على الحكم المصري آنذاك، والمعارضة الشديدة من جانب الكنائس الوطنية، التي بدأت تتنبه لخطورة التبشير البروتستانتي الأمريكي على أتباعهم، وأيضاً المسلمين الذين استاءوا من وجودهم داخل المدينة المقدسة^(٦).

(1) Memoir Of Asaad Eshshidiak. Op. Cit., p8.

(2) Missionary Herald, March 1829, Journal Of Messre, Fisk and King, at Jerusalem, p.p. 65 – 71.

(٣) مذكرات كترنيلوس فان ديك : الهلال، مجلد ١٤ الجزء الرابع عام ١٩٠٦، ص ٢٢ .

(4) Missionary Herald. April, 1834, A General Letter From The Missionaries.pp. 201-208.

(5) Missionary Herald, April 1834, Syria, Vol.30 (1834) p.192.

(6) Missionary Herald, May 1869, Woman, A Work trial and Trust Mr. Eliza N. Thomson By Mrs. Or Anderson, pp172 – 174.

ولم يكن بالقدس أى كنيسة إنجيلية، لذا بدأت التدابير لإقامة كنيسة خصوصاً فى ظل وجود كنائس لكل الطوائف المسيحية واليهودية ومساجد للمسلمين^(١).

وحتى عام ١٨٣٩م لم يكن بالشام كلها أى محطات تبشيرية للإرسالية الأمريكية سوى فى بيروت والقدس، التى كانت الظهير الأيمن لهم أثناء حرب الدولة العثمانية لإخراج محمد على من الشام عام ١٨٤٠، فقد لجأوا إليها هرباً من حصار بيروت^(٢).

عملت الإرسالية الأمريكية بالقدس على نشر دعوتها فى البلاد القريبة من القدس، وذلك بذهاب المبشرين إليها، ونشر الكتب التى يطبعونها فى بيروت فى هذه البلاد مجاناً أو بأثمان زهيدة، مثلما حدث فى الرملة، وغزة، كما فى وسط الحجاج المسيحيين الذين كانوا يزورن القدس للحج، حيث يلتقى المبشرون بهم فى أماكن زيارتهم وإقامتهم^(٣).

ولكن العداء للمبشرين الأمريكيين قد ازداد بشكل كبير أصبح يؤثر على عملهم، ويذكر مستر ويتنج Whiting فى خطاب له قوله "وخوفاً ممن أن يعتمدوا على الحقيقة، والعدل (على حسب قوله) أو أن يتركوا الناس يحكمون على ديننا من خلال ثماره ونتائجه، فإنهم عمدوا للكذب كملجأ لهم وملء الناس بالخوف من معتقداتنا وذلك بجعلهم يعتقدون أننا وثنيون" ويسوق الخطاب حادثة انسحاب المسلمات من المدرسة، حيث نجح الراهب اللاتينى

(١) وهذا مع غياب "كنيسة للمسيحية النقية التى بدت وحدها كغريب" على حد قولهم، فقد كانوا يرون أنهم الطائفة المسيحية الوحيدة التى على حق وأن بقية الطوائف المسيحية الخرى على باطل وغير أنقياء.

Missionary Herald, Oct., 1855. London Jew's Society. Pp. 389-385.

(٢) مذكرات كرنيلوس فانديك: الهلال، مجلد ١٤، الجزء الرابع، عام ١٩٠٦، ص ٢٠٠ - انظر أيضاً: المقتطف - الجزء ١٢، العام ١٩، ديسمبر ١٨٩٥، ص ٨٨٣.

(3) Missionary Herald, Sept., 1835, Journal Of Mr. Thomson at Jerusalem, pp491-351.

فى إقناع المسلمين بمنع بناتهم من الذهاب إلى مدرسة الإرسالية الأمريكية لأن الراهب أقتنعهم بأن المدرسة وثنية شريرة^(١) عديمة الدين^(٢) . وبالرغم من المصاعب، عملت محطة القدس على تقديم الخطب والعضات الدينية، والتدريبات على الإنجيل، وإقامة القداسات العديدة، وذلك للتوصل بهذه الأنشطة لأعمال التبشير بين الطوائف المسيحية الشرقية، وأيضاً بين المسلمين وإن كان بشكل أقل^(٣) . كما استمر الوعظ باللغة الإنجليزية أيضاً فى منزل الإرسالية صباح كل أحد، وكان ينضم إليهم فى هذا القداس كثير من المسافرين الإنجليز والأمريكيين^(٤) . ووصل النشاط التبشيرى لمحطة القدس إلى مختلف البلاد المحيطة بها، حتى جبال نابلس التى يذكر التقرير "أنها مشجعة بشكل مغرى جدا للمجهود التبشيرى، الذى لم تصله أقدام مبشرين آخرين حتى ذلك الوقت"^(٥) . وفى إطار التنسيق بين الإرساليات البروتستانتية للعمل فى القدس، فقد خفف الأمريكيون من وجودهم فى القدس لصالح الإنجليز^(٦) والبروسيين

^(١) هدف المبشرين من إنشاء المدارس ليس نشر العلم ولكن خدمة التبشير والدعوة للمسيحية على المذهب البروتستانتي، فالغاية هى قيادة الناس إلى المسيح حتى يصبح الناس شعوباً مسيحية بروتستانتية. محمد بن ناصر الشترى : مرجع سابق ، ص ١٧ .

(1) Missionary Herald, Feb., 1836, Journal Of Mr. Whiting at Jerusalem, Pp.353.-53.

(2) Missionary Herald, Sept., 1838, Journal Of Mr. Whiting at Jerusalem. Pp 333-336.

(3) Missionary Herald, Oct., 1838, Report Of station at Jerusalem for the year ending, March 1838, Pp. 420- 422.

(4) Missionary Herald, Oct., 1838, Report of the Station at Jerusalem For the year ending, March 1838. p.423.

^(*) وهنا يطرح التساؤل: لماذا وافق الأمريكان على ترك القدس للإنجليز والألمان ؟ ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الإرسالية الأمريكية التى تعمل محتمية بالنفوذ الإنجليزى فى الشام وفى الدولة العثمانية كلها، عملت على الاستجابة لهذا الطلب الإنجليزى والانسحاب لأرض لا تشاركها فيها إرسالية أخرى مثل أجوار القدس، وكذلك بيروت .

"الألمان". ورحلوا هم إلى المناطق الواقعة شمال النافورة وغيرها من المدن الفلسطينية^(١). وفي عام ١٨٤١م تم تأسيس أول أسقفية إنجليزية ألمانية في القدس، وبناء كاتدرائية بروتستانتية [كنيسة المسيح - دشنت ١٨٤٩] وتكفلت بنفقاتها إنجلترا وألمانيا على قدم المساواة^(٢).

وعملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بالتعليم ونشر المدارس في القدس في إطار خطتها لتتصير اليهود، كما عملت على توزيع الكتب وخصوصاً في الأرض المحيطة بالقدس .

وابتداء من عام ١٨٥٧م تم تأسيس قنصلية لأمریکا في القدس، بعد أن كان لها وكيل قنصل، وأول قنصل عمل في القدس هو "لكتور جون وارن جورهام" والذي عمل على بسط رعايته على المحطة الأمريكية في القدس^(٣).

وقد عملت محطة القدس على الاهتمام بالنواحي الجغرافية والأثرية، وكل ما من شأنه العمل على تحقيق الحلم الألفى للبروتستانت، فرسمت خريطة لفلسطين ونهر الأردن بُدئ فيها عام ١٨٧٢، واحتوت على معلومات أثرية وتاريخية وجغرافية وافية^(٤) كما اهتموا بإنشاء المستشفيات من ذلك مستشفى "نابلس" وكانوا يقبلون فيه المسلمين للتداوي، بشرط أن يتلوا الكاهن - وهو للطبيب - عليهم صلاة البروتستانت الدينية، والمسلمون يدخلونه مضطرين إذ لا مستشفى ولا طبيب عندهم^(٥).

(١) تيسير أحمد حسين وهابية : القدس في القرن التاسع عشر ١٧٩٩ : ١٨٩٨، رسالة ماجستير غير منشورة آداب سوهاج، قسم التاريخ، ١٩٨٢، ص ٢٥٨

(٢) الكزاندر شولش: تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢ - دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ترجمة كامل جميل العسلي، دار الهدى، الأردن ١٩٩٠، ط ٢، ص ٦٣ .

(٣) تيسير وهابية : مرجع سابق، ص ٢٦٠ .

(٤) علي المحافظة: مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٥) النبراس: الجزء العاشر، المجلد الأول، ١٣ كانون الأول ١٩٠٩، ص ٣٨٣ .

وعملت الإرسالية الأمريكية على تهيئة الأذهان لعودة اليهود للوطن القومي لهم - كما آمنوا بذلك - فهم حسب اعتقادهم شعب الله المختار، لذا كانت المحاولة للبحث عن الأماكن الجغرافية التي ذكرتها التوراة، وإطلاق الأسماء التوراتية عليها، ولم تؤد هذه الدعوة لإقناع اليهود فقط، بل عدد كبير من الأمريكيين الذين ذهبوا للقدس انتظارا لعودة المسيح^(١).

د - محطة عيبه :

منذ بداية النشاط الفعلي للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام عام ١٨٣٤م كان نشاطهم قاصرا على بيروت والقدس حتى عام ١٨٣٩م، ومنذ نهاية العام عمل المبشرون على توسيع نشاطهم وخصوصاً بين الدروز فوق الاختيار على منطقة عيبه لإقامة محطة تبشيرية بها، فهي موقع مناسب، وتضم اخلاط من المورانة، والدروز والأروام الأرثوذكس. ولكن النزاع بين الدروز والمورانة وحروب ١٨٤٠م أجلت المشاريع التبشيرية بعيبه مؤقتاً.

ومنذ عام ١٨٤٣م ذهب إليها كرنيليوس فانديك ووليم طمسن والمبشر هوايتن، واشترت الإرسالية قطعة من الأرض عليها بناء قديم أصلحوه وجعلوه مسكناً للمبشرين، وأقاموا عليه كنيسة عيبه^(٢) وفي محطة عيبه قرر المبشرون نتيجة لاحتياجات خاصة لهم، أن يقرروا الدكتور كرنيليوس فانديك قسيساً ليقوم بواجبات دينية علاوة على ما كان يقدمه من خدمات طبية وجرى ذلك في احتفال ديني أقيم بكنيسة عيبه بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٨٤٦م وأشرف على سيامته زملاؤه في الإرسالية، وكانت هذه المناسبة أهم مناسبة للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام^(٣).

(١) المرشد: العدد ١٨، السنة الثانية عشرة، الجمعة ٢٩ أبريل ١٩٤، ص ١٣٩.
- انظر أيضاً: عارف العارف: تاريخ القدس، دار المعارف، القاهرة،

١٩٥١، ص ٢٦٢.

(٢) مذكرات كرنيليوس فانديك: الهلال، مجلد ١٤، عام ١٩٦٠، الجزء الخامس، ص ٢٧٦.

(٣) يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص ٦١.

وأقيمت الخدمات الدينية فى عبيه، فقد كان هناك قداس يقيمه المبشر "ويتنج" ووجد قداس آخر كان يقيمه المساعدون الوطنيون فى منزله، وكان عدد الحضور يتراوح ما بين ٣ إلى ١٨، وكان يتم فيها إقامة دروس وعظ فى الكتاب المقدس^(١).

ولم تكن الخدمات التبشيرية قاصرة على المحطة الرئيسية فى عبيه فقط بل امتدت لـ ٤ قرى حولها، وكان معدل حضور الدروس يتراوح ما بين ٦٠ : ٧٠ شخصاً وهو عدد كبير شجع المبشرين وأثلج صدورهم، كما أن مدارسهم أتت بثمارها فقد كان كل تلاميذها يحضرون الوعظ الذى تقيمه الإرسالية ومعهم أبائهم وجيرانهم، وهو ما ساعد على نشر الأفكار التى ترغب الإرسالية فى نشرها، وهو جو مناسب ومثالى للعمل^(٢)، كما حققت المحطة نجاحاً ملموساً فى إيجاد عدد من المساعدين الوطنيين لمساعدتهم فى أعمال التبشير وخصوصاً التبشير، المتنقل بين القرى والمدن التابعة لعبيه^(٣)، ولكن قامت الكنائس المحلية فى عبيه بدور كبير جداً فى نقد عمل المبشرين الأمريكين، فى محاولة لوقف نشاطهم المعادى الذى يستهدف تحويل أتباعهم للبروتستانتية، فيعترف تقرير للإرسالية فى ١٨٥٠م "بأن هناك فى القرية شعور قوى ضدنا باعتبارنا مبتدعين دينيين حتى أن أى شخص يحضر اجتماعاتنا يصبح رجلاً مميزاً"^(٤).

والملاحظ أنه مع ازدياد النشاط التربوى والتعليمى للمؤسسات التابعة للإرسالية فى عبيه، كان يتزايد معها النشاط التبشيرى، حيث ينضم عدد من الطلبة فى مدارسهم لحضور دروس الوعظ، والقداس، وكذلك الصلوات، ففى بدايات عام ١٨٥١م يرصد تقرير محطة عبيه، ازدياد عدد حضور الخدمات التبشيرية، وذلك لإضافة تلميذات من المدرسة الداخلية للبنات، وأيضاً عدد

(1) Missionary Herald , June, 1847. Report of The Station at Abeih.

(2) Missionary Herald ,June, 1849. Report Of The station at Abeih.

(3) Missionary Herald, June, 1847. Report Of The station at Abeih.

(4) Missionary Herald. Aug., 1850. Abeih, Report Of The Abeih station for 1849.

من طلبة المدرسة العليا في عبيه، لذا أقيم لقاء صلاة أسبوعي باللغة العربية^(١).

ومن خلال تقارير الإرسالية يمكننا أن نرصد تقدم في أعمال محطة عبيه التبشيرية ابتداء من ١٨٥٢م حيث يرصد تقرير ذلك العام، حضور عدد أكبر للوعظ ودراسة الكتاب المقدس فيذكر التقرير "لدينا سبب يجعلنا نعتقد أن تبشيرنا لم يذهب سدى. فأكثر من خطبة عادية التي سادت مؤخرا لقاءاتنا، جعلت بعض العقول تتيقظ لتسأل باهتمام خاص عن طريق الإنقاذ"^(٢). وفي الوقت ذاته فقد استخدم أسلوب المناظرات لتوضيح الفروق المذهبية بين البروتستانت والمذاهب الشرقية الأخرى وخصوصا الأرثوذكس والمورانية، ونتج عن هذا الأسلوب انضمام عدد من الشباب للكنيسة الأمريكية البروتستانتية في عبيه. ويذكر تقرير للإرسالية لعام ١٨٧٥م أن عدد حضور درس الوعظ التبشيري المعتاد يتراوح ما بين ٦٥ و ٧٠، ومعظمهم من طلاب المدرسة العليا وشباب من عبيه وقراها، أما الإناث فبلغ عددهن من ٨ : ١٠ حاضرات، وهو عدد كبير في ظل ظروف المجتمع آنذاك التي تمنع وتقيّد حرية المرأة في كافة المجالات، ونتج عن هذا النشاط أن تزايد عدد أعضاء كنيسة عبيه إلى ٢٢ عضوا^(٣). وفي عام ١٨٥٩م ازداد العدد إلى ٢٦ عضوا، بعد أن انضم لها أربع "زوجات وأمّهات". وهذا مهم جدا للمحطة في عبيه لأنه يعطيها الأمل في أن تؤثر هؤلاء الزوجات في عائلاتهن ويتحولن للمذهب البروتستانتية، ومن هنا كان اهتمام الإرسالية الشديد بالسيدات لدورهن الكبير المنتظر منهن^(٤).

ولم يكن النجاح الذي لاقاه المبشرون في محطة عبيه قاصرا عليها، فقد وجد نفس النجاح في المدن القريبة منها مثل "بحمدون" حيث كان يعمل المبشر بنتون "Mr. Benton" وسط ٤٠ ألفا لا يوجد بينهم - على حد قول

(1) Missionary Herald, April, 1851, Report Of The Abeih station, p p 195-201.

(2) Missionary Herald, May, 1852. Abeih: Annual Report. Vol. 48 (1852) Pp. 144-148.

(3) Missionary Herald, April, 1857. Report Of Abeih station.

(4) Missionary Herald. June, 1860, Station Reports (Abeihand Suk El Ghurb) Vol. 56 (1860) pp. 164-171.

التقرير - واحد من المفترض أن لديه معلومة مفادها أن المسيح ضروري للخلاص" وذلك من وجهة نظرهم هم . ويشير التقرير إلى أن هذا المبشر قد حقق بعض النجاح في تلك المدينة حتى أنه بدأ التفكير في إقامة كنيسة إنجيلية في بحدون^(١).

ويرتبط التقدم في أعمال التبشير بعد عام ١٨٦٠م في جبل لبنان عموماً، ومحطة عيبه على وجه الخصوص، بتولية داود باشا^(٢) متصرفية جبل لبنان، فيذكر تقرير الإرسالية في ١٨٦٣م "إن الحقيقة البسيطة الآن (آنذاك) هي أنني أنا مستر بيرد وكل مساعدينا الأهلين نعيش في أقصى قدر من الحرية ليلاً ونهاراً وقتما نرغب، ونقيم أينما نرغب، ونعظ كما نرغب، دون أى عائق، ... وقد كان داود باشا لديه العديد من البروتستانت في العمل حوله، ومن بينهم اثنتان إنجليزى وسورى في مراكز هامة جداً، وكان يستشيرهما ويثق في رأيهما كثيراً"^(٣).

وبذلك فقد قامت محطة عيبه بأكبر الأدوار في خدمة الحركة التبشيرية في جبل لبنان، وكانت المركز الأساسى للإرسالية الأمريكية في الجبل، كما أنها استفادت، جداً من الأحداث التى أعقبت مذابح الستين وخصوصاً بعد تعيين داود باشا متصرفاً لجبل لبنان .

(1) Missionary Herald, June, 1856. Bahmadun: Annual report, pp. 179- 180.

داود باشا : هو أول متصرف لجبل لبنان بعد إقامة نظام المتصرفية عام ١٨٦١م ، وهو أرمنى كاثوليكي ، وكان ذا ثقافة أوربية ، وقد وصل إلى بيروت في أوائل شهر يوليو ١٨٦١م ، واحتفى به فؤاد باشا ناظر الخارجية العثمانى والذى كلن موجودا في بيروت وقدمه إلى ممثلى الدول الأوربية ، كان مقره الرسمى في دير القمر ، واستمر في الحكم حتى عام ١٨٦٨م . وقد نص القانون الأساسى لجبل لبنان على منح كل حقوق السلطة التنفيذية للمتصرف ، وله الحق في تعيين مأمورى الإدارة المحلية ، ويتولى رئاسة المجلس الإدارى الكبير . عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق ، جـ ٣ ، ص ١٥١٨ ، ١٥٢٦ .

(2) Missionary Herald, July 1863, Abeih: letter From Mr. Calhoun.

هـ - محطة صيدا :

عملت الإرسالية الأمريكية على إقامة محطة لها في صيدا لخدمة الأعمال التبشيرية في هذه المنطقة، خصوصا حاصبيا وعلما والجديدة وهي مناطق جديدة وخصبة بالنسبة للإرسالية الأمريكية ويكثر فيها الأروام الأرثوذكس والمورانة والدروز وهم الهدف الأساسي للإرسالية .

سبق إقامة محطة صيدا عمل فردي للمبشرين، فمنذ بداية عام ١٨٣٢ قام يوحنا ورتابت بالدور الرئيسي في هذه المرحلة وهو أرمني تمذهب بالمذهب البروتستانتي، وتدرّب معهم على التبشير في مالطة، عاد لصيدا حيث أخذ يدعو للمذهب البروتستانتي ويمهد الأرض للمبشرين الأمريكيين، وقام بعض المبشرين الأمريكيين بزيارته لمحاولة استكشاف صيدا وأجوارها^(١) كما سبق إنشاء المحطة إنشاء العديد من المدارس في صيدا وحاصبيا، وتدرّس الكتاب المقدس فيذكر تقرير في بداية عام ١٨٥١م " وكمية المعلومات الدينية التي يكتسبها الأطفال في مدارسنا كبيرة جدا وما يسعد حقا، هو ما اكتسبه الأطفال من كل الملل الدينية في هذا المكان"^(٢) .

وعندما شعر المبشرون بأن الجو أصبح مناسباً أكثر للعمل في صيدا وأجوارها بشكل مطمئن بعد نشاطها التعليمي والخدمي هناك، عينوا في عام ١٨٥١م كل من الدكتور وليم طمسن والدكتور فانديك للتبشير في صيدا وضواحيها، وبما في ذلك صور وحاصبيا ومنطقة الحولة وعكا، وبذل المبشرون نشاطا كبيرا، في أعمالهم^(٣) وما يلفت النظر بداية استخدام العناصر الوطنية التي تم تدريبها على العمل التبشيري في حاصبيا وعلما وغيرها مثل بطرس البستاني"، وأبو بشارة طنوس الحداد، وإلياس فواز^(٤) .

(1) Missionary Herald, April, 1832, Extract from Journal of Mr. Whiting. pp 106 – 111.

(2) Missionary Herald, July 1837. Journal of Mr. W- M. Thomson on Mount Lebanon, pp. 97 – 98.

- Missionary Herald, Jan, 1851, Letter from Mr. Whiting, July 23, 1850. Pp 20-24.

(٣) يوسف فرماخوري: مرجع سابق، ص ٦١ .

(٤) مذكرات كرنيلوس فانديك: مرجع سابق، ص ٢٧٦ .

ومن خلال تقارير محطة صيدا يتضح لنا المجهود الكبير الذي بذلته في الأعمال التبشيرية، فقد أقيم قداسان في صيدا في كل يوم أحد، وكان معدل الحضور يبلغ ما بين ٥٠ و ٦٠ شخصاً، ومنهم عشرون مستمعون منتظمون^(١) وإلى جانب ذلك وجد لقاء مسائي مرتين في الأسبوع يتم فيه تدريس الإنجيل، وكذلك تجرى المناقشات عن الفروق المذهبية، إضافة لذلك يتم إقامة حفلة غنائية شهرية يحضرها عدد كبير من المستمعين، لذا فمعدل الانضمام للكنيسة كان في ازدياد^(٢) ويذكر تقرير لمحطة صيدا في عام ١٨٥٤م أن العمل التبشيري في صيدا كان يسير بانتظام شديد "والانتباه إلى التبشير بالإنجيل مميز ومهيب، وهناك تقدم واضح في المعلومات الدينية، ليس فقط لدى هؤلاء الذين يحضرون الاجتماعات ولكن لدى عدد كبير من أصدقائهم ورفقائهم الذين يتناقشون معهم بانتظام في الموضوعات الهامة في الكتاب المقدس" هذا بالرغم من المعارضة القوية التي قوبلت بها أعمال المبشرين من قبل الأكليروس الماروني^(٣) ونتج عن هذا النشاط الكبير الذي بذله المبشرون في محطة صيدا إقامة كنيسة في حاصبيا ١٨٥١م، وكنيسة في صيدا ١٨٥٥م.

وبعد أحداث ١٨٦٠م انتقل العديد من العائلات من حاصبيا وصيدا لبيروت، فقدمت لهم الإرسالية العديد من الخدمات لتخفيف المعاناة عنهم، كما استمرت الإرسالية تقدم لهم الخدمات الدينية في محطة بيروت التبشيرية^(٤). كما تأثر العمل التبشيري في محطة صيدا مؤقتاً، خصوصاً بعد موت اثنين من المساعدين من الأهالي، ونجح العديد من البروتستانت، وعانت المحطة ومدارسها وأتباعها من الانهيار^(٥) ولكن هذا الانهيار لم يستمر فابتداء من يناير ١٨٦٢ يصف التقرير حالة النشاط التي دبّت في المحطة، ووجود عدد من الذين انضموا لعضوية الكنيسة^(٦) غير أن أبرز ما حدث في محطة صيدا، وانفردت به عن بقية محطات الإرسالية في الشام، هو النشاط الكبير

(1) Missionary Herald, July, 1853, Sidon: Annual report.

(2) Missionary Herald. May, 1854, Sidon: Annual report. Pp 130-137.

(3) Missionary Herald, April, 1854, Annual Report. Sidon: Pp 130-137.

(4) Missionary Herald, Feb, 1861, Letter from Mr. Jenup.

(5) Missionary Herald, May, 1861, Station Reports Sidon Vol. 57

(1861) pp 134-142.

(6) Missionary Herald, April, 1862, Letter From Mr. Jessup. P123.

للأعضاء الوطنيين الذين بدأوا ممارسة العمل التبشيري بإقامة الاحتفالات، وجمع التبرعات للأعمال الخيرية التي يقومون بها، وإقامة دروس الوعظ في صيدا والمناطق المحيطة بها، وأدى هذا النشاط لانضمام سبعة أشخاص للكنيسة^(١).

ونتيجة لنشاط محطة صيدا تكونت في ١٨٨٣م أبرشية^(٢) صيدا المشيخية، وذلك لأن نظام الكنائس الإنجيلية يتطلب إقامة شيوخ مدبرين في كل كنيسة، وأقيمت ١١ كنيسة وتم ترسيم قسوسها الأهلين، وعقد الاجتماع الأول للأبرشية في قرية الجديدة، وعين من كل كنيسة شيخ واحد ليكون وكيلها في المشيخة السنوية المؤلفة من قسوس الأبرشية^(٣) والغرض من هذه المشيخة تمكين عوامل التعاون بين الكنائس وتمرينها على أشغالها^(٤) وبذلك بدأت الإرسالية الأمريكية تترك أعمالها رويدا رويدا للوطنيين الشوام الذين انضموا إليهم وتعلموا على أيديهم كيفية العمل التبشيري، وهي استراتيجية للإرسالية الأمريكية سنراها كثيرا فيما بعد .
و- محطة طرابلس :

في إطار سياسة الإرسالية الأمريكية في الشام في إنشاء المحطات التبشيرية في داخل الشام وعلى الساحل بجانب المحطة الرئيسة في بيروت، عمل المبشرون على استكشاف ميناء طرابلس، خصوصا وهو يقع في مكان نموذجي بالنسبة للعملية التبشيرية، حيث تكثر به وبأجواره النصيريون وهم من أقرب الطوائف للمسيحيين، وعملت الإرسالية على العمل في وسطهم .

وفي تقرير مبدئي للإرسالية، عام ١٨٤٩م ، ذكر وجود العديد من العوائق في طرابلس ، تقف حجر عثرة أمام العمل التبشيري ، فيذكر التقرير "أن الناس ذوو جهل شديد بالدين الحقيقي .[يقصد البروتستانتية] وهم متعصبون، وقليل منهم الذي يستطيع القراءة، ونادرا ما كان لأحدهم عادة القراءة من أجل اكتساب المعلومات، وليس لديهم تذوق للكتب" . ولكن على الرغم من هذه العقبات التي واجهت المبشرين في طرابلس ؛ إلا أن التقرير يشير إلى وجود

(1) Missionary Herald, June, 1864, Sidon station Report pp. 182-183.

(*) أبرشية: هو مصطلح إداري كسرى يقصد به النطاق الجغرافي الخاضع لولاية الأسقف الأسقف المستول عن مجموعة كنائس، وهي من أصل يوناني . مجدى جرحس : السجلات القضائية لبطريركية القبط الأرثوذكس بالقاهرة ، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ٢٠٣ .

(٢) النشرة الأسبوعية، ٢٩ تشرين الأول ١٨٨٣، العدد ٤٤، ص ٣٥٠ ص ٣٥١ .

(٣) دارد فزمان : الجمع المشيخي في أبرشية صيدا، النشرة الأسبوعية، العدد ٣٩، ٢٧ أيلول

١٨٨٦، ص ٣٠٥ .

العقبات التي واجهت المبشرين في طرابلس ؛ إلا أن التقرير يشير إلى وجود أمل لديهم في إمكانية تحقيق تقدم فيقول : "ولكن على الرغم من هذه الأشياء فلدينا أمل وإذا كانت العوائق كثيرة وقوية، فإن قوة الحقيقة التي تسكن القلب عن طريق الروح لا تقاوم"^(١)، على حد زعمهم .

وبالفعل بدأت محطة طرابلس باثنتين من المبشرين هما ولسن "Wilson" وفوت "Foote"، وبالرغم من العوائق السابقة، فقد بدأ في تدريب تبشيري، ودروس في التوراة، وأعد لقاء في طرابلس المدينة كان يحضره ٣ : ٤ أفراد، ولقاء آخر في طرابلس الميناء، كان العدد فيه حوالي ٥ أفراد، وقام المبشر "فوت" برحلات في أجوار طرابلس^(٢) ويبدو من خلال تقارير الإرسالية أن العمل التبشيري قوبل بالعديد من المشاكل من قبل الأكليروس الأرثوذكس، إلى جانب وقوف بقية الطوائف المسيحية الأخرى والمسلمين ضد الأعمال التبشيرية الأمريكية ، مما دعا القائمين على المحطة للاعتراف: "إن مطامحنا للمستقبل ليست متفائلة"^(٣).

ومع المثابرة في العمل التبشيري، وإقامة القديسات وحفل شهري كان يحضره عدد من الأهالي، وبالإضافة لدروس التوراة والنشاط التربوي للمحطة بإنشاء عدة مدارس، كل ذلك ساعد في تخفيف حدة العداء ضد محطة طرابلس^(٤) وازداد عدد الحضور لاجتماعاتهم فوصل لما يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ فرداً منهم عدة إناث، وهو ما أدى لإنشاء كنيسة في طرابلس مما يمثل نجاحاً كبيراً للمبشرين الأمريكيين في طرابلس^(٥) . ويصف تقرير لعام ١٨٥٩ م أن العمل التبشيري في أجوار طرابلس في جبيل "Gebail" وعزوز وغيرها أصبح مجدى" أصبح يتخلله الضوء، وفي قرى متعددة، هناك طلب متزايد ووعود كثيرة بالخير"^(٦) ويذكر تقرير آخر لعام ١٨٦١م أن أعضاء

(1) Missionary Herald, March, 1849. Tripoli : Letter From Mr. Foote. December 1849. Pp. 101-102.

(2) Missionary Herald, April, 1852. Tripoli: station report.

(3) Ibid.

(4) Missionary Herald, April, 1854. Tripoli Annual Report. Pp, 105-106.

(5) Missionary Herald, May, 1859. Station Reports (Tripou), vol. 55 (1859), pp. 131-142.

(6) Ibid., pp. 131-142.

إليها الآخرين، في نفس الوقت كانوا يزورن الناس في بيوتهم، ويتحدثون معهم في الدين^(١) وأدى هذا النشاط والمثابرة على العمل في ظل تصميم المبشرين على النجاح، إلى أن أصبح هناك ٤٠ شخصا بروتستانتيا، وأكثر من ٢٠٠ فرد - لديهم استعدادا وميولا بروتستانتية، هذا في الوقت الذي كانت الكنائس الشرقية تهدد أتباعها بالحرمان إذا ما تعاونوا مع الإرسالية الأمريكية^(٢).

وبذلك فقد أصبح هناك محطة تبشيرية قوية في طرابلس. وفي طرابلس وأجوارها كسبت الإرسالية أرضا جديدة لصالحها على حساب الكنائس الشرقية والنصيريين.

ولم يكن النشاط التبشيري للإرسالية الأمريكية في الشام قاصرا على المحطات الرئيسية فقط، بل وجدت العديد من النشاطات البارزة لها في مدن أخرى: ففي دمشق وجدت إرسالية تابعة لـ "الجنة مرسلي أيرلندا وانضم إليها بعض المرسلين من الإرسالية الأمريكية، وذلك في ظل التعاون بين الإرساليات البروتستانتية، وكان المبشران الأمريكيان هما، "المبشر روبسن" والمبشر "بوتر" "Porter" الذي كان مهتما بأثار الشام وجغرافيته وارتباطها بالتوراة^(٣) وبنيت الكنيسة الإنجيلية الأولى في دمشق عام ١٨٦٤م، كما بنيت الثانية في عام ١٨٦٨م وساهمت في إنشائها مسزموط الإنكليزية، ولم يزد عدد البروتستانت في لواء دمشق عن ٦٧ شخصا عام ١٨٧٩م^(٤).

أما في حلب فقد بدأت الرحلة الاستكشافية الأولى في عام ١٨٤٠م بعد أن طلبت اللجنة الإدارية في بوسطن استكشاف سوريا الشمالية في حلب، فذهب إليها كرنيليوس فاندريك، ووليم طمس، وبيدل، ولكن الحروب ضد القوات المصرية ثم المنازعات بين الدروز والموارنة^(٥) أجلت العمل

(1) Missionary Herald, May, 1961, Station Report, pp 134-142

(Tripow) vol. 57 (1861).

(2) Missionary Herald, July, 1861, Syria Mission Tripoli: Letter from Mr. Lyons pp.203-206.

(٣) مذكرات كرنيليوس فاندريك: الهلال، الجزء الخامس، المجلد ١٤، العام ١٩٠٦، ص ٢٧٩.

(٤) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ٣٠٥. عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق،

ص ١٦٧. تيسير خليل الزواهرة: مرجع سابق، ص ٢٢.

(٥) مذكرات كرنيليوس فاندريك: مرجع سابق، ص ١٩٨.

التبشيري حتى عام ١٨٤٨م عندما أرسل إليها "فورد وبنتن" للتبشير بها، وأقيمت الدروس الوعظية بها ودراسة التوراة، وكان عدد الحاضرين حوالي ١٨٠ فرد في القديس منهم عدد من السيدات^(١) كما عمل المبشرون في أجوار حلب، ففي عديلب "Idlib" وهي قرية يسكنها ١٠,٠٠٠ نسمة بها عدد كبير من الأروام الأرثوذكس، ويذكر تقرير لعام ١٨٥٢ "وقد تجاوب مع المستر فورد" "Mr. Ford" ثلاثون شخصاً في عديلب، وأن نسبة غير عادية من المسيحيين في هذا المكان أنكياء"^(٢).

وأرسل المبشرون أيضاً مبشراً أهلياً للعمل في حمص بين المسيحيين هناك، ويصف تقرير للإرسالية "أن الزميل الأهلي الذي يعمل في حمص يقرر حالة مبشرة تدعو للأمل" هذا على الرغم من أن البروتستانت في حمص وهم عدد قليل منعوا من الأعمال التجارية وكان الجميع ممنوعين من التعامل معهم، وأيضاً كانوا مهددين بالموت من الكنائس الشرقية التي حاولت الدفاع عن وجودها"^(٣).

أما اللاذقية فكان أول مبشر أمريكي يصل إليها هو "القس يوسف بيتي" الذي وصل إليها في عام ١٨٥٩م وكان معه الإنجليزى "ليد" الذي اتخذ من قرية بحمرا من مقاطعة الكلية مقراً له^(٤) وحدثت العديد من المناوشات من جانب الكنائس الوطنية لأعمال المبشرين باللاذقية ، وقد قوبل ذلك العداء بصبر المبشرين الأمريكيين في محاولة لتخفيف حدته ومحاولة إيجاد ثغرة ينفذون من خلالها^(٥).

عملت الإرسالية الأمريكية على أن يعتاد الأهالي المشاركة في العمل الدينى وذلك تمهيداً لترك العمل كله بين أيديهم- فيما بعد وهذا يتفق مع سياسة عمل الإرسالية التي ترى أن العمل سوف يثمر أكثر لو قام به الأهالي أنفسهم .

(1) Missionary Herald - Feb 1852. Aleppo : letter from Mr. Ford, Oct. 22, 1851.

(2) Ibid.

(3) Missionary Herald, July, 1862. Beirut : Letter from Mr. Jessup. Pp. 251-253.

(٤) المعلم عيسى إسماعيل النصيرى: أعمال المرسلين في اللاذقية وجبالها، النشرة الأسبوعية، بيروت، الاثنين ٦ آب ١٨٨٣، العدد ٣٢، ص ٢٤٩ .

(٥) النشرة الأسبوعية: ٢ حزيران ١٨٨٤، عدد ٢٣، ص ١٧٨ : ص ١٧٩ .

فقد كانت هناك دعوة لأن يشارك الشوام أنفسهم في العمل التبشيري البروتستانتي، ويقوموا بدورهم كاملا في تحمل أعباء العمل التبشيري ، ففي مقال بعنوان مملكة شوا جنوبي الحبش ورد فيه "قهل تظنون أن الله يطالب أهل أوروبا أو أمريكا من جهة خلاص القبائل المتوحشة في عربستان - يقصد القبائل العربية في بادية الشام - كما يطالب شعب سورية به، اليس عليكم واجبات من جهة خلاص أبناء لغتكم الجالسين الآن في في الظلمة الروحية والعقلية؟ إن وقف أمامك رجل بدوى يوم الدين وقال لك أيها الأخ لماذا لم تخبرني عن طريق الخلاص فماذا تجاوبه؟ .. هل تقول لم أستطع أو لم أعرف بوجودك أو لم يخبرني أحد عنك"^(١) ومحاولة الإرسالية لتنظيم تبشير أهلى من خلال الأهالى أنفسهم استراتيجية معروفة للإرسالية التي تعمل على أن تتخفف هي من الأعباء بعد أن تثبت الجذور في التربة هتسى تتخلص هي نهائيا من هذا العبء وتخرج للعمل في مكان آخر، ولا تبقى إلا على حق الإشراف فقط .

ولقد حاولت الطائفة البروتستانتية العربية في الشام منذ ١٨٨٣م بالاشتراك مع جمعية "المرسلين الكنسية" تنظيم مجمع وطنى يتولى الإشراف على إدارة العمل في بلاد الشام، إلا أن هذه المحاولات لم تؤتى ثمارها إلا في بداية القرن العشرين حيث تأسس مجمع الطائفة الإنجيلية العربية^(٢).

وفى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٩م أعلن المجمع المسكونى - العالمى - التبشيري فى نيويورك "لأعضائه من الجمعيات والمبشرين فى كافة أنحاء العالم، وجوب دعوة الأهلين الذين قبلوا البروتستانتية على يد المبشرين أن يقوموا بنفقات "رعاتهم ومعلميهم" "وأن يبذلوا كل ما فى وسعهم فى سبيل التبشير بالإنجيل لأهل وطنهم" واعترف البيان " أن المساعدة الأجنبية غير المحددة مصدر كثير من الشرور"^(٣) والتضييق لدائرة الهدى إلى الإنجيل،

(١) النشرة الأسبوعية: يوم الثلاثاء ٢ كانون الثانى ١٨٧٢م العدد الأول ص ٣ .

(٢) تيسير أحمد حسين وهابيه: مرجع سابق، ص ٢٤٨ .

(*) "لقد تم تنظيم المجتمع التبشيري الأهلئ .. واستمر يزدهر خلال العام، بنشاط وحماس ونجاح، وهو ما قدم أفضل دليل على أن الكنائس الأهلية والمجتمعات البروتستانتية قادرة بل وراغبة فى أن تأخذ على عاتقها ليس فقط إدارة وتحمل عناء مؤسساتهم الدينية، ولكن أيضا العمل العظيم وهو نشر الإنجيل بين الأشخاص الريفين .

- Missionary Herald, May, 1863. Beirut Station Report pp. 136-139.

ولكن الذين اعتمدوا على أنفسهم فى القيام بنفقاتهم أخذوا ينمون نمو طبيعياً من أول أمرهم^(١) .

ووضح ذلك الرغبة الأكيدة لدى الإرسالية فى وجوب قيام الأهليين الذين انضموا إليها فى القيام بواجبهم كاملاً فى تحمل أعباء نفقات التعليم والكنائس وغيرها من الأنشطة، وكذلك قيامهم بالتبشير بين الأهالى، وألا يعتمدوا كلياً على الإرسالية وما تقدمه لهم من نفقات وخدمات، وبالفعل أخذت الإرسالية فى التخفف من هذه الأعباء رويداً رويداً، حتى تخلصت منها فى النهاية، بعد النجاح فى تأسيس مجمع أهلى قوى وقادر على تحمل هذه الأعباء. وأصبح هذا هو النواة الأولى للطائفة البروتستانتية فى بلاد الشام بل فى العالم العربى كله، وهو ما أثبت نجاح الإرسالية الأمريكية، بجانب مساعدة الإرساليات البروتستانتية الأخرى وإن كانت أقل قيمة ونشاطاً من الإرسالية الأمريكية.

ثالثاً- الأنشطة المساعدة للتبشير :

فشل المبشرون فى العمل بين المسلمين ؛ لذا ركزوا جهودهم فى العمل بين الطوائف المسيحية بهدف جذبها إلى المذهب البروتستانتى مستخدمين وسائل كثيرة مثل تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة من تطبيب وإقامة مستشفيات وملاجئ .

لقد سخر المبشرون الطب^(*) فى سبيل غايات، حسبك دليلاً على نوعها قولهم هم: حيثما تجد بشراً تجد الأما، وحيثما تكون الألام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيثما تكون الحاجة للطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير، وهكذا اتخذوا المبشرون الطب ستاراً، يقتربون تحته من المرضى^(٢) .

(١) المرشد: ٢٠ أكتوبر ١٨٩٩، العدد ٤١، ص ٣٤٣ .

(*) يتوافد المرضى على العيادة الخارجية، ويقوم الكاتب وهو واعظ انجليى بتحرير بطاقة له، كما تقوم الممرضة بمعرفة شخصية المريض وظروفه الخاصة، هذه التحريات كلها تصل تباعاً إلى مكتب قسيس المستشفى لتبويبها وتصنيفها .

ويلقى واعظ من قبل قسيس المستشفى قصة دينية قصيرة على جمهور المرضى المنتظرين فى مكان الانتظار، فإذا دخل المريض المستشفى فإنه يستمع لدرس دينى فى أصيل كل يوم، وقد يتبعه عرض بالفانوس السحرى، ثم توزع على المرضى النشرات لقراءتها والتسلى بها. إبراهيم خليل أحمد: مرجع سابق، ص ٦٠ .

- والمؤلف كان مشترا إنجليياً ولكنه أسلم وعمل على فضح وسائل التبشير .

(٢) مصطفى الخالدى وعمر فروخ: مرجع سابق، ص ٥٣ .

فقد كان الأطباء والممرضات في كل المستوصفات والمستشفيات التي أنشأتها الإرساليات في كافة أنحاء بلاد الشام خير عون للتنصير والمنصرين، فقد كانوا يرتدون زي ملائكة الرحمة، يقدمون العلاج، ويسهرون على راحة المرضى، ويقومون بكافة الخدمات مجاناً أو بأجور رمزية جداً ويتم ذلك كله باسم المسيح ومن أجله، ليصبح في النهاية هو "الشافى" - حسب قولهم - وهو الذى يقدم لهؤلاء المرضى الخير والراحة والشفاء^(١).

فى ٦ فبراير ١٨٦٨م قدم الدكتور كرنيليوس فانديك تقريراً لرئيس الكلية السورية الإنجيلية. عن سعيه لدى القس أدامز "Adams" من كنيسة نيويورك لإنشاء مستوصف لأمراض العين، وأنه أرسل إليه ١٢٠٠ دولار أمريكى لهذه الغاية، ووعده بإرسال المزيد من الدراهم كلما دعت الحاجة وأخذ "فانديك" فى تأسيس مستشفى باسم "Brown Ophthal Mic Hospital"^(٢).

ومن نماذج التعاون بين الإرساليات التبشيرية^(٣) البروتستانتية فى الشام المستشفى الذى أنشأه "المارشال أدون هنس كارل فن متوفل" وهو المستشفى البروسى، وهو مستشفى عام للمرضى المحتاجين من النصارى والمسلمين وسائر الملل^(٤)، وهذا المستشفى يقع فى رأس بيروت قرب المدرسة الكلية على مرتفع من الأرض يحيط به حديقة واسعة فيها كل أنواع الفاكهة، فى هذا المستشفى خدم د/ فانديك، ود/ يوحنا ورتابت مجاناً ويقال أن فانديك وحده كان يطيب أكثر من إثنى عشر ألف مريض فى العام، ونال

(١) كرم شلى: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص ٨٦.

(*) فى إطار التعاون بين الإرساليات الألمانية والأمريكية أنشئ البيمارستان اللبنانى للاهتمام بالمرضى العقلين، وتقرر أن يكون البناء على تله منفردة فى جبل لبنان بالقرب من بيروت، وأن يكون مخصص لكل الطوائف بدون تخصيص مذهبى، وكان فى مقدمة العمدة العاملين لهذا المشروع، د/ ورتابت وهنرى جاسب، واسير أفندى شقير، ووليم فانديك، والخواجا قلد صير الجرمانى فى الذى سافر لأمريكا وأوربا لجمع التبرعات لإنشاء هذا المعهد. راجع.

- الطبيب: الجزء الثالث، السنة الثامنة، أول آب ١٨٩٦ ص ٩١.

- الطبيب: الجزء الحادى عشر، أول نيسان، ١٨٩٨، السنة التاسعة، ص ٣١٣.

(٣) النشرة الأسبوعية: بيروت، الاثني ٢٩ حزيران ١٨٨٥، عدد ٢٦ ص ٢٠٥.

أعلى نيشان في ألمانيا من إمبراطورها، جزاء أعماله الخيرية في هذا المستشفى الذي طبقت شهرته الآفاق في بلاد الشام كلها^(١).

كما أنشأت الدكتورة ماري أدى Mary Addy وهي ابنة المبشر الأمريكي وليم أدى William Addy مستشفى لعلاج السل، وجعلت له مصيفا ومشتى، واهتمت فيه بالمرضى اهتمام بالغ، والعلاج فيه مجانا^(٢) ولم يكن هذا النشاط قاصرا فقط على أعضاء الإرسالية من الأمريكيين فقد انضم إليهم فيه بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي، ففي عام ١٩١٣ عمل بشارة أفندي منسى، واسكندر بك بارودي، وقسطنطين أفندي ثابت، وهم من الأطباء وخريجي الكلية الإنجيلية، عملوا على المشاركة في إنشاء مصحة لعلاج الدرن، ورغم كل الصعوبات التي اعترضت طريقهم إلا أن عزمهم لم تضعف عن الاستمرار في العمل والنجاح فيه^(٣).

وبذلك نلاحظ أن كثيرا من الأسماء اللامعة والمشهورة من الأطباء الأمريكيين الذين جاءوا الشام وعاشوا فيه، ما جاءوا إلا للعمل التبشيري في الأساس مستخدمين الطب وسيلة، من هذه الأسماء، د/ كرنيليوس فاندريك^(٤) ود/ جورج بوست، ود/ يوحنا ورتابت، ود/ ماري أدى التي أنشأت مصحة لعلاج السل.

وكان الأطباء كذلك يقومون بالعديد من الرحلات الاستكشافية في القرى والمدن المحيطة بمراكزهم، للعمل التبشيري من خلال الطب، مثل د/ تشارلس وليم كلهون Charles Willian Calhon وهو قسيس وطبيب أمريكي، فقد جال نحو ٤٥ يوما في نواحي حمص وحماه وصافيتا، وكان مقره الأساسي في طرابلس، فجال في هذه البلاد لأجل التبشير والتطبيب^(٥).

(١) عبدالرحمن بك سامي: القوز الحق في بيروت ودمشق، اللطائف، الجزء العاشر من السنة

الخامسة، ١٥ فبراير ١٨٩١، ص ٣٨٧.

(٢) الخساء: الجزء التاسع. المجلد الثاني، آذار سنة ١٩١١، ص ٣٢٩.

(٣) الكلية: العدد الرابع، فبراير ١٩١٣، ص ١١٤.

(*) بلغ من حرص د/ كرنيليوس على أعمال التطبيب أنه كان ينفق من ماله الخاص على

الفقراء المحتاجين من مرضاة، بل أنه تبرع لبناء عدة قاعات لمستشفى مار جرجس عندما

صاق بالناس، وكان يطب هذا المستشفى، راجع المقتطف: الجزء الحادي عشر، العام الثاني

عشر، أغسطس ١٨٨٨، ص ٧١٢.

(٤) النشرة الأسبوعية: عدد ٢٦، الاثنين ٢٥ حزيران، ١٨٨٣، ص ٢٠٨.

كما كان د/ هرس الأمريكي يقوم بنفس الجولات، وبدأ يدخل المجال بعض الأطباء من الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، مثل د/ فارس أفندي صهيون، ود/ أمين أفندي معلوف^(١).

ولم يقتصر نشاط الإرسالية على التطبيب بل أنشأت العديد من الملاجئ مثل أخوية دار الأيتام السورية، وقد أقيم بالمشاركة مع الإرسالية الألمانية، وفي سنة ١٩١١ وصل عدد النزلاء ٢٣٠ يتيماً و ٣٠ يتيمة، وبه فرع للعيان به ٢٠ من الذكور و ٢٠ من الإناث، وأيضاً كانت به مدرسة خارجية بها ٢٥٠ تلميذاً وتلميذة، وكان له فروع في يافا والناصرية، وفتح لكل الطوائف على اختلاف المذاهب^(٢).

وهنا نجحت الإرسالية في استخدام الأعمال الخيرية للوصول لأهدافها التنصيرية، كما أنهم استغلوا الأزمات والنكبات التي ألمت بالشام في تحقيق جزء من أهدافهم، والظهور بمظهر الرجل الخير الذي جاء لرفع المعاناة عن الناس، ولكنه في الحقيقة يخفي الهدف الحقيقي له، وهنا علينا أن نعترف أنه بالرغم من استغلال حاجات الناس لخدمة أفكار وأهداف معينة إلا أنهم بالفعل قد أفادوا الناس ونجحوا في تخفيف أعبائهم وأزماتهم^(٣).

رابعاً- مدارس الأحد :

كانت مدارس الأحد من أهم الوسائل التي استغلها المبشرون ، حيث عملوا على دعوة الناس إليها من مختلف الأعمار لدراسة الكتاب المقدس، والاستماع للوعظ وغيره من الخدمات الدينية التي تقدمها هذه المدارس، حيث كانت من أهم مصادر جذب الناس للدخول في مذهبهم الديني .
ويذكر البعض أن هذه المدارس ظهرت بمصر وكانت تسمى في بدايتها "مدارس الموعوظيين" "Catechetical Schools" وذلك لإعداد المرشحين لقبول سر العماد بأن يكونوا مؤهلين لدخول المسيحية، وكانت هذه المدارس تعتمد في تعليمها على أسلوب السؤال والجواب، ويذكر المؤرخون أن المحاولة النظامية الأولى لها بدأت في مصر، ولم تكن قاصرة على تعليم البالغين فقط ، بل وجد مدرسون للأطفال، ومعلمون للشباب^(٤) وفي عهد الإصلاح

(١) الطيب: الجزء الأول، السنة الثامنة، أول حزيران ١٨٩٦، ص ٣٠ .

(٢) مجلة الهدى، العدد ٤٠، السنة الأولى، ٢٠ أكتوبر، ١٩١١، ص ٣٢٨ .

(*) في عام ١٨٩٥ أسست الإرسالية فرعاً للأيتام في مدرسة الفنون الأمريكية في صيدا، وقد خصص بناء الأيتام المذكور لمساعدة أيتام الطائفة الإنجيلية لا غير. راجع. أحمد عارف الزين: تاريخ صيدا، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩١٣، ص ١١٨ .

(٣) سمير مرقس: تاريخ خدمة مدارس الأحد وأثرها التعليمي في الفترة من ١٩٠٠ : ١٩٥٠ .

مجلة مدارس الأحد، القاهرة، نوفمبر وديسمبر ١٩٨٤، ص ٧٢ .

الدينى (*) اهتم بمدارس الأحد اهتماما كبيرا، أما مدرسة الأحد المعروفة فى القرن التاسع عشر فمؤسسها هو "روبرت ريكس" Robert Rex فى ١٧٨٠م، وكان يجمع الأولاد لتعليمهم الكتاب المقدس فى يوم الأحد، وعندما حصل من هذه المدارس على فوائد عظيمة النفع، استخدمتها الإرساليات، فهى من أحسن أسباب التهذيب^(١).

ومنذ بداية عمل الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام، وهى تعمل على تشجيع هذا النوع من المدارس، وتجهيز الكتب التى تحتاج إليها، كما أن بعض الجمعيات التى تهتم بمدارس الأحد قد ساعدت كثيرا فى توزيع الكتب المناسبة لتفكير نوعيات الطلاب التى تؤم هذه المدارس^(٢).

وأقامت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة أحد فى بيروت فى عام ١٨٣٦م، وكانت جزءا من مدرسة الأحد التى تدرس بالإنجليزية، وكان يوجد بها فصل للبنات يحضر ضمن تلميذاته عدد من التلميذات من الأهالى، وكذلك وجد بها فصل آخر للبنين، ويعترف تقرير للإرسالية أنه قد استوعب التلاميذ

* الإصلاح الدينى فى أوربا : نجتحت الكنيسة فى أوربا العصور الوسطى فى السيطرة على جميع شئون الحياة حتى قال البابا أنرسنت الثالث " لا خلاص لإنسان فى العالم ما لم يخضع للبابا ، فأنا قيصر وأنا الإمبراطور الحقيقى صاحب السيادة على جميع أمراء الأرض " وانتشر الفساد فى الكنيسة وتعددت مظاهره التى كان من أهمها بيع صكوك الغفران ؛ فظهر مارتن لوتر ، الذى ولد سنة ١٤٩٣م ، ودعا إلى الإصلاح الدينى ، وأهم ما نادى به : أن يكون رجال الدين خاضعين للسلطة المدنية ، وأن ليس للبابا حق احتكار تفسير الإنجيل ، ونصح بتقليل الأديرة ، وطالب بزواج القسيس . وقد عرف أنصار هذا المذهب الجديد بالبروتستانت Protestants أي المحتجين . وجاء بعد لوتر من سار على دربه مثل أولريج زونجل (١٤٨٤-١٥٣١) و جون كلفن (١٥٠٩-١٥٦٤) . عبد الرحيم عبد الرحمن (دكتور) : التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٩٥م ، ص ٧٩-٨٥ .

(١) النشرة الأسبوعية: عدد ١٣، الاثني ٣٠ آذار ١٨٨٥، ص ٩٩ .

(2) Missionary Herald, Feb., 1830, Books on Missionary subjects designed for The Young, pp.61-63.

الدروس بكل سهولة ويسر، مثل أطفال أمريكا^(١) وفي عام ١٨٦١م كان فصل الطلبة في مدرسة الأحد ببيروت يحوى ١٥٠ دارسا، وفصل الشباب يحوى ٥٠ شابا، كما وجد فصل للسيدات ٢٥ سيدة^(٢) وفي عام ١٨٨٣م كان لمدرسة الأحد في بيروت سبعة فروع من مدارس الأحد،^(٣) وهو ما يعنى التقدم الكبير في خدمات هذه المدارس التى كانت تقدم الدروس والوعظ للصغار والكبار على حد سواء .

ولم تكن هذه المدارس قاصرة على بيروت فقط، بل امتدت لبقية المحطات التبشيرية الأمريكية فى بلاد الشام وكان نظام التعليم فيها واحدا، قائما على نظام السؤال والجواب، وكانت تروى لهن قصص الإنجيل، ويقيمون الصلوات معا^(٤).

واهتمت الإرسالية بنشر الأفكار الخاصة بمدارس الأحد، والتشجيع على الحضور إليها ؛ لما لها من أهمية كبيرة فى التأثير على عقول الأطفال والشباب ودعوتهم للانضمام للكنيسة البروتستانتية ، حتى جعلت هذه المدرسة فرض على كل من يستطيع القراءة وعنده الكتاب المقدس، وذلك لتعليم الناس طريق الخلاص - من وجهة نظرهم - وكان ينبغى إقامة مدرسة الأحد حتى فى الأماكن التى لا يوجد بها كنيسة أو التى لا يوجد بها قسيس^(٥) وفى عام ١٩٠٤م تم عقد مؤتمر دولى فى " القدس " لمدارس الأحد الإنجيلية فى العالم وذلك للبحث فيما من شأنه ترقية مدارس الأحد، وحضره ٨٠٠ من المبشرين الإنجيليين فى العالم^(٦) وخرج المؤتمر بعدة توصيات هى:

أ- يجب على كل معلم مدرسة أحد أن يجمع من الخارج أولادا وبناتا، رجالا ونساء ليسوا من أبناء الكنيسة .

(1) Missionary Herald, Nov., 1836. Report Of The station at Beirut For the year 1835 - pp 419-421.

(2) Missionary Herald, June, 1861, Beirut: letter from Mr. Jessup. Pp 167.169.

(٣) النشرة الأسبوعية : عدد ٢٧، ٢ تموز، ١٨٨٣، ص ٢١٥ .

(4) Missionary Herald, Nov. 1838, Report of The Station at Jerusalem for The year ending. March, 1838. Pp. 420 - 423.

(٥) كيفية إنشاء مدرسة أحد ونظامها وتديرها، النشرة الأسبوعية، الثلاثاء ١٣ شباط ١٨٧٢، ص ٥٣: ص ٥٦ .

(٦) المرشد: اجمعة ٢٣ أبريل ١٩٠٤، العدد ١٧، السنة ١٢، ص ١٣٤ .

ب- يجب على المدارس أن تقيم على الأقل ثلاث احتفالات في العام .
ج- يجب على الخدام عموماً أن يفهموا الكنائس بأن مدرسة الأحد هي أم الكنيسة ووالدتها، ولذلك يجب إكرامها وتعزيزها وحفظ كرامتها بل يجب على كل كنيسة لاحظت طريقة مفيدة لتقدم مدرسة الأحد أن تبادر في الحال وتخبر بها جميع الكنائس^(١) .

وبذلك فقد لعبت مدارس الأحد دوراً كبيراً في نشر الفكر الدينى البروتستانتي للإرسالية الأمريكية، والتي شجعتها بأن عقدت مؤتمر لمعلمي ومبشرى مدارس الأحد البروتستانت بالقدس ولهذا دلالة خاصة بالفكر الدينى الذى يعتقونه .

ومما سبق يمكننا القول:

أ- اصطدم المبشرون الأمريكيون في بلاد الشام في بداية عملهم بعدة صعوبات، لعل أكثرها تعقيداً عدم وجود طائفة بروتستانتية من الأصل في هذه البلاد، فكان عملهم في الأساس على حساب الطوائف الأخرى، خاصة الطوائف المسيحية المختلفة معهم في المذهب ، لذا فقد لاقوا العداء المستميت من جانب هذه الطوائف^(٢) .

ب- نتج عن النشاط التبشيري للإرسالية الأمريكية فى الشام وجود طائفة بروتستانتية، واعترفت بها الدولة العثمانية كأحد الطوائف الدينية المسيحية فى عام ١٨٤٨م، وأصبحت الكنيسة الإنجيلية التى أنشئت فى بيروت آنذاك هى أقدم كنيسة إنجيلية فى العالم العربى كله .

ج- أدرك المبشرون جيداً أن عملهم فى وسط المسلمين محكوم عليه بالفشل بالرغم من وجود عدد قليل من المسلمين الذين اعتنقوا البروتستانتية، لذا فقد ركزوا جهودهم على دعوة الطوائف المسيحية الأخرى مثل الأرثوذكس والكاثوليك، بينما ركزوا جهودهم فى وسط المسلمين على الجانب الحضارى، فعملوا على التبشير بالحضارة الأوربية لخلق نخبة فكرية تدين لهم بالولاء الفكرى وتدور فى رحاهم، فالوجه الحضارى هنا ما هو إلا وسيلة لتهيئة النفوس لقبول ما يبثه المبشرون من أفكار، لذا فقد كان التعليم هو الطريق المباشر الذى استخدمه المبشرون للعمل فى وسط المسلمين خاصة، باستخدام الأفكار الجديدة وإلباسها ثوبا إنسانيا كبيرا .

(١) القس اسحق إبراهيم: مدارس الأحد، المرشد، ١٣ مايو ١٩٠٤، العدد ٢٠، ص ١٥٣ .

* قامت الكنائس الوطنية الشامية أعمال الإرسالية الأمريكية بالعداء الشديد ، فقد تعرض مس انضم إليهم للضرب ، وأحيانا للقتل ، ومن ذلك ما حدث لأسعد الشدياق . كما قام اللاتين و ٢٨ فبراير ١٨٥٥ حرق الكتب الدينية البروتستانتية التى أصدرتها الإرسالية الأمريكية فى احتفال عام . راجع : عبد العزيز الشناوى : مرجع سابق جـ ٢ ، ص ٧٤٦ .

الفصل الثالث
النشاط التعليمى للإرسالية
الأمريكية فى بلاد الشام

أولاً- التعليم في بلاد الشام في العصر العثماني :

لم يكن من مهام الحكومة العثمانية الإنفاق على التعليم ، فلم يكن ذلك ضمن فلسفة وظائفها كدولة، فتركت الاهتمام به لكل طائفة تقوم به حسبما ترى، ويرصد المحسنون الأوقاف على التعليم، بغية اكتساب الثواب والأجر الحسن في الآخرة، ومن هنا فقد كان التعليم غالباً تعليماً دينياً، أما السلاطين أنفسهم فقد كانوا ينشئون بعض المدارس التي لا تختلف عن مثيلاتها سوى في الحجم، نتيجة للأوقاف المرصودة عليها، وهم يفعلون ذلك بصفتهن الشخصية وليس بوصفهم سلاطين.

أما المؤسسات التعليمية التي كانت موجودة بالشام، في العصر العثماني، وحتى بدايات القرن التاسع عشر، فيمكننا أن نقسمها من خلال مصادر تلك الفترة إلى:

١- الكتاتيب الملحقة بالزوايا والمساجد والأديرة، وهي تقدم مبادئ القراءة والكتابة، وبعض مبادئ الحساب، وهي تعتبر في غالبيتها من النوع البسيط، الذي لا يؤهل صاحبها لأكثر من الإمام بمبادئ القراءة والكتابة.

٢- المدارس الملحقة بالمساجد الكبرى، حيث يقوم المشايخ بتدريس علم النحو والصرف، وعلم الكلام، وعلم الحديث، والتشريع الإسلامي، مثل الجامع الأموي في دمشق، ومن أراد الاستزادة من العلوم الدينية فليس أمامه إلا الشد الرحال للأزهر الشريف في القاهرة^(١).

ويصف أحد شهود العيان حالة التعليم في بدايات القرن التاسع عشر بقوله "لقد بلغ الجهل مبلغاً عجبياً في الناس"^(٢) حتى قل فيهم من يعرف القراءة

(١) عبدالقادر بن محمد النعمي الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ج٢.

(٢) يناقض أحد الباحثين هذا الرأي بقوله "جرت الكثرة من المؤرخين على أن الضعف الذي اعترى الدولة العثمانية في القرن ١٨ رافقه ضعف في الحياة الفكرية، وقد ذهب بعضهم لقول بأن ذلك العصر لم ينجب شاعراً سورياً واحداً ولا فيلسوفاً، ولا فناً، ولا عالماً، ولا منشأ من الطبقة الأولى ولا يحامرنا شك بأن في هذا القول تعميماً وتحيفاً" أسامة عانوتي (دكتور): الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٦.

والكتابة، أو أبسط العمليات الحسابية... كما كان الكثير من التجار وأصحاب الحوانيت يتخذون رموزا خاصة بهم تذكرهم بعملياتهم التجارية اليومية إلى أن يجدوا من يدونها لهم^(١).

أما فترة حكم "محمد علي" (١٨٣١ - ١٨٤١م) فقد تركت أثرا كبيرا في حركة التعليم في بلاد الشام عموما، تجلّى ذلك في إنشاء المدارس الجهادية، وإجبار الضباط والجنود على دراسة بعض العلوم الضرورية لهم كالهندسة وعلم المساحة، وعين مراتب شهرية لأبناء الجنود الذين التحقوا بالمدارس التي أسسها، وأخذ في نشر الكتب العلمية في تلك البلاد^(٢).

وبعد خروج المصريين كان المسلمون محرومين من مدارس خاصة، بسبب حرمانهم من التشكيلات الطائفية والامتيازات المرتبطة بتلك التشكيلات، فكانوا مضطرين لدخول المدارس الرسمية التي تعلم اللغة التركية، وأما العربية فما كانوا يتعلمون منها شيئا أكثر مما يتعلمه الأتراك في الولايات التركية^(٣).

أما المؤسسات التعليمية المسيحية، فلم تكن لتختلف عن المؤسسات الإسلامية، فالتعليم الابتدائي كان تعليما دينيا، اقتصر على تعليم الأولاد قراءة الكتاب المقدس ومبادئ الحساب وشئ من الكتابة. وقد اتصف التعليم العالي عند المسيحيين، كما اتصف عند المسلمين بالصيغة التقليدية، فكانت أكثر المؤسسات التربوية العالية تحصر في الأديرة، وتولف ما يسمى بمدارس اللاهوت "Seminaries" حيث كان يشرف عليها رجال الدين^(٤).

(١) عدنان الخطيب (دكتور): الشيخ طاهر الجزائري، معهد البحوث العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٥.

(٢) يوسف جميل نعيمة (دكتور): مجتمع مدينة دمشق ١٧٧٢ - ١٨٤٠، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٣) لمزيد من المعلومات راجع، شمس الدين الرفاعي (دكتور): تاريخ الصحافة السورية في العهد العثماني، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٧، ج ١، ص ١١.
- عدنان الخطيب، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٤) أحمد سراج الدين (دكتور): الحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، أيلول ١٩٥١ السنة ٤، ج ٣، ص ٣٢٥.

وللمورانة فضل السبق في إنشاء المدارس في الشام من عهد غير بعيد، في "الهدن" و "صوفر" و"بقر كاشة" في شمال لبنان، وكان أساتذة هذه المدارس يواجهون الإهمال من الكهنة إلا نادرا، ناهيك عن المدارس الصغرى التي كانوا ينشئونها في الأديرة ويسمونها "أنطوش" مثل: انطوش جبيل أنشئ سنة ١٧٦٢م وأنطوش زحلة سنة ١٧٦٩م، وأنطوش دير القمر سنة ١٧٨٢م، .. وغيرها^(١).

وبذلك فقد تميز الآباء المسيحيون بالجهل إلا القليل النادر منهم، على الرغم من وجود الكتب مكدسة في خزائن الأديرة، فمن مجموع ثمانين راهبا في دير صيدا الماروني مثلا، وجد "قولنى Volney اثنين أو ثلاثة رهبان متعلمين، وعلمهم اقتصر وقتنذ على معرفة اللغة السريانية^(٢)".

أما تعليم البنات، فمن خلال المصادر التاريخية المختلفة لهذه الفترة يمكننا القول أنه كان مهملًا إهمالا تاما، ولم يكن في بلاد الشام كلها، أى مدرسة خاصة بتعليم الإناث حتى منتصف القرن التاسع عشر، عندما أسست الإرسالية الأمريكية أول مدرسة للبنات في بيروت^(٣).

وفى تقرير للإرسالية الأمريكية عن أحوال التعليم فى الشام عام ١٨٣٠م ما يلى "لا توجد كتب هجاء باللغة العربية، فيما عدا كتاب صغير صدر أخيرا من مطبعة الجمعية التبشيرية الكنسية فى مالطة، وغالبا فإن كتاب القراءة الوحيد (المزمور) فهو بداية ونهاية الكتب المدرسية المسيحية باللغة العربية... ولم أجد كتابا فى علم الحساب باللغة العربية، ووجود مثل هذا العمل فى مطبوعة، يمكن أن نسمع عنه فى أمثلة قليلة، وقد جرت محاولات عديدة غير مثمرة للحصول على واحدة، وقد كانت هناك استفسارات كثيرة موجهة من الناس جعلتنا نتأكد أن علم الجغرافيا غير معروف فى هذا الإقليم، فيما عدا القليل من الطبقة المثقفة الذين كانوا على قرب من أعمال الجغرافيين القدماء... أما التاريخ الأصلى فإنه نادر، ولا

(١) جورج زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، مراجعة د. شوقى ضيف، دار

الهلل، القاهرة، (د.ت) جـ ٤، ص ٣٦ .

(٢) أحمد سراح الدين: مرجع سابق، ص ٣٢٣ .

(٣) نجيب العقيقى : المستشرقون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ١٣٥ .

يوجد مطبوعات له، ولا يوجد فيه ما يتوافق مع العقول الصغيرة، ولا يتم التفكير أبدا في تقديم التاريخ كدراسة^(١).

وفي تقرير للإرسالية الأمريكية عام ١٨٣٦م أى فى بداية نشاطهم الفعلى، جاء ما يلى "إن هناك جزء لا بأس به من الرجال الذين يعيشون فى المدن يستطيعون القراءة، ولديهم القليل من الكتابة، هذا هو قدر التعليم عندهم، وفى الأماكن الأبعد والأقل فى الأهمية ربما يكون فرد من عشرين يستطيعون القراءة، أما الفتيات فليست هناك واحدة تستطيع القراءة أو الكتابة، مع وجود بعض إستثناءات قليلة جدا لا تستحق الذكر، فتعليم البنات لم يتم إهماله فقط ولكن لم يتم تشجيعه أيضا، فقد كانت هناك معارضة له، وفى الواقع فإن الرغبة للتعليم لم تكن قوية ولا عامة بين أى طبقة، ومع قليل من الاستثناءات المشرفة، فإن هناك جمود محزن كان يعم المجتمع كله"^(٢) هذا وصف الحالة التعليمية الموجودة فى بلاد الشام فى العصر العثمانى ، وإن كان علينا أن نأخذ ما جاء فى هذا التقرير بحذر شديد ولكنه يدل على جزء من الواقع الذى كان سائدا خصوصا وأن بعض المصادر الإسلامية المعاصرة تؤيده^(٣).

(1) Missionary Herald, Feb., 1830, Views and Proceeding preference to this mission, Vol. 26, 1830. Pp. 78-82.

(2) Missionary Herald, April 1836, Syria and the Holy Land, Quarterly paper, vol. 32 (1836) Facing. P. 196.

(*) مع العلم بأن الدولة العثمانية كانت قد بدأت فى تحديث التعليم منذ أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ، وقد ظهر ذلك بوضوح فى عهد السلطان محمود الثانى ، ولكنه ووجه بالعديد من الصعوبات، من بينها معارضة علماء الدين الذين احتكروا التعليم التقليدى ذو المدارس الدينية، فلم يستبدل السلطان محمود النظام التعليمى الدينى بأخر علمانى، وكان الحل هو أن يترك هذه المدارس كما كانت وبني بجانبها مدارس علمانية جديدة، وبذلك أصبح هناك نظامين منفصلين للتعليم يتبع فلسفتين مختلفتين، ومناهج مختلفة، مما أدى لانقسام المجتمع العثمانى.

- Shaw, Stanford and Ezelkvral History, of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, University press, 1977. P.97

ثانيا- أهمية التعليم للمبشرين :

منذ وطأت أقدام المبشرين الأمريكيين بلاد الشام سنة ١٨١٩م ، عملوا على نشر مذهبهم الدينى الذى يؤمنون به "البرسبتيرى prespetirran" بين المسلمين وبين الطوائف المسيحية المختلفة معهم فى المذهب، وبعد فترة أدركوا صعوبة نشر هذا المذهب، نظرا للمقاومة العنيفة من جانب المسلمين، وكذلك من قبل الكنائس الوطنية، فلجأوا لتغيير أساليبهم فى العمل التبشيري، مثل نشر التعليم، وعن طريقه يتم نشر مبادئهم وأهدافهم الدينية، خصوصا بين أطفال المدارس الابتدائية، ولا سيما أن الناس تحتاج للتعليم ويقبلوا عليه، ومن الممكن أن يقدم فى صورة إنسانية بعيدة عن صورة المبشر الذى يعظ الناس لترك دينهم أو مذهبهم .

وميز المبشرون بوضوح بين المدارس التبشيرية والمدارس المسيحية، فالأولى تحاول أن تنقل الطلاب من ديانات ومذاهب مختلفة إلى مذهبها هي ، أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهئ للطالب، من أى دين أو مذهب كان جوا مسيحيا، وتحمله فيه على ممارسة التقوى المسيحية والسلوك المسيحى على المذهب الذى تحاول جذبه إليه^(١) . والملاحظ أن المدارس الأمريكية فى الشام كانت من النوع الأول، الذى ينتمى للمؤسسات التبشيرية ومن هنا أدركت الإرسالية الأمريكية المتحمسة لدينها أن أحسن ميادين العمل التبشيري، هو ميدان التعليم فحاجة الناس إليه لا تنقطع كما أن التعليم يضمن تنشئة أجيال صبغوا على أيدي معلمهم بالصبغة التى يريدونها. إذن فطريق التعليم أخطر الطرق فى توجيه أفكار الطلاب وفق تخطيط التبشير وبرامجه^(٢) . والملاحظ أن التركيز كان على التبشير بين المسيحيين من المذاهب الأخرى أكثر من التبشير بين المسلمين خصوصا أهل السنة الذين وقفوا حجر عثرة أمام أعمال الإرسالية الأمريكية .

فهم يرون أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحى أكثر من كل قوة أخرى، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك

(١) مصطفى الخالدى (دكتور): وعمر فروخ (دكتور): مرجع سابق، ص ٦٣ .

(٢) نبيل عبدالحمد (دكتور) التبشير الأمريكى فى البلاد العربية حتى علم ١٩٢٤،

المجلة المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، المجلد ٢٧، ص ٢٢٧ .

الذين سيصبحون يوماً ما قادة في أوطانهم فهم يقولون "لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثنى وسيلة استغلها الأمريكيون في سعيهم لتتصير الشام^(١) .

وأمریکا كدولة ناشئة استفادت من التجارب السابقة للأمم الغربية، التي ما طمحت إحداهما للاستيلاء على بلد أو إقليم من الشرق عموماً إلا وبعثت إليه من يفتح المدارس، وحجتهم نشر التعليم والتهديب ورفع لواء التمدن والحضارة، ومتى تأسست المدارس الأجنبية وفتحت أبوابها للراغبين، استأثر بالتعليم فيها رجالها من المبشرين القادمين لهذه الغاية^(٢) .

كان لنظام التعليم الأمريكي في الشام وجهان : ظاهراً وباطناً، فظاهره نشر التمدن والتحضّر بين أناس محرومين من ذلك، وفي سبيل هذا الهدف كان يتم تدريس التاريخ والجغرافيا والحساب والهندسة بجانب العلوم الدينية التوراتية والإنجيلية، أما الباطن الحقيقي فهو محاولة لاجتذاب هؤلاء المتعلمين للمذهب الديني الذي يدعون إليه، وأيضاً لاجتذابهم لصفوفهم وجعلهم أشياء وأتباعاً لهم ولدولتهم، وساعدهم على ذلك ضعف النظام التعليمي في الشام عموماً، والمقارنات التي كان يعقدها المواطنون باختلاف فئاتهم وديانتهم بين المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية والتعليم الموجود عند الآخرين، بما فيه التعليم الأهلي ، وغالباً ما تكون المقارنة في صالح التعليم الأمريكي^(٣) .

وساعد على تقدم التعليم الأمريكي ما كان يقوم به المبشرون الأمريكيون من زيارات للمدارس الوطنية والكتاتيب، للوقوف على ما فيها من مساوئ وعيوب لمحاولة تجنبها بل قاموا برصد الكتب الهجائية العربية

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ: مرجع سابق، ص ٦٢ .
(٢) سعيد إسماعيل علي (دكتور): الفكر التربوي العربي الحديث، عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٧، ص ٤٣ .

(*) فيذكر أحد متعلمي تلك الفترة تجربته في التعليم الوطني أن : "غرفة المدرس قدرة ضيقة، وهي مظلمة بلا مقاعد، ويجلس الطلبة على الأرض مقوسى الظهر، وأمامهم المعلم مقطب الجبين، ويده عصا طويلة لا يفلت منها أحد، فكانت المدرسة أشبه بالسجن المخيف والمعلم سجاناً مستبداً طاغياً لا رحمة في قلبه، بينما عندما انتقل نفس التلميذ لإحدى مدارس الأمريكيين أحب المدرسة التي كانت نظيفة وبها مقاعد، والمدرس ضحوك بشوش يلعب مع الأطفال ويعلمهم برفق ولين . انظر جرجس الخورى المقدسى : التعليم قديماً وحديثاً في سوريا ، مجلة المقتطف ، المجلد ٣١ ، سبتمبر ١٩٠٦ ، ص ٨٤٧ .

وكتب التعليم التي اتضح ضعفها^(١)، فعملوا من جانبيهم على سد العجز فى هذا المجال، من هنا كانت الحاجة الماسة إلى التعليم من وجهة نظر المبشرين الأمريكيين حتى يمكن من خلاله نشر الأفكار التي يريدونها، فيذكر أحد المبشرين أن: "إرساليات التبشير من بروتستانتية وكاثوليكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم ذلك إلا ببيت الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية والدراسات فى مدارسهم وبذلك تقضى إرساليات التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية"^(٢).

ثالثاً- نظام تعليم التبشير الأمريكى فى الشام :

١- التعليم الابتدائى :

اهتم المبشرون الأمريكيون بنشر التعليم الابتدائى فى المدن والقرى الشامية، وخصوصاً فى القرى الجبلية المحرومة من التعليم وذلك لعدة أهداف: لعل أهمها أن هذا النوع من التعليم غير مكلف، وهو مجدى لهم لأنه يزيد من علاقاتهم المحلية وارتباطهم بأهالى الأطفال الصغار، وهو ما يساعدهم فى عملهم التبشيرى، كما أنه يبيح لهم غرس العديد من أفكارهم الدينية فى أذهان هؤلاء الأطفال، فهم أشبه بتربة خصبة صالحة لتلقى كل ما يلقى فيها.

وقد مر التعليم الابتدائى الأمريكى فى الشام بمرحلتين:

الأولى (١٨٣٢-١٨٦٠) : حيث تميزت بمحاولة استكشاف الواقع أمامهم ومحاولاتهم المستميتة للوجود والاستمرار، ودراسة ماهيات وجودهم، فى ظل الصراعات المستمرة، سواء من جانب الوطنيين أو من جانب الإرساليات الأخرى المنافسة، فهى محاولات لغرس جنورهم فى الأرض الشامية، وتتميز هذه المرحلة بالتذبذب الشديد فى أعداد المدارس، كذلك المحاولات المستمرة للبحث عن طوائف يمكن الاعتماد عليها مثل "الدروز".

(1) Missionary Herald, March, 1835, Extracts from communication of Mr. Smith, Vol. 31, 1835, pp. 129 – 137.

(٢) عبد الستار فتح الله سعيد : الغزو الفكرى والتيارات المعادية للإسلام ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩ ، ط ٥ ، ص ٤٨ .

الثانية : مرحلة الاستقرار والتركيز على جودة الدراسة ورفع مستواها، حيث لاقت إقبالا واسعا من الناس بعد النجاح الذي حققوه، وبلغ عدد هذه المدارس ١٤٠ مدرسة.. كما سنرى فيما بعد .

أ- المرحلة الأولى :

انتشر التعليم الإبتدائي في المدن والقرى الشامية بعد بدايته في بيروت، وذلك بسبب المنافسة بين الإرساليات المختلفة (١). وهنا لعبت المنافسة دور محموم في إنشاء المدارس بكثرة. وبدأ السلم التعليمي الأمريكي بالروضة ومدة الدراسة فيه سنة واحدة، وتوجد عادة في مدارس البنات، يلي ذلك المدرسة الإبتدائية ومدتها ست سنوات، وقد يكون للبنين أو للبنات أو مختلطة بينهما، ثم يعزل الذكور عن الإناث بعد السنة الثانية أو الثالثة (٢).

ويعتبر عام ١٨٣٢م هو بداية التعليم الإبتدائي الأمريكي في الشام، ففيه افتتحت مدرسة في المركز الرئيسي "بيروت" بدأت بتلميذتين، ومدرسة أخرى بالقرب من صيدا وثالثة تحت التجربة بالقرب من دير بلمونت Balmont بالقرب من طرابلس، وكان بها ١٠ أطفال ولقد قوبلت هذه المدارس بمقاومة عنيفة من الإكليروس الوطني (٣) وفي عام ١٨٣٤م أصبح لدى الأمريكيين ٦ مدارس يمكن أن نقسمها كالتالي:

(١) فيذكر في ذلك أن د/ كرنيلوس فان ديك Van Dyek وهو واحد من أهم المبشرين الأمريكيين - كان راكبا حمارا ذات يوم فقابله رجل وسأله إلى أين أنت ذاهب؟ فقال لقرية كذا لأنشئ مدرستين فتعجب الرجل من ذلك!! وقال أن هذه القرية لا تحتل أكثر من واحد ففقال فان ديك سوف أنشئ مدرسة وفي اليوم التالي يأتي اليسوعيين لافتتاح مدرسة أخرى . مصطفى الخالدي وعمر فروخ: مرجع سابق، ص ٧٥ .

(٢) رودريك ماثيوز (دكتور) ومتي العقراوي (دكتور): التربية في الشرق الأوسط، ترجمة أمير بقطر، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٤٩، ص ٥٤٧ .
(3) Missionary Herald, Oct., 1832, Joint Communications From Messrs, Bird and Whiting, vol. 28, 1832, pp. 324 - 326

عدد الطلبة	الهدف	المدرسة
٣٠	تعليم القراءة والكتابة باللغة العربية	١
٣٠	تعليم القراءة والكتابة بالعربية مع فصل إضافي لتعليم القواعد	١
١٠	تعليم القراءة والكتابة بالعربية والإيطالية	٢
١٠	تعليم القراءة والكتابة بالإنجليزية	١
١٠	تعليم الفتيات القراءة والخياطة	١
المجموع ٩٠ تلميذ وتلميذة ^(١)	وكانت مدة التدريس من ساعتين لثلاث ساعات يوميا	المجموع ٦

في نفس الوقت تقريبا بدأ الاهتمام بتعليم البنات، فبدأت المدرسة الأولى لتعليم البنات في بيروت، والتي كانت تعلم فيها مس سميث Miss Smith وهي مدرسة داخلية يتم فيها تعليم مبادئ الحساب والكتاب المقدس والترانيم الإنكليزية والخياطة، ولقد بلغ عدد الطالبات اللاتي تعلمن في هذه المدرسة في مدة ستة أشهر مائة فتاة^(٢) وهو عدد كبير بمقياس ذلك العصر، وبدلنا على بداية تغيير وجهات النظر الخاصة بتعليم الفتيات وبالتعليم وجدوا عموماً.

وبدأت المدارس الابتدائية الأمريكية في التحسن، ولاقت قبولا بين الناس. ومن خلال الجدول التالي يمكننا حصر عدد التلاميذ والمناهج التي كانوا يتلقونها.

(1) Missionary Herald, Sep., 1834, Extract from communication Of Messrs, Bird, Smith and Thomson, Vol. 30, 1834, pp 910-919

(٢) يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص ٢٩ .
- انظر أيضا: الأب لويس شيخوا: مرجع سابق، ص ١٠٠ .

المدارس عام ١٨٣٥م في الشام^(١)

مجموع	فتيات	قراءة في الكتب الصغيرة	قراءة في الكتاب المقدس	المدرسة
٤٠	-	٢٣	١٧	المدرسة رقم ١
٤٦	٩	٢٠	١٦	المدرسة رقم ٢
٤٥	٦	٢١	٢٤	المدرسة رقم ٣
٢٧	٨	١٨	١٩	المدرسة رقم ٤
٢٥	٢٥	٢١	٦	المدرسة رقم ٥
٢٥	٢٥	-	-	مدرسة مس سميث للبنات
١٤	١٤			مدرسة مس جورج للبنات
٣٠	-	١٧	١٣	المدرسة اليونانية
٣٥	-	١٦	١٩	المدرسة الغربية في طرابلس
١٢	١٢			المدرسة العربية الإنجليزية
١٢	١٢			المدرسة الفرنسية العربية والإيطالية
٣٢٣				الإجمالي

واستمر عدد الدارسين فيها ٣٢٣ تلميذا عام ١٨٣٦م، وجرى التفكير في إنشاء مدرسة ابتدائية تعلم فيها اليونانية في القدس، ولكن الفكرة تم الاستعاضة عنها بمدرسة في بيروت، لاقت التشجيع من الأسقف اليوناني في لبنان^(٢)، ودرس بها ٢٠ تلميذا ازدادوا إلى ٣٠ من أغنى وأفضل العائلات اليونانية في بيروت^(٢).

ومن بيروت وطرابلس وصيدا حيث المراكز التبشيرية والتعليمية الأولى، بدأ الاهتمام يوجه لجبل لبنان حيث القرى الدرزية البعيدة عن

(1) Missionary Herald, March, 1836, Extracts from a letter of Mr. Thomson, Report Of Schools and Viacity.

* ولكننا لا نعرف هل استمرت هذه المدرسة أم سحب الأسقف اليوناني تأييده لها في خضم الصراع مع الإرسالية الأمريكية وبالتالي سقطت هذه المدرسة.

(2) Missionary Herald, Nov., 1836, Report Of the Station at Beyroot, For the year 1835, Vol. 32, 1836, pp. 919 - 921.

الخدمات والمحرومة من التعليم بشكل أساسي، ويمكننا القول أن هذه الخطوة هي بداية التطبيق العملي لنشر المدارس، فقد أسست السيدة دودج Miss Dodge مدرسة صغيرة للبنات كانت مخصصة أساساً للدروز وكان يحضر إليها ١٥ فتاة، ويذكر أن السؤال الهام الذي كان يناقش معهن بصورة أساسية هو كيف يسامحكن الله؟ وما الذي ستقدمونه له لكي يغفر ذنوبكن؟ ولذا كان توجيههن لطلب شفاعة المسيح^(١) وهم هنا يقتربون بالتلاميذ نحو التحول إلى المذهب البروتستانتي .

ورأى المسئولون عن التعليم في الإرسالية الترويج للتعليم المسيحي بين الدروز بكل وسيلة لأنهم من وجهة نظرهم، جهلاء فقراء مظلومون، وعزيمتهم ضعيفة، والتعليم متدهور بينهم، وسوف يستمر في التدهور ما لم تقدم إليهم المساعدات^(٢) واقتنع الدروز أنفسهم بأهمية التعليم في المناقشة بينهم وبين المورانة، الذين تهتم فرنسا بنشر التعليم بينهم فلجأوا بدورهم إلى الإرسالية الأمريكية، وفي أبريل ١٨٤١م جاء وفد من مشايخ الدروز لمنزل د/ وليم طمسن William tomson في بيروت فاستقدم د/ عالي سميث وتداولوا طويلاً أبح هؤلاء المشايخ في طلب المدارس، وفي نهاية الاجتماع تمت الموافقة على ذلك من جانب الإرسالية التي عملت على نشر عدد من المدارس في القرى الدرزية^(٣)، فقد كان الدروز من الناحية العقائدية مهينين لتقبل العمل التبشيري بينهم .

وفي ٢٠ مايو ١٨٤٥م افتتحت مدرسة للأطفال في حاصيبا بدأت بثلاثين طفلاً ثم ازدادت لأكثر من أربعين طفلاً وكانت تضم بين جنبااتها تلاميذ يونانيين ومورانة ودروز، كما أنها لم تكن قاصرة على البنين فقد كانت مختلطة ولكن البنات سرعان ما كفوا عن الذهاب لتلك المدرسة احتراماً للرأى العام الذى استكر حضور الفتيات مع البنين، وبدأ التفكير في

(1) Missionary Herald, March 1836, Extract from a letter Of Mr. Bird, Dated July 1835, Vol 32 pp. 91 – 97.

(2) Missionary Herald, Nov, 1836, Report Of The Mission Dated Dec 31, 1838, Vol. 35, 1839. Pp. 401 – 405.

(٣) مذكرات كرنيلوس فان ديك، مجلة الهلال، القاهرة، مجلد ١٤، ١٩١٤، ص ٢٧٣ .

إنشاء مدرسة خاصة بهن، كما كانت هناك مدرسة أخرى في أطراف حاصبيا^(١).

ولقد زاد عدد المدارس الأمريكية في الشام، والجدول التالي يبين لنا أن عدد المدارس بدأ في الازدياد والانتشار في الأماكن المختلفة داخل بلاد الشام.

مدارس الإرسالية الأمريكية ١٨٤٦ - ١٨٤٧ م

البلد	المدارس	المدرسين	التلاميذ	مجموع
بيروت	٤	٤	١١٨	١٥٨
	١	١	-	٣٠
عبيه وأجوارها	٩	٩	١٨٦	٢٦٤
حاصبيا	١	١		٣٥
تحت التجربة				
بجمدون	١	١		٢٦
طرابلس	١	١		١٥
المجموع	١٧	١٧	٣٠٤	٥٢٨ ^(٢)

(1) Missionary Herald, Feb. 1845. Miss Smith account of The rise of Protestantism at Hasbeiya, Vol. 41, 1845. Pp. 42-47.

(2) A.L. Tibawi, American Interests in Syria, 1800 - 1901, Oxford, 1960, p. 115-116.

وفيما بعد تقدمت مدرسة حاصبيا، وانضم إليها أطفال مسلمون^(١).

كما استمرت المدرسة الابتدائية بكفر شيما، وهي مدرسة مختلطة، وبلغ عدد تلاميذها ١٥ صبياً و ٢٠ بنتاً^(٢) وبدأت الإرسالية تعاني في منتصف الخمسينيات من عدم توافر الاعتمادات المالية لمواجهة الطلب المتزايد على المدارس وخصوصاً بين الدروز، الذين بلغ عدد المدارس بقراهم ٦ مدارس، وعملت الإرسالية على زيادة عددهم ثلاثة آخرين، خصوصاً في ظل الاقتناع أنه أصبح هناك استحسان لفوائد التعليم أكثر مما سبق، بدليل الطلب المتزايد على إنشاء المدارس^(٣).

وفي دير القمر التي كان بها مدرسة واحدة تضم عشرين تلميذاً عام ١٨٥٦م، زيدت إلى ٧ مدارس كان بهم أكثر من ٢٠٠ تلميذاً في عام ١٨٧٥م من ضمنهم مدرسة خاصة بالبنات، والتي كان عدد تلميذاتها عند بدايتها ١٢ تلميذة، زيد عددهن بعد ٦ شهور لأكثر من ٥٠ تلميذة، هذا بالرغم من وجود مدرسة المورانة المنافسة في نفس القرية^(٣) ومن بين تلك المدارس مدرستان مسائيتان إحداهما في دير القمر لجزء من الوقت، والأخرى كل الوقت في زحلتا، حيث كانت تدرس بها القراءة والكتابة والحساب والتوراة. ومن الملفت للنظر أن التقارير تذكر أن نصف العدد

* وتذكر الإرسالية في تقرير لعام ١٨٥٠م قوله "لقد كنا سعداء أن نرى طفلاً مسلماً ذكياً وهو ابن أحد الأمراء يقود المدرسة كلها، بكل انضباط ودقة، في الوصايا العشر والصلوات طوال فترة الراحة، ويشترك معه الصغر وهذا تمرين يومي أثناء غلق المدرسة .

Missionary Herald, Jan. 1851, Abeih. A letter From Mr. Whiting, July 23, 1850, Vol. 47, 1851, pp. 20-24.

(1) Missionary Herald, June, 1854, Beirut, Annual report, Vol. 50, 1854, pp 232-236.

(2) Missionary Herald, May, 1854, Abeih Annual report. P. 206.

(3) Missionary Herald, April, 1858, station Reports, Vol. 54, 1858, pp. 139-147.

٢٠٠ ينتمى لدير القمر نفسها أما النصف الآخر فيمثل القرى^(١) مما يؤكد انتشار التعليم داخل القرى الداخلية التي كانت محرومة منه بشكل جذري، وهو ما يعنى نجاح المبشرين الأمريكيين فى إقناع الناس بطريقة عملية بأهمية التعليم، كذلك فقد كانت غالبية هذه المدارس مجانية.

وأنشئت مدرسة للبنات فى عين عينوب، وكان عدد تلميذاتها ٦٠ تلميذة معظمهن من الدروز يتعلمن القراءة، وفى بجمدون كان هناك ٨ مدارس ابتدائية تشمل مدرسة بنات، وتضم هذه المدارس عدد ٣٥٠ تلميذا خمسهم من البنات، وقد صمم شكل التعليم وطبق ليجعل صلب المسيح هو المنفذ الموعود للعالم^(٢)، وهذا ما يتفق مع المبادئ الدينية البروتستانتية التى تدعو إليها الإرسالية الأمريكية.

وفى حلب أنشأ المبشر فورد Mr. Ford فى ١٨٤٨م مدرسة ابتدائية حتى جاء إليها دكتور أدى ١٨٥٢م وأنشأ فيها عدة مدارس أخرى^(٣).

فقد استأجرت الإرسالية الأمريكية منزلا فى حلب ١٨٤٩م، وافتتحت مدرسة لاقت إقبالا من الناس، ورغم المعارضة من الكنائس الوطنية، إلا أن المدرسة تقدمت واستمرت فى كسب ثقة الناس^(٤) هذا فى الوقت الذى لاقت فيه مدارس حمص هجوما شديدا من الأسقف الأرثوذكسى، الذى نجح فى خلق العديد من الاضطرابات للمدرس، وتوقفت الدراسة بالمدرسة، بينما بذلت العديد من المحاولات لإعادة نشاطها مرة أخرى^(٥).

(1) Missionary Herald, May, 1857, station reports, Vol. 53, 1857, pp 146-153.

(2) Missionary Herald, May, 1858, Station Report, Vol. 54, 1858, pp. 173-174.

(٣) شاهين مكاربوس: المعارف فى سورية، المقتطف آذار، ١٩٨٣، الجزء الثامن، العام السابع، ص ٤٧٣.

(4) Missionary Herald, Aug. 1849. Alppo: Aletter From Messrs Benton and Ford, Vol. 45. 1849 pp. 320 - 326.

(5) Missionary Herald, April, 1858, Station Reports, Vol 54, 1858. Pp. 139 - 147.

ومن اللافت للنظر أن مدارس الإرسالية الأمريكية قد لاقت قبولا بين الناس، فقد كان كل فشل من جانب المدارس التبشيرية المنافسة يضاف لصالح المدارس الأمريكية، فعلى سبيل المثال يذكر تقرير للإرسالية أن فشل مدرسة سوق الغرب التي أسسها الأسقف اليوناني أدى لزيادة عدد التلاميذ في المدرسة الأمريكية من ٣٠ إلى ٤٠ تلميذا^(١).

والملفت للنظر أن هذه الفترة شهدت ظهور مجموعة من المدارس الوطنية الشامية المرتبطة بالإرسالية الأمريكية، ففي خريف ١٨٥٥م استطاع إلياس الصليبي الذي تلقى تعليمه في مدرسة (عبيه) أن يجمع تبرعات من إنجلترا، وأنشأ بعض المدارس، وتكونت لجنة للإشراف عليها ضمت قنصل أمريكا ومندوب عن الإرسالية الأمريكية^(٢). وبفضل هذا التعاون بين المبشرين الأمريكيين وبين مؤسسي المدارس الوطنية اللبنانية أصبح التعليم الابتدائي لأول مرة في تاريخ الشام متاحا للجميع، ولكن انحصر نشاط هذه المدارس في مدن "المتن" و"الجرد" و"الغرب" وكانت أكثر الطوائف استفادة منها طائفة الروم الأرثوذكس^(٣).

وبذلك يمكننا أن نستخلص عددا من السمات الهامة لهذه الفترة أهمها: تذبذب عدد المدارس حيث كان عامل التمويل يتدخل بشكل حاسم في تحديد عدد المدارس، مما أدى لإغلاق بعضها واستمرار الهام منها فقط كذلك عامل آخر وهو النقص الشديد في وجود المدرسين الأكفاء لذا كان التفكير في محاولة لإنشاء مدارس عليا؛ لإعداد المعلمين القادرين على ملء الفراغ في هذه المدارس^(٤).

(1) Missionary Herald, Sep, 1859, A letter from Mr. Bliss, Vol. 55. 1859, pp - 259 - 269.

(٢) كمال الصليبي (دكتور): تاريخ لبنان الحديث، دار النهار، بيروت، ١٩٦٩، ط ٢، ص ١٧٦.

(٣) كمال الصليبي: مرجع سابق ص ١٧٩.

(4) A.I. Tibawi, Op. Cit, p. 164.

ب- المرحلة الثانية :

بالرغم مما حدث للإرسالية من خسائر سواء فى الأرواح أو فى الممتلكات، بعد أحداث ١٨٦٠م ؛ إلا أن هذه الأحداث أدت إلى زيادة الطلب على التعليم الأمريكى بشكل كبير، بعد أن توقف فى بداية الأزمة نتيجة المذابح وأيضاً لقلّة الأموال التى تحتاج إليها المدارس، فقد خفضت ميزانية التعليم فى الإرسالية ابتداءً من خريف ١٨٦٤^(١).

وكان لابد من حل مشكلة التمويل، فكان التغلب على هذه المشكلة عن طريق الحصول على أجر مقابل التعليم، وهو تقليد جديد اتبعته الإرسالية، ولا سيما بعد ازدياد الطلب عليها، فعندما أنشئت مدرسة ابتدائية للبنات فى دمشق ١٨٦٣ طلب منهن دفع مصاريف مقابل التعليم، وبالرغم من توقع مسئولى الإرسالية أن يقل عدد الطالبات فقد حدث العكس، لذا فقد تم تعميم تلك الفكرة^(٢).

وأدى هذا التشجيع والطلب المتزايد على التعليم لزيادة عدد المدارس بشكل كبير، ففى مركز عيبه بلغ عدد المدارس ١٢ مدرسة، بعد ازدياد إقبال الدروز على هذه المدارس، التى ضمت من بينها مدرستين للطالبات يبلغ عددهن ٤٠٠ طالبة، هذا على الرغم من أن التعليم لم يكن مجاناً^(٣) ولقد رصد أحد المبشرين فى الإرسالية الأمريكية تغير الوضع من حيث النظرة للتعليم بالمقارنة بين الوضع عام ١٨٦٤، وما قبل ذلك بثلاثين عاماً حيث كان الجهل ضارباً أطنابه بين الناس، أما فى وقت كتابة التقرير فغالباً كان كل أطفال بيروت يستطيعون القراءة والكتابة، وقد كان "الأمى" يخجل أن يظهر جهله، وينطبق هذا على جبل لبنان^(٤).

(1)A.l. Tibawi, Op. Cit, pp. 164 – 165.

(2)Missionary Herald, May, 1863, Beirut Station Report, Vol. 54, 1863, pp. 136 – 139.

(3)Missionary Herald, April, 1864, Abeih Station Report, Vol. 60. 1864, pp. 105 – 110.

(4)Missionary Herald, July, 1863. Sidon, Letter from Mr. Samuel Jessup, Vol. 59, 1863. Pp. 206-209.

وفى بيروت وحدها وصل عدد الطلبة لـ ٤٨٥ فى عام ١٨٦٣م كما هو موضح من الجدول الآتى:

عدد المدارس والطلبة فى بيروت ١٨٦٢م

المجموع	الطالبات	الطلبة	المدرسة
١٠٠	-	١٠٠	- مدرستين للبنين
٥٠	٥٠	-	- مدرستين بنات يومية
٢٥	٢٥	-	- المدرسة الداخلية المحلية للبنات
٤٠	٤٠	-	- مدرسة بنات بروتستانتية حرة تدرس بها سيدة تدرس فى عائلة د/دى فروست
١٢٠	١٢٠	-	- مدارس السيدة بون تومبسون ويدرس بها ٥ مدرسات وطنيات تعلمن فى مدارس الإرسالية
١٢٠	١٢٠	-	- مدرسة الشماسات للأيتام
٣٠		٣٠	- مدرسة داخلية للبنين
٤٨٥ ^(١)	٣٥٥	١٣٠	المجموع

وبذلك يتضح من خلال هذا الجدول عدة أمور جديرة بالملاحظة أولها: زيادة تعليم البنات على البنين، حتى أنه وصل لثلاثة أضعاف عدد البنين، وهذا يدلنا على تغير نظرة الناس التقليدية لتعليم البنات بعد أن كان محرم عليهن الخروج من المنازل، كما يدلنا على أهمية المرأة بالنسبة للتبشير ودورها المؤثر فى الأسرة لذا كان الاهتمام الشديد بتعليمها.

ثانيهما : ازدياد عدد المدارس فى بيروت كمثال بعد أزمة الستين، وهو ما يؤكد استفادة المبشرين الأمريكيين من التسهيلات التى منحتها لهم الدولة العثمانية.

ولو قارنا هذا الجدول بالعام الذى يليه لا تضح لنا الارتفاع الشديد فى عدد الطلبة والطالبات لدرجة بلغت الضعف كما هو فى الجدول التالى:

(١) Missionary Herald, May, 1863, Beirut, Station Report, Vol. 54. 1863, pp. 136-139.

التعليم في بيروت عام ١٨٦٣م

عدد التلاميذ	المدارس
٩٠	- مدارس البنين
٨٥	- مدارس البنات
٣٠	- المدرسة الداخلية للبنات
١١٥	- مدرسة المستر بستاني
٢٥٨	- مدرسة المستر بون تومبسون
٥٧٨ ^(١)	المجموع

ويتضح من الجدول السابق تضاعف عدد المدارس والتلاميذ، خصوصاً القفزة السريعة في عدد البنين، الذين زاد عددهم بشكل كبيراً أما مدارس البنات فقد زاد عدد الطالبات بها، فعلى سبيل المثال زاد عدد الطالبات في مدرسة الشماسات الروسيات من ١٢٠ طالبة في عام ١٨٦٢م إلى ١٨٠ عام ١٨٦٣م، وربما كان الدافع وراء هذه الزيادة انتشار التعليم الأمريكي وذبوع صيته، مما أدى لازدياد الطلب عليه من جانب الوطنيين حتى من أبناء الكنائس المنافسة بالرغم من الحرب الضارية التي شنتها الكنائس الوطنية.

وبلغ عدد مدارس البروتستانت في جبل لبنان عام ١٨٨٣ وحدة حوالى سبعين مدرسة، منها ٥٣ للبنين و١٧ للبنات، وعدد المعلمين ٦٠ والمعلمات ٢٤، والتلاميذ أكثر من ٢٥٠٠، والتلميذات نحو نصف هذا العدد^(٢)، أما في بلاد الشام كلها فقد بلغ عدد هذه المدارس ١٣٠ مدرسة في

(١) Missionary Herald, April, 1864, Annual report Of The Beirut Station, Vol. 60. 1864, pp. 105-110.

(٢) شاهين مكاريوس: المعارف في سورية، المقتطف، نيسان ١٨٨٣، الجزء التاسع، العام السابع، ص ٥٣٦.

مختلف مدن وقرى الشام^(١)، وفي سنة ١٨٦١م أنشأت الإرسالية الأمريكية بالاتحاد مع كنيسة "أيرلندة القسوسية مدرسة ابتدائية للبنات كانت تعلم العربية والحساب^(٢) وفي نفس الفترة تم تأسيس مدرستين ابتدائيتين في اللاذقية، إحداهما للبنين والأخرى للبنات، ومدة الدراسة ٦ سنوات^(٣).

وأهم ما تميزت به هذه المرحلة - الممتدة من سنة ١٨٦٠ إلى سنة ١٩١٤م - هو الانتشار الواسع للتعليم الأمريكي في بلاد الشام من مدنه وقراه، وفي نهاية المرحلة كان هناك اتجاه للتركيز على جودة التعليم والاهتمام بتلك المدارس المهمة فقط. في الوقت ذاته يمكننا أن نلاحظ أن هذه المرحلة تتميز بنيل الامتيازات العديدة من الإدارة العثمانية بعد التنظيمات عام ١٨٥٦م والتي تم الاستفادة منها في نشر المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية وهو ما أدى لزيادة حدة التنافس مع الإرساليات الأخرى والكنائس الوطنية في الشام، وبالتالي فإن التنافس أدى لزيادة عدد المدارس في الشام بصورة غير مسبوقه من قبل.

(١) شاهين مكاربوس: المعارف في سورية، المقتطف، آذار، ١٨٨٣، الجزء

الثامن، العام السابع، ص ٤٦٨.

(٢) سلمى قساطلي: تعليم النساء في دمشق، اللطائف، الجزء التاسع من السنة

الخامسة، ١٥ نوفمبر ١٨٩٠، ص ٢٦١.

(٣) روديك ماثيوز ومتى العقراوي: مرجع سابق، ص ٥٢٣،

- النشرة الأسبوعية، ٢٣ تموز ١٨٨٣، عدد ٣٠، ص ٢٣٨.

وشهدت هذه المرحلة أيضاً تقدماً في التعليد الابتدائي عند كافة الطوائف المسيحية والإسلامية ، بل وعند الإرساليات الأخرى في بلاد الشام، في إطار التنافس المحموم بين هذه الطوائف وبين الإرسالية الأمريكية، وهو ما يحسب لها، وإن كان قصب السبق في جميع هذه المدارس يحسب لمدارس الإرسالية الأمريكية سواء من حيث العدد أو المناهج، وكذلك عدد التلاميذ والتلميذات، وهو ما يتضح من الجدول التالي تطبيقاً على ولاية بيروت عام ١٨٨٣م.

التعليم في ولاية بيروت ١٨٨٣م

ملاحظات	مدبروا المدارس	عدد التلميذات	عدد التلاميذ	عدد المعلمات	عدد المعلمين	مدارس للبنات	مدارس بنين
سكان بيروت في هذه الفترة نحو ١٢٠ ألف نسمة من وطنيين وأجانب	مسلمون روم أرثوذكس مورقة روم كاثوليك	٤٥٣ ٥٠٠ ٥٥ -	٢١٧٠ ٩٠٠ ١٣٨٠ ٤٠٠	١٥٧ ٧ ٣ -	٤٤ ١٦ ٧٥ ٣٠	٣ ١ ٣ -	٢١ ٥ ١٠ ٣
أنشئت أكثر المدارس المذكورة في هذا الجدول بعد سنة ١٨٦٠م	يسوعيون راهبات المسيحية راهبات الناصرة	٢٠٠ ١٣٣٤ ٥٠٠	٦٩٠ - -	٤ ٦٥ ١٨	٧٥ - -	١ ٤ ١	٤ - -
- أن بعض مدارس المسلمين لا تزال على عهد القنيم - عرض هذا الجدول على أكثر أصحاب المدارس قبل طبعة فوافقوا على صحته	مار منصور كبوشيون سريان إيطالية يهود إنجيليون	- - - - ٩٠ ٢٤٥٠	٣٥٠ ٥٠ ٧٠ ٥٠ ٣٥٠ ٦٧١	- - - - ٢ ٨٧	٦ ١ ٢ ٣ ٢٠ ٤٤	- - - - ١ ٢٢	٢ ١ ١ ١ ٥ ١٢
المجموع ^(١)		٥٥٧١	٦٨٨١	٢٠١	٣١٦	٣٦	٦٥

وقد كان الدافع وراء تلك الحرية التي كان يعمل بها المبشرون الأمريكيون في حقل التعليم أكثر مما سبق، الفرمان العثماني الذي صدر في عام ١٢٨١هـ/١٨٦٤م وطبقاً لنصوصه فإن الكنائس والأديرة والمستشفيات والمدارس والمؤسسات الخيرية عموماً التي كان يسيطر عليها رعايا عثمانيون أو رعايا دول أجنبية أعفيت من دفع أي التزامات جمركية على كل

(١) نقلاً عن شاهين مكاربوس: المعارف في سوريا، المقتطف، شباط

إستيراداتها، بل أعفيت أراضي ومباني هذه المؤسسات من كل الضرائب^(١) كما زاد تعليم الفتيات حتى غير القادرات منهن، فقد افتتح عدة جمعيات للمساعدة في تعليم النساء الفقيرات من سيدات الإرسالية الأمريكية بمشاركة بعض الوطنيات المرتبطات بهن^(٢).

وفي نهاية فترة الدراسة، يمكننا أن ندرك حجم المدارس الأمريكية في بلاد الشام من خلال قائمة المدارس المعدة لعام ١٩٠٦ والتي كانت في الأصل قائمة للمدارس وأماكن العبادة التي تخص الإرسالية الأمريكية في سوريا في أيريل ١٨٨٩، وكانت تضم ١٠٤ مدينة في مختلف أقاليم الشام، ولكنها نقتح في عام ١٨٩٢م وابتداء من هذا العام كانت هذه القائمة تعد وتقدم كل عام للموظفين العثمانيين المسؤولين عن التعليم في الشام فقد كانت تعمل بموجب قانون المدارس العثماني الذي أعدته الحكومة العثمانية، عام ١٨٦٩م ثم عدلت هذه القائمة في مايو ١٩٠٣ والتي كانت تحتوى على ١٨٥ مدرسة في ١٤٠ مدينة كبيرة وصغيرة على تنوعها، ولكن أغلق من هذه المدارس عدد ٥١ مدرسة عامة (ابتدائية) وهو كما يذكر التقرير إغلاق مؤقت ولظروف لم يذكرها التقرير^(٣)، وربما يفسر لنا "Tibawi" هذا السبب وهو يؤكد إغلاق الـ ٥٠ مدرسة بالفعل في نهايات القرن التاسع عشر في قوله "لقد كان ملحوظا بالفعل أن القيمة التعليمية والاجتماعية للمدارس القروية التي احتفظت بها الإرسالية كانت تافهة، فقط تلك المدارس التي استطاع قليل من طلابها أن يتلقوا تعليما أفضل في المدارس المركزية هم الذين يشكلون مكسبا إيجابيا أما الباقون فقد بقوا في الجهل وعلى المدى الطويل فقدوا"^(٤)، وعملت الإرسالية على الاهتمام بتعليم المرأة، وفتحو مدارس أكثر للفتيات^(٥).

(1)A.L. Tibawi, Op- cit, pp. 170-171.

(٢) اللطائف، الجزء الثاني عشر، ١٥ أبريل ١٨٨٨، المجلد الثاني، العام الثاني،

ص ٥٧٥ .

(3)List Of American Educational, Religious and Charitable institutions, in the provinces of Syria, Beirut and the Lebanon, May 1906. American Archives, T. 367, Role 23, Lebanon.

(4)A.L. Tibawi, Op. Cit., p. 285.

(5)Nahid Dinces; Yabancidzel Oknllas, Cagalglu- Istanbul, p. 58.

وكان يأتي الاهتمام بتعليم البنات في مقدمة النتائج الإيجابية التي تحسب للإرسالية الأمريكية، والدافع الرئيسي وراء هذا الاهتمام هو دور المرأة في تكوين الأسرة وبث الأفكار في أطفالها وزوجها لذا كان التركيز الأساسي على المرأة باعتبارها وسيلة مهمة جداً في العمل التبشيري. في الوقت ذاته نجحت المنافسة بين الإرساليات والكنائس الوطنية والمسلمين من جانب، والإرسالية الأمريكية من جانب آخر في إنشاء العديد من المدارس الخاصة بالبنات.

ويتضح من الجدول التالي مدى هذا التأثير

جدول مدارس البنات المسيحيات من عام ١٨٥٩ إلى نهاية عام ١٨٨٩م

تلميذات	معلمات	مدارس	السنة	الملاحظات
١٥٠	٥	٢	١٨٥٩	بحسب ما يقوله العارفون
٣٢٦	١٨	٦	١٨٦٩	بحسب إحصاء الحكومة
١٠٧٠	٣٢	٧	١٨٧٩	بحسب الروضة الغناء
١٢٨٠	٤٦	١٠	١٨٨٩	

جدول مدارس البنات المسلمات ١٨٥٩ - ١٨٨٩م

تلميذات	معلمات	مدارس	كتابيب	السنة	ملاحظات
٦٠	٤	٠٠	٤	١٨٥٩	
٢٩٤	٢٨	٠٠	٢٨	١٨٦٩	إحصاء الحكومة
٢٩٤	٣٢	٢	٢٨	١٨٧٩	الروضة الغناء
٢٥٠٠	٦٣	١٢	١٥	١٨٨٩	(١)

يتضح من الجدولين السابقين عدة أمور هي:

- ابتدأ تعليم البنات في الازدياد خلال الفترة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر وكان ذلك نابعاً من المنافسة مع الإرسالية الأمريكية صاحبة أول مدرسة للبنات في الشام.
- كان عدد المدارس عند المسيحيين ضعف عدد المدارس عند المسلمين بالرغم من أن عدد التلميذات المسلمات أكبر من ضعف عدد التلميذات المسيحيات و عوض ذلك عند المسلمين بعدد الكتابيب.

(١) سلمي قساطلي: مرجع سابق، ص ٢٦٤.

- يدل تعليم البنات بهذا القدر وعند كافة الطوائف الشامية على دلالة بالغة الأهمية وهي التغيير الحادث في العديد من المفاهيم داخل المجتمع، وتغيير النظرة للمرأة عموماً .

- للإرسالية الأمريكية الفضل الأكبر في تعليم البنات في الشام فهم الذين وجهوا الأنظار لذلك، وهم أصحاب أول مدرسة للبنات في بلاد الشام .

ج- التعليم الابتدائي في القدس :

كانت القدس هي المحطة الأولى التي نزل فيها المبشرون الأمريكيون من مالطة، فهي من أول المدن الشامية التي شهدت منشآت تعليمية أمريكية، ولكن المنفت للنظر أن عدد المدارس الأمريكية في القدس ظل محدوداً وربما كانت الأسباب الحقيقية وراء ذلك الآتي:

١- الرغبة في التنسيق بين جهود الإرساليات البروتستانتية ولا سيما الأمريكية والإنجليزية، فتم الاتفاق على أن يترك الأمريكيون القدس للإنجليز فيما عدا بعض الأنشطة القليلة، يشهد على ذلك نقل الإرسالية لمعظم أنشطتها الرئيسية بعيداً عن القدس .

٢- الرغبة في العمل في أرض خصبة منفردة فكانت بيروت لا القدس التي شهدت المنافسة الشديدة بين كافة الإرساليات التي سعت لإثبات وجودها عن طريق المؤسسات التعليمية .

من هنا فإن للقدس وضعاً خاصاً دفعنا لأن نفرّد له هذه السطور بعيداً عن التعليم الابتدائي الأمريكي في الشام. فيذكر تقرير الإرسالية أنها أنشأت مدرسة للبنات في القدس سنة ١٨٣٥ تدرس فيها الأنسة تالدين Miss Tilden وكان عدد الطالبات فيها متذبذباً جداً، وكانت هذه المدرسة تضم فيها منذ بدايتها فتيات مسلمات ؛ لأن المسيحيين لم يدخلوا أبناءهم هذه المدرسة، لعدم رغبة المسلمين والمسيحيين أن يختلطوا معا في المدرسة^(١). لذا بدأ تفكير الإرسالية الأمريكية في إقامة مدرسة خاصة للفتيات المسيحيات^(٢).

وفي ١٠ أغسطس ١٨٣٨ افتتحت مدرسة بنين في القدس، لكن العدد سرعان ما زاد خصوصاً وهي مدرسة خيرية بدون أى نفقات، أما عن المناهج فقد كان يدرس فيها كتب الهجاء وكذلك التراتيل والعهد الجديد وكتب

(١) يذكر المبشر صمويل زويمر : "إنه من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وغرير النساء " وهذه خطوة تبشيرية مهمة. راجع مانع بن جهاد الجهن : مرجع سابق، ج-٢ ، ص ٦٧٩ .

(2) Missionary Herald, Nov., 1838. Report Of the Station at Jerusalem For the year ending. March, 1838. Vol. 34. 1838. Pp – 420-423.

صغيرة عن تعليم الديانة بالسؤال والجواب^(١) وبذلك يظهر الغرض التبشيري
الصراف من المناهج التي تدرس داخل المدرسة.

وأنشأت الإرسالية الأمريكية مدرسة في بيت لحم وهي المدرسة التي
كان يدرس بها مدرس بروتستانتى وتضم حوالى ٢٠ تلميذاً، وحدثت بعض
العوائق التي أثرت على عمل المدرسة قبل ظهور مرض الطاعون، وكذلك
المحاولات المتكررة من قبل الراهب اليونانى لتحطيم هذه المدرسة، وهذه
العوائق عرضت المدرس فى وقت ما لضعف العزيمة، فأغلقت المدرسة لعدة
أشهر ثم أعيد افتتاحها^(٢).

وفى عام ١٨٨٩م أنشئت مدرسة الفرنز للبنات Friend's Girl
School فى رام الله، وتلاها إنشاء مدرسة الفرنز للبنين The friend's
Boy School فى رام الله أيضاً عام ١٨٩١م، وكانتا مدرستين كاملتين
أنشأتهما البعثة الأمريكية، واقتصرتا على قبول الطلبة العرب من المسيحيين
والمسلمين^(٣).

وفى عام ١٩٠٧ اشترت جمعية الأصدقاء السوريين خمسين دونما^(٤)
فى مدينة الرملة لإنشاء مدرسة زراعية عليها، ولكن الحكومة العثمانية ظلت
تمانع فى منح فرمان الإنشاء حتى سنة ١٩١٢م، وكان التأخير بسبب الخلاف
بين الحكومة العثمانية والسفارة الأمريكية، التي كانت ترغب فى إعفاء الأبنية

(1)Ibid.,

(2)Missionary Herald, Aug., 1842. Report Of the Jerusalem Station
for the year 1841, Vol. 38, 1842. pp. 322 – 325.

(٣) على محافظة (دكتور): الحركات الفكرية فى عصر النهضة فى فلسطين
والأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٢.

(*) كان لجمعية المرسلين الكنسية التي تأسست فى لندن ١٧٩٩ دور بارز فى إنشاء
المدارس البروتستانتية فى فلسطين والأردن منذ عام ١٨٥٠، وقد بلغ عدد
المدارس التابعة لها فى فلسطين والأردن عام ١٨٨٢م نحو ٣٥ مدرسة كانت
تضم ١٦٣٥ تلميذاً، وازداد عددها بإضطراب حتى بلغ ٤٧ مدرسة عام
١٨٩٦، وهذا يعنى أن الأمريكيين تركوا المجال الفلسطينى للإنجليز للعمل به
حسب الإتفاق بينهما.

والأراضي التابعة للمدرسة من الضرائب والرسوم، وأخيراً صدرت الإرادة بإجابة طلبات السفارة^(١).

وبذلك كان النشاط التعليمي الأمريكي في القدس قليلاً إذا ما قورن ذلك بنشاطهم التعليمي في بيروت وبقية أنحاء الشام، كذلك فهو قليلاً إذا ما قورن بالمؤسسات التعليمية الإنجليزية والألمانية مثلاً، وهو ما يعنى ترك الأمريكيين للمنافسة في مجال القدس والذهاب لأرض خصبة جديدة.

وظل التعليم الأمريكي في القدس ورام الله وبيت لحم قاصراً على التعليم الابتدائي دون التعليم العالي أو الثانوي، وإن كانت الكلية السورية الإنجيلية في بيروت قد اجتذبت أعداداً كبيرة من طلاب فلسطين الذين تعلموا في مدارس الإرساليات الأخرى لإكمال تعليمهم العالي بها- كما سنرى في الفصل التالي:

د- المناهج في المدارس الابتدائية :

عندما بدأ العمل التبشيري الأمريكي في بلاد الشام، وأخذ الأمريكيون في نشر المدارس قوبلوا بعدة مشكلات كان أهمها أزمة المناهج والكتب الدراسية.

فمنذ عام ١٨٣٠م يعترف تقرير للإرسالية الأمريكية بوجود شكوى مريرة من عدم وجود كتب للهجاء باللغة العربية، فيما عدا كتاب صغير صدر من مطبعة الأمريكيين في مالطة، ولا يوجد أى كتب في علم الحساب باللغة العربية، وعلم الجغرافيا غير معروف في الشام آنذاك، إلا لدى قلة قليلة ممن يلمون بأعمال الجغرافيين القدماء^(٢) لذا بذلت العديد من المحاولات من جانب المبشرين لتأليف عدد من هذه الكتب بالإشتراك مع عدد من المؤلفين الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، من أمثال بطرس البستاني وناصر اليازجي.

ولقد صممت الدراسة في تلك المدارس في البداية على الأقل على أنها مدارس تبشيرية، فوجد المواد التي كانت تدرس فيها في البداية هي النوراة، وقواعد اللغة العربية، الحساب، الجغرافيا. ثم روى إدخال مناهج جديدة هي علم الفلك، وحساب المتلثات، والجبر، والهندسة، والتاريخ، واللغة

(١) عبد العزيز عوض: متصرفية القدس في العصر العثماني، رسالة دكتوراة غير مشورة آداب عين شمس، ص ١٨٤ .

(2) Missionary Herald, Feb., 1830. Views and proceedings preference to this mission, Vol. 26, 1830, pp. 73 -82.

الإنجليزية^(١)، وسواء اتفقنا أو اختلفنا مع توجهات هذه المدارس فهي المرة الأولى التي نجد فيها مدارس الشام قد تعدت الأدوار التقليدية للدراسة إلى الأجواء الحديثة التي بدأت بإدخال العديد من العلوم الحديثة.

ومن الجدير بالذكر أن التعليم في هذه المدارس كان يتم باللغة العربية والتي شهدت نهضة كبيرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين؛ بسبب اشتداد الفكر القومي^(٢)، حيث كان التعليم باللغة العربية في مدارس المبشرين الأمريكيين الذين أصروا على أن يكون التعليم باللغة العربية، لتنمية الشعور القومي لديهم وإضعاف رابطتهم بالدولة العثمانية. أما اللغة الإنجليزية فكانت تدرس بشكل هامشي وبسيط، ولا سيما في البداية بل وتدرسيها كفرع من فروع المعرفة، وذلك لأن التعليم باللغة العربية يحفظ للتلاميذ بدرجة كبيرة مشاعرهم القومية، وبذلك يضمن استمرار التعاطف مع ذويهم واستخدام ذلك في الأمور الخاصة بالتبشير^(٣) وكذلك للاستفادة من ذلك في تعليم المبشرين أنفسهم اللغة العربية، وهم بذلك لا يكتسبون بغض الناس حينما يعلمون بلغة غير لغتهم، ولكن بعد أن ثبت الأمريكيون جذورهم أصبح التلاميذ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر - باللغة الإنجليزية.

ومن خلال هذه المناهج ونوعياتها نتأكد أن هذه المدارس كانت تبغى الوصول لأعمال التبشير في الأساس، وإدخال المناهج الحديثة وطرق التعليم الحديثة إنما كانت وسائل لغاية يبغون الوصول إليها، وهي التبشير بين التلاميذ وذويهم ونشر العديد من الأفكار التي يؤمنون بها بينهم. وكانت العلوم المختلفة بدءاً من التاريخ والجغرافيا وحتى بقية العلوم تدرس من حيث ارتباطها بالتوراة والنبوءات التوراتية^(٤)، كما كان يدرس الكتاب المقدس بغض النظر عن المذاهب الدينية للطلاب^(٥).

(1) A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 64-65.

-A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 124-125.

(٢) نجلاء أبو عز الدين (دكتورة): العالم العربي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت، ص ١٣٠.

(3) A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 124-125.

(*) ويرى هنري جست "أن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط. هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية، ولكن حينما يخطو التعليم وراء هذه الحدود ليصبح غاية في نفسه وليخرج لنا خيرة علماء الفلك وطبقات الأرض وعلماء النبات، وخير الجراحين والأطباء في سبيل الزهو العلمي.. فإننا لا نتردد حينئذ في أن نقول أن رسالة مثل هذه قد خرجت عن المدى التبشيري المسيحي إلى -

ومن خلال الجدول التالي يمكننا تتبع تاريخ إنشاء وإغلاق وشراء المدارس التابعة للإرسالية الأمريكية في الشام ابتداء من الفترة محل الدراسة حتى عام ١٩٠٦ .

ولاية سوريا Vilayet Of Syria (٢)

سنجق Sanjak	قضاء Kaza	المكان Place	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	أغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
	حاصبيا	حاصبيا	١٨٤٤	١		١٨٥٤
		الكفر	١٨٥٧	١		١٦٥
		راشيا	١٨٥١	١	غ.م	
		شبيعة	١٨٥٧	١		
	بعلبك	بعلبك	١٨٧٤	١		١٨٤٤
		بيت شاما	١٨٦٨	١	غ.م	١٨٨٠
		دير الغزال	١٨٦١	١	غ.م	
		الحدث	١٨٨٢	١		
		حوش بردى	١٨٩٠	١		
		كفر ريد	١٨٦١	١		
		قوسايا	١٨٧٣	١	غ.م	١٨٩٢
		راس بعلبك	١٨٨٤	١		
		سليفة	١٨٧٨	١		
		طليا	١٨٦١	٢		
	البقاع	عينبنت	١٨٦٨	١	غ.م	١٨٧٨
		القرزل	١٨٦٨	٢	غ.م	١٨٧٧
		الجديدة	١٨٧٠	٢	غ.م	١٨٨٤
		الحرية	١٨٧٥	٢		١٨٧٧
		مشعرة	١٨٦٩	١		١٨٨٨
		معلقة	١٨٦٨	٢		١٨٧٣
		قنب اليباس	١٨٧٢	٢		
		الفرعون	١٨٧٠	٢		
		سفبين	١٨٧٠	١		
حوارة	قنيطرة	عين فقيه بانياس	١٨٥٨	١		١٨٨٠
		مجدل سمس	١٨٥٨	٢		١٨٧٣
		حماة	١٨٧٤	٢		١٩٠٢-١٨٨٤
		محرورة	١٨٧٠	١		١٨٧٠
		حمص	١٨٥٩	٤		١٨٩٨
		بيروزة	١٨٩٣	١		
		أم تولاب	١٨٩٤	١		

=مدى علماني محض، إلى مدى علمي دينوي... مثل هذا العمل يمكن أن تقوم = جامعات كمبردج وهارفارد... لا الجمعيات التبشيرية التي تسعى لأهداف روحية فحسب .

- عبدالودود شلبي (دكتور): الزحف إلى مكة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٨٣ .

(1) Missionary Herald , July 1852 , Beirut , Annual Report , Vol 49 , 1853 , p. 198 .

(2) The Board of Foreign missions of the Presbyterian Church in the U.S.A, Op.Cit.,p.7

ويلاحظ على الجدول السابق الآتي:

- ١- أن كل المدارس السابقة تقريبا فيما عدا خمس مدارس قد أنشئت في المرحلة الثانية أي بعد ١٨٦٠م وهو ما يؤكد ما طرحناه أن المرحلة الثانية كانت مرحلة الانتشار. وتثبيت الأقدام للإرسالية في بلاد الشام.
- ٢- من خلال أسماء الأماكن التي أنشئت بها تلك المدارس يلاحظ أنها انتشرت في الأماكن الداخلية والجبلية، وهو ما يؤكد رغبة القائمين على أمور التعليم في الإرسالية وتصميمهم على نشر التعليم كرسالة تبشيرية بين السكان باختلاف طبقاتهم وأماكنهم.

(١) ولاية بيروت Vilayet Of Beirut

سنجق Sanjak	قضاء Kaza	المكان Place	تاريخ التأسيس	مدارس افتتحت	أغلقت مؤقتا	تم شراؤها ملكية خاصة
		بيروت	١٨٤٥	٢		١٨٢٦ ١٨٦٦
	الجديدة	الجديدة دير المماس إبل السقي الحربة الخبير	١٨٥١ ١٨٦١ ١٨٥٢ ١٨٦٤ ١٨٥٢	٢ ١ ٤ ٢ ١		١٨٢٦ ١٨٦٦ ١٨٧٣ ١٨٦٤ ١٨٦٦
	صيدا	صيدا عبرا علما قانا دبل تبنين	١٨٥٢ ١٨٦٦ ١٨٥٠ ١٨٥ ١٨٨٠ ١٨٧٥	٦ ١ ١ ١	م.غ	١٨٥٨ ١٨٦٤
Acre طرابلس		البصة El. Bussa طرابلس المينا	١٨٨٠ ١٨٥٤ ١٨٥٤	١ ٢ ١	م.غ	١٨٧٦ ١٨٨٦
	الحصن	عمار الحربة حب نمرة مرمرتا مقبرة	١٨٧٩ ١٨٧٢	١	م.غ م.غ م.غ	١٩٠١
	عكار	بيتو منيارة الشيخ محمد جبر ايل رحبة	١٨٦٦ ١٨٨٨ ١٨٦٩	١ ١ ١	م.غ م.غ	١٨٨٣ ١٨٨٨ ١٨٨٠
	صافيتا	اليزيدية مشتا للحلو برج صافيتا بيت شباط	١٨٩٨ ١٨٦٤ ١٨٩٢	١ ٢ ١	م.غ	١٩٠٠ ١٨٨٠

متصرفية لبنان (١) Mutserfiyet Of Lebanon

تم شراؤها ملكية خاصة	أغلقت مؤقتا	مدارس افتتحت	تاريخ التأسيس	المكان	قضاء	سجق
١٨٨٢	غ.م غ.م	١	١٨٥٨ ١٨٨٩ ١٨٩٠	غروز المنصف شيخان	غزير	
-	غ.م	١ ٢	١٨٧٠ ١٨٦٧ ١٨٩٠ ١٨٧٤ ١٨٧٨	كسبا بشمزين كفر حزير بقرام أنفة	الكورة	
	غ.م غ.م غ.م		١٨٨١ ١٩٠٢ ١٨٦٧	بترون كروم صدي دوما	بترون	
١٩٠٣	غ.م	١ ١ ١ ١	١٨٨١ ١٨٨١ ١٨٨٢ ١٨٥٦ ١٨٨٠	جزين دوم مخدوشة برتا ميه وميه	جزين	
١٨٩٠		١ ١ ١	١٨٧٠ ١٩٠٥ ١٨٨٤ ١٨٨٠	الصالحية قببولة قرية كفر جرا		

(1)Ibid.,p.9.

		١	١٨٥٠	مجد لونا	
			١٨٥٠	جون	
		١	١٨٩٠	جميلية	
١٨٥٠		٢	١٨٤٢	عالية	
	م.غ	١	١٩٠٤	القماطية	
١٨٥٠		٢	١٨٤٤	عبية	
			١٨٤٢	عيناب	
		٢	١٨٤٢	عين عينوب	
١٨٦٠		١	١٨٥٠	عين زحلنا	
	م.غ	١	١٨٤٤	عرمون	الشوف
		٢	١٨٦٨	بعقلين	
		١	١٨٩٠	غريفة	
		١	١٨٧٨	المطلة	
١٨٧٠			١٨٤٨	بحمدون	
		١	١٨٤٢	بشامون	
١٨٩٥		٢	١٨٥٨	دير القمر	
	م.غ	١	١٨٥٨	دير قوبل	
		٢	١٨٦٣	الديبة	
١٨٧٠		٢	١٨٩٧	راشيا	
		٢	١٨٦٣	الشويقات	
١٨٧٠		٢	١٨٥٣	سوق الغرب	
		١	١٩٠٥	معاملتين	
١٨٧٥		٣	١٩٦٣	الشوير	
			١٩٠٥	عين السنديانة	
		١	١٨٦٥	الحنشارة	كسروان
	م.غ		١٨٦٥	بتغرين	المتن
		١	١٨٤٧	كفر عقاب	
	م.غ		١٨٥٣	كفر شيما	
١٨٧٥		٣	١٨٦٨	الحدث	
				زحلة	

من خلال هذا الجدول يتضح الآتي:

- ١- أن عدد المدارس التي أنشئت قبل ١٨٦٠ كان ٢٣ مدرسة في حين بلغ عدد المدارس التي أنشئت بعد ذلك ٤٧ مدرسة.
- ٢- توزعت هذه المدارس على مختلف مدن وقرى متصرفية لبنان، حتى الأماكن الداخلية والبعيدة عن العمران، أي التي في الأطراف.
- ٣- عدد المدارس التي أغلقت ١٥ مدرسة، ويلاحظ أنها في الأماكن الداخلية.

٢- المدارس العليا :

عندما أنشئت الإرسالية الأمريكية المدارس الابتدائية في أنحاء الشام المختلفة، ظهرت الحاجة الماسة لإنشاء المدارس العليا، لتخريج المدرسين للعمل في هذه المدارس، وفق الأهداف التي من أجلها أنشئت، وفي نفس الوقت، تخريج المساعدين الوطنيين، للعمل في مجال التبشير مع الإرسالية

الأمريكية ، فهم أدري الناس بالبيئة الشامية . لذا بدأت الإرسالية إنشاء المدارس العليا في بيروت للبنات والبنين ، وعندما أدركوا أن معظم خريجي المدارس العليا في بيروت لا يصلحون للعمل في القرى ، وذلك نظراً لأنهم من أبناء المدينة ، لذا كان التفكير في إنشاء مدرسة عليا في عيبة لأنها بلدة ريفية ، وخريجوها يصلحون للعمل في الأوساط الريفية والداخلية من بلاد الشام .

أ- المدرسة الأمريكية العليا للبنات في بيروت :

تركز الاهتمام الأساسي للإرسالية الأمريكية في بيروت علي إنشاء مدارس للبنات ، حيث تكون الصلة مع الطالبات أكثر احتكاكاً واتصالاً في المدارس الداخلية ، كذلك لدور الفتاة في تكوين الأسرة والتأثير فيها ، فأنشأوا المدرسة العليا للبنات كمحاولة لتخريج مدرسات للعمل في مدارس الإرسالية ، وكذلك للعمل كمساعدات وظيفيات في التبشير فهن أدري الناس بالبيئة التي وجدن فيها .

كان تعليم البنات في الدولة العثمانية يتم من خلال مدارس تعرف باسم " مدارس الصبيان " وكان يتم تعليم البنات فيها أيضاً ، وهذه المدارس جرى إنشاؤها في زمن السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) في القرن الخامس عشر الميلادي ^(١) . وقد أنشأت الإرسالية الأمريكية أول مدرسة عليا للبنات في بلاد الشام . فقد كانت أول مدرسة رشدية للبنات الإرسالية الأمريكية في بيروت أنشئت في عام ١٨٥٨م ^(٢) ، في حين أنشأت الإرسالية الأمريكية في بيروت أقدم مدرسة عليا للبنات في الدولة العثمانية كلها ، ففي عام ١٨٣٤ ^(٣)

(١) يلماز اوزطونة: تاريخ تركيا الكبير، ج١٠، ص ٣١١ - باللغة التركية .
(٢) عثمان آركين: تاريخ المعارف التركية (باللغة التركية) ج١، ص ٨٢ .
(*) هناك إختلاف حول نشأة أول مدرسة عليا للبنات في العالم العربي ببيروت، فبينما ترجح الأقوال أنها تعود لعام ١٨٣٤م، ترى بعض الآراء الأخرى أنها تعود لعام ١٨٣٠ . راجع: نجيب العقيلي: مرجع سابق ص ١٣٥ . - أنور الجندى: مرجع سابق، ص ٢٩٢ - رودريك ماثيوز، متى العفراوي: مرجع سابق، ص ٦٢٧ .

أنشأت زوجة المبشر عالي سميث Mr. A. smith هذه المدرسة في إحدى غرف دار الإرسالية ببيروت، ضمت أربعين طالبة^(١) وأغلقت هذه المدرسة عام ١٨٤٠م، وذلك نتيجة للاضطرابات القائمة في ذلك الوقت، لعمل الحلفاء على إخراج القوات المصرية من الشام، وكانت بيروت المركز الرئيسي للعمليات الحربية، ويذكر تقرير الإرسالية سنة ١٨٤١ "لقد عانت مدرسة البنات هذا العام بشكل خطير، ففي بواكير الموسم أجبرتتنا الاضطرابات السياسية أن نوقفها، ولأن بيروت حتى اليوم معسكر حربي، فإننا غير قادرين أن نعيد افتتاحها، ويعترف نفس التقرير بالحاجة الماسة للمدرسة بعد ما أصاب تعليم البنات حالة من الضعف نتيجة لغلاق المدرسة، كذلك أصبحت هناك حالة من اللامبالاة المميتة من الآباء تجاه تعليم البنات"^(٢).

وبعد ذلك أعيد افتتاح هذه المدرسة حتى توقفت ثانية بسبب وفاة مسز سميث MRS Smith سنة ١٨٤٣م، وأنشئت مرة أخرى في بيت أحد المرسلين، وقد ظلت هذه مفتوحة الأبواب إلى أن رحلت أسرة هذا المبشر وأمريكا سنة ١٨٥٤م^(٣). وبذلك حدثت العديد من الاضطرابات والمشاكل التي أثرت على نشأة واستمرار المدرسة العليا للبنات في بيروت، إلى أن استقر الأمر تماماً ابتداء من عام ١٨٦١م. حيث تم افتتاح المدرسة واستقرت في مواصلة عملها، ووضع حجر الأساس في مبناها الجديد، بل تعدى نشاط هذه المدرسة منطقة بيروت، لبلاد الشام كلها، وتم الدعاية لها في مصر والعراق^(٤) ومن الملفت للنظر افتتاح هذه المدرسة مرة أخرى في هذا التاريخ، الذي يرتبط بالمذابح الدامية في الشام بين الدروز والمورانية، والتدخل الأوربي الشديد في المنطقة وبالتالي ما نجم عن ذلك من كثرة المهاجرات لبيروت، وأكثرهن من الأراذل والفتيات، فكان العمل على

(١) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص ١٧٤ .

(2) Missionary Herald, July 1841, Report Of the station at Beyroot. Jan. Ist, 1841, Vol. 37, 1841. Pp. 301-304.

(٣) رودريك ماثيوزو منى العقراوي، مرجع سابق، ص ٦٢٧ .

(٤) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص ٣٧ .

- انظر أيضاً : نور الدين حاطوم (دكتور): نشاط البعثات الأجنبية الدينية

في العالم العربي، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٩ .

- شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص ٣٨٩ .

- عبدالكريم غرايبة : مرجع سابق، ص ١٧٣ .

اجتذابهن من الأهداف العزيزة على الإرسالية الأمريكية ومن الوجه الآخر فإن التدخل الأوربي قد وفر الحماية اللازمة لهذه المؤسسات أن تعمل بكامل حريتها، لا سيما أن بريطانيا البروتستانتية التي كانت تقدم الخدمات الجلييلة للإرسالية الأمريكية، كانت صاحبة الكلمة العليا آنذاك فى الشام، وعند السلطان أيضا .

هذا عن نشأة المدرسة أما عن التعليم داخلها، فيصف تقرير للإرسالية لعام ١٨٣٦م أن الدراسة تستمر بها يوميا لمدة ست ساعات ونصف يوميا ساعة، وتشتمل على نصف ساعة راحة ثم يذكر "ونحن نشعر بالتشجيع والفرح من مدرستنا هذه ونعتقد أنه لا يوجد فرع من مجهوداتنا يعدنا بثمار نهائية أكثر من هذه المدرسة، ونحن نأمل أن يضع المجلس دائما تعليم البنات فى اعتباره عندما يرسل إمدادات لهذا البلد، وألا تقام إرساليات جديدة بدون إعداد الوسائل لفتح مدرسة بنات على الفور"^(١) وهذا يوضح لنا مدى نجاح المدرسة فى تحقيق الأهداف التي من أجلها افتتحتها الإرسالية الأمريكية .

وهذه المدرسة تعلم اللغة العربية بفنونها، والحساب، والفسولوجيا والكيمياء، والحيوان، والهيئة، والتاريخ، والفلسفة الطبيعية، والميثولوجيا، واللغات الإنجليزية والفرنسية^(٢) . أما العلوم الدينية فهي الهدف الرئيسى من هذه المدرسة، فقد كان يدرس بها العهد القديم والعهد الجديد، وكانت كل التلميذات بما فيهن المسلمات واليهوديات والمسيحيات من المذاهب المختلفة يدرسن Assembly's Shorter Catechism كدرس يومى؛ ودلائل الإنجيل، وأيضا كان يدرس لهن موجز تاريخى للتعليم بطريق السؤال والجواب للعهدين القديم والجديد، وكانت الساعات الأولى من اليوم الدراسى تخصص للكتاب المقدس، وكل التلميذات دون تفرقة يحضرن هذا القداس فى كنيسة الإرسالية، ويحضرن الدروس الدينية^(٣) .

كانت المدرسة تعمل بنظام الفصل الدراسى الذى يستمر لمدة ١٢ أسبوع، منذ أول يناير حتى ٢٧ مارس، والترم الذى يليه يبدأ فى ٩ مايو وتستمر الدراسة الجادة بالمدرسة دون إضاعة للوقت^(٤) فقد كانت هذه

(1) Missionary Herald, Nov 1838, Report of the station at Beyroot for the year 1835, Vol. 36, 1838. Pp. 414-421.

(٢) شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص ٣٨٩ .

(3) Missionary Herald, July, 1852, Beirut, Annual report, Vol. 49. 1853, pp. 193-200.

المدرسة ولا سيما الفترة بعد ١٨٦٠م تعد الطالبات للالتحاق بالكاوية الإنجيلية السورية بعد إنشائها سنة ١٨٦٦م فهي أشبه بالقسم الإعدادي^(١).

ويبدو من التقارير أن المدرسة قد حققت تقدما في التعليم وكذلك في الهدف الأصلي منها ففي الامتحان الذي عقد في ١٥ ابريل ١٨٦٠م حضرته ٥٠ فتاة مشرقا متفوقات وكن سعيدات، وحضر مجلس الإرسالية هذا الامتحان وأبدى سعادته من هذا المستوى الذي وصلن إليه وهو لا يقل بأى حال عن المستوى المناظر في مدارس أمريكا^(٢) أما صمويل جيسب Somuel Jessup وهو من أهم المبشرين الأمريكيان فيقول بخصوص الامتحانات عام ١٨٦٨م: لقد كانت أكثر امتحانات شيقة حضرتها، وكوفئت مجهودات مسز دودج، ومستر بليس Mr. Bliss والأنسة تومسون Miss Thomson جيدا للمظهر الطيب للفتيات، ذلك أن هذا العمل كان له تأثير قوى جدا على هذا البلد، في تهذيبه وتنقيته^(٣) وبذلك ظهر جليا أثر هذه المدرسة التي اعترف تقرير للإرسالية عام ١٨٦٧م أن هذه المدرسة من أهم الوكالات التصيرية، وتتصل بالعمل التبشيري بسوريا. والمبنى نفسه يقدم انطباع أن البروتستانتية قد أصبحت قائمة^(٤) وعندما ضاق المبنى بالطالبات في المدرسة تم تأجير منزل مجاور لمبنى المدرسة، وجزء من هذا المنزل تم استخدامه كحجرات للنوم خاصة بالطالبات الداخليات فيها^(٥).

شجع النجاح الذي لاقته مدرسة البنات الإرسالية على التفكير في إنشاء مدرسة أخرى يديرها الأهالي الذين تعلموا في مدارس الإرسالية وعملوا معها بل وارتبطوا بها في أعمالهم التبشيرية، حتى يكون هؤلاء هم

(1) Missionary Herald, May, 1861. Station report Vol. 57. 1861. Pp 134 – 142.

(2) Missionary Herald, July, 1860, Letter From Mr. Jessup, April. 10, 1860. Vol. 56. 1860. Pp. 195 – 199.

(3) Missionary Herald, Oct, 1868. Monthly Summary, Vol. 64. 1868. P. 299.

(4) Missionary Herald, May, 1867. Monthly Summary. Vol. 63. 1867, pp. 120-121.

(5) Missionary Herald, Dec. 1867. Sidon: Letter from Samuel Jessup. Oct. 26, 1867. Vol. 64, 1868. P.58.

الوجهة للمدرسة وفي نفس الوقت فهو احتياز لفرة هؤلاء المساعدين علي القيد بهذه الاعمال ومن ناحية اخرى فهو هروب من أي نقد أو هجوم يوجه إليهم علي أنهم مبشرون يسعون لتغيير دين الطالبات ، وهو نفس ما فعلوه في نفس الفترة مع بزرر البستاني ومدرسه الوضية كم سدرى فيم بعد .

بدأ مشروع إنشاء هذه المدرسة في عام ١٨٦٢ م عن طريق " عرمان " " Mr. M. Araman " وروجه " نولو " Lulu التي تدرت في عائلة د/ دي فروست Dr - D. Forst وكانت مدرسة في مدرسة البنات العليا ، أما عرمان نفسه فقد عمل لسنوات طويلة مساعد لمستر كالهون في المدرسة العليا التي كان طالباً فيها من قبل ، وظلت هذه المدرسة تعمل بشكل منتظم ^(١) ولكننا لا نعرف المصير الذي آلت إليه هذه المدرسة . وأن كنا نعلم أنها رجعت فيما بعد لإدارة الإرسالية الأمريكية ، في نفس الوقت الذي تبرعت فيه الإرسالية بقطعة أرض بجوار الكنيسة ^(٢).

استحدثت هذه المدرسة تقليداً ما لبث أن انتقل منها لبقية المدارس ، وأصبح يرتبط بسياسة الإرسالية الأمريكية في مدارسها ، وذلك هو إقامة الاحتفالات في المدرسة سواء بمناسبة الامتحانات ومنح الخريجات شهادتهن أو في المناسبات المختلفة ، وذلك لعدة أهداف ربما يكون من أهمها الارتباط مع أهالي الفتيات وبذلك يسهل عليهم بث ما يؤمنون به من أفكار ، كذلك فهي خير دعاية لمدارسهم وما وصلت إليه .

ويظهر من خلال هذه الاحتفالات التي كانت تقام في فصل الربيع محاولة الربط بينهم وبين المدنية الغربية ، وتوضيح أن التمدن الأوربي هو القيمة العليا التي يجب أن نسعى للسير وراءها فله كل الحسنة . فمن ضمن الخطب التي ألقى في احتفال ١٨٨٣ م والذي حضره أقرباء التلميذات ومحبي العلم خطبة سليم البستاني في

(1) Missionary Herald. May 1863 Beirut Station Report. Vol. 59 1863 Pp. 136 - 139.

(2) A.L T IBAWI, OP Cit. , p 163

موضوع "ان التي تهز السرير بيسارها تهر الأرض بيمينها" (*) أوصح فيها الفرق بين المرأة العاقلة المتعلمة وبين الجاهلة واقتدارها على النفع والضور، ويلاحظ أنه حاول الترويج لهذه الأفكار .

١- أن المرأة مثل الرجل في العقل وإن اختلفت التكوينات الجسدية بينهما، لذا فهو يهاجم من يعتبر المرأة أقل في الهيئة الاجتماعية من الرجل ويصفهم بالتخلف، ويدعو النساء لبلوغ مراقي الكمال عن طريق القراءة والأدب والعلم .

٢- ينسب أسباب الانحطاط والتخلف الحضاري لتراجع دور المرأة عن القيام بواجباتها، نتيجة لتخليها عن دورها في العلم والعمل، وهو هنا يذكر بعض ممن يسميهم عظيمات النساء مثل زنوبيا، وجان دارك الفرنسية، واليصابات .

٣- يقدم العديد من النصائح للمرأة للحفاظ على بيتها وهو مملكتها الخاصة، ويحذرنا من أسباب تدهور البيوت والمصائب التي تحل بسبب جهل المرأة (**).

وفي احتفال آخر خطب يعقوب صروف خطاباً في "تمدن الأوربيين" وبين ما فيه من نفع، وكانت هذه الاحتفالات تصبغ بالصبغة الدينية البحتة ففي الاحتفال^(١) الذي أقيم في ٢ ابريل ١٨٨٥م لمنح الشهادة العلمية لخريجي المدرسة افتتح الاحتفال بالترنيم ثم تلا القس صموئيل جيسب فصلاً من الكتاب المقدس وصلى، ثم ارتفعت ألحان الترانيم^(٢).

يتضح مما سبق الآتي:

- عملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بتعليم البنات، للدور الذي تلعبه المرأة عموماً في حياة الأسرة، وهو ما حدث بالفعل حيث لعبت المرأة دوراً كبيراً في التغيرات التي شهدتها بلاد الشام، وذلك عن طريق دورها في الأسرة، والتي وضعت الإرسالية الأمريكية لبناتها الأولى .
- أسست الإرسالية الأمريكية أول مدرسة لتعليم البنات في بلاد الشام في بيروت، كما أنها كانت صاحبة الفضل في تأسيس أول مدرسة عليا

(*) النشرة الأسبوعية: يوم الاثنين ٢٥ حزيران ١٨٨٣، بيروت، العدد ٢٦، ص ٢٠٦ .

(**) أيس جليس: الجزء الثالث، ٣١ مارس، ١٩٠٠، ص ١٠٤ .

(١) النشرة الأسبوعية : بيروت ١٤ نيسان ١٨٨٤، العدد ١٦، ص ١٢٦ .

(٢) النشرة الأسبوعية: الاثنين ١٣ نيسان ١٨٨٥، العدد ١٥، بيروت، ص ١١٨ .

للبنات في الدول العثمانية ككل، وقبل المدرسة الرشدية للبنات التي أقيمت في استانبول بما يزيد عن خمس وعشرين عاما .
- نظرت الإرسالية لمدرسة البنات في بيروت على أنها أهم مؤسسة تبشيرية في بلاد الشام، ودرس بها العلوم التوراتية، كما درس بها الكتاب المقدس، والذي فرضت دراسته على جميع الطالبات بغض النظر عن طوائفهم الدينية .

ب-المدرسة الأمريكية العليا للبنين في بيروت:

بعد إنشاء مدرسة بيروت العليا للبنات، بدأ التفكير في إنشاء مدرسة عليا للبنين، لتخريج المعلمين والمساعدين الوطنيين من الرجال للعمل مع الإرسالية الأمريكية سواء في مدارسها أو كمبشرين، خصوصا أن بيروت وهي مركزهم الأول والرئيسي في الشام تعتبر مكانا لائقا لاجتذاب الشباب سواء من الجبل أو من المدن والقرى المحيطة بها .

أنشأها القس وليم طمسن في أواخر عام ١٨٣٥م، وكان بها ٦ طلاب بالقسم الداخلي^(١)، وفي عام ١٨٣٧م زاد عدد الطلاب بها إلى ١٢ طالبا وكانوا ينتمون للمورانة واليونانيين الكاثوليك والأرثوذكس وواحد من اليهود، وكان بها اثنان من الدروز، ولكن لم يكن بها أحد من المسلمين، وبدأ الطلب على المدرسة يزداد، ولكن الإدارة رأت ألا تقبل من هؤلاء إلا القادرين، بأن يستمروا في المدرسة وبمستوى علمي مرتفع^(٢) .

أما عن مناهج الدراسة في هذه المدرسة فقد كانت عبارة عن القراءة والكتابة باللغة العربية، والجغرافيا، وأيضا القراءة والكتابة والتحدث باللغة الإنجليزية، والموسيقى، وقراءة للكتاب المقدس الذي كان يجبر الجميع على حضوره دون الالتفات للفروق المذهبية، وكانت تدرس الفلسفة الطبيعية والجبر والهندسة^(٣) .

وفي عام ١٨٤٠م زاد عدد التلاميذ في المدرسة، العليا ببيروت ووصل إلى ٤٤ تلميذا، ولكن بعد وصول الجيوش العثمانية والمتحالفة معها

(١) شاهين مكاريوس: مرجع سابق، ص ٣٨١ .

(2) Missionary Herald, Dec., 1838. Report Of the Beyroot Station for the year 1837. Vol. 34. 1838. Pp. 471 - 475.

(3) Missionary Herald, Nov., 32 - 1836. Pp. 414 - 421.

إخراج القوات المصرية من الشام أغلقت المدرسة، نتيجة لأن القوات الإنجليزية احتاجت لمتربين للعمل معهم ولم يكن هناك من هو مؤهل للتعليم بهذه المهمة سوى طلاب هذه المدرسة وهو ما أدى لإغلاق الصف الثالث من المدرسة، ثم أغلقت المدرسة كلها ولم تفتتح ثانية إلا في نوفمبر ١٨٤١م^(١).

وبعد عام ١٨٦٠م ازداد الاهتمام بالمدرسة التي بدأت تأتي بنتائج قوية، فعن طريقها تم نشر الكتب، وفتحت الطريق للتعامل مع أسر الطلاب وتلاميذهم، وهو ما وصف بأنه مثمر للحوار، واتجاه سليم للجيل الصاعد^(٢).

في هذه الفترة، وكنوع من التشجيع، تم إيفاد البارزين من هؤلاء الطلاب في بعثات على نفقة الإرسالية، وكانت أول بعثة لذلك أن الإرسالية الأمريكية أرسلت على نفقتها إلى لندن ثلاثة من الطلاب هم النصرانيان أنطونيوس الأميوني وعبدالله العاذر والدرزي إسماعيل جنبلاط، ثم أرسل بعد ذلك أربعة إلى مصر ليدرسوا علم الطب في مدرسة قصر العيني^(٣).

وارتبط بهذه المدرسة إعطاء اللغة العربية قدراً كبيراً من الأهمية، كذلك عدم تشجيع أي تحول من السلوكيات المحلية والعادات في الملابس والطعام والنوم، وذلك لأن التجربة أثبتت أن المحاكاة بشكل كبير تؤدي لخروج هؤلاء عن الهدف الأساسي الذي وضعت من أجله المدرسة، وهو ما دفعهم بعد ذلك لتفضيل أن تكون المدرسة العليا القادمة في قرية وليس في مدينة كما حدث في مدرسة عبيه^(٤). وجريا على عادة المبشرين الأمريكيين في تشجيع المرتبطين بهم على فتح المدارس مثلما فعلوا من قبل مع مدرسة عرمان، فقد أدت المدرسة العليا للبنين لإنشاء مدرسة أخرى هي مدرسة

(1) Missionary Herald, July, 141, Report of the station at Beyroot, Jan. Ist, 1841. Vol. 37. 1891. Pp. 301-309.

(2) Missionary Herald, May, 1863. Beirut station Report, Vol. 54, 1863. pp. 136-139.

(٣) إسماعيل حقي (إشراف): لبنان مباحث علمية واجتماعية، تحقيق فؤاد افـرام البستاني، الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، جـ ٢، ص ٥٧٣.

(4) AL. Tibawi, Op. Cit., p. 114.

مستر بيستاني Mr. Bistany العليا التي أنشأها عام ١٨٣٦م وكانت تضم ١١٥ طالب، تتألف من كل المذاهب الدينية بما فيها المسلمون السنة، ويعترف التقرير أن هذه المدرسة، وإن لم تكن مدرسة تبشيرية في الأساس إلا أنها كانت عاملاً مساعداً في تنوير العقل الشعبي، وكان الطلاب يجبرون على حضور الصلوات المسائية^(١).

ونجحت المدارس العليا التي أنشأها الأمريكيون - سواء مدرسة البنات أو مدرسة البنين - حيث اجتذبت العديد من الطلبة والطالبات لتلقي العلم فيها، كذلك كانت فرصة لتجربة المدارس العليا وقدررة الإرسالية على إدارتها، ولكن مدرسة بيروت سواء البنات أو البنين دعت الإرسالية للتفكير في إنشاء مدارس عليا أخرى في الريف، وذلك بسبب الاحتياج إلى مساعدين وطنيين يتحملون عبء التبشير في المناطق الريفية .

ج- مدرسة عبيه العليا:

وقع اختيار المبشرين الأمريكيين على "عبيه" التي تقع في قلب جبل الدروز لأسباب عديدة أهمها: الرغبة في تعليم الدروز واجتذابهم لصفوفهم خصوصاً في ظل حرمانهم الشديد من التعليم والجهل الضارب أطنايه بينهم، إلى جانب رغبة الإرسالية في نشر كافة خدماتها بينهم، والأهم من ذلك بعد "عبيه" عن مركز السلطة في بيروت وبالتالي العمل في حرية، وبعد تجربة المدرسة العليا في بيروت خرجت الإرسالية بفكرة مؤداها أنه لا بد من إنشاء مدارس عليا في الريف والمناطق الداخلية لتخريج المبشرين القادرين على العمل في هذه المناطق بعيداً عن أبناء المدن الذين لا يحبون العمل هناك، فكانت هذه المدرسة لتخريج المعلمين والواعظين .

ويذكر تقرير للإرسالية بقوله "أننا هنا لدينا -إلى حد بعيد- أهم الوسائل لاكتساب مدخل لعقل الدروز"^(٢) من هنا كانت أهمية المدرسة العليا في عبيه في العمل التبشيري . فقد عملت الإرسالية على التقرب من الدروز واستغلال بعض التشابه بين المعتقدات الدرزية والمسيحية في بعض الجوانب مثل الاعتقاد بصلب المسيح ، كذلك حاولوا استغلال سوء العلاقة بين الدروز والسنة في التقرب من الدروز ونشر المذهب البروتستانتى بينهم .

(1) Missionary Herald, April 1864, Annual report of the Beirut station, Vol, 60 1864 Pp. 105-110

(2) Missionary Herald, April 1848, Report of the Abeih Station, Vol 44. 1848. Pp 200-203

أما عن إنشاء المدرسة فتنقسم الآراء حول هذه المسألة لرايين أولهما يذكر أنها أنشئت في عام ١٨٤٧ دون تحديد لشهر الافتتاح^(١)، والرأى الآخر أنها أنشئت في ٩ نوفمبر ١٨٤٦م^(٢)، وهذا هو الأرجح حيث ذكره د/ كرنيليوس فاندريك في مذكراته كما أكدته أيضاً تقارير الإرسالية الأمريكية. ونذكر أن هذه المدرسة قد أسست لغاية تدريب وتنشئة مبشرين بالإنجيل ومعلمين صالحين لتعليم الجيل الصاعد^(٣) وبذلك يتأكد الهدف من إنشاء هذه المدرسة وهو التبشير وليس تعليم العلوم العلمانية كما يسمونها، والتي كانت تدرس في هذه المدرسة كوسيلة لاستخدامها في التبشير بمذهبهم الدينى الذى يؤمنون به .

أنشأ هذه المدرسة د/ كرنيليوس فاندريك، وساعده بطرس البستاني، وهو من أبرز المساعدين الوطنيين الذين ارتبطوا بالإرسالية الأمريكية، وظل فاندريك يدير المدرسة حتى نقل لصيدا في نهاية العام الدراسي ١٨٤٩/ ١٨٥٠م وعين خلفه "القس سيمون كلهون"^(٤) بينما نقل بطرس البستاني لمركز بيروت لمساعدة د/ على سميث في ترجمة الكتاب المقدس بعد انتهاء العام الدراسي ١٨٤٧/ ١٨٤٨م، وعين محله المعلم ميخائيل عرمان^(٤).

ويصف تقرير للإرسالية مدرسة عبيه أنها تتكون من ٧ غرف نظمت على شكل حرف L كلهم فى الدور الأرضى، والبناء يأخذ اللون الأصفر، وهى مبنية فى الأساس من أحجار صخرية، ويوجد بجانب المدرسة غابة من

(١) إبراهيم عبده (دكتور): إعلام الصحافة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة ١٩٩٤، ص ٦٢ .

- شاهين مكارىوس: المعارف فى سورية، المقتطف، الجزء السابع، العام السابع، شباط، ١٨٨٣، ص ٣٨٦ .

(٢) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص ٨٣ .

- أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص ٣٢٩ .

- مذكرات د/ كرنيليوس فاندريك - الهلال، المجلد ١٤ عام ١٩٠٦، ص ٢٧٩ .

(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص ٦١ .

-A.L. Tibawi, op. Cit., pp 181-182.

(*) فى حالة غياب مستر كالهون كان القس رزق الله البربارى الشماس فى كنيسة عبيه يتولى مسئولية المدرسة العليا .

-Missionary Herald - May, 1867. Station Reports.

(٤) يوسف قزماخورى : مرجع سابق، ص ٨٢ .

السرو . وكذلك يوجد بجانبها مساكن لبعض أعضاء البعثة التبشيرية مثل
مستر كالهون، والمبنى أنشئ في عام ١٨٤٩^(١).

ولقد أنشئ في عبيه والقرى المحيطة بها ثمانى مدارس ابتدائية،
كانت مهمتها تدريب التلاميذ وتأهيلهم للالتحاق بالمدرسة العليا، وكانت
خمس من هذه المدارس تعمل طوال الوقت، وثلاث تعمل لبعض الوقت وبلغ
عدد التلاميذ فى هذه المدارس الثمان ٢٤٨ تلميذاً، بلغ عدد الدروز فى هذه
المدارس أكثر من النصف، فى حين كان ربع عدد الدارسين من الفتيات^(٢)
فى الوقت نفسه يؤكد التقرير أن المدرسين كانوا يتلقون تدريبات دينية
لتذكيرهم بواجباتهم كمدرسين، والسعى لطبع تعليمات الإنجيل فى قلوبهم^(٣).

بدأت مدرسة عبيه العليا بعدد ٩ طلاب فى عامها الأول، وهو الفصل
الوحيد الذى كان موجود بها، ووضعت مقاييس شديدة لقبول الطلبة بها، فمن
بين عدد ٢٥ تقدموا للالتحاق بها عام ١٨٥١م، لم تقبل إدارة المدرسة إلا
ثمانية لأن معظمهم أما صغار على الهدف الذى تتشده المدرسة أو متواضعى
التأهيل^(٤) وفى العام الذى يليه اضطرت إدارة المدرسة، لرفض عدد كبير من
المتقدمين لأنهم غير مؤهلين بدرجة كافية، واختير عدد ٨ تلاميذ فقط،
انسحب من بينهم واحد لأنه غير قادر على الاستمرار وفق مقاييس الدراسة
بالمدرسة^(٥).

ولكن فى العام الدراسى ١٨٥٢م / ١٨٥٣م نقص عدد التلاميذ
بالمدرسة من ٢٠ تلميذاً إلى ١٤، بسبب انسحاب ستة من التلاميذ الدروز

(1) Missionary Herald, Nov., 1868. Lebanon and the Abei seminary
by Rev. S.H. Calhon and Rev. H.H. Jessup, Vol. 64. 1868, pp.
393-395.

(2) Missionary Herald, June, 1847. Report of the Station Abeih. P. 11.

(3) Ibid., p. 11.

(4) Missionary Herald. June 1821, Report of the Station Vol. 47.
1851. Pp. 198 – 201.

(5) Missionary Herald. May, 1852 Abeih Annual report vol. 48.
1852. Pp. 144-148.

الذين وجدوا أن الدراسة صعبة، لذا اضطرت المدرسة لتعويض هذا الوضع أن تقبل أفراد قليلي التأهيل قبلت فصل من ١٠ تلاميذ^(١).

وكانت مدة الدراسة في هذه المدرسة أربع سنوات، وفصلين دراسيين: صيفي يبدأ من ٩ مايو، وشتوي يبدأ في ٣١ أكتوبر من كل عام، أما الامتحانات فتعقد في الربيع والخريف من كل عام، أما المناهج فكان يدرس: علم الفلك، وحساب المثلثات، وفن مساحة الأسطح، وعلم البيان، واللغة الإنجليزية، والعروض والقوافي، والتاريخ، والحساب والجبر، والهندسة، والجغرافيا^(٢).

وبذلك بدأت العلوم الحديثة تدرس في مدرسة عبيه العليا، وهو في حد ذاته تطور كبير، بل ونقله حضارية نوعية في منطقة الشام كلها؛ ذلك لأن التحديث في العلوم مع أنه بدأ في الدولة العثمانية ومصر قبل ذلك، إلا أنه تأخر في الشام حتى ذلك الوقت.

والتعليم الديني في المدرسة العليا كان يسير على قدم وساق، فيعترف تقرير عن هذه المدرسة أن كتاب التوراة كتاب دراسي يومي في المدرسة، وأن الساعة التي يعلم فيها التوراة تمر ببسر كامل، كما أن عدم وجود فهرس لكلمات الإنجيل باللغة العربية استثار التلاميذ للاجتهد أكثر في البحث عن مراجع للاستفادة منها، بل أن البعض الآخر حاول تعلم الأبجدية الإنجليزية والأرقام؛ بغرض نقل المراجع التي في التوراة الإنجليزية للتوراة الخاصة بهم^(٣) وفي تقرير آخر لعام ١٨٥٦م يذكر أنه بالرغم من أن التلاميذ في المدرسة العليا من مذاهب دينية مختلفة، فإن تعليم التوراة يسير على قدم وساق وبدون معارضة، "وأنه يسرنا أن نرى كيف أن الدراسة البسيطة للتوراة تجعلهم جميعاً على اتفاق جوهرى في الآراء الدينية"^(٤) وطبقاً لأن مدرسة عبيه الهدف منها تخريج معلمين ومبشرين للعمل في وسط المناطق

(1) Missionary Herald, May, 1852, Abeih: station Report, Vol. 44. 1853. Pp. 131-132.

(2) Missionary Herald, Aug, 1850, A beih Report of the Station for 1849.

(3) Missionary Herald, June, 1851. Report of the Abeih Station. Vol 47 1851 pp. 198 - 201.

(4) Missionary Herald, April, 1857, Report of Abeih Station for 1856.

الرفيعة، فقد رأى القائمون على المدرسة بأن يكون التعليم باللغة العربية، وتدرّس الإنجليزية كفرع من المعرفة، وقرب نهاية الفترة الدراسية، وذلك لعدة أسباب يرونها وهي: الاحتفاظ لتلاميذهم بدرجة عالية من الإحساس بالوطنية، وكذلك تشجيع ارتباط مشاعرهم بذويهم، وتأهيلهم للعمل بينهم بكفاءة عالية^(١). وكانت العادة المتبعة في وقت تناول الغذاء أن يقف واحد من التلاميذ ويتلو فصلا من كتاب علمي أو أدبي على أسماع التلاميذ، حتى لا يضيع وقت الأكل في الأحاديث الفارغة، ولا في الصمت، فقد كان د/ فانديك يؤمن أنه لا يعسر على العقل أن يعمل ويعي وقت تناول الطعام قبل أن تشرع المعدة في الهضم^(٢).

وفي ٣٠ مارس ١٨٤٧م عقد امتحان الصف الأول لأول مرة في مدرسة عبيه، بحضور أعضاء الإرسالية الأمريكية، وعدد من المواطنين الذين وجهت إليهم الدعوة، والمرسل الإسكوتلندي كراهام" وكانت النتيجة طيبة بالنسبة للإرسالية لدرجة جعلت د/ فانديك مدير المدرسة يقول "أستطيع أن أقول بكل إخلاص، أن نتيجة امتحان الصف الأول مشرفة ومرضية كنتيجة معظم مدارسنا في أمريكا"^(٣).

ولقد قدمت مدرسة عبيه العليا أجل الخدمات للإرسالية الأمريكية، فقد تعلم فيها معظم المساعدين الوطنيين الذين عملوا مع الإرسالية الأمريكية وأيضا الإنجليزية التي تعلموا فيها، فيعترف التقرير "أن كل المدرسين الأكفاء والجزء الأكبر من المساعدين الوطنيين قد تعلموا كليا أو جزئيا في المدرسة العليا- سواء الذين في الموصل وماردين واللاذقية وطرابلس وبيروت وعبيه وحاصبيا وصيدا وعين زحلنا ودير القمر، والقدس والإسكندرية"^(٤).

وبذلك نجحت مدرسة عبيه في تقديم ما كان يأمله القائمون على الإرسالية الأمريكية في الشام، في الوقت الذي نجحت فيه في تقديم العلوم الحديثة لأبناء الشام، فهي بذلك تعتبر أقدم كلية حديثة في الشام، وهي سلف

(1) Missionary Herald, Aug, 1850. Abeih :Report of the Station for 1849.

(٢) المقتطف: الجزء الأول المجلد ٢٨. يناير ١٩٠٣ .

(٣) يوسف قرماخوري: مرجع سابق، ص ٨٢ .

(4) Missionary Herald, June 1860. Station Report, Vol. 56, 1860 pp.

الجامعة الأمريكية في بيروت والتي خرجت عددا كبيرا من أركان التحول الذي حدث في بلاد الشام ، وبالرغم من ذلك ينبغي ألا ننسى الدور الديني التبشيري الذي قامت به المدرسة لصالح الإرسالية الأمريكية الساعية لنشر مذهبها الديني، ومن الصعب الانتهاء من الحديث عن مدرسة عيبه دون الإشارة لجهود د/ فاندريك، في التغلب على مشكلة نقص الكتب الدراسية للمدارس العليا باللغة العربية- هذه المشكلة التي أشار إليها لأول مرة هنري سميث في ١٨٢٨ ولكنها استمرت حتى ١٨٤٩^(١) ويذكر فاندريك في مذكراته: "لم يكن في العربية كتب مدرسية فأخذنا نعد هذه الكتب بعد الظهر وفي الليل وتدرس في الصباح"^(٢) من هنا عمل على تقديم مجموعة من الكتب لسد حاجة المدارس العليا من الكتب الدراسية، فألف "أصول علم الهيئة" و"أصول الكيمياء"، و"أصول الهندسة"، و"الروضة الزهية" في الأصول الجبرية" و"محيط الدائرة في علمي العروض والقافية"، و"المرأة الوضيفة في الكرة الأرضية، وكتابة الأشهر عن "النقش في الحجر" وهو سبعة أجزاء يتناول كل جزء منهم علما من العلوم، وهو من أهم كتبه على الإطلاق ويذكر في سبب تأليف هذا الكتاب "خطر لي ببال أن أحاول سد العوز في الكتب وأن أقدم لأهل اللغة العربية عدة كتيبات كل كتيب حاو أصول علم من العلوم على كيفية"^(٣).

ولو ألقينا نظرة على بعض الكتب التي ألفها فاندريك كمناهج للمدارس العليا عموماً، سيتضح لنا مدى أهميتها في نشر العلوم في بلاد الشام . ومن هذه الكتب :

"في الأصول الهندسية" وهو مشتمل على كتب إقليدس الستة، ومضافات في تربيح الدائرة، وهندسة الأجسام، وأصول قياس المثلثات المستوية والكروية، قام د/كرنيليوس بترجمته، والتقديم بتعريف لإقليدس وأهميته، وكذلك التقديم للكتاب الذي يقول فيه "أما بعد فيقول العبد الفقير إلى ربه القدير كرنيليس فان ديك الأميركاني أنني لما رأيت افتقار المدارس في

(1)A.L. Tibawi, Op. Cit. Pp. 125 – 126.

(٢) مذكرات كرنيليوس فاندريك الهلال - الجزء الخامس، المجلد ١٤، عام ١٩٠٦.

(٣) كرنيليوس فاندريك: النقش في الحجر، المطبعة الأدبية في بيروت ١٨٨٦م،

هذه البلاد إلى الكتب الهندسية التي بها تتم الفائدة المقصودة منها اعتيتت بترجمة هذا الكتاب المفيد وهو مشتمل على كتب إقليدس الستة^(١).

"أصول الكيمياء" وعدد صفحات الكتاب ٤١٢ صفحة من القطع المتوسط، وهو على ثلاثة أجزاء ويتناول: مبادئ الكيمياء الحديثة وفلسفة الكيمياء والغازات وأنواعها وتركيبها، والكيمياء الآلية وأقسامها وأنواعها. والكتاب ملئ بالصور والرسوم التي توضح وتشرح المادة العلمية، وتتميز اللغة بالسهولة والبساطة^(٢)، هنا يجدر الإشارة لسهولة نقل المصطلحات العلمية للغة العربية.

"المرأة الوضية في الكرة الأرضية" ويقول في بداية الكتاب "الحمد لله الذي جعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا، وبعد فيقول العبد الضعيف الفاني كرنيليوس فاندريك الأميركاني قد وضعت هذه الرسالة في علم رسم الأرض تنوير للبصائر، وتنزيها للخواطر، وقد سميتها المرأة الوضية في الكرة الأرضية، وإذ قد نفقت منذ زمان اعتيتت بطبعها ثانية، مصلحا إياها لكي توافق الاكتشافات الجديدة في هذا العلم، ومضيفا إليها بعض الشروح لأجل إتمام الفائدة"^(٣).

القسم اللاهوتي في مدرسة عبيه :

كان من مهام مدرسة عبيه إعداد مبشرين قادرين على التبشير في وسط الريف والأماكن الجبلية الداخلية في الشام، ويصر المبشرون الأمريكيون على أن مدرسة عبيه "أنشئت لتدريب الواعظين بالإنجيل والمدرسين للجبل الصاعد"^(٤).

(١) كرنيليوس فاندريك: في الأصول الهندسية، ١٨٧٥ طبع بيروت، ص ٢.

(٢) كرنيليوس فاندريك: أصول الكيمياء، بيروت ١٨٦٩ م.

(٣) كرنيليوس فاندريك: المرأة الوضية في الكرة الأرضية، بيروت ١٨٧٠/٢ ط، ص ١.

(4) Missionary Herald, Aug, 1850 Abeih · Report of the station For 1849.

لذا فقد أنشئ فصل لاهوتى فى المدرسة، فيذكر تقرير للإرسالية "أن الفصل اللاهوتى به أربعة رجال متزوجين، متوسطين العمر، وكانت الدراسة خلال الصيف، وهؤلاء فى دائرة اهتمامهم التبشير بالإنجيل، فعدة شهور من التدريب اللاهوتى الموجه تهئى هؤلاء لهذه الخدمة لتوصيل الإنجيل للفلاحين غير المتعلمين وللقيام بالأعمال التصيرية التى يناط بهم القيام بها^(١) وبعد تسع سنوات أى فى عام ١٨٦٧ فقد وصل عدد الطلبة فى القسم اللاهوتى بعينه ٣٢ تلميذا^(٢).

ويبدو أن هذا النجاح أغرى الإرسالية الأمريكية لتحويل الفصل اللاهوتى إلى المدرسة كلها لتصبح مدرسة عييه العليا مدرسة لاهوتية عليا- وهو ما يتفق مع توجه المدرسة منذ البداية، لذا فمنذ عام ١٨٦٩ ثم تكليف كالمون "Calhoun" وهنرى جيسب "Henry Jessup" وإدى "Eddy" بأن يفتحوا فترة دراسية لاهوتية فى عييه، وكان من المقرر أن تستمر الدراسة من مايو حتى نوفمبر من كل عام^(٣).

وبعد افتتاح "الكلية الإنجيلية السورية"، رأت إدارة الإرسالية الأمريكية فى الشام أن فصول الكلية سوف تكون مفتوحة أكثر للطلبة اللاهوتيين، فهناك العديد من الميزات التى ستقدمها الكلية مثل المكتبة وتعليم اللغة الإنجليزية، لذا بدأ البحث فى كيفية اتحاد الكلية والمدرسة العليا بعينه، وهو ما استمر عشر سنوات، عندما وافق المجلس المشيخى فى الولايات المتحدة الأمريكية أن تغلق مدرسة عييه ويحول تلامذتها للكلية الإنجيلية السورية وبذلك أغلقت مدرسة عييه فى ١٨٧٦م^(٤)، ويتضح مما سبق أن المدرسة العليا فى عييه كانت المدرسة العليا الرئيسية التى عول عليها المبشرون الأمريكان فى بلاد الشام .

(1) Missionary Herald, April, 1858. Station Reports, Vol. 54. 1828 pp. 139 - 147.

(2) Missionary Herald, Feb; 1867, Syria Stations, vol. 63, 1867. Pp 5.6.

(3) A.L. Tibawi, Op. Cit., pp. 180 . 182.

(4) Stephen. B.L. penrose., It they may Have life. American University of of Beirut, Le Banon, 1970, pp. 53-58.

د - مدرسة طرابلس الأمريكية للبنات :

كانت طرابلس من أوائل المدن التي عمل المبشرون الأمريكيون على مد نشاطهم التعليمي إليها، وإقامة محطة تبشيرية بها، فقد كانت المناطق المحيطة بها مثل بلاد عكار التي تضم ١٤٠ قرية، وكذلك بلاد صافيتا والحصن التي كانت تربة مناسبة لعمل المبشرين، بالإضافة إلى أنها مدينة ساحلية هامة.

وفي عام ١٨٤٩م أرسل اثنان من المبشرين هما ولسن Wilson وفون Fon إلى طرابلس واستطاع المبشر دي فورست De forst وامرأته إدخال سبع بنات لعائلته وهو تأسيس "مدرسة داخلية للبنات" والتي وضع قانونها وليم طمسن وكرنيليوس فاندريك وبطرس البستاني وطنوس الحداد^(١).

ولقد قابلتهم في البداية عوائق كثيرة مثل الجهل الشديد بالدين والتعصب - من وجهة نظر الإرسالية الأمريكية - والجهل بالقراءة والمنافسة الشديدة من جانب الكاثوليك الذين أنشأوا مدرسة لهم في طرابلس، وأرسلوا ثلاثة مبشرين لهم للتبشير ولمقاومة المبشرين الأمريكيين في طرابلس^(٢).

ويذكر تقرير للإرسالية الأمريكية من مركز طرابلس أن المدرسة العليا للبنات عين فيها ثلاث مدرسين ذوى قدرات متنوعة^(٣)، ويلاحظ أن الاهتمام تركز هنا على تعليم البنات وإقامة مدرسة عليا لهن، ويرجع ذلك لعدة أسباب وهي إقامة مدرسة عليا للبنين في عييه، وكذلك في بيروت من قبل لذا عملت الإرسالية الأمريكية على تجربة إقامة مدرسة عليا للبنات في هذه المنطقة لما تتمتع به المرأة من دور كبير في التبشير، ولحاجة الإرسالية للمبشرات المتعلقات المستعدات للتبشير، بالإنجيل في هذه المناطق، كما أن

(١) مذكرات كرنيليوس فاندريك: الهلال، مجلد ١٤ عام ١٩٠٦، الجزء الخامس، ص ٢٨٠.

(2) Missionary Herald, March, 1849. Tripoli: Letter from M.r. Foote. December, 1849. Vol 46. 1850.pp. 101-102.

(3) Missionary Herald, April, 1852. Tripoli Station report.

الحاجة لإيجاد معلمات في مدارس البنات التابعة للإرسالية كانت ملحة، لذا كان الاهتمام بجعل مدرسة طرابلس "مدرسة عليا للبنات".

هذا في الوقت الذي يذكر فيه شاهين مكاريوس أن المدرسة العليا للبنات أغلقت حوالي عام ١٨٥٣م^(١) وقد يكون ذلك بسبب الصعوبات العديدة التي قابلتهم في طرابلس مثل المنافسة الشديدة من الكنائس الوطنية.

وقد أعيد افتتاحها في عام ١٨٧٢م كمدرسة داخلية للبنات وظلت لفترة طويلة المدرسة الداخلية الوحيدة للبنات في شمال لبنان وسورية، وألحق بها روضة للأطفال وقسم ابتدائي، والدراسة في القسم الابتدائي وحتى الصف الأول في المدرسة العليا بالعربية، وتحول تدريجيا للإنجليزية، وأنشئت مباني هذه المدرسة فوق التل الملاصق لطرابلس القديمة عام ١٩١٢م^(٢).

وفي الفترة ما بين الإغلاق ١٨٥٣م وحتى إعادة الافتتاح ١٨٧٣م، وجدت العديد من المدارس التجهيزية للبنات، التي تعدهن للالتحاق بالمدرسة العليا فيما بعد. فيشير تقرير من مركز طرابلس ١٨٥٧م إلى افتتاح مدرسة للبنات كتحربة، وبدأت هذه المدرسة بتلميذتين ومع نهاية الشهر وصل العدد إلى ٣٠ تلميذة من بينهن "تلميذة مسلمة، وهن يقرآن العهد الجديد بدون اعتراض أو أي مانع من جانب آبائهن"^(٣)، وهذا يعكس غفلة الكثير من المسلمين عن الأهداف الحقيقية لهذه المدارس التبشيرية التي تعلم بناتهم الكتاب المقدس بحرية تامة ودون تدخل لوقف ذلك أو الاعتراض عليه.

وبعد عام من إنشاء هذه المدرسة التي تعد أساس المدرسة، العليا التي أعيد افتتاحها فيما بعد - اضطهدها الأسقف اليوناني في طرابلس ومنع الناس من أن يرسلوا بناتهم إليها تحت أي ظرف، واستجاب الكثيرون لهذا

(١) شاهين مكاريوس: المعارف في سورية، المقتطف، الجزء الثامن العام السابع، آذار ١٨٨٣، ص ٤٧٤.

(٢) رودريك ماتيزو، ومي العقيرى: مرجع سابق، ص ٦٣٤.

(3) Missionary Herald, April, 1857. Station reports. Vol. 53. 1857 Pp

التهديد وخصوصاً اتباع كنيسته، فقل عدد الطالبات^(١) ولكن بالرغم من هذه الضغوط والمنافسة الشديدة فقد استمرت هذه المدرسة في تأدية المطلوب منها وزاد عدد تلامذتها مرة أخرى، وكثرت الطلبات على الإرسالية لإنشاء مدارس أخرى في البلاد المجاورة لطرابلس. ووصل عدد البنات مرة أخرى إلى ٣٠ فتاة^(٢).

أما عن المناهج التي كانت تدرس في مدرسة البنات العليا فهي علوم: الفلك، والفلسفة الطبيعية، والفسولوجيا، والحيوان، والجغرافيا، والحساب، وكذلك اللغة العربية والإنجليزية، والتاريخ، والتدريب على الخطابة والإنشاء، والخياطة، وبعض الألعاب الرياضية التي تتناسب مع أجسامهن، وكذلك العهد الجديد، والتوراة، والترانيم^(٣).

وفي كل عام كان الامتحان يعقد علنياً، حيث يتم دعوة العديد من وجهاء القوم، ويتم اختبار الطالبات أمامهن، وكذلك يتلون مقالات من إنشائهن أمام الحضور، وكان يتم افتتاح الحفلة بالترانيم والصلاة، وفي هذه الاحتفالات تتم الدعاية للمدرسة، وأيضاً توطيد الصلات مع الناس، والأهم من ذلك كله محاولة بث أفكارهم الدينية التي يؤمنون بها، والتي كانت السبب الأصلي في إنشاء المدرسة^(٤).

وكانت الإرسالية تسعى عن طريق الاحتفالات للترويج لأفكارها وغرسها في نفوس الفتيات وأهاليهن الذين يحضرون الحفل ففي يونيو ١٨٩٢م أقيم الاحتفال في مدرسة البنات الأميركية الطرابلسية حيث خطب فيها الدكتور بوست والدكتور جسب خطب مسيحية، ومما جاء في حديث د/ بوست وموضوعه (جغرافية سورية وفلسطين) التي حددها ب الأرض التي

(1) Missionary Herald. April 1858. Station Reports Vol. 54, 1858, Pp 139 – 147.

(2) Missionary Herald, May, 1859, Station Reports. Vol. 55, 1859, Pp. 131-142.

(٣) المقتطف: الجزء الثامن من العام الثامن، أيار، ١٨٨٤، ص ٥٠٧.

(*) لمزيد من المعلومات راجع. المقتطف: يونيو ١٨٩٢، ص ٦٣١.

- انظر أيضاً نجيب خوري: مدرسة طرابلس الشام الأمريكية، المقتطف يوليو ١٩٠٢، ص ٦٩٩.

بين جبل طورس والبحر الأحمر وبين البحر المتوسط والبادية، وأشار إلى الخريطة فأرى الجمهور سلسلتى الجبال التى فى هذه البقعة الممتدتين من الشمال للجنوب إحداهما بقرب البحر والآخر بقرب البادية ثم قال أن الله اختار هذه البلاد مهبطاً للوحى ومسكناً لشعبه المختار لأن فيها جميع الصفات الشاملة للمسكونة^(١).

وفى الاحتفال الذى أقيم عام ١٩١٠ خطبت الأنسة فكتوريا أنطكلى "عن فتاة سوريا ومستقبلها الجديد" ومما يلاحظ على هذا الخطاب، أنها كانت:

- ١- تتعى على الفتاة السورية تعاستها فى الماضى وشقائها بسبب الجهل واتباع التقاليد والعادات القومية "الفاصلة"، التى قيدت البنات.
- ٢- تطالب الفتيات السوريات بالتخلص من تلك التقاليد التى تصفها بأنها بالية، واتباع الحضارة والتقاليد التى أبحاثها الحضارة الغربية والعلم الأوربى، فالرقى الاجتماعى لا يكون إلا باتباع التقاليد الأوربية، والانضمام للجمعيات النسائية.
- ٣- تدعو للمساواة بين الفتيات والفتيان - بالمفهوم الأوربى - بل وتجوّب أن تفقد الفتاة العائلة وتأخذ حقها فى الحرية^(٢).

س- مدارس صيدا الأمريكية العليا :

بدأ التعليم الأمريكى فى صيدا مبكراً، فانتشرت المدارس الابتدائية فيها منذ أربعينات القرن التاسع عشر، وسرعان ما بدأ يؤتى ثماره فيذكر تقرير للإرسالية فى عام ١٨٥٤م "أن التعليم فى صيدا أثمر ما هو منتظر منه وأكثر، ومن الناحية الدينية أصبح هناك تلاميذ من كافة المذاهب الدينية يحضرون فى مدرسة الأمريكان رغم المعارضة الكنسية الشديدة، وبدأ

(١) المقتطف: الجزء التاسع العام السادس عشر، يونيو ١٩٩٢، مقال للسيدة أنيسة صبيعة عن : احتفال مدرسة البنات الأمريكية بطرابلس ص ٦٣١ - نجيب خورى: مدرسة طرابلس الشام الأمريكية، المقتطف، الجزء السابع، المجلد ٢٧ يوليو ١٩٠٢، ص ٦٩٩.

(٢) الحسناء: الجزء السادس، المجلد الثانى، بيروت، كانون أول ١٩١٠، ص ٢٢٧، ص ٢٢٩.

المذهب البروتستانتي ينتشر في مواجهة الكاثوليكية^(١) لذا فقد كانت الإرسالية تنظر لصيدا على أنها مركز مهم جدا للتواجد البروتستانتي الأمريكي ومحاولة نشر التعليم في القرى والمدن المحيطة بها وجعلها محطة رئيسية بعد بيروت، وتعود أهمية صيدا لموقعها الساحلي الهام ولقربها من جبل لبنان بتكوينه الطائفي المميز . ووجد بها مدرسة الفنون الأمريكية. ومدرسة البنات العليا

أولا- مدرسة الفنون الأمريكية :

بعد أن أغلقت مدرسة عبيه كأحد أهم المراكز لتخريج المدرسين اللازمين لسد العجز في مدارس الإرسالية، وكذلك لتخريج وتدريب المساعدين الوطنيين في التبشير، وبعد أن أحبطت الآمال في أن تخرج الكلية الإنجيلية السورية المدرسين أو المساعدين الوطنيين، لأسباب أهمها أن خريجي هذه الكلية في الغالب من أبناء المدن الذين لا يستمرون العمل في القرى بل لا يعرفون البيئة القروية، كذلك للهجرة الواسعة لخريجي الكلية سواء لأمريكا أو لمصر، دفعت هذه الأسباب للتفكير في إنشاء مدرسة بديلة لمدرسة عبيه، فاستقر الرأي على إنشاء مدرسة صناعية في صيدا، ينال التلميذ بها قدرا من التعليم العالي والحرفي الذي يؤهله للعمل في وسط القوى التي خرجوا منها .

أنشئ هذا المعهد العلمي في عام ١٨٨٠م، وابتدأ العمل بأربعة طلاب، ثم زاد العدد في السنة التالية لعشرين، وفي نهاية السنة الخامسة بلغ اثنين وثلاثين، وكان السبب الأساسي في قلة عدد التلاميذ هو ضيق المكان المؤجر للمدرسة، وأدار المدرسة في البداية القس وليم أدى William Addy^(٢).

تولى المستر فورد إدارة المدرسة بعد القس وليم أدى، فحاول "فورد" جاهدا إقناع المجلس الأمريكي في نيويورك بجدوى إضافة قسم زراعي، وكذلك التوسع في القسم الصناعي بأقسامه النجارة والخياطة والبناء وشغل الأحذية الأفرنجية "الكندرجية"، ووافق المجلس بعد جهد على التجربة الجديدة

(1) Missionary Herald, April, 1854 Sidon: Annual report Vol 50
1854, pp. 130-137.

(٢) أحمد عارف الريس: مرجع سابق، ص ١١٧ .

في سبتمبر ١٨٩٥م، ورصد مبلغ ١٥,٠٠٠^(١) دولار للإنفاق على المدرسة لمدة ثلاث سنوات، كما تبرعت سيدتان للقسم الزراعي بمبلغ ٢٠٠٠ دولار^(٢).

وكان المعهد للبنين، ولكن في عام ١٩١٤م افتتح قسم خاص للطالبات للصناعات اليدوية، ولتدريس التاريخ وحفظ الصحة والإدارة البيئية والاقتصادية وتلقى المعلومات الفنية. والمدرسات من النساء^(٣).

أما عن الرسوم التي تتقاضاها المدرسة فكانت تختلف من وقت لآخر وحسب ظروف وأحوال البلاد الاقتصادية، وكانت إدارة المدرسة تتساهل مع بعض التلاميذ غير القادرين على دفع الرسوم، وتكفل التلميذ المساعد بمقدار معين من الشغل في خدمة المدرسة عن كل ليرة يساعد بها وتحتفظ بحق تعيين الأشغال^(٤).

أما المواد التي كانت تدرس بجانب التعليم الصناعي فهي: الكتاب المقدس في كل سنوات الدراسة التي تبلغ ٦ سنوات، وكذلك اللغة العربية، والإنجليزية، والحساب، والجغرافيا، والتاريخ، والأدب، أما في السنة الرابعة فيخير التلميذ بين اللغة التركية والفرنسية، وكان التلاميذ يتعلمون فيها الإنشاء والخطابة سواء في العربية أو الإنجليزية. وكان التلاميذ باختلاف أديانهم ومذاهبهم الدينية يجبرون على دخول الكنيسة وقراءة الكتاب المقدس أما عدد التلاميذ فكانوا في عام ١٨٨١ (٢٠ تلميذا) وفي عام ١٨٨٦، كانوا ٣٢ تلميذا، وعام ١٨٩٥ (١٠٦ تلميذا) وهو عدد كبير يدل على الاهتمام بالمدرسة واتساع شهرتها^(٥).

(*) اقترحت البعثة أن تنفق ٨,٠٠٠ دولار في شراء أرض و ٤,٠٠٠ دولار لإقامة مساكن للطلاب، و ١٢٠٠ دولار لشراء أجهزة لتدريب التلاميذ، وقدردت تكاليف الإدارة للعام الأول بمبلغ ١٠٠٠ دولار.

(1) A.L. Tibawi, Op. Cit., pp 283 - 4.

(٢) الإقبال: العدد ٥٣٥، بيروت، الآتين، ٢٣ شباط ١٩١٤، ص ٦.

(٣) أحمد عارف الزين: مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٤) نفسه ص ١١٧ : ص ١١٩.

ثانيا - مدرسة البنات العليا في صيدا :

تأسست هذه المدرسة سنة ١٨٦٥م، كانت تضم روضة أطفال وقسما ابتدائيا ثانويا وقسما ثانويا، ويحتّم على جميع الطالبات في السنتين الأخيرتين أن يكن داخلات^(١)، أما المناهج وتشمل: التدبير المنزلي، والعناية بالطفل، والتغذية، والخياطة، والطبخ، والكيمياء المنزلية. ويتبع فيها نظام البيوت المعروف باسم "Hous System" وكانت ستة بيوت وكل بيت يشغل طابقتا ويخصص البيت الواحد لاثنتي عشرة بنتا مختلفات الأعمار تحت إرشاد معلمة تسكن فيه، وتقوم التلميذات بالأعمال المنزلية جميعها متقاسمات، على أن يتبادلن واجباتها مرة كل أسبوعين، وكل مجموعة ترأسهن طالبة في الحادية عشرة من عمرها، ويعهد للتلميذات الصغيرات قضاء حاجات ثلاثم أعمارهن، ومرة في العام يسلم لكل مجموعة مبلغ معين من المال لإنفاقه في مدة معينة، ويطلب إليهن شراء ما يلزم للبيت، ووضع الميزانية بشرط أن يكفي المبلغ المقرر للمدة المقررة^(٢).

وبذلك اعتمدت المدرسة في الأساس على زرع القيم والأخلاق والتصرفات التي تؤمن بها على الطالبات خصوصا أنهن كن داخلات بعيدا عن تأثير الأهل، وكان دخول الكنيسة إجباريا لهؤلاء الطالبات أيضا كانت مذاهبهن الدينية ويمكننا القول أن هذه المدرسة تعد تطبيقا عمليا للنموذج الذي وضعته الإرسالية الأمريكية وعملت على تطبيقه في بلاد الشام.

فقد وضعت الخطة التبشيرية على أساس أن التبشير يكون أتم حكما في مدارس البنات الداخلية، حيث الصلة بالطالبات أوثق، ولأنها تنتزعهن من نفوذ حياة بيئة غير مسيحية لبيئة مسيحية تماما حيث تجتمع الفتيات المسلمات مع المسيحيات من مختلف المذاهب الدينية تحت النفوذ المسيحي^(٣).

(1) Missionary Herald, Feb 1865 Letter From Mr. Berry, Vol. 61, 1865, pp. 48-50.

(٢) رودريك ماثيوز - متى العقراوي: مرجع سابق، ص ٦٣٥ .

- أحمد عارف الزين: مرجع سابق، ص ١٢١ .

(٣) أنور الجندی: مرجع سابق، ص ٢٩٢ .

وبعد هذا العرض يمكننا أن نستخلص عدة نتائج وهي:

أدى ازدياد النشاط التعليمي الأمريكي في الشام إلى اجتذاب الإرساليات الأخرى مثل اليسوعيين وغيرهم للعمل في الشام، مما أدى لزيادة النشاط التعليمي وتنوعه. هذا التنوع الذي لعب دوراً مؤثراً وما زال أثره مستمرا حتى الوقت الحاضر .

لم يكن انتشار التعليم الغربي في الشام من خلال إرساليات التبشير الأجنبية نعمة خالصة من الشوائب فمع إنه رفع مستوى الثقافة لدرجة عالية نسبياً ؛ إلا أنه كانت له مساوئه ، فقد نشط الخلافات والانقسامات الطائفية وزاد عددها ، وكانت تلك الخلافات والانقسامات العقبة الرئيسية في طريق تقدم هذه البلاد وكذلك أصبح التعليم أداة من أدوات التغلغل السياسي، فقد كانت هذه المدارس تشكل الشباب العربي تشكيلاً يناسب اتجاهاتها وأغراضها سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية، وتوجه تفكيرهم الوجهة التي ترغب فيها، والثابت من خلال الكتب التي وجدت في مكتبات هذه المدارس أن كل نوع من أنواع التعليم يتبع دولة معينة لها مصالح خاصة في البلد العربي: الشام- وشملت هذه الكتب بعض الأفكار التي كان لها أثرها على تلاميذ هذه المدارس مثل نشر الأفكار القومية والوطنية الداعية لإسقاط الدولة العثمانية والانسلاخ بعيداً عنها وبذلك نجد أن الإرسالية الأمريكية لعبت دوراً كبيراً في النهضة الفكرية والتعليمية في بلاد الشام، ولكنها في الوقت نفسه كانت صاحبة الأثر الأكبر في تنوع التعليم وتعدد مشاريعه واتجاهاته، وهو ما أدى لزيادة الانقسام داخل المجتمع الشامي .

ومن الناحية الاجتماعية، كان لذلك أثره الخطير على زيادة حدة الانقسامات الطائفية، حيث ارتبطت كل طائفة بنظام تعليمي خاص بإرسالية مرتبطة بدولة معينة، فمثلاً ارتبط الدروز بالنظام التعليمي الأمريكي، في حين ارتبط المورانة بالنظام التعليمي الفرنسي في مدارس اليسوعيين، وبذلك لعب التعليم دوراً في خلق الخلافات بين المواطنين بدلاً من جمعهم حول الشعور الوطني الواحد، كما لعب التعدد في نظام التعليم دوراً كبيراً في خلق فوضى فكرية عانت منها بلاد الشام .

وبذلك نجد أن التعليم هنا ما هو إلا وسيلة لنشر الفكر الديني الذي تعمل الإرسالية الأمريكية على نشره، فهو الغاية التي تعمل الإرسالية لأجلها، وبالفعل أتى ثماره، ونجحوا من خلاله في بث العديد من الأفكار التي عملوا على بثها في عقول التلاميذ. وبذلك أثبت التعليم أنه أحد أهم الوسائل التبشيرية .

الفصل الرابع
الكلية الإنجيلية السورية

ادركت الإرسالية الأمريكية مدى الاحتياج لكلية يتلقى فيها الطلبة السعييم العالى، فبعد المؤسسات التعليمية التى أقاموها فى أنحاء البلاد سواء المدارس الابتدائية او العالفة، كانت الحاجة ماسة لكلية حتى يستمر تأثير الإرسالية على الطلبة، وكى لا يلتحقوا بكليات يديرها احرور من خارج الإرسالية فيندبب ولاءهم الفكرى.

فى الوقت ذاته أدرك المبشرون الأمريكيون مدى نجاح التعليم كوسيلة من أهم وسائل التبشير، ولمسوا قدرته على التأثير وإثارة المشاعر والفكر أكثر من أى وسيلة أخرى، فقد كانت نتائجه متميزة بالنسبة لهم، لذا فقد أولوه الاهتمام والرعاية، وأصبح المركز الأساسى لأنشطتهم المختلفة داخل بلاد الشام، وكان من الطبيعى أن يتوج هذا النشاط بإنشاء "الكلية الإنجيلية السورية" التى تحولت فيما بعد للجامعة الأمريكية ذات الصيت الواسع فى حوض البحر المتوسط. وعن طريق الكلية لجأت الإرسالية إلى بث أفكارها فى نفوس الطلبة، فإما ينضموا لمذهبهم أو يؤمنوا بأفكار الإرسالية التى تستمر معهم بعد تخرجهم، ويعملون على تنفيذها فى أرض الواقع بعد عودتهم لقرام، فالمبشرون يختلفون الأنصار عن طريق الكلية التى تضمن ولاء خريجها وتضمن تأثيرها وتقنعهم بأنها تؤدى دوراً حضارياً لوطنهم، كما أنها تعد قادة المستقبل.

ولم تكن الكلية الإنجيلية السورية كلية علمانية تهتم بالعلوم فقط، بل كانت فى الأساس كلية دينية ذات أهداف تبشيرية، وإن حاول مؤسسوها إخفاء ذلك خلف ستار من المبادئ الإنسانية، ولكن بعض الأزمات التى حدثت أظهرت الوجه الدينى الصريح للكلية وللقائمين عليها مثل إجبار الطلبة المسلمين على دخول الكنيسة وحضور دروس التوراة والإنجيل ومثل أزمة ١٨٨٢م التى استقال على أثرها بعض الأساتذة وترك الكثير من الطلاب الدراسة احتجاجاً على موقف الكلية - وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى هذا الفصل- التى لم تنتصر لحرية الفكر طالما أن الموضوع يتعلق بالديانة المسيحية ويمس المذهب البروتستانتى، وأعلنت الكلية أنها كلية مسيحية أسست بأموال المسيحيين وغايتها نشر التعليم المسيحي.

أولاً - تأسيس الكلية الإنجيلية السورية

نشأت الكلية الإنجيلية السورية -كأقدم كلية فى بلاد الشام- تلبية لحاجات خاصة لهذه المنطقة شعر بها المهتمون بأمر التبشير من مبشرى

الإرسالية الأمريكية، فقد رأوا أن أعدادا كبيرة من المنتصرين الذين انضموا إليهم أصبحوا في حاجة لقسيسين ومدرسين أكثر علما من أولئك الذين تعلموا في المدارس العليا مثل مدرسة عبية، لذا فكروا في إنشاء الكلية^(١).

وحددت أغراض هذه الكلية فيما يلي :

- ١- أن هذه الكلية يجب أن تسير على المبادئ الإنجيلية، ولكن أبوابها ستكون مفتوحة للطلاب على اختلاف نحلهم وتبعياتهم^(٢).
- ٢- إن هذا الجزء من العالم أصبح بحاجة لعدد كبير من المعلمين والمترجمين والوعاظ والأطباء والمهندسين.
- ٣- التشديد على وجوب الاهتمام بالطب بسبب كثرة الدجالين في هذه المنطقة وأيضا لأنه من أهم الوسائل التي يمكن استخدامها في الأعمال التبشيرية.

والتعليم العالي في الكلية مهم فهو يساعدهم في الوصول للطبقات المتقفة والأكثر وعيا، الذين يشكلون قادة المستقبل في بلادهم، وعن طريقهم تنسرب الأفكار لغيرهم من المحيطين بهم.

وفي عام ١٨٦٢ اقترح القس دانيال بلس Daniel Bliss^(*) إنشاء كلية تابعة للإرسالية، ورغم معارضة البعض من زملائه داخل الإرسالية،

(1) Missionary Herald, July 1868. The Education of Native Ministry by Rev. George E. Past. Pp. 212-215.

(٢) نقولا زيادة (دكتور) : أثر الجامعة في حياة العالم العربي، منشور ضمن شاميات، دار رياض الرئيس، لندن، ٢٠٠٥، ص ٣٣٠.

(*) دانيال بلس Daniel Bliss مؤسس الكلية الإنجيلية السورية ولد في جورجيا في ١٧ أغسطس ١٨١٣م، تلقى التعليم المجاني، سافر كمشير للشام في ١٢ ديسمبر ١٨٥٥م، قام بالعديد من الأعمال التبشيرية داخل الشام من ذلك إنشاء محطة تبشيرية في سوق الغرب، وفي أثناء مذابح ١٨٦٠ أشرف على توزيع الكساء والطعام على الضحايا، ورأس الكلية الأمريكية، وعندما اعتزل تولى ابنه هورد بلس مكانه راجع

- Payard Dodge, The American University of Beirut, Khayat's, Beirut, 1958, p. 9.

فقد سمح له بالسفر لبريطانيا وأمريكا لجمع الأموال والتبرعات اللازمة لافتتاح هذه الكلية الجديدة^(١).

في صيف عام ١٨٦٢م ذهب "بلس Bliss" إلى أمريكا، لجمع الأموال، وليقوم بالإجراءات التمهيدية لإنشاء الكلية، ونجح في خلال عام في جمع مبلغ الـ ١٠٠,٠٠٠ دولار، ولم يكن جمع هذا المبلغ في أثناء الحرب الأهلية أمراً سهلاً، ولكن بسبب الهبوط الحاد للعملة الأمريكية آنذاك، فقد تقرر حفظ هذا المبلغ والبحث عن تبرعات جديدة من إنجلترا، وبالفعل وصل "Bliss" لإنجلترا في سبتمبر ١٨٦٤م ونجح في جمع تبرعات كثيرة كانت كافية للسير في إجراءات الافتتاح^(٢).

وفي إبريل ١٨٦٣م تأسس مجلس الأمناء للكلية السورية في أمريكا، وذلك بعد الحصول على التفويض بذلك من ولاية نيويورك، وتبعاً لقانونها الخاص، وكان أعضاءه هم وليام بوث William A. Booth، ودافيد هودي David Hoadley وسيمون شتيندين Simon B. Chittenden وشهد هذا التأسيس وتوقيع الاتفاق سكرتير هوراثيو بالارد Horatio Ballard وحاكم ثوراثيو سيمور Haratio Seymour^(٣) كما وجد مجلس مديرين في بيروت وكان يتألف من المبشرين الإنجليز والأمريكين والقناصل الإنجليزي وأيضاً القناصل الأمريكيين في الشام^(٤).

وكانت اللائحة الخاصة بالكلية تنص على أن يعين رئيس الكلية بواسطة مجلس الأمناء، في الوقت نفسه فهم الذين يعينون الأساتذة، ووضع في الحسبان أن يكون أكثرهم من الوطنيين الذين تعلموا في السلك التعليمي الخاص بالإرسالية، فقد كان أحد الأهداف الجوهرية لهم أن يتم تأهيل الأساتذة والمدرسين في أهالي البلاد، ليتقلدوا الإدارة الكاملة للكلية بقدر

(١) شمس الدين الرفاعي: مرجع سابق، ص ٣٧، انظر أيضاً: يوسف قزماخوري:

مرجع سابق، ص ٨٤ .

(2) A.L. tibawi, op. cit., p. 167.

(3) Stephen B.L.; Penrose, Op.Cit, pp.14-15.

(4) A.L. Tibawi, op. cit., p. 167.

الإمكان وبأمل جعل الكلية تتحمل نفقات نفسها كلياً، وتصبح وطنية^(١) ولكن الإرسالية تراجعت عن هذا الهدف فيما بعد لتصبح الكلية أمريكية اسماً وفعلاً، كما سنرى.

وفي عام ١٨٦٦ افتتح الفرع التحضيرى لهذه الكلية برئاسة دانيال بلس، واختار المبشرون مكاناً منعزلاً مهجوراً في رأس بيروت ليجعله مقراً دائماً للجامعة، وكان المكان المؤجر يتكون من ثلاث غرف، ولكن ما لبثت أن نمت تدريجياً ووسعت مرافقها شيئاً فشيئاً، وانتقلت أكثر من مرة حتى استقرت أخيراً في رأس بيروت الذي أصبح من أجمل المواقع في بيروت^(٢) وبدأت الكلية بستة عشر طالباً منهم ٣ طلاب من بيروت و ١٢ من جبل لبنان وواحد من طرابلس كما ضمت في عامها الأول ثلاثة أساتذة دانيال بلس وكرنيليوس فاندريك ويوحنا ورتبات^(٣)، وكانت المدرسة الوطنية التي أسسها بطرس البستاني - سيأتى الحديث عنها - بمثابة معهد إعدادى للكلية حتى تم للكلية إنشاء دائرتها الإعدادية، ومنذ ذلك الحين أغلقت المدرسة الوطنية أبوابها نهائياً^(٤) وبذلك نجد أن المدرسة الكلية الإنجليزية السورية بدأت بداية صغيرة ومتواضعة للغاية في مكان مؤجر، وبعد عدة سنوات أصبحت أهم وأكبر مركز تعليمي في الشرق العربي، والسبب في ذلك راجع لوضوح الهدف في أذهان القائمين عليها، في الوقت نفسه أن انعمل كان يخضع لتخطيط منذ البداية، وترتيب للمراحل التي يجب أن يمر بها، كما أن الإرسالية ومجلس الأمناء نجحا في اختيار الاسم للكلية "السورية" حتى يجذب إليهم الأهالي وأنهم يعملون لأجل سورية، كذلك استخدام اللغة العربية في التدريس لنفس الهدف.

وأوضح مؤسس الكلية ورئيسها الأول سياستها التعليمية عند وضع حجر الأساس لبنائها الجديد بقوله "أن هذه الكلية لكل أنواع البشر وطبقاتهم دون نظر إلى لون أو قومية أو عرق أو دين ٠٠٠ والإنسان سواء كان مسيحياً أم يهودياً أم محمدياً أم وثنيا يستطيع أن يدخل وينعم بفوائد هذه

(1) Missionary Herald, Feb. 1863, A Protestant College in Syria, pp. 36-38.

(٢) نور الدين حاطوم (دكتور) : مرجع سابق، ص ٢٠.

(٣) عبد الكرم غرايبة : مرجع سابق، ص ١٧١.

(٤) مرجع سابق، ص ١٩٢.

- انظر أيضاً: كمال الصليبي: مرجع سابق، ص ١٨٧.

المؤسسة، ولكن يستحيل أن يبقى معنا طويلاً دون أن يدرك حقيقة ما نعتقد والأسباب الداعية لهذا الاعتقاد^(١). ثم يقول "إن الجامعة توفر مناخاً نفسياً لا يستطيع واحد الإفلات من تأثيره، والطالب لا يعي حقاً التغييرات الحاصلة دائماً في داخله، وثمره هذه البذرة قد لا تأتي إلا بعد مدة طويلة في مغادرة الطالب للكلية"^(٢).

وبذلك فقد كان الهدف واضح منذ البداية في أذهان القائمين على أمر هذه الكلية، ويذكر تقرير للإرسالية في الشام أن الكلية تؤدي لتقدم مستمر في عمل الإرسالية، فهي تضم عدد من الطلاب بلغ ٧٦ طالباً من طوائف دينية مختلفة مورانة، أرثوذكس، دروز، كاثوليك روم، بالإضافة للبروتستانت، كما أن التقرير يصف الكلية إنها أكثر صرامة من الكليات المناظرة لها في أمريكا، وهذا ما دفعهم للقول أن الكلية تمثل مركز إشعاع لأكثر من ١٥٠ مليون شخص يتحدثون العربية^(٣).

ومنذ البداية لم تعلن الكلية الإنجيلية السورية أهدافها التبشيرية التي قامت عليها خوفاً من انصراف الناس عنها، وأيضاً خوفاً من الإدارة العثمانية، إنها أعلنت ولكن من خلال أعمال الكلية يتضح أنها عملت في ظل الإرسالية الأمريكية في الشام - ومركزها بيروت - وعملت بتناغم كامل مع سياسة وأهداف الإرسالية، ولكن كان ذلك من وراء ستار أنها كلية تعلم العلوم الحديثة لفائدة الإنسانية وبعيداً عن أي أهداف دينية.

وفي الحقيقة فقد كانت الكلية تعتبر عملها رسالة تبشيرية، غايتها نشر البروتستانتية، وكان المسئولون عن الكلية السورية الإنجيلية يبشرون بالمسيحية ويعيشونها، وقد أقبلوا على عملهم هذا بروح من يحمل رسالة، ولذلك فإنهم لم يلبثوا أن اعتبروا مثالا للتصرف المتطابق مع العقيدة^(٤)، ولم يكتف القائمون على أمر هذه الكلية الإنجيلية السورية، في بيروت بأن يكون

(١) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ٢١ .

(٢) عبد الودود شلي (دكتور) : الزحف إلى مكة، مرجع سابق، ص ٨٨، القاهرة،

١٩٨٩م، ص ٨٨ .

(3) Missionary Herald, Nov. 1869, Annual meeting of the board, pp. 359-360.

(٤) برهان الدين دجان (دكتور) : الجامعة الأمريكية في بيروت والوطن العربي،

مجلة الأنحاء، الجامعة الأمريكية في بيروت، آذار ١٩٥٤، ط ١، ص ١٧ .

رئيس هذه، المؤسسة مبشرا، بل أصروا على أن يكون جميع المدرسين فيها مبشرين، وكان على هؤلاء أن يوقعوا يمينا يقسمون فيها بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد، هو التبشير، ولم يقبل منهم أن يكونوا نصارى فقط، بل وجب أن يكونوا مبشرين^(١) ولكن بعد ذلك ألغى مجلس الأمناء فى أمريكا هذا اليمين "Declarion of principles" فقد رأوا فيه أنه يثير عليهم تهمة التعصب، فهو فرصة لأعداء الإرسالية فى توجيه النقد لهم، وقبل "بلس" هذا الأمر وألغى هذا اليمين^(٢) وكانت الكلية تجبر الطلبة على اختلاف مذاهبهم الدينية بالذهاب للكنيسة وحضور دروس التوراة والإنجيل، وذلك مرتين فى اليوم^(٣).

وبالرغم من أن الكلية الإنجيلية السورية حاولت إخفاء الطابع الدينى لها وراء ستار نشر العلوم، إلا أنه قد حدثت بعض الأزمات التى لوضحت الوجه الحقيقى للكلية، وأنها كلية دينية لا شك فى أهدافها التبشيرية^(٤)، وأن التوجه الدينى مسيطر على تفكيرها وتفكير القائمين عليها، من أبرز تلك الأزمات أزمتى ١٨٨٢م، ١٩٠٨م.

وترجع الأزمة ١٨٨٢م بسبب رئيسى هو خطاب "أدون لويس" الأستاذ بالمدرسة الكلية خلال حفل التخرج فى صيف ١٨٨٢م، وكان عن نظرية دارون فى التطور، وعرضها أدون لويس عرضا علميا غير مقيد نفسه بآراء رجال الدين المعارضة لهذه النظرية، لأنه يرى أن لا موجب بالتظاهر بالحرص الشديد على التدين والاستمسك بالقشور التى تتصل

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : مرجع سابق، ص ١٠٧ .

(2) Bayard Dodge, op. cit., p. 35.

(3) Ibid, p. 36.

(*) عندما هاجم اليسوعيون الكلية السورية الإنجيلية وحذروا أهل الشام من أهدافها التبشيرية وترجموا نص بالإنجليزية عن هذه الأهداف التبشيرية لم تستطع مجلة الإرسالية النشرة الأسبوعية أن تنفى ذلك النقد ولكنها هاجمت اليسوعيون، وفى هذا الإطار اعترفت "أن التلامذة يجتمعون صباحا ومساء فى قاعة المدرسة ويقرأ واحد من الأساتيد فضلا من الكتاب المقدس ويصلى معهم ... وتُحار الأُحد يلزم التلاميذ الذين هم داخل المدرسة أن يحضروا الصلاة فى الكنيسة" راجع النشرة الأسبوعية، الثلاثاء ١٧ أيلول، ١٨٧٢م، ص ٢٠١ .

بالمسائل الفرعية، ما دام محافظاً على جوهر الدين نفسه^(١) واستنكر زملاء د/ لويس ما جاء على لسانه. وواجهوه بالكفر والإلحاد، وأثاروا ضده حملة شعواء مطالبين بإنهاء عمله في الكلية^(٢).

وكانت النتيجة إعفاء د/ أدوين لويس من عمله بناء على طلب لجنة الأمناء في أمريكا، التي وصلتها العديد من الخطابات ضد فكر لويس من المبشرين في أنحاء الشام المختلفة، فكان لهذا الخبر وقع أليم على نفوس الطلبة الذين قرروا الإضراب احتجاجاً على ما حدث لأستاذهم "لويس" ورافعين راية حرية الفكر، ضد الاتهام بالإلحاد والكفر على من يستخدم عقله في التفكير، وحاولت إدارة الكلية إثناء الطلبة ولكنها فشلت، فقابلت الأمر بالشدّة وقامت برفقت الطلبة الذين وقعوا على الشكوى وشاركوا في الإضراب^(٣) ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل استقال عدد من أساتذة الكلية الذين حاولوا الانتصار لحرية الرأي والفكر، ورأوا فيما فعلته إدارة الكلية ومجلس الأمناء في أمريكا خسارة للكلية أمام الناس، ولكن لم يؤخذ بآراء هؤلاء وفي مقدمتهم د/ كرنيليوس فانديك^(٤).

ترتب على هذه الأزمة العديد من النتائج التي يمكن استقرؤها من خلال الأحداث، لعل أهم هذه النتائج :

١- أن هذه الأزمة كانت في الحقيقة بين فريقين المحافظين الذين قادوا الحملة على أدون لويس^(٥) واقنعوا مجلس الأمناء باتخاذ موقف شديد

(١) مذكرات جورجى زيدان، الهلال، المجلد ٦٢ عام ١٩٥٤، عدد سبتمبر، ص ٣
(٢) شفيق جحا : أزمة السنة ١٨٨٢ أدوين لويس، ضمن كتاب العيد المشوي للجامعة الأمريكية، إشراف جبرائيل جبور، بيروت، ١٩٦٧م، ص ٣٢ .
(٣) مذكرات جورجى زيدان : مرجع سابق، ص ٣٣، ولزيد من المعلومات راجع:

- Oliviermeier, Al-Muqtataf Debat sur le Darwinisme Be growuth, 1876-1885 Les Dossiers Du Lcedej, Caire, 1986.

(٤) يعقوب صروف : مرجع سابق، ص ١٨٥ .

(دكتور) أعلام المقتطف، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩٢٥، ص ١٨٥ .
(*) هاجم جيمس أنس الأستاذ بالكلية الإنجليزية د/ لويس كما هاجم دارون واتمهما بالكفر بالكتاب المقدس، وأن غاية الأبحاث العلمية لدارون إنما هي نفى المسيح من كل دائرة الطبيعة والعلم، راجع المقتطف : الجزء الرابع، السنة السابعة، ط ٢، ١٨٨٢م، ص ٢٣٦ .

- معهم ومع الطلبة المؤيدين له، وبين الفريق الذي حاول الانتصار لحرية الفكر أو رأى اتخاذ موقف أقل شدة مثل د/كرنيلبوس فاندريك الذى استقال من الكلية وكانت النتيجة أن الكلية برز وجهها الدينى بـروزا شديد وأصبح، واضح للعيان وليس بحاجة للاختفاء وراء ستار، فى الوقت نفسه سيطرت الفئة المحافظة على مقدرات ومجريات الأمور بالكلية.
- ٢- خرجت هذه الأزمة للصحف والمجلات وانتشرت بين الناس، فكان لها فائدة مزدوجة أولها أنها أدت لكشف وجه الكلية أمام الجميع، ثانيها أنها أدت لإثارة الجدل والنقاش حول القضية برمتها، وحول آراء دارون وأفكاره مما ساعد على إثارة نقاش وحوار فكري فى بلاد الشام.
- ٣- وكان لاحتجاج الطلبة دلالة هامة وهى بيان مدى تأثير الطلبة بدعوى حرية الفكر والتحرر من كل القيود التى تعيق الفكر وعلى رأس هذه القيود الدين وذلك - من وجهة نظرهم - .

أما الأزمة التالية التى أوضحت الوجه الدينى الحقيقى للكلية فهى أزمة ١٩٠٨م :

فقد نشرت الصحف فى تلك الفترة العديد من شكاوى الطلاب المسلمين من الضغط الواقع عليهم من أساتذتهم فى الكلية السورية الإنجيلية، وعدم السماح لهم بقراءة كتبهم الدينية، وصرف نصف أوقاتهم فى التعاليم البروتستانتية، وإرغامهم على دخول الكنيسة^(١).

وتدخلت الإدارة العثمانية وأصدرت أمراً عالياً فى ٨ يناير ١٩٠٦م، لعمدة الكلية تطلب إعفاء غير المسيحيين من تلامذتها من حضور أوقات العبادة ودرس الكتاب المقدس، ولكن الكلية تحايلت على هذا الأمر وأعفت غير المسيحيين من حضور أوقات العبادة إلى ما بقى من السنة فقط^(٢) وادى هذا لاحتجاج عدد من الطلبة المسلمين فقدم ١٢٨ طالباً عريضة للإدارة طالبين عدم إجبارهم على حضور دروس التوراة والإنجيل وعدم حضور الصلوات فى الكنيسة، ولكن لجنة الأمناء فى نيويورك ولجنة المديرين فى

(١) مصطفى الخالدى وعمر فروخ : مرجع سابق، ص ١٠٨ .

أضر أيضاً ثمرت الصوت ٤ شعبان ١٣١٨هـ / العدد

١٣٠٨، ص ٥ .

(٢) الأخبار العدد ١٦٨، الأربعاء ٢٨ يوليو ١٩٠٩م .

الشام أعادوا التأكيد على أن دراسة الكتاب المقدس إجبارية للجميع وحضور الصلوات كذلك إجباري^(١).

كما أعلن رئيس الكلية هورد بلس أن هذه المدرسة أسست بأموال المسيحيين، وغرضها بث التعاليم المسيحية، وتعليم الواجبات البروتستانتية، ومن يمتنع عن قراءة هذه التعاليم أو يتقاعس عن أداء هذه الواجبات فليس له عندنا حاجة وليذهب خارج مدرستنا^(٢).

والمقارن بين هذه الأزمة وأزمة ١٨٨٢م يلاحظ أن الكلية فى الأزمة الأخيرة كانت أكثر وضوحاً وكشفاً عن وجهها الدينى، وذلك لأن الأزمة السابقة أسفرت عن سيطرة الجناح المتشدد دينياً على الكلية وإدارتها، فى الوقت نفسه كانت الكلية قد ثبتت جذورها، وأصبحت محتمية أكثر من ذى قبل، بالامتيازات الأجنبية وبالأسطول الأمريكى، وأيضاً بالضعف العثمانى، كما أصبحت الإرسالية أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها عما قبل وأصبحت هناك طائفة بروتستانتية وطنية كما أصبح هناك المرتبطون بالإرسالية وبالكلية.

وبذلك أصبحت الكلية الإنجيلية إحدى أهم وسائل الإرسالية الأمريكية فى العمل التبشيري فى الشام، وكان مؤسسوها والقائمون عليها أصحاب عقيدة دينية يسعون لنشرها بين الناس، كما كانوا يسعون لخلق جيل مرتبط بهم فكرياً، ثم بعد ذلك سياسياً^(٣).

ثانياً : أقسام الكلية :

منذ بداية تأسيس "الكلية الإنجيلية السورية" كان هناك تخطيط لما ستضمه من أقسام، ولا نشك أن هذا التخطيط المدروس بدقة فائقة كان السبب الرئيسى وراء النجاح الذى نالته الكلية، فتخطيط الأقسام كان متقفاً

(١) Bayad Dodge, op. cit., p. 36.

(٢) عبد الودود شلى : أفيقوا مرجع سابق، ص ٤٨، انظر أيضاً: أبابيل، ٣٠ ربيع الثانى ١٣٣٠هـ، العدد ٢٠٦، ص ١.

(*) فى عام ١٩٢١م رأت إدارة الكلية تغيير اسم الكلية الإنجيلية السورية للجامعة الأمريكية وذلك لأن الكلية تضم بين جنباتها أكثر من ١٢ مذهب دينى وكذلك لتعدد جنسيات طلابها، وفى الحقيقة كان هذا بداية حقيقية لتحرر الكلية من الإرسالية بعض الشئ ولتحول الكلية أيضاً لتحقيق أهداف سياسية لأمريكا، راجع المقتطف : الجزء الرابع، المجلد ٥٨، إبريل عام ١٩٢١، ص ٣٧٢.

مع احتياجات البيئة" وهذا التدرج فى إنشاء الأقسام يعكس رغبة القائمين على هذا العمل فى تلبية هذه الاحتياجات، لأنه يقربهم من الناس، ويدخلهم فى علاقات متشابكة مع المجتمع من حولهم، وهذه هى البيئة المناسبة لهم لممارسة أعمالهم التبشيرية.

فى السنوات الأولى لعمل الكلية وجد بها ثلاثة أقسام هى: التحضيرى أو التجهيزى، والقسم العلمى، والقسم الطبى بفروعه المختلفة، وهو أهم أقسام الكلية على الإطلاق، لأن الطب هو أحد أهم الوسائل التبشيرية التى تستخدمها الإرسالية الأمريكية، وغيرها من الإرساليات.

كان القسم الإعدادى أو التمهيدى *The preparatory department* يعد الطلبة للالتحاق ببقية أقسام الكلية، ذلك لأنهم يأتون من أنواع كثيرة من المدارس، وكانوا غالباً فوق السن المقرر، ومعلوماتهم عن اللغات والعلوم قليلة، لذا كان هذا القسم أشبه ببوتقة لصهر الطلاب داخلها وإعدادهم لبقية الأقسام^(١) ومنذ عام ١٨٧٥م تم التصويت داخل مجلس الأمناء للكلية الإنجليزية فى أمريكا على تأسيس مدرسة تحضيرية فى مبنى مستقل، وأن يؤمن وجود مدرس من أمريكا يكرس وقته كاملاً لهذا العمل، وكان أول مدرس هو جوش باكرن *Joshua Bcrane* ومعه مساعدون حاصلون على دراسات جامعية بأمريكا^(٢) وكان الطلاب الذين يلتحقون بالقسم التحضيرى لا ينالون شهادات، ما لم يكملوا دراساتهم فى أحد أقسام الكلية، ولكن ابتداء من العام الدراسى ١٨٨٢ : ١٨٨٣ نجح رئيس القسم "فردريك بلس" فى الحصول على امتياز يبيح لمن لم يكملوا دراساتهم واكتفوا بالقسم التحضيرى، أن يأخذوا شهادات بالمواد التى درست لهم وهى الصرف، والنحو، والحساب، والجغرافيا، والإنجليزية، والفرنسية، ومدة الدراسة بهذا القسم ثلاث سنوات^(٣).

وفى بداية القرن العشرين زاد الاهتمام بالمدرسة التحضيرية، ونظوة لأسماء مدرسيها توضح لنا مدى هذا الاهتمام وهم "جبر ضومط *Jabr*

(1) Bayard dudge, op. cit., pp. 28-29.

(2) Stephen Penrose, op. cit., p. 30.

(٣) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ١٩ .

- انظر أيضاً: المقتطف : الجزء الأول، العام الثامن، آب ١٨٨٣، ص ٦٣ .

- Stephen Penrose, op. cit., p. 31.

"Dumit"، "دواد قربان Daud Kurban"، "وجرجس خورى المقدسى Jurjus Khuri Makdisi"، "هارولد نيلسون Harold Nelson" هارفى بورتر Harvey Porter، "ستيوارت كراوفورد Stewart Crawford"، "منصور جورداك Mansur Jurdak"، "الفريد داى Alfred E. Day"، "جيمس الفريد باتش James Alfred Patch"، "الفريد هـ جوى Alfred H. Jay"، "جوليوس آرثر براون Julius Arthur Brown"، "روبرت س. ريد Robert S. Reed" أما المواد التى كانت تدرس فهى الفلك، والكيمياء، والطبيعة، والاجتماع، والتاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والتربية، والرياضيات، والجيولوجيا، والبيولوجيا^(١).

ويلاحظ على الأسماء السابقة أن معظمها من الشوام الذين تلقوا تعليمهم فى "المدرسة الكلية الإنجيلية"، وتولوا التدريس داخل القسم التحضيرى.

كما أنشأ القسم العلمى، وكانت مدة الدراسة فيه أربع سنوات، يتعلم فيها الطالب العربية بفنونها، والإنجليزية، والفرنسية، والجبر، والهندسة وحساب المثلثات المستوية، والأنساب، والمساحة، والطبيعة، والمنطق، والتاريخ، والفلسفة، والجغرافيا، والجيولوجيا، ومبادئ التشريح، والفسولوجيا. وبعد الانتهاء من الدراسة ينال الناجح منهم درجة البكالوريوس^(٢) فى العلوم والآداب، وكانت المناهج التى تدرس فى هذا القسم هى نفس المواد التى تدرس فى الكليات المناظرة فى أوروبا وأمريكا^(٣).

ولخدمة طلبة القسم العلمى أنشئ المرصد الفلكى داخل الكلية؛ حتى يكون تدريبهم عمليا، ففي عام ١٨٧٤م أنشئ المرصد بمنحة من إنجليزى زار الكلية^(٤). وكان المسئول عنه د/ كرنيلبوس فاندريك الذى اشترى العديد من الآلات للمرصد من ماله الخاص، وكان أسلوب "فاندريك" فى تعليم الفلك

(1) Bayard Dodge, op. cit., p. 28.

(٢) شاهين مكاريوس : مرجع سابق، ص ٣٨٨ .

(٣) فؤاد صروف (دكتور) : تطور الفكر العلمى العربى فى مائة عام. بحث منشور ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٣م، ص ٣٨٦ .

(4) Bayard Dodge, op. cit., p. 21.

مثل أسلوبه فى تعليم الكيمياء مبنيا على العمل والمشاهدة^(١) وكان المرصد يحوى منظارا استوائيا كبيرا، ومنظارا زواليا صغيرا، ومطيافا شمسيا، وساعة نجمية ومسجل للزمن^(٢) وكان لهذا المرصد علاقات وتبادل علمى مع المراصد الأوربية وفى الدولة العثمانية، كما استفادت منه القوات الجوية الإنجليزية والأمريكية التى كانت تعمل فى المنطقة، كما استفاد منه الأهالى الشوام فى الزراعة والتجارة وأعمال البحرية، وتخرج فيه جيل من الفلكيين العرب الذين تعلموا بأسلوب علمى تجريبى حديث^(٣)، وكان المرصد يصدر نشرات يومية عن حالة الجو المتوقعة، والمطر المتوقع وحالات الكسوف والخسوف، ليس فقط فى بلاد الشام بل أيضا القاهرة والأسكندرية وتونس والإسكندرية^(٤).

أما القسم الطبى فكان أهم أقسام الكلية، واشتمل فى البداية على كلية الطب، ثم الصيدلة، ثم أضيفت إليهما مدرسة التمريض، وبعد ذلك أسست مدرسة الاسنان.

فقد كانت الرغبة عميقة فى إنشاء القسم الطبى منذ جمع التبرعات، حيث أبدى المتبرعون تلك الرغبة، كهدف أولى، سواء فى ذلك المتبرعون من أمريكا أو إنجلترا^(٥) وربما كان الهدف من وراء ذلك هو تخريج أطباء مبشرين، للعمل فى البيئة الشامية التى سيطر على الطب فيها المشعوذون والسحرة، وحلقو القرى، وندر وجود أطباء تلقوا تعليما حديثا، وكان المتبرعون يدركون إنهم يتبرعون لكلية تابعة لإرسالية تنصيرية.

وفى سنة ١٨٦٧م افتتح القسم الطبى بمدرسة الطب، التى اشترط للقبول فيها أن يكون الطالب قد أتم الدراسة التى تخول له الالتحاق بها فى بلاده، أو أن يكون قد أتم دراسته فى السنة الثالثة لمدرسة الآداب والعلوم بالكلية الإنجليزية، حيث كان عدد طلبة مدرسة الطب محددًا بـ ٤٠ طالبا يتم

(١) المتقطف : الجزء ١٢، ديسمبر ١٨٩٥، ص ٨٨٦ .

(٢) عبد الحميد سماحة (دكتور) : الفلك عند العرب. ضمن كتاب نشاط العرب العلمى، مرجع سابق، ص ٢٣٠ .

(٣) المتقطف : الجزء الثانى، العام الأول، ص ٤٦ .

ayard Dodge, op cit , p 21

(٤) المتقطف : الجزء الثالث، ط ٢، ١٨٧٧، ص ٧٢ .

٦) Stephen, B L Penrose, op. cit., p. 19.

اختيارهم من بين المتقدمين^(١) . وكان يدرس فيه في بدايته د/ كرنيليوس فاندريك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، ثم أضيف إليهم هاريس جراهام "Harris Graham" للباطنة، وادوين جون وارد "Edwin Johnward"، وتشارلس أ. ويبستر "Charles A. Webster" للعيون والأذن والتشريح، ووالتر آدمس "Walter B. Adams" للأمراض الجلدية والعقاقير، وهاري ج. دورمان "Harry, G. Dorman" للنساء والتوليد، وويليام فاندريك "William Vandyck" للفسيولوجيا وعلم الصحة، ووجد عدد من المساعدين الذين قاموا بتدريس البكتريولوجي والهستولوجي^(٢)، [أو علم البكتريا والهستولوجيا].

وقد وضع مؤسسا مدرسة الطب د/ كرنيليوس فاندريك ود/ يوحنا ورتبات نظام الدراسة بها ٤ سنوات، هذا بالرغم من أن مدة الدراسة في الكليات المناظرة في أمريكا وأوروبا كانت ثلاث سنوات فقط^(٣) . وأقرا بأن الحاصل على البكالوريا المصرية يقبل في القسم الطبي مباشرة، أما حامل شهادة الكفاءة فعليه أن يجتاز امتحانا تعقده الكلية قبل قبوله، وإذا لم ينجح فيه فعليه أن يدرس سنة في القسم العلمي ثم يقبل في القسم الطبي^(٤) .

وقبل تأسيس المستشفى الخاص بالكلية تم الاتفاق مع المستشفى الروسي في بيروت على أن يتم تدريب الطلبة فيه مقابل أن يقدم الأساتذة في مدرسة الطب الأمريكية خدماتهم المجانية للمستشفى، وبذلك تم تدريب طلاب الكلية في هذا المستشفى^(٥) ولكن بعد ذلك بوقت قصير تبرع د/ ألفريد بوست Dr. Alfred Post بمبلغ 18.000 دولار لإنشاء مستشفى في بيروت للقسم الطبي بالكلية^(٦) .

(١) رودريك ماثيوز ومتى انعراوى: مرجع سابق، ص ٦٥٠ .

(2) Bayard Dodge, op. cit., p. 30.

شاهين مكاريوس : مرجع سابق، ص ٣٨٨ .

(٣) فؤاد صروف : مرجع سابق، ص ٣٨٩ .

(٤) المقطم : ٣١ نوفمبر ١٩١٨، ص ٣ .

(5) Bayard Dodge, op. cit., p. 21.

(6) Stephen penrose, op. cit., p. 32.

أما المشكلة الأساسية التي قابلت مدرسة الطب فهي "التشريح"^(١) فقد كان من الضروري للدراسة الإكلينيكية للطلبة أن يتم تدريبهم على التشريح، بينما كان ذلك ممنوعاً من قبل القانون العثماني.

وتم التغلب على هذه المشكلة إما بشراء الجثث أو الحفر في المدافن سرا للحصول عليها وتهريبها للكلية دون علم أحد، ومما يذكر في ذلك من طرائف أن د/ بوست ذهب ذات ليلة لسرقة جثة من قرية قريبة من بيروت، وشعر أن شرطى يراقبه فما كان منه إلا أن رواج هذا الرجل وبدلاً من أن يذهب مباشرة للكلية ذهب لمدرسة الطب الفرنسية ودار حولها، وهنا انشغل الشرطى بالبحث عن باب للدخول للكلية الفرنسية في الوقت الذي ذهب فيه بوست للكلية السورية^(١).

ولم تكن مناهج الدراسة في مدرسة الطب قاصرة على المواد الطبية السابق ذكرها فقط فقد اعترف تقرير للإرسالية عام ١٨٦٩م أنه على الطلاب أن يكونوا حاضرين في صلوات الصباح والمساء، وأن يدرسوا الكتاب المقدس، وعليهم أن يحضروا الخدمة في الكنيسة^(٢) وطبق هذا على الطلبة باختلاف مذاهبهم الدينية، وهذا يتيح الفرصة للتأثير الروحى على الطلبة، وهو ما يتناسب مع عمل الإرسالية.

وكان جورج بوست يرحل لأوروبا وأمريكا لجمع التبرعات لمدرسة الطب، وكان من ثمار هذه التبرعات إنشاء قاعة العلم التى جعلت دار للمعارض العلمية بالمدرسة، وأنشأ فيها معرضاً للنباتات النادرة، فقد كان علم النبات يدرس ضمن مقررات المدرسة الطبية كما أن والده الفريد بوست أوقف مبلغ مالى للإنفاق من دخله على ما تحتاجه مدرسة الطب^(٣).

(*) نفس هذه المشكلة قابلت كلوت بك عند أول درس للتشريح في مدرسة قصر العين المصرية، فهي مشكلة مرتبطة بالعقلى العربية، وتمتد بمجذورها للفهم الخاطى لقواعد الدين الإسلامى:

(١) جورج زيدان : تراجم مرجع سابق، ص ٣٢٣ .

انظر أيضاً: Bayard Dodge, op. cit., pp. 32-33.

(2) Missionary Herald-March 1869. The Beirut Protestant College. pp. 89-90.

(٣) فيب دى طرازى : مرجع سابق، جـ ٢ ص ١١٨ .
- انظر أيضاً: جورج زيدان . تراجم : مرجع سابق، ص ٣٢٣ .

وفي عام ١٨٧١م أنشئت كلية الصيدلة، وانتقلت لبنائها الجديد عام ١٨٧٣م، وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات، يمنح الطالب فى نهايتها درجة الكيمياء والصيدلية، هذا علاوة على سنة أخرى يقضيها فى صيدلية معترف بها للتمرين، وكان من الممكن لخريج الصيدلة أن يحصل إذا أراد على دراسة لمدة عام فى تحليل الأطعمة والمياه والزيوت والمواد الصناعية، حتى يحصل على شهادة محلل عمومي^(١). وجدير بالذكر أن الدراسة بالقسم الطبى - الطب والصيدلة بدأت واستمرت باللغة العربية حتى العام الدراسى ١٨٨٢ : ١٨٨٣ حينما استبدلت باللغة الإنجليزية، وأفاد هذا اللغة العربية وأثرها بالعديد من المصطلحات العلمية الحديثة التى لم تكن معروفة فيها من قبل، فى الوقت ذاته ألفت وترجمت العديد من الكتب الطبية والعلمية فى الفروع المختلفة مثل الجراحة علم دراسة الأنسجة Pathology وعلم الحيوان والنبات والتشريح، وقام بالدور الرئيس فى ذلك أساتذة مدرسة الطب والصيدلة مثل ورتبات وجورج بوست وكرنيلوس فاندريك، وأيضا وبتشجيع منهم وجد العديد من تلامذتهم الذين شاركوا فى هذا المجال، وكان خاتمة ذلك إنشاء أول مجلة طبية باللغة العربية - مجلة الطبيب - التى عملت على نشر الثقافة الطبية للناس باختلاف طبقاتهم وتنوع ثقافتهم^(٢).

وحتى يكتمل القسم الطبى فقد أنشأت إدارة الكلية عام ١٩٠٥م مدرسة للتمريض، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات، ويشترط فى الطالبات أن تتراوح أعمارهن بين الثامنة عشرة والثلاثين، وكان النصف الأول من الدراسة قد خصص للدراسة النظرية، أما السنتين والنصف الباقية من مدة الدراسة فقد خصصت لبقاء الطالبات فى المستشفى يوميا لمدة ثمانى ساعات، وكان يسمح لخريجات مدرسة التمريض بالالتحاق بالسنة النهائية فى كلية الآداب والعلوم لنيل درجة البكالوريوس فى العلوم فى فن التمريض^(٣).

(١) عبد الكريم غراية : مرجع سابق، ص ١٧٢ .

- انظر أيضا: أحمد سراج الدين : مرجع سابق، ص ٣٣١ .

- رودريك ماثيوز ومتى العقراوى : مرجع سابق، ص ٦٥٠ .

(*) راجع ذلك بالتفصيل فى الفصل الخامس .

(٢) الحسنة : المجلد الثانى، الجزء الثانى، آب ١٩١٠م، ص ٤٣ .

- انظر أيضا: رودريك ماثيوز ومتى العقراوى : مرجع سابق، ص ٦٥٠ .

كذلك الحال فعندما رأت إدارة الكلية مدى تخلف طب الأسنان في بلاد الشام حيث كان بدائيا تماما، وكان العلاج يتم عن طريق الحلاقين وبعض كهنة الأديرة بطرق بدائية تسبب العديد من الآلام، وينتج عنها في غالب الأحيان أمراض خطيرة^(١).

لذا رأت إدارة الكلية إقامة قسم لطب الأسنان وافتتح في يونيو ١٩١١م^(٢) واعتبر هذا العمل تطورا جديدا في هذا المجال في بلاد الشام، وهو أيضا تفاعل ما بين الإرسالية بمؤسساتها وبين المجتمع الموجودة فيه لأجل الغرض الأساسى لهم وهو التبشير.

وبلغ من نشاط قسم الطب أن عقد مؤتمرا طبيا علميا عام ١٩١٣ دعا إليه كل خريجي الكلية القدماء والمحدثين، كما دعا غيرهم من الأطباء من بلاد الشام ومصر وأمريكا وإنجلترا، وعرضت فيه العديد من العمليات النادرة التي تجرى للمرة الأولى، وألقيت الأبحاث العلمية المختلفة، مما يعد تطورا علميا لم تعرفه المنطقة من قبل^(٣)، ففكرة المؤتمرات المتخصصة جديدة، وعرضت في هذا المؤتمر الذى عقد في عام ١٩١٣م أحدث الاكتشافات الطبية، وآخر ما توصل إليه علم الطب والصيدلة في أوروبا وأمريكا.

وبعد أن تولى هوردبلس رئاسة الكلية خلفا لوالده دانيال بلس عمل على تطوير الدراسة بالكلية و إدخال فروع جديدة مثل فرع لعلم الحقوق، وفرع للهندسة، وفرع للزراعة^(٤) كما أحدث تطويرا في فروع تخريج المعلمين من حيث عدد السنوات المفروضة والمواد التي يتم تدريسها فيها^(٥).

(1) Bayard Dodge, op. cit., p. 33.

(٢) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١١م، ص ١٨٢ .

(٣) الطبيب : نيسان ١٩١٣، الجزء الرابع، ص ٩٨ .

- انظر أيضا: فلسطين : ١٤ آب ١٩١٣، العدد ٢٩٦، ص ٣ .

- الكلية : العدد السادس، إبريل ١٩١٣، ص ١٤٥ .

(٤) المقتطف : المجلد ٣٤، الجزء الثالث، مارس ١٩٠٩، ص ٣٠٨ .

(٥) الكلية : العدد الثالث، يناير ١٩١٢، ص ٩٤ .

وكانت المشكلة الأساسية التي قابلت القسم الطبى هي موقف الدولة العثمانية التي رفضت الاعتراف بالدبلومات الطبية التي تمنح من مكاتب أجنبية إلا بعد أن يمتحن الطالب أمام مدرسة الطب^(٢) فى الأستانة^(١).

فقد شكل أمر الدبلومات مسألة حيوية بالغة الأهمية للطلبة فى القسم الطبى للكلية الإنجليزية، ذلك لأنه بدون الاعتراف العثمانى لم يكن يستطيع حاملها أن يمارس الطب فى الممالك العثمانية، لذا فقد قررت الدولة العثمانية أنه على كل طبيب قصد ممارسة مهنة الطب فى الممالك العثمانية أن يذهب للأستانة ويمتحن فى مجلسها الطبى، وإذا نجح يحصل على البراءة السلطانية التى تعطيه حق التطبيب^(٣) وذهب دانيال بلس للأستانة بنفسه فى ١٨٧١م فى محاولة للتفاوض مع السلطات العثمانية فى هذا الأمر، ولكنه فشل، وقيل له أن هناك سلطة واحدة فقط فى الدولة العثمانية هى التى فوضت قانونا أن تمنح الدبلومات الطبية، وهى المدرسة السلطانية وعرضت الإدارة العثمانية أن تدفع تكاليف سفر الطلبة للأستانة لتأدية الامتحان^(٤) وفى ١٨٩٩م، اعترفت الإدارة العثمانية بالدبلومات التى تمنحها الكلية لخريجى القسم الطبى من الطب والصيدلة، وذلك بأن ترسل الدولة لجنة الممتحنين من الأستانة لامتحان الطلبة فى الكلية فى بيروت، وبذلك جعلت المدرسة الكلية بكل فروعها جزءا من نظام التعليم المنتشر فى كل السلطنة العثمانية وبالتالي أعفيت مبانيها وأراضيها من الضرائب^(٥).

(*) التعليم الطبى فى الدولة العثمانية: لم يبدأ التعليم الطبى بمفاهيمه الحديثة فى الدولة العثمانية حتى بدايات القرن التاسع عشر، وكانت مدرسة الطب فى استانبول التى أسست فى القرن ١٦ تدرس الطب وفق المفاهيم الطبية القديمة، وأدخلت عليها العديد من الإصلاحات فى زمن السلطان محمود الثانى "لمزيد من المعلومات راجع: د/ محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية الملكية فى دمشق، ضمن بحوث المؤتمر الدولى .

- (١) المقتطف، الجزء السادس من السنة السابعة ١٨٨٣م. ص ٣٧١ .
 - انظر أيضا: المقتطف الجزء ١١، العام ١١، أغسطس، ١٨٨٧، ص ٧٠٣ .
 - (٢) المقتطف : الجزء الثانى عشر من السنة الثامنة، أيلول ١٨٨٤، ص ٧٥١ .
 - عبد الرحمن بك سامى : مرجع سابق، ص ٣٢٥ .
- (3) A.L. Tibawi, op. cit., p. 203.

(٤) يعقوب صروف : مرجع سابق، ص ٣٠٣ .
- الأب ميس كولنجت اليسوعى وهنرى نكر (دكتور) : العرس
الفضى للمحتب الفرنسوى الطبى، المشرق، المجلد ١١، العدد ٥، إيار،
١٩٠٨، ص ٣٤٣ .

جدير بالذكر أن الكلية حصلت على اعتراف بدبلوماتها الطبية في مصر منذ عام ١٨٩٨م، واشترطت مصلحة الصحة أن تكون الشهادات والدبلومات التي تعطيها المدرسة الكلية للذين يدرسون الطب والصيدلة فيها مختومة من قنصل أمريكا في القاهرة ويشهد أنها تخول حاملها حق ممارسة الطب في الولايات المتحدة^(١).

وبذلك فقد تطورت أقسام الكلية من حيث أعداد الأساتذة، وكذلك أعداد الطلاب، وأيضاً من حيث أنواع المناهج ونظرة مقارنة ما بين عامي ١٨٨٢، و ١٩٠٣م نوضح هذا التطور.

العام	أساتذة	مساعدین أساتذة	محاضرین	مدرسون في الكلية	فريق الإداريين
١٨٨٢	٦	-	٢	٧	-
١٩٠٣	١٢	٦	١	٢٥	٩ ^(٢)

ومنذ نشأة الكلية عمل القائمون عليها على إنشاء مكتبة لتكون عوناً للطلبة في الاستزادة من العلوم، وكان الأساس لها الكتب التي جمعها المبشر عالي سميث أثناء ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، ففي عام ١٨٦٦م قسمت هذه الكتب بين مدرسة اللاهوت وبين الكلية^(٣) ثم أضيف إليها كتب ابتاعتها الإدارة، أو أهديت إليها من أوروبا وأمريكا لذا كان أكثرها باللغة الإنجليزية، وفي عام ١٨٩٨ بلغ عدد الكتب في المكتبة ٨٦٠٠ مجلداً بلغات مختلفة أهمها الإنجليزية والعربية، وهي في موضوعات مختلفة، وكانت في غرفة واحدة طولها ٢٠ متراً وعرضها ١٢ متراً وعلوها ٨ أمتار، وكانت مقسمة لثلاثة أقسام: في الثلث الشمالي خزائن الكتب، وفي الثلث الجنوبي معرض النبات والثلث الأوسط للجراند^(٤).

(١) المقطم : العدد ٢٦٧٢، ٥ يناير ١٨٩٨، ص ٢ .

(٢) Stephen B.L. Penrose. op. cit., p. 76-77.

(٣) فليب دي طرازي : خزائن الكتب العربية في الخافقين، وزارة التربية والتعليم

اللبنانية، بيروت، د.ت، ج٢، ص ٤٢٦ .

(٤) شكري أفندي معلوف : مكتبة المدرسة الكلية السورية، المقطف،

الجزء ١٢، ١٢ ديسمبر ١٨٩٨، ص ٩٠٢ .

وتطورت أعداد الكتب في بداية القرن العشرين حتى وصلت ١٣,٨٠٠ كتاب بلغات أجنبية و ١٠٠٠ كتاب عربى وتركى مع ٤,١٠٠ مجلد إضافى فى مجموعات خاصة^(١).

ثالثاً: لغة التدريس بالكلية :

منذ قدوم الإرسالية الأمريكية لبلاد الشام عملت على التقرب من الأهالى، وذلك بدراسة اللغة العربية ليتمكنهم التفاهم معهم من خلالها، فى الوقت نفسه بدأت الطباعة بالحروف العربية التى طبع بها الكتاب المقدس والتى أصبحت تعرف باسم "الحروف الأمريكية"، وللوصول للنتائج السابقة تعلم الرعيل الأول من المبشرين مثل كرنيليوس فانديك ويوحنا ورببات وجورج بوست اللغة العربية، وكتبوا بها العديد من المؤلفات التى ما زالت موجودة ومعظمها فى الطب والزراعة والعلوم الحديثة.

ومنذ نشأة "الكلية الإنجيلية السورية" كانت تعلم علومها المختلفة- بما فى ذلك الطب باللغة العربية، وكان أساتذتها يترجمون ما يحتاجون إليه من الاكتشافات- الحديثة والمخترعات للغة العربية، كذلك كانت لهم المؤلفات الأصيلة بهذه اللغة^(٢) ونتج عن ذلك إحياء اللغة وبعث علومها، والثانى إغناء اللغة بمادة العلوم الفنية^(٣) وهو ما أدى للانطلاق القومى أو ما يمكن أن نسميه باليقظة العربية الحديثة، وأيضاً أدى ذلك لتعريب الكنيسة فى العالم العربى، وإزالة ذلك العائق اللغوى الذى كان يفصل بين المسلمين قراء القرآن والمسيحيين قراء الكتاب المقدس^(٤). وظهرت كتب الآداب العربية القديمة، وطبعت المخطوطات، مما أدى لتواصل فكرى كامل بين العرب والتراث العربى القديم، وأثبت التعليم باللغة العربية قدرة هذه اللغة على

(1) Stephen, B.L. Penrose, op. cit., pp. 76-77.

(٢) الأمير مصطفى الشهابى : مرجع سابق، ص ٣٠٠

انظر أيضاً: Stephen B.L. Penrose, op. cit., p. 6.

- جميل صليبا : مرجع سابق، ص ٦٢ .

(٣) كمال اليازجى : الشيخ إبراهيم الحوراني فى فجر النهضة الحديثة ١٨٤٤ :

١٩١٦، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٨ .

(٤) بيه أمين فارس : مرجع سابق، ص ٣٨٧ .

- جورجى زيدان : تاريخ آداب، مرجع سابق، ج-٤، ص ٤٠ .

التواصل مع الفكر والثقافة والمخترعات الحديثة وأنها لغة مرنة
قادرة على التواصل، وليست لغة مجدبة ولا مقفّرة.

وابتداء من عام ١٨٧٩م عملت إدارة الكلية الإنجيلية على التعليم فى
القسم الأدبى باللغة الإنجليزية بدلاً من اللغة العربية، ووعدت الكلية بأن يكون
هناك تدريب كامل فى الكتب المقدسة باللغة العربية^(١). هذا فى الوقت الذى
تأخر فيه الإعلان عن أن تعليم الطب سيكون باللغة الإنجليزية حتى عام
١٨٨١م وتم تأجيل ذلك لمدة عامين آخرين حتى يتم تأهيل الطلاب لتلقى
العلم بهذه اللغة^(٢) ومما يلفت النظر هنا هو أن التعليم باللغة الإنجليزية بدأ فى
القسم الأدبى قبل القسم الطبى، وهو ما ينفى القول بأن ذلك كان لغنى
الإنجليزية بالمصطلحات الحديثة فى العلوم، وإنما هو تخطيط مبنى على
أسس عملت الإدارة على تنفيذها، كما أن ذلك ينفى ما يمكن قوله أن القسم
الطبى كان يوجد به كرنيلوس فاندريك ويوحنا ورتبات وجورج بوست، وأنهم
عندما خرجوا فى أزمة ١٨٨٢م، جاء مكانهم أساتذة جدد من أمريكا لا
يعرفون اللغة العربية^(٣)، وهذا القول مردود عليه أن الكلية قد أعلنت عن
التدريس باللغة الإنجليزية قبل هذه الأزمة بعام ونصف، فهو قرار سابق ونية
مبينة.

وهناك العديد من الآراء حول تغيير لغة التدريس من العربية
للإنجليزية، فيرجعها البعض لعامل العصبية، فالأساتذة الأمريكيون يرغبون
فى أن يعلموا العلوم بلغتهم، وكان الطلاب من جهتهم يؤثرون تلقى العلوم
بلغتهم القومية^(٤) ولكن نرى أن هذا العامل وأن كان مهما لكنه لا يمكن أن
يكون العامل الأساسى والرئيس فى ذلك.

(1) A.L. Tibawi, op. cit., p. 207.

(٢) المقتطف، الجزء الثانى من العام السادس، تموز ١٨٨٠، ص ١٢٨.

- انظر أيضاً: الطبيب، الجزء السابع، ١٨٨١، تموز، عدد ٤٢، ص ١٦٩.

(*) راجع شفيق جحا : مرجع سابق، ص ٣٣٨.

(٣) كمال البازجى : مرجع سابق، ص ٣٩.

ويذكر البعض أن السبب وراء تغيير اللغة يرجع إلى أن مجلس الأمانة رأى توسيع آفاق الانتفاع بالكلية خارج البلاد العربية، بعد أن ثبتت مكانتها ورسخت دعائمها في البلاد العربية، وأن ذلك لن يتم إلا بتغيير اللغة إلى الإنجليزية بدلاً من العربية^(١).

بينما كانت حجة القائمين والمؤيدين لهذا التغيير قائمة على عدة أسس

هي:

- ١- فقدان اللغة العربية لمرونتها وعدم قدرتها على التمشي مع التطور العلمي الحديث الموجود في العالم الغربي.
 - ٢- صعوبة إيجاد المعلمين من ذوي الخبرة الكافية في اللغة العربية، وصعوبة إيجاد الكتب المدرسية اللازمة للتدريس، لأن التعليم في كتب إنجليزية يساعد على الوصول لأحدث الأراء في العلم والاكتشافات الحديثة.
 - ٣- أن الطالب الذي يدرس العلوم بلغة أجنبية يجد في ديار الغرب مجالاً للتخصص خلافاً للذي يدرسها بلغته العربية^(٢).
- هذا في الوقت الذي يرى فيه المعارضون لهذا التغيير أنه يؤدي في النهاية للضرر وذلك للأسباب التالية:
- ١- إنه آفة على المؤلفين، وواسطة لتقليل التأليف باللغة العربية في كافة مجالات العلوم، مما يؤدي في النهاية لفقر هذه اللغة في العلوم الحديثة.
 - ٢- إنه يؤدي لقصر المعارف والعلوم في فئة واحدة، وهم الذين حصلوا العلوم، ولن تتعداهم لسواهم، لأنهم أيضاً لن يؤلفوا سوى باللغة التي حصلوا بها العلوم وهي اللغة الإنجليزية.
 - ٣- أن التعليم يراد به أيضاً ترقية حال الأمة، وهذا لن يكون إلا بأحياء آداب اللغة العربية، وإنشاء الصحف والمجلات، ولا يتيسر ذلك إلا إذا كانت اللغة العربية هي قاعدة التدريس^(٣).

(١) أحمد شوكت الشطبي: مرجع سابق، ص ٢٨٤.

(٢) لويس شيخو: رد السهم، المشرق، العدد ٧، إنيسان ١٩٠١، ص ٣٣٣.

- انظر أيضاً: فليب حتى: لبنان في التاريخ، مرجع سابق، ص ٥٥٢.

- الهلال السنة ١٢، الجزء الأول، أكتوبر ١٩٠٣، ص ١٨.

- مصطفى الشهابي: مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٣) جورجى زيدان: تاريخ آداب، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٢.

- انظر أيضاً: كمال البازجى: مرجع سابق، ص ٣٨.

- المقتطف، يوليو ١٨٨٥، ص ٦٣٣.

- المقتطف، يوليو ١٩٩٣، ص ٦٧٣.

هذا في الوقت الذي يرى فيه د/ فاندريك "الابن" انه إذا كانت غاية التعليم أن تجعل المتعلم نافعاً لوطنه بما ينشره في العلوم والمعارف، فلميذ المدرسة الكلية الذي لا يقدر أن يعبر عن أفكاره بلغة عربية صحيحة خالية من العبارة الأجنبية السقيمة لا يقدر على إتمام تلك الغاية، لذلك فتغيير لغة التعليم في الكلية من العربية للإنجليزية خطأ فلاح^(١).

كثنت هذه آراء مؤيدى ومعارضى التغيير والذي يمكننا من خلال استقراء ما حدث فيه أن نستنتج عدة أمور هي :

- أن القول بأن اللغة العربية قاصرة وغير مرنة، مردود عليه بأن الإرسالية نفسها ومن بعدها الكلية استخدمتا اللغة العربية فى ترجمة الكتب المقدس وترجمة العديد من كتب الطب والعلوم المختلفة، بل استخدمها د/بوست وكرنيليوس فاندريك فى التأليف فى المجالات العلمية، مثل الطب والزراعة وغيرها من العلوم، وكان ذلك فى البداية وكان من المقبول التعامل بعدم مرونة اللغة، أما أن يأتى بعد التعليم والتأليف بها لمدة أكثر من خمسين عاماً فهذا تعليل غير مقبول.

- يشعر المتابع لهذا التغيير أنه مرتبط بسياسة استعمارية، وهو ما يدل على أن انكسارية قد حولت هدفها شيئاً فشيئاً من الأهداف للتصيرية للأهداف الاستعمارية، فلو ربطنا ما حدث بما فعلته إنجلترا فى وقت مقارب لذلك فى مصر من نجلزة التعليم، لا تضح لنا أنها سياسة استعمارية عامة لنشر النفوذ الاستعمارى، وخلق جيل من الوطنيين المرتبطين بدوائر النفوذ الاستعمارى.

- يدل تغيير اللغة على التراجع فى السياسة التى قامت عليها الكلية، وهى السير فى تحويلها لكلية وطنية يسيطر عليها جيل من الأهالى الشوام وهى عادة الإرسالية الأمريكية، وربما كان هذا التراجع بسبب ازدياد أهمية الكلية للسياسة الأمريكية عموماً، فرأت الاستمرار فى السيطرة عليها.

- من الممكن أن نعتبر تغيير اللغة العربية واستبدالها بالإنجليزية بداية للخلاف بين الإرسالية وإدارة الكلية - مجلس الأمناء فى أمريكا - هذا الخلاف المكتوم الذى استمر لأكثر من ثلاثين عاماً حتى تم الانفصال بينهما؛ وذلك لأن الإرسالية حينما أغلقت مدرسة عبية التى كانت تخرج الوعاظ والمبشرين نقلت طلبتها للكلية ورأت فيها البديل، ولكن حينما

(١) مقتطف، إبريل ١٩٢١، ص ٣٧٢ .

تغيرت اللغة، فقدت الكلية أهم مزاياها للإرسالية، لأنه لا يمكن تخريج وعاظ يتكلمون بالإنجليزية للعمل في وسط الشولم .
- ويلاحظ بذلك أن الكلية كانت تستخدم اللغة العربية في البداية، في محاولة للتقرب من العرب، وإقناعهم أنهم ما جازوا إلا لخدمتهم، في نفس الوقت فهي تهدف لإبراز العامل القومي العربي لإسقاط الدولة العثمانية، وهي العائق الأساسي في سبيل أعمالهم - حتى وهي ضعيفة - ولم تكن الكلية ترى مانعاً من التقريب بين المسيحيين والمسلمين عن طريق إقناعهم بأن أصل حضارتهم واحد وهي الحضارة المسيحية التي هي في الأصل - كما يقولون - حضارة مسيحية، لذا كانت حركة إحياء الأدب العربية والأدب الجاهلي لإبراز هذا الأمر . ولكن بعد أن حققوا العديد من النجاحات، وثبتوا جذورهم في التربة الشامية غيروا اللغة، وذلك حتى يكون هناك فجوة بين المتعلم ولغته العربية الفصحى، فإذا تكلم لا يتكلم إلا بالعامية^(*)، ولا مانع من تكثير المتعلمين بأن لغتهم العربية عاجزة عن مواكبة التقدم العلمي مما يثير عوامل لتقص بداخل هؤلاء .

رابعاً: الطلاب وجنسياتهم :

افتتحت الكلية الإنجيلية السورية أبوابها للتعليم وهي تضم ستة عشر طالباً فقط، وأخذ عدد الطلبة في الأزداد بمرور السنوات، وبازدياد شهرة الكلية، ونتيجة لأن للكلية العديد من الأهداف أهمها محاولة ربط الطلبة الذين يتعلمون فيها بها دائماً، فقد كانت تهدف لخلق جيل مرتبط بالتقافة الأمريكية، ومن ثم بالسياسة الأمريكية، لذا كان هناك اهتمام بارز بالطلبة .

اتبعت الكلية نفس النظام الجامعي السائد في الولايات المتحدة الأمريكية، من حيث العناية بسكن الطلاب ومأكلهم وملاعبهم وحياتهم الاجتماعية خارج الدراسة، وتشجيع إقامة العلاقات الشخصية بين الطالب والأستاذ^(١) . وبهذه الطريقة نجحت الكلية في تخريج الرجيل الأول من أبناء البلاد الذين قاموا بالدور القيادي في الليقطة القومية^(٢) . وكان نتيجة لذلك أن

(*) يتفق هذا مع الدعوة التي تبناها عدد من خريجي الكلية وهي الدعوة للعامية بدلا من الفصحى .

(١) فليب حتى : لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريغة، مراجعة نقولا زيادة،

مؤسسة فرنكلين، بيروت، ص ٥٥٢ .

(٢) نور الدين حاطوم : مرجع سابق، ص ٢١ .

فتحت الكلية أبوابها ليس فقط للشوام، بل انضم إلى مراحل تعليمها بمستوياته ونوعياته المختلفة طلاب من جنسيات كثيرة ومن شرقي أفريقيا^(١). ونحن وإن كنا لا نمتلك إحصاءات دقيقة عن أعداد الطلبة وجنسياتهم فى الفترة الأولى لنشأة الكلية، إلا أنه يمكننا القول - من خلال مذكرات بعض الطلاب ومن خلال المصادر المختلفة لهذه الفترة - أن الكلية ضمت بين صفوفها أعدادا كبيرة من الطلاب من مختلف الجنسيات والمذاهب الدينية، لحد أنه فى عام ١٨٨١م كان يوجد بها طلاب من مدن مختلفة حتى من خارج الشام، مثل العراق ومصر وأواسط آسيا وشرقي أفريقيا^(٢).

ويلاحظ أن الكلية الإنجيلية كانت تدعو بين الحين والآخر خريجيهها - أو بالأحرى مشاهيرهم - ليخطبوا فى احتفالاتهم السنوية، من بينها ذلك الحفل الذى عقد فيها يوم ١٣ يوليو ١٨٩٨م وكان الخطيب هو أخنوخ أفندى فانوس من مصر، والذى تخرج عام ١٨٧٤م^(٣). وأخنوخ فانوس^(*) هذا هو صاحب فكرة المؤتمر القبطى فى مصر ١٩١١م فلو ربطنا بين الشخص والدور الذى قام به فى تاريخ مصر، وما كان يحمله من أفكار وبين التعليم فى الكلية الإنجيلية السورية التى ربت هذه الأفكار، لأمكننا القول أن التعليم داخل أرجاء الكلية كان الموجه الرئيسى والأساسى لقيامه بالدور الذى لعبه فيما بعد.

وحتى لا تنتهى العلاقة بين الكلية ومخرجيهها، فقد قامت بالاتصال بهم جميعا للحصول على عناوينهم ووظائفهم، وقامت بترتيب ذلك على كروت، حتى يمكن الاتصال بهم فى كافة الأمور لتقوية أواصر العلاقة بين الكلية وأبنائها، وهى تذكر أن ذلك هو نمط التهذيب الأنكلوسكسونى الذى

(١) نبيل عبد الحميد: مرجع سابق، ص ٢٣١

(٢) مجلة الكلية، نوفمبر، ١٩٢٣، ص ٤٤.

- انظر أيضا: المقتطف: الجزء الثامن أغسطس ١٩٨٩م، ص ٥٩٠.

- الجوانب المصرية: ٢٨ سبتمبر ١٩٠٣، ص ١.

(٣) المقتطف: الجزء الثامن، ٢٢ أغسطس ١٨٩٨، ص ٥٩٠.

(*) بدأ أخنوخ فانوس فى الضرب على أوتار الطائفية وكان له دور كبير فى انعقاد المؤتمر القبطى، وقبل ذلك له كتاب يطالب فيه بالدعوة للوطنية فى مقابل الجامعة الإسلامية وفى نفس الكتاب طالب بالفصل بين الدين والدولة. راجع لمزيد من المعلومات أمنة حجازى: الوطنية المصرية فى العصر الحديث، هـ.م.ع، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٤٥٣، ٤٥٤.

يربى الطلبة على محبة مدرستهم التي ترعرعوا في أحضانها، ولذا سميت "الأم المربية Almamater وذلك اشعاراً بمكانتها في نفوسهم^(١) . ومن فترة لأخرى كانت الكلية تقيم المآدب وتدعوا طلبتها وخريجيتها للاجتماع معا، من ذلك ما حدث في ١٩١١ حينما أقامت الكلية حفلا ضم خريجيتها من العلماء والشعراء والأطباء والصيادلة والتجارين، وهم ينتمون لمذاهب دينية مختلفة ولجنسيات مختلفة، والاجتماع لزيادة أواصر المحبة بين الجميع، وأيضا بينهم وبين الكلية^(٢) . وفي مثل هذه الاحتفالات كانت تلقى الخطب، التي تدور حول الالتفاف حول الكلية وأهدافها والعمل على نشر مبادئها، وأن المرء غنى بأخيه فيجب أن يجتمع الخريجون معا لأنه يترتب على الكثرة القوة، خصوصا وهم ينتمون لأم واحدة، والسعى وراء العلوم العملية والعمل بها لا يتوقف بانتهاء الدراسة^(٣) .

واستتت إدارة الكلية تقليداً جديداً لربط خريجيتها بها، وللقيام الفعلى بدور الأم لهؤلاء الخريجين، من ذلك أنها كانت تقيم حفلات التأيين لمن يتوفى من خريجيتها، من ذلك حفل تأييين المرحومين د/ أمين ناصيف ود/ جبران بيطار وحضرة رئيس الكلية الذى ذكر أن الكلية ليست عبارة عن البنايات القائمة فقط بل هى عبارة عن الطلاب وأساتذتهم المقيمين فيها والذين تخرجوا منها، ويموت واحد من هؤلاء تكون الكلية خسرت عضو من جسمها^(٤) . هذا على الرغم من أن المتوفيين كانا قد تخرجوا قبل وفاتهما بعدة أعوام .

وعملت الكلية على الربط بين طلابها وبين الطلاب المسيحيين فى العالم، على اختلاف المذاهب الدينية، فأرسلت وفد من طلبتها لحضور مؤتمر جمعية الطلبة المسيحيين فى العالم، والذى عقد فى كلية روبرت بالآستانة، وعقد اجتماعاته فى الفترة من ٢٤ : ٢٨ إبريل ١٩١١م، ومن الطريف أن فليب حتى كان عضواً فى وفد الكلية السورية، وهو الذى كتب عنه لمجلتها^(٥) .

(١) الكلية : المجلد الأول، العدد ٤، مايو ١٩١٠، ص ١٢٤ .

(٢) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١١، ص ١٦٦ .

(٣) الكلية : العدد الرابع، فبراير ١٩١٣، ص ١٠٣ .

(٤) الكلية، المجلد الرابع، العدد الأول، نوفمبر ١٩١٢، ص ١٩ .

(٥) الكلية، العدد السابع، مايو ١٩١١، ص ١٤١ .

وكان لخريجي "الكلية الإنجيلية السورية" في مصر نشاطاً متميزاً من ذلك إنشاء نادي أدبي ليضم شمل خريجي هذه الكلية الموجودين في مصر، وانتخبوا أربعة من بينهم لإدارة هذا النادي^(١) وأقام هذا النادي الذي أسس في عام ١٩١٣م العديد من الحفلات التي دعا إليها علياً القوم وكبار الأدياء والسياسيين، من ذلك الحفل الذي أقيم تكريماً لرئيس الكلية "هورد بلس" في ١٧ فبراير ١٩١٤، وخطب فيه خمسة من الخريجين، ودارت خطبهم حول الاتحاد بين خريجي الكلية والدعوة للارتباط بالكلية، والسعي لربط عرى الصداقة بين شباب مصر وشباب سورية الذين يطلبون العلم في الكلية، وعدد الفريقيين لا يقل عن ٧٥٠ طالباً، كذلك العمل على رفع شأن الشرق وإيقاظه باستخدام الفكر الذي تعلموه من الكلية^(٢).

وكانت الكلية ترسل لمصر كل عام قبل افتتاح السنة الدراسية أحد أسانذتها مندوباً ليمهد السبيل لمن يريدون الالتحاق بها، في نفس الوقت كان الغرض الثاني من مهمة هذا المندوب العمل على رؤية خريجي هذه المدرسة الموجودين بمصر، والاجتماع بهم لزيادة أواصر الصداقة والروابط بينهم وبين الكلية^(٣) وأدى نشاط خريجي هذه الكلية في القاهرة، والذين سيطروا على الصحافة وملاؤوا الحياة الثقافية مثال ذلك جورجى زيدان ويعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس وغيرهم، ساعد ذلك على ازدياد شهرتها بين المصريين، حتى ذهب إليها أبناء الطبقة الأرستقراطية المصرية، من ذلك أن الخديوى عباس حلمي أرسل أحد أمراء الأسرة الخديوية، وهو الأمير محمد على بك ابن الأمير حسين بك كامل للتعليم فيها وكان معه الشاعر أحمد شوقي الذي أنشد قصيدة في مدح الكلية مما جاء فيها :

مدينة العلم أم دار مباركة	أم معبد من جلال العلم أم حرم
أم أدركت أمريكا وهي محسنة	أن المعارف في أهل النهى نمم
بنت بيروت دار العلم جامعة	نعم البناء ونعم الحصن والهرم ^(٤)

كما أن الكلية كانت ترسل للسودان، ولكل مكان به خريجها من يطمئن عليهم وعلى أعمالهم، ولربطهم بالكلية، من ذلك زيارة رئيس الكلية

(١) الكلية، العدد الثامن، يونيو ١٩١٣، ص ٢٢٥ .

(٢) المقطم : ١٩ فبراير ١٩١٤، العدد ٧٥٧، ص ٥ .

(٣) الكلية : العدد الثامن، يونيو ١٩١٣، ص ٢٢٤ .

(٤) مجلة سر كيس : الجزء السابع، العدد ١٣، ١ نوفمبر، ١٩٠٥م، ص ٢ .

"هورد بلس" للسودان بصحبة المستر "جايمس" أحد أمناء الكلية في نيويورك، وتردد في الخطب التي ألقى لتكريمهما من جانب الخريجين أبناء الكلية، أن الفضل الأكبر في العمران الحديث الذي تشهده المنطقة العربية عائد للعمران المسيحي الذي تفوق على الحضارة المصرية القديمة وغيرها، لأنه يعلم أصحابه أن يفيدوا الأمم الأخرى ويتركوا الأناثية، وهذا هو السبب الذي دعا كرماء أمريكا لإنشاء "الكلية الإنجيلية السورية"^(١).

ويتضح مما سبق، أن الكلية قامت بالفعل بدور الأم الراعية لأبنائها الذين تعلموا مهما بعدوا في أصقاع الأرض المختلفة، فكانت ترسل إليهم من يتابع أعمالهم، ومن يدعوهم إليها سواء للخطابة أو للاحتفالات المختلفة التي تقيمها، وهي تعمل على أن تساعد في تولى أعلى المناصب في الأماكن التي يقيمون فيها. كما تدعوهم للاتحاد فيما بينهم وتكوين الأندية المختلفة لخريجي الكلية، من ذلك نادي خريجي الكلية في القاهرة، وهم بذلك خير دعاة للكلية وأفكارها ومبادئها حتى الأفكار والمبادئ الدينية التي تعلموها في الكلية.

وبذلك كان هؤلاء الطلبة الذين تلقوا تعليمهم في المدرسة الكلية خير أنصار للثقافة الأمريكية، ومن ثم خير أعوان للسياسة الأمريكية التي أخذت منذ أواخر القرن التاسع عشر وبدايات العشرين للبحث عن موطن قدم في الشرق العربي، وكان اعتمادها الأساسي على هؤلاء الخريجين.

خامساً: صحافة الكلية :

عملت الكلية على أن يكون لها صحيفتها التي تظهر صورتها، وتكون عنواناً لها بين الناس، وذلك حتى تكون نظيرة لما يحدث في كليات أمريكا وأوروبا، وتأخر ذلك حتى عام ١٩١٠م، حينما أصدرت مجلة "الكلية في مايو ١٩١٠م".

ولم يكن هناك قبل إصدار مجلة الكلية صحف للكلية إلا بعض الصحف الداخلية الصغيرة التي يحررها الطلبة، وهي أشبه بالصحف المدرسية، من ذلك صحيفة "المهماز". وهي صحيفة ساخرة كان يحررها اثنان من الطلبة، واتخذت وسيلة لنشر الفضيلة بين الطلبة ولزجر الخارجين منهم عن الأداب العامة^(٢). ولكن مجلة الكلية كانت مجلة توزع على

(١) الكلية : المجلد الرابع، العدد الرابع، فبراير، ١٩١٣، ص ١١١ .

(٢) دواد قربان : الكلية في أيام تلمذتنا، مجلة الكلية، العدد الثالث، يناير ١٩١١،

المشتركين من خارج الكلية سواء من خريجيها أو الراغبين فى الاستزادة الثقافية، وتأخر إصدارها لعام ١٩١٠م بسبب وجود قانون الرقابة على المطبوعات، وعندما أُلغى صدر عددها الأول^(١) وكان الغرض من إنشائها الآتى :

١- أن يكون للمدرسة الكلية، جريدة مثلما يحدث فى الكليات الكبيرة فى أمريكا وأوروبا، لتكون صلة محسوسة بينها وبين تلامذتها القدماء والمحدثين .

٢- أن تكون وسيلة لنشر أخبار الكلية وتبليغها لأبنائها ومريديها الذين يحبون الوقوف عليها، وأيضاً واسطة لاستجلاب أخبار أبنائها ومعرفة ما يعملون فى حياتهم الجديدة .

٣- ألا تكون المجلة متخصصة فى أمر واحد كالأمور العلمية مثلاً، بل ستكون مجلة متنوعة فى كافة المجالات، وهى فى ذلك لن تتحدث فى السياسة العثمانية، أو الأحوال السياسية القائمة فى الشام، ولكنها ستحدث فى السياسة من الوجهة العمرانية^(٢) .

أما عن "مباحث الكلية" فهى :

١- التركيز على أخبار المدرسة انكئية وحوادثها التى يتشوق لمعرفة خريجوها .

٢- ذكر أسماء الذين يزورون الكلية من الخريجين ومن كبار الزوار، الذين يتركون فى المدرسة أثراً محموداً .

٣- مقالات من بعض أساتذة الكلية فيما يتعلق بالموضوعات التى يدرسونها .

٤- مقتطفات أخبار الخريجين ومراسلاتهم .

٥- باب للتربية وينشر به مقالات مختصرة فى مبادئ التربية والتعليم .

٦- باب تقرّيز الكتب الجديدة وانتقادها^(٣) .

أما لغة المجلة فقد كانت الإنجليزية هى الغالبة عليها، مع بعض الموضوعات القليلة باللغة العربية، وكانت حجتهم فى ذلك أن الإنجليزية هى اللغة التى يفهمها كل متخرجى الكلية وأبنائها العديدين، كان هذا ردهم على الانتقادات التى وجهت إليهم عن ما هو عذر المجلة الشهرية فى بلاد عربية تقع فى القليل المنشور بالعربية فيها أغلاط لغوية من أساتذة اشتهروا بأنهم من المدققين^(٤) .

(١) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٣ .

(٢) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٥ .

(٣) مجلة الكلية، العدد الأول، فبراير ١٩١٠، ص ٥ .

(٤) الكلية : العدد الأول، السنة الثانية، نوفمبر ١٩١٠م، ص ٢ .

ممن له عنوان مسجل في سجل المدرسة، وأرسلت كذلك للطلبة الذين ما زالوا في الدراسة، حتى إذا أحب أحدهم الاشتراك في المجلة أرسل إليها^(١).

أما عن المجلة فيلاحظ عليها الآتي :

- ١- أنها عملت على رفع قيمة الكلية السورية، والإحاطة بأعمالها وما قدمته من خدمات للشام والعالم العربي كله والتتويه بذلك دائماً.
- ٢- عملت على الحديث عن أساتذة الكلية من المبشرين الأمريكيين، والتعريف بأعمالهم، والدعوة للاقتداء بهم بين الشباب، من هؤلاء يوحنا ورتبات وبلس وكرنيليوس فانديك، ففي الحديث عنهم تستخدم المجلة لغة التبجيل وتدعو لتخليد ذكراهم، فعند الحديث عن فانديك تقول "كان حب التلامذة له يقرب من العبادة بل كان في عيونهم معبوداً بشرياً"^(٢) وهم في ذلك يعلنون من شأن الإرسالية الأمريكية، ويعززون إليها كل فضل فيما حدث للشام من تغيير فكري.
- ٣- حاولت ضرب المعتقدات الدينية لبقية الطوائف غير البروتستانتية "عن طريق القول أن لكل رجل من رجال الله - يقصد نبي - تعاليم أفادت في زمانها ومكانها، ولكن بعد أن تقدم البشر أصبحت هذه التعاليم لا تنطبق على النظريات الحديثة، وأن ذلك حدث في كل الأديان فيما عدا التعاليم المسيحية فهي التي أدت لارتقاء النوع البشري"^(٣).
- ٤- حاولت "الكلية" من طرف خفي اتهام المسلمين بالعداء للحركة الفكرية والتعصب، ولا سيما في العصر العباسي حينما قتل المهدي صالح بن عبد القدوس، وأصبح السائد القول "وهكذا قضى كثيرون غيره من أصحاب النظر الصائب والفكر الثاقب"^(٤) وحاولت المجلة تبني رؤية مؤداها أن المسيحية هي صاحبة الفضل في التقدم الفكري الذي يدين به الشرق العربي لها، بعكس بقية الأديان والحضارات السابقة التي وقفت حجر عثرة أمام أي تقدم.

وهكذا يتضح لنا أن الكلية الإنجيلية السورية لعبت دوراً بارزاً في خدمة الحركة التبشيرية الأمريكية، ليس فقط في بلاد الشام بل في المنطقة الشرق أوسطية بأكملها، إلى أن أصبح لها دور سياسي بارز في المنطقة.

(١) الكلية : المجلد ١، العدد ٤، مايو ١٩١٠، ص ١٢٣ .

(٢) الكلية : العدد الرابع، فبراير، ١٩١١، ص ٦٢ .

(٣) للتدليل على ذلك راجع فليب حتى : مؤتمر الطلبة المسيحيين في العالم، العدد السابع، مايو ١٩١١، ص ١٥ .

(٤) أنيس الخورى المقدسى : الحركة الفكرية في الدولة العباسية، الكلية، العدد الرابع، فبراير، ١٩١١، ص ٧ .

الفصل الخامس
التأثير الفكري للإرسالية الأمريكية
في بلاد الشام

ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حدثت نهضة فكرية في بلاد الشام، وارتبطت هذه النهضة في أساسها بالإرسالية الأمريكية^(١) التي عملت على إحياء الآداب العربية وكذلك إدخال المصطلحات العلمية الحديثة للغة العربية عن طريق الترجمة، وبذلك ألفت وترجمت العديد من الكتب العلمية التي تبحث في العلوم المختلفة لأول مرة في تاريخ هذه البلاد، وساعد على ذلك عاملات في غاية الأهمية.

أولهما : تقدم وانتشار الطباعة التي ارتبطت في أساس نشأتها بالإرسالية الأمريكية في الشام.

ثانيهما: التنافس الهائل بين الإرسالية الأمريكية وبقية الإرساليات الأخرى وهو ما أدى لزيادة الإنتاج الفكري في مختلف مجالاته، وبذلك فقد كان المبشرون الأمريكيون هم أول أداة للتغلغل الثقافي في العالم العربي الحديث، والبدائية كانت في بلاد الشام.

وكان أمرا طبيعيا أن يتجه المنقون في بادئ الأمر للنواحي الأدبية والتاريخية لأنها أسهل تناولا، فقد بدأت المدارس والمطابع والصحف مسيحية تبشيرية تسعى لنشر الثقافة الدينية بين المسيحيين العرب وأيضاً لتعرف المسلمين بما لدى المسيحيين من ثقافة وقيم، لذا كان الاتجاه الأول لدى المبشرين هو تنصير العربية وتعريب النصرانية^(٢) ولعبت المنافسة بين الإرساليات دوراً كبيراً في التحول الفكري، فقد كانت الحافز الأول في إيقاظ الحياة الفكرية، ونال النصارى من سكان الشام قسطاً من هذه الثقافة، فأصبحوا في البداية أول من تبني الفكر القومي^(٣)

(١) بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام وعادات الشرق وتقاليده وجغرافيته وأشهر لغاته والآداب انعربية والحضارة الإسلامية، وجاء التبشير ليرث دور الاستشراق ويكملة، وليصبح أهم المبشرين من كبار المستشرقين، والهدف الديني واضح تماماً في الحالتين. راجع محمد بن ناصر الشترى (دكتور): التنصير في البلاد الإسلامية، دار الحبيب، ١٩٩٨، ص ٥٢.

(٢) عبدالكريم غراية، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٣) القومية بالمعيار الإسلامي ما هي إلا دعوة إلى عصبية، وهي مرفوضة إسلامياً لقول الرسول الكريم: "دعوها فإنها منتنة"، وعمل التبشير على الاهتمام بالدعوة إلى القومية، فحين تكون القومية هي أساس التجمع لا يكون هناك مانع من تقبل ما يرد من الغرب من أفكار وعادات وتقاليدها دونما نظر إلى ما كان منها موافقاً للإسلام أو مخالفاً له. وقد اهتمت الإرسالية الأمريكية بالدعوة إلى الفكر القومي ودائماً كانت =الإرسالية اليسوعية تأتي من بعدها في الدعوة لنفس الفكرة، في الوقت ذاته ارتبط

وانطلقت جذوة العلوم الطبيعية والرياضية والطبية من الكلية الإنجيلية السورية [الجامعة الأمريكية فيما بعد] وساعد على ذلك في البداية أن التعليم كان يدرس باللغة العربية أولاً، وأن عدد من أساتذتها الأوائل مثل فانديك ويوحنا ورتبات وجورج بوست ألفوا الكتب العديدة باللغة العربية مما أدى لإثرائها.

وبذلك لعب هؤلاء الأساتذة جهداً في انتقاء المصطلحات العربية التي تناسب مثلتها في اللغة الإنجليزية، وساعدهم على ذلك معرفتهم بدخائل اللغة العربية ولعلمهم بها، ولع يحاكي اللغويين من أبنائها الذين عاشروهم وصادقوهم وتعلموا عليهم^(٢) وقدم هذا خدمة جلية للغة العربية .

ونجحت الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام، في تخريج أجيال من المرتبطين بهم والذين تتشأوا على أيديهم، وقاموا بالتأليف في كافة مجالات المعرفة، فقام أحمد فارس الشدياق، وناصيف اليازجي وبطرس البستاني وغيرهم كثيرون بالتأليف وإنشاء الصحف والجمعيات وهو ما ساعد على بداية النهضة في المدن الشامية^(٣).

وبدأت حركة التحديث الفكري في بلاد الشام في الأساس على النمط الغربي، وذلك راجع لكثرة عدد النصارى فيه وارتباط معظمهم بالتقافة الغربية، بعكس الازدواجية التي حدثت في الدولة العثمانية ومصر أثناء القرن التاسع عشر. وقامت هذه النهضة على عدة أسس نحاول أن نعرض لها بالتفصيل وهي:

- الطباعة .
- الترمجمة .
- التأليف .
- توزيع الكتب وإقامة المكتبات .
- الصحافة .
- الجمعيات .

=الإرسالية اليسوعية تأتي من بعدها في الدعوة لنفس الفكرة، في الوقت ذاته ارتبط النشاط اليسوعي بطائفة أنوارنة وانصب عليها حل اهتمامه . لمزيد من المعلومات راجع : محمد قطب : مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ١٧٧ .

- (١) فليب حتى (دكتور): مرجع سابق، ص ٥٥١ .
- (٢) أحمد شوكت الشظي مرجع سابق، ص ٢٨٨ .
- (٣) حميد صبيبا (دكتور): الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٧٣ .

أولاً- الطباعة :

تلعب الطباعة أكبر الأثر في أى تحول فكري ، فعن طريقها يتم نشر الكلمة المكتوبة لتصل إلى أى مكان نائي داخل البلاد^(١) وبها تزدهر المعارف من ترجمة وتأليف وصحافة، وحول هذه المعارف تنشأ الجمعيات العلمية والأدبية والسياسية وما يحدث من مناظرات وجدال في الرأي وسجلات حول الأفكار الجديدة .

ولم تكن الطباعة معروفة على مدى واسع في الشام طوال القرون ١٦، ١٧، ١٨ وحتى بداية القرن التاسع عشر باستثناء بعض آلات الطباعة الحجرية الموجودة في بعض الأديرة مثل "دير قزحيا" الماروني، ولم تلعب هذه المطابع الصغيرة أى دور يذكر خارج الطوائف التي تمتلكها وأيضاً على أضيق نطاق، حتى كانت الانفراجة الكبيرة بنقل المطبعة الأمريكية^(**) من مالطة إلى الشام، فلعبت أخطر الأدوار في التحول الفكري الذي شهدته بلاد الشام آنذاك - كما سيتبين من العرض التالي .

أنشئت المطبعة الأمريكية في مالطة عام ١٨٢٢م بعد أن صارت هذه الجزيرة تحت حكم الإنجليز^(١) وكانت هذه المطبعة تهتم بطبع الكتب الدينية

(*) يذكر القس صموئيل زويمر- وهو من أشهر المبشرين الأمريكيين في القرن التاسع عشر- قوله عن الطباعة "الطباعة والمطبوعات هي الصوت الحر والقوة العامة في الحياة السطحية والنفس الداخلية، هي قوة في العالم الإسلامي اليوم، وتأثيرها لا يحصر فإن أصواتنا لا تقدر أن تصل إلى أماكن عديدة وتلك الميزة الأولى للطباعة، فالمطبوعات يتعدى تأثيرها الأفراد والجماعات لأنها تصل إلى بيوت نائية وعائلات بائسة - هي المبشر الحاضر في كل زمان ومكان. صموئيل زويمر : مرجع سابق، ص ٧١ .

(**) يذكر أحد التقارير الخاصة بالإرسالية الأمريكية "بمخصوص انتشار المعارف المسيحية عن طريق الطباعة والرحلات والتعليم فقد لوحظ أن الطباعة قد حققت بالفعل درجة من التأثير تفوق المتوقع، كما أن عدد اللغات التي من خلالها قد أصبح هناك مصدر ذو أثر طيب أصبح موجود، فقد أصبحت الكتب والكراسات المتترعة في متناول الأيدي فعلا، وهذا العمل - الطباعة في تقدم مستمر وهي تقدم خدمات جليلة لنا

-Missionary Herald, Feb, 1830. Operations Of The church missionary, society in The Mediterranean. Pp. 55 - 57.

(١) الأب لويس شيخو: تاريخ فن الطباعة في المشرق، العدد ١١، المجلد ٣، حزيران ١٩٠٠. انظر أيضا: نور الدين حاطوم - مرجع سابق، ص ٢٥ .

للإرساليات الأمريكية في البحر المتوسط، الشام، اليونان، الدولة العثمانية وعندما ثار سؤال لماذا لا تنقل المطبعة إلى اليونان أو إلى بيروت بحيث تكون قريبة من الذين أسست الإرسالية والمطبعة لخدمتهم، جاء رد القائمين عليها أن مكان المطبعة في مالطة دائما مكان مؤقت، وأن المكان الطبيعي لها بالفعل بيروت أو سمرنا "Smyrna" في اليونان، ولكن ذلك غير مناسب لعدة أسباب هي: أن نقلها للأماكن السابقة سوف يجلب معارضة شديدة لها، وسوف تتدخل السلطات ضدها، وهو ما يؤدي لعرقلتها أو توقف عملها، كذلك هناك نزاعات داخلية في الدولة العثمانية قد توقف عملها، ويخشى منها على عمل المطبعة إذا ما نقلت لأحد المكانين السابقين بعكس مالطة التي يوجد بها حكومة مستقرة ومكان آمن للعمل^(١).

وكانت مطبعة مالطة ومنذ البداية توجه كل جهودها لإصدار الكتب الدينية وكذلك الكتب المدرسية اللازمة لمدارس الإرساليات الأمريكية في حوض البحر المتوسط، وامتلكت المطبعة منذ بدايتها أطقم حروف مطبعية متميزة للكتابة والطباعة بالإيطالية، واليونانية الحديثة، والأرمنية والعربية التي بدأت فيها بحروف لندن منذ عام ١٨٢٩م^(٢). وكانت الكتب العربية تصل من مالطة لبلاد الشام لتوزع فيها، ففي عام ١٨٣٢م وقبل نقل المطبعة لبيروت أرسل المبشرون يطلبون ٢٠٠٠ كتابا للشام^(٣) وهي كمية كبيرة لا ينبغي الاستهانة بها بمقاييس تلك الأيام.

ومنذ عام ١٨٣٣^(٤) بدأ التفكير في نقل القسم العربي من المطبعة الأمريكية في مالطة إلى بيروت بعد أن تغيرت الأحوال، فقد أصبح الشام

(1) Missionary Herald - Jan, 1831, Extract Of a letter from Mr. King, Vol. 27 (1831) pp. 42 - 44.

(2) Missionary Herald, Jan 1829, western Asia : stations. Pp 8.9.

(3) Missionary Herald, Oct 1832, Mediterranean pp. 17 - 19.

- انظر أيضا: ميخائيل مشاققة (دكتور): الدليل إلى طاعة الإنجيل، المطبعة

الأميركانية، بيروت، ١٨٨٧م، ط ٣، ص ٨.

(*) منذ نقلت المطبعة الأمريكية من مالطة لبيروت وفي إطار المنافسة مع الإرساليات الأخرى والطوائف الشامية فقد زاد عدد المطابع ففي عام ١٨٧٢م أصبح عدد المطابع ١١ مطبعة، أما المسلمون فقد أسست أول مطبعة لهم ١٨٧٤م، أسسها عبدالقادر القبانى صاحب جريدة ثمرات الفنون. راجع: إلياس ديب مطر: مرجع سابق، ص ١١٩. انظر أيضا: لويس شيخو: مرجع سابق، ص ١٩٩.

تحت حكم محمد علي "وهي حكومة علمانية وفي نفس الوقت مستقرة وتوفر الأمان للعمل، بالنسبة للمبشرين لذا استعدت المطبعة للرحيل^(١)، وفي ٨ مايو ١٨٣٤ نقل القسم العربي من المطبعة إلى بيروت^(٢) ولكن بقي جزء منها في مالطة حتى عام ١٨٤٢م، أي بعد التنظيمات العثمانية (١٨٣٩)، ففي هذا العام -١٨٤٢- نقل تماما إلى بيروت^(٣) وربما كان السبب في بقاء هذا الجزء في مالطة استكشاف الجو الجديد في الشام، فبالرغم من سياسة حكم محمد علي إلا أن مخاوف الإرسالية كانت ما تزال مستمرة بعض الشيء.

واستقرت المطبعة في البداية في قيو مدرسة البنات الأمريكية، ولكن في عاد ١٨٧١ شيد لها بناء خاص بها بجانب الكنيسة الإنجيلية في بيروت^(٤).

ولقد توقفت المطبعة لفترة من الوقت: وذلك بسبب الحروف التي كانوا يستخدمونها، فسافر عالي سميث للقاهرة والأساتنة حيث جمع خطوط أمهر خطاطي العصر، وسافر إلى لبيزج، وهناك تم له صنع الحروف العربية الجديدة ذات الحركات^(٥) ونقلت هذه الحروف الطباعة العربية نقلة جديدة في مجال الرقى النوعي.

وكان الهدف من رسالة المطبعة^(٦) واضحا تماما في أذهان القائمين عليها، فقد كان هدفهم في البداية أن تكون مطبعة صغيرة حتى لا تلفت أنظار

(1) Missionary Herald, Dec 1833, Printing Establishment for The Mediterranean p443.

- (٢) خليل صابات (دكتور): تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف القاهرة، ١٩٥٨، ص ٤٥ .
 (٣) أبو فتوح رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولحمة في تاريخ الطباعة في بلدان الشرق الأوسط، انطضة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٢٥ .
 (٤) عبدكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١٧٨ .
 (٥) شمس الدين الرفاعي: مرجع سابق، ج ١ ص ٣٦. انظر أيضا: يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص ٢٨ .

(*) من مفيد أن نقلتي بعض الضراء على الطباعة في الدولة العثمانية حيث سسقت الأساتنة غيرها من بلدان المشرق في أخذ فن الطباعة عن أوروبا فقد قامت فيها أول مطبعة في المشرق كله. وكانت هذه المطبعة عبرية الحروف لرجل اسمه إسحق جرسون، وأنشئت هذه المطبعة في أواخر القرن ١٥، كما شهدت الأساتنة إنشاء ثمان مطبعة عربية في أنسرق في العشر الثاني من القرن الثامن عشر، أي بعد مطبعة حلب بحوالي عشر سنوات، ووفق السلطان أحمد الثالث وأصدر الفرمان العالي موقعا عليه بالخط الشريف في سنة ١١٢٩هـ - ١٧١٢م مرخصا بطبع جميع أنواع الكتب إلا كتب التفسير والحديث =

وتعتبر النشرة الشهرية الخطوة الأخيرة في التمهيد لنشأة الصحف الأكثر استقرار واستمرار وأيضاً الأكثر تأثيراً التابعة للإرسالية الأمريكية، هذا بالرغم من أن للمجلة استمرت خمس سنوات كاملة. وبالرغم من أنها اهتمت بالمجادلات الدينية مع اليسوعيين، إلا أنها كانت الدافع الأول لإنشاء للعديد من الصحف الشامية الأخرى، والتي كانت أيضاً طائفية، ويلاحظ عليها أيضاً الاهتمام بالمسائل الدينية والطائفية. وبعد هذه المجلة ظهرت مجلة النشرة الأسبوعية التي تعتبر المجلة الأساسية للإرسالية لفترات طويلة^(*).

هـ - النشرة الأسبوعية :

صدرت النشرة الأسبوعية في ١ يناير ١٨٧١م خلفاً لمجلة نشرة الشهرية^(**) وكان شعارها عبارة عن كتاب مفتوح مكتوب في إحدى صحيفتيه فتح كلامك وفي الأخرى ينير" وأشعة الشمس تتطلق من الكتاب لتنتشر الضوء، ولكن لبتداء من عام ١٨٨٣ استبدلت الشمس بمجموعة من النخل المثمر والأشجار.

وتعتبر هذه المجلة ذات أهداف دينية خالصة، فقد عملت على نشر المذهب البروتستانتي والتعريف به بشتى للطرق، وذكر العديد من العظات لدفع الناس للانضمام للكنيسة الإنجيلية، وذكر تأثير الإنجيل في علماء

(*) على حين تجمع المراجع على أن نشأة النشرة الشهرية كانت في غرة يناير ١٨٦٦ يذكر يوسف قزماخوري أنها أنشأت في يونيو ١٨٦٨م. ولكن لا نوافق على ذلك لأنه لم يوضح دليلاً في ذلك، في حين أن إجماع المصادر التي اعتمدت عليها لا توافق أيضاً في هذا الرأي.

- لمزيد من المعلومات راجع يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص ٦٦.

(**) كان إنشاء هذه المجلة داعياً لنشر جريدة كاثوليكية أنشأها الآباء اليسوعيون في السنة نفسها وسموها المجمع الفاتيكانى" ثم أعقبها "البشير" في سبتمبر من تلك السنة، وأصبحت البشير ذات شأن لما كانت تناوله من مواضيع اجتماعية وأخبار سياسية - وكان شعار البشير المضبوط في أعلى الصفحة الأولى "وتعرفون الحق والحق يحرككم" وظل البشير يصدر حتى ١٩٤٧ - لمزيد من المعلومات راجع.

الأب لويس شيخو اليسوعي: الآداب العربية، مرجع سابق ص ١٤٥.

- انظر أيضاً: فليب حتى: مرجع سابق، ص ٥٦٦.

الكارهين لها، وبالرغم من أن الطلب على الكتب لم يكن كبيرا إلا أنه كان يتزايد بدرجة قليلة، فقرر القائمون على أمر المطبعة في تقرير للإرسالية "أننا ننظر إلى مطبعتنا كواحدة من ثلاث في العالم كله يصدر منها أي شيء لتتصير السلالة العربية"^(١)، والتي ظهر منها المؤيدون الأساسيون للدين الإسلامي، وهناك حاجة لتلك المطبعة التي نشأت بين المسلمين أنفسهم"^(٢) لذا سعت المطبعة لنشر الكتب المدرسية" وفي نفس الوقت عملت على إنجاز الأعمال المطبوعة الصغيرة والبسيطة التي تشرح وتقوى المبادئ الجوهرية للمذهب الإنجيلي"^(٣) وبذلك فهنا فهم كامل لطبيعة المطبعة" أنها الإرسالية لتصيرية تطبع ما يتفق مع أهدافها في الأساس وليس مجال لربح مادي.

ومن المفيد أن نذكر أسماء الكتب المطبوعة في عام ١٨٣٨م وكمياتها حتى يمكننا أن نتبين مجال هذه الكتب، وحجم عمل المطبعة وهي ما تزال في سنواتها الأولى ففي عام ١٨٣٨ طبعت ٩,٥٠٠ نسخة بعدد صفحات ١,٠٠٤,٠٠٠، وهي كلها تشمل الكتب الدينية والكراسات الصغيرة التي كانت توزع على طلبة المدارس التابعة للإرسالية، وأيضا أجزاء صغيرة من التوراة^(٤).

وبعد أن كانت المطبعة الأمريكية تعنى بالكراسات الدينية الصغيرة، أخذت في التوسع في الكتب سواء لمواجهة حاجة المدارس التابعة للإرسالية، أو من أجل طبع الكتب التي ألفها أعضاء الإرسالية أو التابعون لهم، الذين ارتبطوا بالإرسالية مثل البستاني واليازجي وإبراهيم الحوراني.

أما عن حجم الكتب المطبوعة في المطبعة فمن خلال ذكر بعض البيانات عن المطبعة يمكننا أن نتبين كم الأعمال التي أخرجتها المطبعة ونوعية الكتب أيضا.

=والفقه والكلام بعد أن أصدر شيخ الإسلام عبدالله باشا أفندي فتوى بجواز ذلك. لمزيد من المعلومات راجع: أبو الفتوح رضوان: مرجع سابق، ص:٩:١٢.

(1) Missionary Herald, Sep, 1845. Papal seats in Syria. Pp. 314 - 319.

(2) Missionary Herald, Nov, 1836 Extract from a general letter of the missionary, pp.458-967.

(3) Missionary Herald, Nov, 1836, Report of the station at Bayroot for the year 1835, pp. 919-921.

(4) Missionary Herald, Nov, 1839, Report of the mission dated Dec. 1st 1838, pp. 401-405.

الكتب المطبوعة للإرساليات من مطبعة بيروت

مجموع للصفحات	النسخ	الصفحات	عناوين الكتب
	٢٠٠		- الهجائية العربية .
٤,٨٠٠	٢٠٠	٢٤	- كتاب التراتيل Hymn Book
١٦,٠٠٠	١,٠٠٠		- كتاب ديني على طريقة السؤال والجواب walt, s cale. Chlsm
١٦٨,٠٠٠	١,٠٠٠	١٦٨	- أوليات من قواعد اللغة العربية
١٩٢,٠٠٠	٢,٠٠٠	٩٦	- كتاب ابنة بانغ اللين، كرسوستوم عن القراءة Dalryman, s
٣٣,٠٠٠	٢,٠٠٠	١٦٥	- Daughter, chryso stonon reading الكتب المقدسة
١٠٨,٠٠٠	٦,٤٠٠		المجموع

وفي التقرير الذي يليه مباشرة عن أعمال المطبعة يذكر عدد النسخ
بلغ ٩,٥٠٠ نسخة وبلغ عدد الصفحات ١,٠٤٤,٠٠٠^(٢).

ومن هنا يتضح عدة حقائق:

- أن حجم المطبوع كان في ازدياد شديد مما يعني زيادة الطلب، وكثرة الرغبة في القراءة التي بدأت في الانتشار .
- أن معظم الكتب التي طبعت في البداية هي كتب دينية تستخدم في التبشير الإنجيلي للإرساليات الأمريكية سواء في الشام أو البحر المتوسط .
- أن هذه الكتب لم تكن قاصرة على الشام فقد كانت المطبعة تمد الإرساليات الأمريكية في البحر المتوسط بحاجتها من الكتب .

ومن العرف التبشيري أن يتم ذكر كمية الطباعة بالاستشهاد بالعدد الكلي للصفحات التي تم طباعتها، وهذه الطريقة لا توضح ما هو جديد فعلياً

(1) Missionary Herald, June 1838, Books printed for The missionary of The Board. p40.

(2) Missionary Herald, Nov 1839. Report of The mission dated – Dec 1st, 1838. Pp 401 – 405.

وما تمت إعادة طبعة مرة أخرى، وهناك أحجام مختلفة لهذه الصفحات يمكن أن نصنفها فعليا في ثلاثة نماذج .

- كان معظم بحجم كتيبات صغيرة، وكان عدد كبير بحجم مذكرة جيب مثل كتاب "المرعى على البير" "Al. Mariah Ali al Bir" وهو عبارة عن ١٦ صفحة بمعدل ٥٠ كلمة في الصفحة .
- كتاب ذخيرة الإيمان، بيروت، ١٨٤٣، وهو ٤٦ صفحة، بمعدل ١٠٠ كلمة في الصفحة .
- كتاب تعاليم القراءة، بيروت، ١٨٤٦، وهو ٤٨ صفحة بمعدل ١٢٠ كلمة في الصفحة^(١) .

وبلغ عدد الكتب التي نشرت في المطبعة الأمريكية ببيروت من كتب علمية وأدبية ودينية ومدرسية وجدلية بروتستانتية خمسين كتابا قبل عام ١٨٦٠م^(٢)، وكان لهذه الكتب أثرها على الحياة الفكرية في بلاد الشام خصوصا أن هذه الكتب كانت تحمل أفكارا ورؤى جديدة ومختلفة عما هو موجود في بلاد الشام حتى في المجال الديني المسيحي جاءت بمثابة ثورة على كل القديم القائم الذي يدافع عنه رجال الدين المسيحي، فجاءت الإرسالية الأمريكية لتزعزع جذران الفكر الديني المسيحي القائم ، وهزه من الثوابت التي تحملها^(٣) .

- ويذكر تقرير للإرسالية في عام ١٨٤٩م أن هناك العديد من الأسباب التي دعت للارتقاء بأحوال المطبعة وهي .
- الأسس العلمانية للحكومة العثمانية التي ترسخت تماما بعد التنظيمات ١٨٥٦م .
- التنوير العام للناس الذي دفعهم لرغبة متزايدة في المعرفة .

(1)A.I. Tibawi , Op. Cit, pp. 198.199.

(٢) الأب لويس شيخو: تاريخ بيروت مرجع سابق، ص ١٠١ .
(٣) ومن هذه الكتب : أوستن فلبس وكتابه "نور التعليم في أخبار العهد القديم" ، وكذلك كتاب يوحنا ورتبات "دليل الصواب إلى صدق الكتاب" ، وكتاب جمس أنس الأمريكي المسمى "خلاصة الأدلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية" . راجع المقتطف ، الجزء الثامن من المجلد الثاني ، ١٨٧٧ ، ص ١٩٢ ، الجزء الخامس ، ١٨٨٠ ، ص ١٣٥ .

- التصادمات بين الكنائس المحلية وأتباعها ندى الاستعداد للتفكير والقراءة^(١).

واستفادت المطبعة الأمريكية من النقائص التي عانت منها المطابع الأخرى في الشام حتى يظل لها قصب السبق على بقية المطابع، مثل مطبعة المورانة في دير قزحيا "Kuzheiga" فمعظم الكتب التي كان يتم طبعتها فيه للاستخدام داخل الأكليروس، كما أن أسعارها مرتفعة جدا "نلك أنه فقط الأديرة والكنائس وأغنياء الأكليروس وأغنياء سواد الناس هم الذين يستطيعون تحمل شراء تلك الكتب كما يعترف تقرير للإرسالية^(٢) وبذلك فقد كانت المطبعة الأمريكية ذات قدرات عالية في طباعة الكتب أنهم اعتبروا المطبعة جاهزة تماما لأي عمل يطلب إتمامه كمساعدة في العمل الكبير لتنصير السلالة العربية^(٣).

وأهم كتاب طبع في المطبعة الأمريكية على الإطلاق هو ترجمة الكتاب المقدس الذي خرج من الشام لبقية البلاد الناطقة بالضاد^(٤)، وبلغت المطبعة الأمريكية من التطور حدا جعل مديرها يقول: "إن لدينا تنوع كبير في العمل أكثر من أي دار نشر أخرى في الشرق، فقد كان يعمل بها أكثر من ٥٠ شخص، وكان بها قسم للنشر والتجليد، والطبع الحجري، والمرسية الطباعية الكهربائية، وأعمال الطباعة، وأعمال التخريم، ونقش الخرائط، ونقش الخشب والطباعة بعدة لغات^(٤) وهنا أصبحت هذه المطبعة أهم مطبعة في بلاد الشام كله، وأهم طابع للكتب في العالم العربي ومصدر لها؛ وطبعت الصحف الخاصة بالإرسالية وكذلك الأطلال، وكانت المطبعة لجانب ذلك من

(1) Missionary Herald, June, 1849- Report from the Beirut Station.

(2) Missionary Herald, Sep, 1845. Papal seuts in Syria. Pp. 314 - 319.

(3) Missionary Herald, June 1854, Beirut Annual report. Pp 232-236.

(*) عندما أقامت الإرسالية العربية في الخليج أول مكتبة أمريكية للكتاب المقدس في البصرة في عام ١٨٩٢، فقد حصلت الإرسالية على شحنة كتب كمساعدة من مطبعة الإرسالية الأمريكية في بيروت، وضمت هذه الكتب أناسا جيل وتورا وإسرائيليات وكتب دينية وتعليمية. ومؤلفات ناصيف اليازجي وغيرها راجع محمد فؤاد محمد خليل: مرجع سابق، ص ١١٦.

(4) A.L. Tibawi, op. Cit. Pp 249-250.

أهم مصادر إمداد المطابع التي أنشئت في مصر والشام في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بالحروف العربية التي أصبحت تعرف باسم الحروف الأمريكية^(١).

ثانيا - الترجمة :

لما بدأت الإرسالية الأمريكية في ممارسة نشاطها التعليمي في بلاد الشام وأنشأت العديد من المدارس كانت المشكلة الأساسية التي واجهتهم هي الكتب المدرسية والنقص الذي تعاني منه اللغة العربية في كتب العلوم الحديثة، وكان الحل الوحيد هو "الترجمة"، فقام بهذا العمل في بدايته مجموعة من المبشرين الأمريكيين الذين حذقوا اللغة العربية وأمنوا أن الترجمة أحد أهم الوسائل المساعدة لهم في ممارسة عملهم التبشيري، من هؤلاء كرنيليوس فاندريك وجورج بوست ويوحنا ورتبات، وهم أساتذة في الكلية الإنجيلية السورية، وجاء من بعدهم مجموعة من تلاميذهم الذين ساروا على نفس النهج في ترجمة الكتب وخصوصا من الإنجليزية للعربية. وعن طريق الترجمات وصلت للقارئ العربي أحر الإنجازات العلمية في المجالات المختلفة من الطب للهندسة للكيمياء، كذلك أحدثت المذاهب الفكرية.

وكانت حركة الترجمة عامة في الدولة العثمانية آنذاك وليس في الشام وحده، وقد أثرت هذه الترجمة في التحول الفكري في الدولة العثمانية بصفة عامة وأخطر الترجمات كانت عن الآداب الفرنسية التي عرفت العثمانيين كيف تصنع الثورات وعرفتهم بأفكار الثورة الفرنسية والفلسفات الوضعية، كذلك كتب الطب والفيزياء التي جعلتهم يتعرفون على الأفكار المادية^(٢).

ويمكننا القول أن مشروع الترجمة الذي قامت به الإرسالية الأمريكية قد انقسم المشروعين هما:
أ- ترجمة الكتب في كافة المجالات.
ب- ترجمة الكتاب المقدس للغة العربية - فيما يعرف الآن بترجمة فاندريك.

(١) أبو الفتوح رضوان : مرجع سابق ، حيث يذكر أن مطبعة بولاق قد اشترت حروف الطباعة من المطبعة الأمريكية ، وأن هذه الحروف عرفت باسم الحروف الأمريكية .

(٢) لمزيد من المعلومات راجع: أكمل الدين إحسان أوغلي: (إشراف وتقديم) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، جـ٢، استانبول، ١٩٩٩، جـ٢، القسم الخاص بالترجمة .

أ- ترجمة الكتب :

بدأت الترجمات بتوجيه فكرى فى نوعية الاختيار، فالإرسالية كانت تختار الكتب التى يتم ترجمتها، لأنها تحمل أفكارا وتوجهات تريد غرسها فى النفوس والدعوة إليها من خلال الكتب. كذلك بدأت الترجمة بالكتب الدينية أو المرتبطة بالنواحي الدينية فى البدايات على الأقل. فالترجمة هنا صاحبة هدف ورسالة فى جذب أبناء الطوائف الأخرى إليهم والتأثير عليهم بما يترجم وحشو أذهانهم بالأفكار التى يريدون بثها.

فمن أوائل الكتب التى ترجموها كتاب "روبينسن كروزو" ترجمة بطرس البستاني وذكر أن أسباب الترجمة هى:

أولا : أنها مبنية على أساس صحيح وروايات صادقة.

ثانيا : أن ما بها من الأخبار والحوادث ممكن عقلا ومقبول نقلا.

ثالثا : أنها مهذبة ومنزهة عن كلام السفاهة والخلاعة.

رابعا : أنها محتوية على حكم وأدب ونكت كبيرة الفائدة تحسن للخاصة والعامه^(١). ولعلمهم ترجموه ووزعوه على الناس فى تلك الفترة المبكرة لأنه يبرز النزعة الإنجيلية، ويعكس فهم الطبقة الوسطى، وبذلك عملت الإرسالية على أن تكون بدايات الترجمة فيها بث الأفكار التى يؤمنون بها يتضح ذلك أكثر من المثال التالى وهو رواية ابن حور التى ألفها بالإنجليزية ليوولص" وترجمها للعربية الدكتور كرنيليوس فاندريك أهم ما تريد الرواية بثه فى النفوس هو أن اليهود نموذج للمروءة وعزة النفس والعفة والوداعة بينما المصريون أهل خبث ودهاء، وبالتالي، فالمصريون ظلموا اليهود فى خروجهم^(٢) وهنا بدأت دعوة الإرسالية الأمريكية المبكرة لتمكين اليهود شعب الله المختار كما يؤمنون من العودة لفلسطين باعتبارها وطنهم تمهيدا لعودة المسيح عليه السلام وهى أفكار تتبع من إيمانهم بالعقيدة الألفية.

(١) التحفة البستانية فى الأسفار الكروزية. أو رحلة روبنسن كروزى، ترجمة وهذبه وناظر طبعه المعلم بطرس البستاني، المطبعة الأمريكية، بيروت ١٨٦١، ص ١ من المقدمة.

(٢) ليوولص: ابن حور، ترجمة كرنيليوس فاندريك، المطبعة الأمريكية، بيروت، د/ت.

وعلى نفس النهج وجريا وراء ترسيب نفس الفكرة السابقة ترجم كتاب "أصداء التوراة الذي يتناول الاكتشافات الأثرية في فلسطين"^(٩)، والتي جاءت متفقة مع ما ورد في التوراة كالكتابات والآثار التي تشير للخلق والطوفان واستعباد بنى إسرائيل وهم في مصر وخروجهم منها^(١٠).

"الترانيم الروحية" وقام القسسان صموئيل جسب وجورج فورد وهما من الإرسالية الأمريكية بترجمة مائة وثمانين لحنا موقعة بها ترنيمات العربية على علامات الموسيقى الغربية^(١١) وطلبت الإرسالية من الوطنيين البروتستانت التعاون مع الإرسالية في نظم ترنيمات جديدة، وفي هذا تشجيع لهم على الإبداع ومحاكاة الترانيم الغربية، وهنا استفادة كبيرة جدا من الترجمة التي أصبحت ذات أثر فعال في الإبداع.

ومن قبيل نفس الاهتمام بالأمر الديني ترجم بطرس البستاني قصة "سياحة المسيحى" وهي تبث نفس الأفكار التي حملتها قصة روبنصن كروزى السابقة من التأكيد على سلامة الحياة الروحية، واحتمال الصعاب فى

(*) فى عام ١٨٧٠م تم تأسيس الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين "The American Palestine Explorationsoci" وذلك على غرار صندوق استكشاف فلسطين البريطانى، وقام الصندوق ببعض الحفريات فى الضفة الشرقية للأردن وإعداد خريطة للمنطقة. أمين عبدالله محمود (دكتور) مشاريع الاستيطان اليهودى منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص ٤٤، وفى احتفال مدرسة البنات الأمريكية بطرابلس ١٨٩٢ - ذكر د/ بوست فى خطابه عن جغرافية سورية وفلسطين بعد أن حدد فلسطين على الخريطة التى رسمت "أن الله سبحانه اختار هذه البلاد مهبطا للوحى ومسكنا لشعبة المختار لأن فيها جميع الصفات الشاملة للمسكونة كلها" وهناك العديد من الاكتشافات الأثرية التى اكتشفها أعضاء الإرسالية الأمريكية فى رحلاتهم لفلسطين وإطلاق الأسماء التوراتية على الأماكن الجغرافية. المقتطف، الجزء التاسع، العام السادس عشر، يونيو ١٨٩٢، ص ٦٣٢.

(١) المطران ولش: أصداء التوراة، ترجمة أسعد أفندى شدرورى، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٩٠ م.

(٢) المقتطف - الجزء الثامن - السنة العاشرة، مايو ١٨٨٦ م، ص ٥٠٨ .

- انظر أيضا: نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ٢٦ .

سبيل الهدف الذى يؤمن به الإنسان كل ذلك فى سبيل الحياة الأبدية التى يجب أن يعمل لها الإنسان^(١).

وهناك العديد من الكتب الدينية التى ترجمت باللغة العربية مثل "لماذا تجسد الكلمة" وهو من تأليف أسلموس اللاهوتى رئيس أساقفة كنتربرى وترجمة المعلم بروث وطبع فى المطبعة الأمريكية ببيروت^(٢) وكذلك "أمثلة الكتاب" و"مواعيد الكتاب" مؤلفهما القس تندرنيوتن، وترجمتهم الإرسالية الأمريكية وطبعا فى المطبعة الأمريكية ببيروت^(٣).

ولم تقتصر الترجمات على الكتب الدينية فقط فهناك العديد من الكتب العلمية التى نشرت بعد ترجمتها من لغاتها الأصلية ومن النماذج الدالة على ذلك .

"مبادئ التشريح والفسولوجيا والهجين" تأليف د/ كنتر الأميركانى وترجمه للعربية د/ جورج بوست، وبه مائة رسم للتشريح والفسولوجيا وطبع فى المطبعة الأمريكية ببيروت^(٤) وفى الجغرافيا "شذرات فى مثنو رولوجية سورية وفلسطين" وهى مقالة تليت فى جمعية بريطانيا الفلسفية ألقاها ثم ترجمها د/ جورج بوست^(٥).

وأیضا هناك كتب ترجمت فى القوانين مثل كتاب رسالة تشتمل على ثمانية فصول فى الشرع والقانون والمحاكم وحق الملك فى شريعة الدولة والأراضى الخراجية والعشورية والرهن والوقف ووضعها بالإيطالية الدكتور كاتسكى وترجمه د/ أدورد فانديك^(٦). وكتاب سر النجاح لمؤلفة صموئيل صميلز الإنكليزى وترجمه للعربية د/ كرنيلیوس فانديك الذى ذكر فى مقدمة الترجمة العربية قوله "أننى طالعت هذا الكتاب بما يستحقه من التروى فوجدته من أنفع الكتب التى يحتاج إليها كل فرد من أهل هذه البلاد وغيرها

(١) جون بنیان : سياحة المسيحى، ترجمة المعلم بطرس البستانى، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٧٣، المقدمة.

(٢) ثمرات الفنون : ١٨ رجب ١٣١٥، العدد ١١٥٩، ص ٤ .

(٣) المقتطف : الجزء الثانى عشر، العام العاشر، سبتمبر ١٨٨٦، ص ٧٥٨ .

(٤) المقتطف : الجزء العاشر، العام الثالث عشر، يوليو ١٨٨٩، ص ٧١٨ .

(٥) المقتطف : الجزء الثانى عشر، العام العاشر، سبتمبر ١٨٨٦، ص ٧٦٠ .

(٦) المقتطف : الجزء العاشر، العام التاسع، يوليو ١٨٨٥، ص ٦٣٩ .

وقد رأى ذلك قبلى كثيرون من علماء أوروبا وترجموه إلى أكثر لغاتها فسعيت أنا أيضا فى ترجمته للعربية وطبعه فيها أملا أن ينتفع بها أهلها^(١).

ومما سبق يتضح أن حركة الترجمة، بدأت فى بلاد الشام فى بادئ الأمر على أيدي الإرسالية الأمريكية التى اقتصرت على الكتب الدينية، ثم وجهت بعد ذلك إلى الكتب العلمية .

أتاحت هذه الترجمات الأساس الفكرى الذى أحدث التحول فى بلاد الشام حيث تنامت الأفكار، القومية والفلسفية والدعاوى الوطنية وأطلع الشوام على منجزات الحضارة الغربية فى العديد من المجالات .

- وجدت العديد من الترجمات فى مجالات الطب والكيمياء وغيرهما من العلوم الحديثة مما يعنى قدرة العربية على نحت المصطلحات الحديثة، وقدرتها على استيعاب العلوم وهم بذلك لا يقصدون مصلحة اللغة العربية بل يهدفون لخدمة أهدافهم وأفكارهم هم .

- بدأت حركة الترجمة بأعضاء الإرسالية الأمريكية مثل د/ فانديك وورتيبات وجورج بوست ثم تبعهم تلامذتهم من طلبة الكلية الأمريكية .

ب- ترجمة الكتاب المقدس :

ومن المشاريع التى قامت بها الإرسالية الأمريكية فى الشام، ترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث^(٢)، وما زالت آثار هذا المشروع حتى اليوم. فبالإضافة للقيمة الأدبية الجميلة لهذا العمل الحضارى، فقد ساعد على

(١) المقتطف: الجزء الثالث، آب ١٨٨٠، المجلد الخامس، ص ٨٠ .

(*) المرجح أن الإنجيل والتوراة كانا مترجمين للعربية قبل الإسلام فقد وجد النصرارى بكثرة فى بلاد العرب، ولغتهم العربية فاهتم قسوسهم بترجمتها للعربية، ومن المحقق أن يوحنا أسقف أشبيلية ترجم التوراة للعربية سنة ٧٥٠م وفى القرن التاسع للميلاد ترجم "الحاخام سعد جد وعان" التوراة للعربية فى مدرسة بابل الشهيرة وطبع جزءا من هذه الترجمة فى الآستانة عام ١٥٤٦م وفى باريس ١٦٤٥م، وفى عام ١٦٢٠م جمع المطران "سركيس الرزاي" مطران دمشق نسخا عربية كثيرة من التوراة وقابلها على النسخ العبرانية واليونانية ونقح نسخة منها وطبعت فى روما ١٦٧١م .

لمزيد من المعلومات عن هذه الترجمات راجع:

- ثروت قاسد (دكتور قس): الكتاب المقدس فى التاريخ العربى

المعاصر، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٢٤ .

- انظر أيضا: المقتطف: الجزء الثانى، العام العشرون، فبراير ١٨٩٦،

ص ١٤١ .

تنشئة أجيال من رجال الدين العرب الذين يتلون الصلوات والمواعظ باللغة العربية، بعد أن كانت تتلى في الكنائس الوطنية بلغات غير عربية، مثل اللغة اليونانية في الكنائس الأرثوذكسية وانتشرت هذه الترجمة في العالم العربي كله، وما زالت متداولة حتى الآن^(١).

فمن مبادئ المذهب البروتستانتي أن يتلى الإنجيل باللغة التي يفهمها الناس، وأن لكل أمة أن تقرأه بلغتها، وقد اتجهت الإرسالية إلى دراسة اللغة العربية وآدابها تحقيقاً لهذا الغرض^(٢).

منذ نزل المبشرون الأمريكيون في مالطة وهي المحطة التبشيرية الأولى التي اتخذوها مركزاً لهم في البحر المتوسط عملوا على تعلم اللغات التي يجب أن يخاطبوا بها الناس الذين يسعون إليهم مثل اللغة العربية والتركية، والأرمنية، لاستخدام هذه اللغات في الترجمة. سواء للكتاب المقدس أو الكراسات الدينية الصغيرة^(٣) وبدأوا في ترجمة العهد الجديد للأرمنية أولاً: وهذا راجع لرغبة الإرسالية في إثارة الدعاوى القومية بين الأرمن في الدولة العثمانية للدعوة لانفصالهم عنها. وطبع بعد أن تمت مراجعته خمس مرات لضمان سلامة الترجمة وعملوا أيضاً على التصدي لطباعة العهد القديم لإكمال المهمة^(٤) وبعد أن انتقلت المطبعة لبيروت عام ١٨٣٤م، ووضحت بيروت أهم مركز تبشيري للإرسالية الأمريكية في الشام كان التفكير في ترجمة الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد.

ومنذ عام ١٨٤٧م تكونت لجنة لترجمة الكتاب المقدس برئاسة المبشر عالي سميث وكانت الآمال تحدد الإرسالية في أن يصل الكتاب المقدس باللغة العربية للفرات والنيل والنيجر وشمال أفريقيا، ويذكر تقرير للإرسالية وهناك أحلام كبيرة وحماسة قوية لتوصيل كلمة الله إلى الخاطئين الهالكين، ليكتبوا تعليقاتهم، وفهارسهم ومواعظهم، باختصار لإعطائهم أدب مسيحي. ولا مكان للشك في أن التوراة يجب أن تأخذ مكان القرآن. وأن

(١) ثروت فادس : مرجع سابق ، ص ٢٧-٣٠ .

(٢) محمد بدیع شریف : مرجع سابق، ص ٧٧ .

(3) Missionary Herald, Jan. 1830, western Asia: station, pp. 8.9.

(4) Missionary Herald, Dec., 1827. Extract form Mr. Coodell.s correspondence.

- Missionary Herald , April 1831. Pliny fisk, pp 133 – 134.

شعار الدولة العثمانية الهلال يجب أن يخفت أمام الصليب" ، ويوضح هذا التقرير الأهداف التبشيرية والرغبة في إسقاط الدولة العثمانية كهدف أساسي وأصيل لهم^(١).

واختار عالي سميث لمساعدته بطرس البستاني وناصيف اليازجي، وهم من أعلام العربية في عصرهما، فكان البستاني يكتب المسودات ويدفعها لسميث الذي يقابلها على الأصل وبعد ذلك يراجعها عدد من ثقافات العربية لتتقح الأسلوب ثم تعود كلها بعد ذلك لسميث فيقابلها ويعتمد ما يراه ويأمر بالطبع. وكرس سميث جهده في الترجمة حتى إنه في صيف ١٨٥١م قد أنهى أسفار موسى الخمسة، وبدأ في العهد الجديد فوصل لمنتصف إنجيل مرقس^(٢) وعندما انتهى سميث من أسفار موسى الخمسة طبعت المطبعة الأمريكية "سفر التكوين وذلك لامتحان الطلبة فيه في نفس الوقت لنشره بين الناس في طبعة جيب صغيرة، بعيدا عن الطباعات الضخمة التي لا تجد إقبالا وكانت في الوقت ذاته غالية الثمن^(٣).

وابتداء من عام ١٨٥٧م تولى د/ فاندريك أعمال الترجمة بعد وفاة عالي سميث ، وبدأ منذ عام ١٨٦٠م في طباعة العهد الجديد بالإنجيل الأربعة في حجم صغير - حجم الجيب - ففي هذا العام كان قد تم طباعة ٢٥٢ صفحة من العهد الجديد وطبع منها حينذاك ٣٥٠٠ نسخة^(٤).

(1) Missionary Herald , June. 1847, Appeal for Missionaries.

- انظر أيضا: مذكرات كرنيليوس فاندريك - الهلال، الجزء الخامس، مجلد ١٤، عام ١٩٠٦، ص ٢٧٩.

- نور الدين حاطوم - مرجع سابق، ص ٢٦.

(2) Missionary Herald, July, 1852, Beirut Annual report, Vol. 49. 1853. Pp193-200.

- انظر أيضا: جورجى زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن ١٩، مكتبة الحياة، بيروت، ج ٢ ص ٥٧.

- جورجى زيدان: آداب اللغة العربية مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٢.

(3) Missionary Herald, May, 1852, Beirut Annual report, 48, 1853.

(4) Missionary Herald , June 1860, station reports. Vol. 56, 1860. Pp. 164-171.

وبعكس السائد أن فاندريك استعان بالبستاني واليازجي في الترجمة، نجد أنه قد استغنى عنهما ذلك أن عقد البستاني مع عالي سميث ينص على أن العقد ينتهي بوفاة أى منهما، أما فيما يتعلق بناصيف اليازجي فقد رأى د/ فاندريك أنه غير أمين فى عمله، لذلك استعاض عنه بالشيخ يوسف الأسير خريج الأزهر^(١).

وتقدمت أعمال الترجمة فى العهد القديم فحتى عام ١٨٦٤م وصل المزمور الأربعون إلى الفصل الثانى والعشرين من "Isaiah"، هذا بالرغم من الظروف الصحية التى كان يمر بها فاندريك^(٢) وفى نهاية العام انتهت أعمال الترجمة، وطبع الكتاب سنة ١٨٦٧م، ولم تثبت فيه الأسفار المعروفة بالقانونية الثانية^(٣)، وصار لهذه الترجمة رواج كبير، وجاءت هذه الترجمة من الدقة والوضوح والفصاحة بحيث تتقبلها جميع الطبقات وكل الطوائف^(٤).

وبذلك نجحت الإرسالية فى إخراج الكتاب المقدس باللغة العربية فيما يعرف حتى الآن بترجمة فاندريك، وهذه الترجمة تتمشى مع أهداف الإرسالية فى تأكيد النزعة الفردية التى يؤمنون بها، وكذلك فى إلغاء الكهنوت الذين كانوا يعتقدون بأنهم الوساطة بين الناس والرب، وهو ما كانت تحرص عليه الطوائف الكاثوليكية، وأتباعهم من الإرسالية اليسوعية. وهنا كان الاهتمام باللغات الأصلية للكتاب المقدس وللمسرح الذى جرت عليه أحداثه، وهنا بدأت ظاهرة جديدة بالاهتمام وهى "القومية العربية" التى بدأت عن طريق التعريب فى لغة الصلوات داخل الكنائس وفى لغة الكتاب

(١) يوسف فرماخورى: مرجع سابق، ص ٦٤ .

(2) Missionary Herald, April, 1864, Annual report of The Beirut station, Vol. 60, 1864. pp 105-110.

(*) يتكون العهد القديم حسب عقيدة البروتستانت من ٣٩ سفرا بخلاف ملحق يعرف بالأبوكريفا (الأسفار المحذوفة) على حين تضيف الطوائف الأخرى مثل الكاثوليك والأرثوذكس تلك الأسفار المحذوفة وعددها ١٤ سفر للعهد القديم .

- راجع أحمد عبدالوهاب: المسيح فى مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٣ .

(٣) الأب نويس شيخو اليسوعى: الآداب العربية فى القرن التاسع عشر، المشرق، المجد الحادى عشر، العدد الثانى، شباط، ١٩٠٨، ص ١٤٩ .

المقدس، وامتد هذا الأثر للأروام الأرثوذكس الذين كانوا يتعاملون باليونانية داخل كنائسهم فطالبوا؛ بالتعريب، وكان لهم ما أرادوا.

وفى إطار التنافس القائم بين الإرسالية الأمريكية والإرسالية اليسوعية قام اليسوعيون بترجمة الكتاب المقدس فى عام ١٨٩٠^(١) وذلك للحفاظ على أتباعهم من قراءة نسخة للكتاب المقدس تختلف عما يؤمنون به من أفكار. وفى عام ١٨٩٧م صدر الأمر من البابا فى روما "أنه لا يجوز للكاتوليكي أن يطالع مثل هذه النسخ - يقصد الترجمة الأمريكية - أو يتخذها للتدريس فى المكاتب ما لم ير توقيع الرؤساء الشرعيين عليها، كما يحظر على الكاثوليك أن يطبعوا دون رخصة السلطة الكنسية ليس فقط الأسفار المقدسة لكن أيضا أى كتاب اشتمل على صلوات أو تعاليم اعتقادية أو آداب روحية"^(٢).

وكانت اللغة العربية هى المستفيد الأساسى من هذه المنافسة فى الترجمات، فقد أصبح الكتاب المقدس متاحا بالعربية، وأصبح هناك تطور فى الآداب المسيحية باللغة العربية، وزادت المجالات الفكرية التى تعتمد بشكل أساسى على الكتاب المقدس فى الحصول على البراهين والحجج.

وبذلك يمكننا القول إن التحول الفكرى قد بدأ فى العالم العربى، بداية بالشام، معتمدا فى الأساس على الترجمة. ومن بعدها جاءت التأليفات فى كافة المجالات الدينية والأدبية والعلمية^(٣).

ثالثا- المؤلفات :

بعد الطباعة والترجمة كانت الخطوة الثالثة هى ظهور المؤلفات باللغة العربية فى مجالات عديدة وجديدة، وفى مختلف العلوم الحديثة. بدأ هذه المؤلفات أعضاء الإرسالية الأمريكية مثل كرنيليوس فانديك وجورج بوست وهنرى جيب، وتبعهم فى ذلك الأهالى الشوام الذين ارتبطوا بالإرسالية مثل بطرس البستاني ويوحنا ورتبات. وغيرهم كثيرون.

(١) ثروت قاس: مرجع سابق، ص ٧٨ .

(٢) المشرق: السنة الأولى، العدد الأول، ١٨٩٨، ص ٤٨ .

(*) لمزيد من المقارنات بين الطبعة اليسوعية والطبعة الأمريكية راجع الهلال : المجلد

الثانى. العدد ١٩، يونية ١٨٩٤، ص ٥٩٣ : ص ٤٩٧ .

ويلاحظ على هذه المؤلفات عموماً الاهتمام بالجانب العلمي والتعريف بالعلوم الحديثة وتقديمها للقارئ العربي بشكل مبسط للغاية مثل كتب فانديك "النقش في الحجر" التي تناولت مختلف العلوم الحديثة .

- كما أنها شملت مجالاً جديداً على الفكر العربي عموماً وهو كتب الأطفال التي بدأها المبشر هنري جيب وحاول استخدامها في تمرير العديد من المفاهيم التبشيرية لأذهان الأطفال .

- لم ينس أعضاء الإرسالية يوماً أنهم جاءوا كمبشرين لهذه البلاد، لذا فهذه الكتب - في غالبها - تشمل العديد من النقد الموجه سواء للإسلام وكذلك للطوائف المسيحية الأخرى .

وفيما يلي نعرض لأهم نماذج من المؤلفين التابعين للإرسالية الأمريكية ولأعمالهم ثم لأهم نموذجين من المرتبطين بهم ممثلين في بطرس البستاني ويوحنا ورتبات - وأخيراً عرضاً موجزاً لأهم الأعمال التي ألفها أما أعضاء الإرسالية أو المرتبطون بهم من الشوام .

كرنيليوس فانديك (*) :

كان عالماً في الرياضيات واللغات، وقد شغل منصب أستاذ في علم الباثولوجيا، ومنصب أستاذ في علم الفلك في الكلية السورية الإنجيلية، وكانت معرفته الجيدة باللغة العربية تؤهله أن يؤلف بها، ما كان أشد لزوماً للطلبة من الكتب الطبية، وجمع ما تفرق من شتات العلوم العصرية^(١) .

(*) ولد د/ كرنيليوس فانديك في ١٣ أغسطس ١٨١٨م في قرية كندر هوك من أعمال ولاية نيويورك بأمریکا، كان أبوه طبيباً فجعله يدرس الطب في صبله، وأتقن فن الصيدلة فيها عالماً وعملاً، وأتم دروسه الطبية في مدرسة "جفرسن" بمدينة فيلادلفيا من مدن الولايات المتحدة حيث نال الدبلوما والدكتوراه في الطب، وفي الحادية والعشرين من عمره وصل لسورية مرسلًا من قبل مجمع المرسلين الأميركيين، وحل في بيروت في ٢٠ أبريل ١٨٤٠، وشرع في دراسة العربية بمساعدة بطرس البستاني والبايجي والشيخ يوسف الأسير. وأصبح من أشهر الشخصيات العامة في بلاد الشام، فقد كان له أثر كبير في التعليم والصحافة والنهضة العلمية في بلاد الشام عموماً .

- يعقوب صروف: مرجع سابق، ص ١٨٠ .

(١) فليب حتى: مرجع سابق، ص ٥٦٤ .

ويلاحظ أنه بدأ بتأليف مجموعة من الكتب العلمية المبسطة، وذلك بعد أن كثر إنشاء المدارس وواجهت هذه المدارس صعوبات شديدة بسبب الجهل التام لكل أنواع المعارف، لذا سد فانديك هذا النقص الشديد عن طريق مجموعة من الكتب التي أسماها النقش على الحجر، وكان كل كتيب حاو علم من العلوم المختلفة، وهي أول محاولة لتبسيط العلوم في اللغة العربية^(١).

ولقد ألف كرنيليوس فانديك في عدة مجالات تتضح من هذا الجدول، الذي جمعناه من العديد من المصادر:

م	عنوان الكتاب	مكان وتاريخ الطبع
١	كشف الأباطيل في عبادة الصور والتماثيل	بيروت ١٨٥٣
٢	محيط الدائرة في علمي العروض والقوافي	بيروت ١٨٥٧
٣	رسالة في مرض الجدري والحصبة للرازي	لندن ١٨٦٦، بيروت ١٨٧٢
٤	المرأة العرضية في وصف الكرة الأرضية	بيروت ١٨٦٩
٥	الأصول الجبرية	بيروت ١٨٦٩
٦	أصول الكيمياء	بيروت ١٨٦٩
٧	في اللغارات بالأنساب	بيروت ١٨٧٣
٨	الأصول الهندسية	بيروت ١٨٧٤
٩	أصول التشخيص الطبيعي للفحص الطبي	بيروت ١٨٧٤
١٠	أصول علم الهيئة	بيروت ١٨٧٤
١١	السهم الطيار	١٨٨٢
١٢	أرواء الظماء في محاسن القبة الزرقاء	بيروت ١٨٨٨
١٣	تاريخ الإصلاح في القرن السادس عشر	مجهول تاريخ الطبع
١٤	النقش في الحجر وهو ثمانية أجزاء كما هو مبين في الجدول التالي	(٢)

(١) يوسف قزماخوري: مرجع سابق، ص ١٠٧.

(٢) محمد كرد علي: المعاصرون، تحقيق وتعليق محمد المصري، دار صادر، بيروت،

١٩٩٣، ط ٢، ص ٣١٣.

- انظر أيضا: جورجي زيدان: ترجم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٦.

- نجيب العتيبي: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣١.

كتاب النقش في الحجر

م	الكتاب وتخصصه	مكان وتاريخ الطبع
ج١	كتاب عام افتتاحي في الطبيعة والعلم	بيروت ١٨٨٦
ج٢	كتاب في علم الكيمياء	بيروت ١٨٨٦
ج٣	كتاب في الطبيعيات	بيروت ١٨٨٦
ج٤	كتاب في الجغرافيا الطبيعية	بيروت ١٨٨٧
ج٥	كتاب في الجيولوجية	بيروت ١٨٨٧
ج٦	كتاب في علم الهيئة	بيروت ١٨٨٨
ج٧	كتاب في علم النبات	بيروت ١٨٨٨
ج٨	كتاب في علم المنطق	بيروت ١٨٨٩ (١)

ويتضح من الجدولين السابقين عدة حقائق هي:

١- أن هذه المؤلفات دارت في فلك علوم مختلفة في الطب، الفلك والرياضيات، والطبيعة والكيمياء، الجغرافيا والتاريخ، وفي علوم اللغة.

(١) المقتطف، الجزء الأول، أكتوبر ١٨٨٦ - ص ٦٢ اللطائف: الجزء الخامس ١٥ سبتمبر ١٨٨٩ .

- راجع أيضا: المقتطف، الجزء الرابع، ١١ يناير ١٨٨٧، ص ٢٥٤، ص ٢٣٩ .

- المقتطف، الجزء العاشر، يوليو ١٨٨٧ ص ٦٤٠ - ثمرات الفنون: بيروت .

- المقتطف، الجزء الثاني، نوفمبر ١٨٨٧ ص ١٢٧ - الاثنين ٣ رمضان ١٣٠٥ .

- المقتطف، الجزء الثامن، ١٢ مايو ١٨٨٨ ص ٥٢٠: العدد ٦٨٢، ص ١ .

- المقتطف - الجزء الأول، أكتوبر ١٨٨٨ ص ٧٠ .

- المقتطف، الجزء الثاني عشر، سبتمبر ١٨٨٩ ص ٨٤٤ .

٢- قام د/ كرنيليوس فاندريك بدور كبير ورائد في التحول الفكرى فى بلاد الشام، وهو هنا موسوعى المعرفة، شأن علماء ذلك الوقت الموسوعيين فى كافة التخصصات العلمية وهو ما يعنى إيمانه بالهدف الذى أتى من أجله ونجاحه فيه لحد كبير .

كان فاندريك يحاول تعريب الإصطلاحات العلمية التى لا يوجد لها مرادف فى اللغة العربية، إيماناً منه بالقول: إن المترجمين فى زمن الخلفاء العباسيين اقتبسوا العديد من الكلمات الأجنبية فيقول "إنه فى إدخال العلوم الحديثة فى اللغة العربية صعوبات من عدم وجود اصطلاحات مناسبة لها ولا يعد ذلك نقصاً أو خلافاً فى اللغة ذاتها وإنما قد حصل من عدم الاعتناء بها ومن تقدم جميع الفنون وإهمال اللغة^(١) .

ولو عرضنا لكتاب إرواء الظماء من محاسن القبة الزرقاء، يظهر لنا أنه يكاد يكون الكتاب الأول فى اللغة العربية الذى ألف فى علم الجغرافيا الحديث فهو يتحدث عن أسماء صور النجوم وأبراجها ذكر فيه أوجه التمييز بين السيارات والثوابت، واستطرد إلى البحث عن سبب تقسيم النجوم، وعن الاصطلاحات المتبعة عند العلماء فى الإشارة إليها، ورسد النظام الشمسى وذوات الأذناب، وأسهب فى وصف ورصد القمر بكل ما فيه من السهول وسلاسل الجبال والأودية والجداول^(٢)، وهو فى هذا الكتاب يذكر العديد من الخرافات التى كانت سائدة عن القمر، كما أنه يستعين بالعديد من أبيات الشعر العربى فى كتابه^(٣) .

وبهذا فقد كان فاندريك رجلاً جاء للشام حسب غرض خاص وهو العمل للتبشير بين الناس، ونراه نجح فيما جاء لأجله^(٤) .

(١) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص ١٠٨ .

(٢) المنقطط - الجزء اأحدى عشر، العام السابع عشر، أغسطس ١٨٩٣، ص ٨٨٢ .

(٣) كرنيليوس فاندريك : إرواء الظماء فى محاسن القبة الزرقاء ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٨٨٨ ، ص ١٥ وما بعدها .

(*) كرم الشوام كرنيليوس فاندريك تكريماً رائعاً، فى ١٢ أبريل ١٨٩٠ احتفل الشوام بالمام خمسين سنة على قدوم كرنيليوس فاندريك للشام وألفت لجنة لذلك، وكانت تضم أعضاء من كافة المذاهب والطوائف الشامية المختلفة، راجع اللطائف، الجزء الرابع، منة السنة الرابعة، ١٥ أغسطس ١٨٨٩ م ص ٥٦٦ . بل أن الأرثوذكس الشوام أقاموا تمثالاً لهاسيت تكريماً خمسين أعماله فى الشام - وهى المرة الأولى التى ترى فيها منس هذا لأمر : الجامعة العثمانية: الجزء الأول، ١٥ مارس ١٨٩٩، الإسكندرية، ص ١٣ .

جورج بوست^(١):

قدم للشام في ١٨٦٣م، ونزل بطرابلس، وأتقن اللغة العربية، وعين أستاذاً لعلم النبات والجراحة والمواد الطبية في الكلية الإنجيلية السورية^(١)، وله العديد من المؤلفات التي يمكننا أن نقسمها لمجالين: أولهما: في المجال الطبي وعلوم النبات والجغرافيا. ثانيهما: في المجال الديني.

المؤلفات العلمية لجورج بوست^(٢)

م	عنوان لمؤلف	مكان وتاريخ الطبع
١	علم الحيوانات ذوات الثدي	١٨٦٩ بيروت
٢	مبادئ علم النبات	بيروت ١٨٧١
٣	مبادئ التشريح والهجين والفسولوجيا	١٨٧١ : ١٨٨٩ بيروت
٤	المصباح الوضاح في صناعة الجراح	١٨٧٣، بيروت
٥	علم الطيور	١٨٨٢، بيروت
٦	جغرافية سورية وفلسطين النباتية	١٨٨٩، بيروت
٧	الأقرباذين [المواد الطبية]	د/ت بيروت

ومما سبق يتضح أن جورج بوست من أول من ألف في علم النبات الحديث باللغة العربية، فله كتاب "نبات سورية وفلسطين ومصر" وفيه ٤٩ رتبة من الشجيرة "إلى الكورنيه" وهو قيم في تصنيف النباتات في

(*) ولد جورج بوست في نيويورك ١٨٣٨، ابنا لجراح أمريكي شهير، ودرس الطب واللاهوت في نيويورك، و قدم الشام مبشراً عام ١٨٦٣، وسكن طرابلس، وعند تأسيس الكلية السورية عين أول أستاذ للنبات في كلية الطب عام ١٨٦٧م راجع عبدالكريم غرايبة، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(١) نجيب العقيقي : مرجع سابق، ج٤، ص ١٣٣ .
(٢) فليب دي طرازي: تاريخ الصحافة العربية، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩١٣، ج٢، ص ١١٧ .

- انظر أيضاً: علي محافظة: مرجع سابق، ص ٢١٥ .
- جان مرهج: (دكتور): النبات - ضمن كتاب نشاط العرب العلمي في مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٢٠ .
- جورج بوست : مرجع سابق، ص ٣٢٣ .
- المقتطف: الجزء التاسع، العام الثامن، حزيران، ١٨٨٤، ص ٥٧٥ .

البلدان المذكورة بطريقة علمية ظاهرة التفوق وبلغة عربية فصحة، وهو مرجع عظيم الأهمية^(١) وهذا الكتاب شرح فيه مؤلفة ١٤٠٠ نوعاً من النباتات الموجودة في هذه البلاد، وجمع فيه مؤلفة أسماء النباتات العربية القديمة وضبط الأسماء كلها بالعربية واللاتينية ورسم فيه أشكالاً كثيرة من النبات مما لا وجود له في غيره من الكتب^(٢).

وهناك العديد من المقالات التي كتبها جورج^(٣)، بوست في المجالات مثل المقتطف، ومجلة الطبيب وهذه المقالات تدور في معظمها حول موضوعات علمية بلغة عربية سهلة وبسطة.

وللتدليل على ما ذكرناه نعرض بشكل بسيط لكتابة "المصباح الوضاح في صناعة الجراح" وهو يذكر أنه حاول تأليف هذا الكتاب بشكل مبسط ومناسب لاحتياجات تلامذة الجراحة وممارسيها، والكتاب يبلغ حجمه ٧٠١ صفحة، وهو كتاب سهل اللغة حتى في المصطلحات الطبية، فمثلاً استخدم مصطلحات الكلوروفورم، باثولوجية التقرح، لفظة الآفة كاصطلاح للدلالة على عاهة حاصل في سبب ميكانيكي كضرب أو ضغط أو جذب أولى، وهي تعريفات سهلة وبسيطة. والكتاب يحوي ٢٨ فصلاً وكل فصل يحوي ما بين ٥ مباحث إلى ١٢ مبحثاً. ويوجد بالكتاب ملحقات أولهما عن السيملفرون العضال وثانيهما - استعمال الكهرباء في الطب والجراحة^(٤).

أما المؤلفات الدينية :

فقد ألف د/ جورج بوست كتابة الهام "قاموس الكتاب المقدس" وفي هذا الكتاب فسر أقوال التوراة تفسير لا يناقض الحقائق العلمية وإذا رأى في التوراة ما يخالف العلوم الطبيعية ولم يستطع لتأويله سبيلاً أبان أوجه المخالفة وتركه على حالة إلى أن تتغير قضايا العلم فتطابقه أو يهتدى لطريقة لتأويله وتطبيقه^(٥)، ويضم هذا الكتاب العديد من الصور والرسوم، وهذا الكتاب مرتب على حروف المعجم.

(١) جان مرهج : مرجع سابق، ص ١٢٢ . ١٣١ .

(٢) المقتطف: الجزء التاسع. العام الثامن، حزيران، ١٨٨٤، ص ٥٧٥ .

(*) جورج بوست: نبات الشاي في سورية، المقتطف، الجزء التاسع، العام السابع، نيسان، ١٨٨٣، ص ٥٥٠ .

(٣) جورج بوست: المصباح الوضاح في صناعة الجراح، بيروت، ١٨٧٣ .

(٤) المقتطف : اجزاء الثالث من السنة العشرين، مارس ١٨٩٦، ص ٢٠٥ .

والمقالة الأخرى "شذرات في ميثولوجية سورية وفلسطين" وهي مقالة باللغة الإنجليزية في جمعية بريطانيا الفلسفية، وترجمها بعد ذلك ونشرها في بيروت ١٨٨٦^(١)، ويلاحظ على هذه المقالة أنها تتفق مع السياق العام للإرسالية الأمريكية من حيث الاهتمام الشديد بفلسطين وذلك حسب العقيدة الألفية التي يؤمنون بها .

وهذه المؤلفات تدل على طابع موسوعي اهتم به "جورج بوست"، ولكن من وجهة أخرى فبالرغم من إفادة هذه المؤلفات في التحول الفكري في الشام إلا أنه ينبغي ألا يغرب عن أذهاننا الهدف الأساسي لهم وهو ما يظهر من أعمال بوست الدينية .

هنري جيب (٥) :

من المهم أن نعرض لبعض أعمال هذا المبشر لأنه تخصص في الكتابة للأطفال في وقت لم يكن هناك أي كتاب في هذا المجال باللغة العربية . وكتبه في الأساس كانت لأغراض تبشيرية وليس بغرض تثقيف الأطفال ، فمن خلالها يسعى لغرس أفكارهم داخل أذهان الأطفال فهم بمثابة الأرض الخصبة التي تتقبل ما يزرع فيها .

ففي كتابة "أرز لبنان أو الكلام المختار للأولاد الصغار" وهو عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة إحداهما بعنوان قصة نجات قسيس هندي إنجيلي من ثلاثة نموره، فبعد أن يذكر أن النمر الهندي المخطط هو أشرس وأصرم من جميع الحيوانات الضاربة، فهو يقتل سنويا في الهند نحو ٣٠٠ شخص ولكن في عام في عام ١٨٦٨ كان قسيس إنجيلي ذاهبا في الأحراش لدعوة بعض الهنود للإيمان الإنجيلي فرأى ٣ نمور على الطريق، ولم يكن هناك طريق للفرار منها فخاف زملاؤه أما هو فقد ركع للرب يسوع قائلا "إن كان لك بعد خدمة روحية لي لأتمها لأجل خلاص الهنود اخوتي حسب الجسد

(١) المقتطف : الجزء الثاني عشر، العام العاشر، سبتمبر، ١٨٨٦م ص ٧٥٨ .

* كان حسب من أشد المستعدين تعصبا ضد الإسلام وعملا على تقويض دعائمه، ومما كان يقوله في هذا الشأن : "إد الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن ، ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شيء" ، وكان يقول أيضا : "الإسلام ناقص ، والمرأة مستعدة" . راجع : مانع بن محمد الجهني (إشراف) : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، دار الندوة العالمية ، الرياض ، ١٤١٨ هـ ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .

أطلب إليك أن تتجبنى من النمر وأن كانت أرايتك أنها تفترسنى فأقبل نفسى فى راحتك السماوية، ثم فتح عينيه ورأى النمر واقفة ساكنة فذهب فى طريقه ولم يصبه أدنى ضرر لأن الرب ربط أفواهها كما ربط أفواه الأسود فى الجب الذى طرح فيه النبى دانيال^(١).

ويلاحظ هنا عدة أمور لعل أبرزها وأهمها:

- ١- محاولته إلقاء الإيمان المسيحى فى قلوب الأطفال وأنه ينجى من المهالك ومن الوحوش القاتلة.
- ٢- العمل من أجل الدعوة للإنجيلية بين الناس لأنها أساس النجاة فى طرق الحياة.

وهناك العديد من القصص الأخرى مثل قصة: "قوة الحق"، التى حاول فيها المؤلف تصوير العربى فى صورة مغامرة فمثلاً يأتى بالشيخ فى صورة قديس فى حين أنه فى القصة شيخاً عربياً متديناً مسلماً، وربما كان هذا بهدف تقريب المعانى للأطفال وتذكيرهم بأن صورة القديس دائماً قوية مثلاً للنظافة والأمانة والصدق^(٢).

وعند حديثه عن يافا حاول ترسيخ عدة مفاهيم منها الأسماء التوراتية للمدن مثل أورشليم وإريحا وبحر لوط، وحاول أن ينسب للإفرنج عامة أسباب الخير والتقدم فى هذه المدن، مثل الحروب الصليبية وغرضها الدينى وتعمير ريتشارد قلب الأسد ليافا بعد أن خربها صلاح الدين، وكذلك تخريب سلاطين المماليك لها^(٣).

يلاحظ أن القصص التى ترد فى نصف الكتاب ونهايته أكثر وضوحاً فى الدعوة للأفكار المسيحية مثل أن الموت هو عبور من عالم الخطيئة للسما حيث الرب، وعن دور المسيحية فى إنقاذ المعذيين وأصحاب الخطايا ودائماً يظهر القس وهو فى حالة منقذ للجميع^(٤).

(١) هنرى حسب: أرز لبنان أو الكلام المختار للأطفال الصغار، المطبعة الأميركانية. بيروت، ١٨٧٤، ص ١ وما بعدها.

(٢) نفسه، ص ٩/١٠.

(٣) نفسه، ص ١٥-١٦.

(٤) نفسه، ص ٢٠-٢٥.

تعمل هذه القصص على تكريس العادات المسيحية عن طريق قصص مشوقة مثل الاهتمام بتقديس يوم السبت وإلقاء الرعب في قلوب المخالفين للديانة المسيحية وإلقاء الضوء على شهداء المسيحية . ويستعين هذا الكتاب بالعديد من الصور والرسوم المشوقة لتسويق الأولاد على قراءتها . مع استخدام العديد من آيات الكتاب المقدس في وسط الحديث . ومن أهم ما يلاحظ على هذه القصص أنها تأتي بصفات مفرزة عن العربي، حتى أنه يصفهم بالسلب والنهب، وأنهم يفضلون خيلهم عن كل ما يملكونه حتى على نسائهم وأولادهم . ويلاحظ أنه يأتي بهذه الصفات في أثناء حديثه، ويذكر أيضا أن سبب قدوم المبشرين إلى الشام هو تهذيب أخلاقهم (أى العرب) ليزول عن أذهانهم برقع الجهل والغباوة، وتزول عن قلوبهم القساوة ومحبة الغزو^(١).

وبذلك يمكننا القول أن هذه المؤلفات حاولت زرع المفاهيم المسيحية داخل عقول ونفوس الأطفال، وهنا لم يبعد هؤلاء عن الهدف الأصلي الذى جاءوا من أجله للشام .

ولنفس المؤلف كتاب آخر "الروض النضير لبهجة كل ولد صغير"^(٢).

وبعد أن عرضنا لثلاثة من كبار المؤلفين وهم أعضاء فى الإرسالية الأمريكية نحاول أن نعرض لنموذج من أبرز الوطنيين المرتبطين بالإرسالية، والذى اعتنق المذهب البروتستانتي وهو : يوحنا ورتبات، وذلك لكى نظهر أثر الإرسالية على المرتبطين بها فى إحداث التحول الفكرى فى بلاد الشام .

(١) هنرى حسب : مرجع سابق ، ص ٢٥ - ٣٠ .

(٢) المقتطف - الجزء الثالث العام السابع، ١٨٨٢ .

يوحنا ورتبات (*) :

بعد أن تلقى تعليمه في الكلية الإنجيلية السورية أصبح ورتبات من أشهر المؤلفين في مجال الطب في بلاد الشام، وكتب أيضا في الأديان والتاريخ .

المؤلفات الطبية ليوحنا ورتبات

م	عنوان الكتاب	مكان وتاريخ الطبع
١	التوضيح في أصول التشريح	بيروت ١٨٧١
٢	أصول الفسيولوجيا	بيروت ١٨٧٧
٣	كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الأسقام (*)	بيروت ١٨٨١
٤	أصول التشريح - وهو كتاب فيه مئات من الرسوم كان عليه معولة في إقراء وتدریس هذا العلم بالكلية	(١)

(*) ولد في لبنان وهو من أصل أرمني، وتعلم في الكلية الإنجيلية السورية ونال شهادة الطب من ادنبرة، وعين أستاذا للتشريح والأحياء والباثولوجيا في الكلية الإنجيلية السورية .

راجع لمزيد من المعلومات - نجيب العقيقي: مرجع سابق، ج٤ ص ١٣٣ .

(*) تعرض ورتبات في هذا الكتاب لعدة مسائل عدها المسلمون هجوما على دينهم فأثارهم من ذلك قوله " عند البحث في مرض الجذام، اختلفوا في هذه الأيلم في كونه معديا، وعندى أنه غير معد ولو جاء في الحديث أهرب من المجذوم هربك من الأفعى " فرد عليه أحد المسلمين أن ورتبات حرف في الحديث، وأخذ يرد عليه بالعديد من الأدلة التي تدل على عدم فهم ورتبات للحديث النبوي الشريف .

راجع لمزيد من المعلومات - ثمرات الفنون، بيروت، الاثني ٢٠ ربيع الثاني

١٣٠٣ هـ / العدد ٥٦٥، ص ٢ .

(١) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ١٩٦ .

- انظر أيضا: جورجى زيدان: مرجع سابق، ص ٣١٨ .

- على محافظة: مرجع سابق، ص ٢١٥، ص ٢١٦ .

أما مؤلفاته الأخرى فهي كالتالى:

- "الحكم الفارسية والمصرية والعبرانية" وهو كتاب جمع فيه كثير من الحكم والأمثال العربية^(١).
- "الأديان الشائعة فى سوريا: وهو بحث اعتقادى ويشتمل على أكثر من ١٢ بحثاً فى المذاهب المختلفة"^(٢).
- القاموس العربى الإنكليزى بالاشتراك مع وليم طمسن وهو يحتوى على ٧١٦ صفحة، تحتوى على أكثر الكلمات العربية المستعملة فى الكتب والجرائد مع مشتقاتها المختلفة^(٣).

ويلاحظ هنا مدى تأثير الإرسالية على هذا الإنتاج الوفير ليوحنا ورتبات الذى ألم فيه بالعلوم الطبية وكذلك بالعلوم الأدبية المختلفة، وأن كان أهم ما يلاحظ عليه أن تعرض بالهجوم الصريح للعديد من القضايا الإسلامية^(٤) التى تمس المهين فى صلب عقيدتهم، فقد استخدم العلوم وسيلة للطعن فى مسائل عقديّة تخص المسلمين .

أهم الأعمال المرتبطة بالإرسالية الأمريكية :

وهناك العديد من المؤلفات التى ألفها أعضاء الإرسالية أو ممن يرتبط بهم من الوطنيين الذين انضموا للإرسالية، ولعبت هذه المؤلفات بجانب المؤلفات السابقة دوراً كبيراً فى التحول الفكرى فى بلاد الشام فى القرن التاسع عشر وهى فى الأساس تدور حول العلوم الدينية المسيحية (اللاهوتية)، وغيرها من العلوم الأخرى مثل الجغرافيا .

(١) يعقوب صروف: مرجع سابق، ص ٢٣٦ .

(٢) جورجى زيدان: مرجع سابق، ص ٣١٨ .

(٣) المقتطف - الجزء الثانى عشر العام الثانى عشر، سبتمبر ١٨٨٨، ص ٧٦٦ .

(*) تعرض فى كتابة أصول الفسيولوجيا "لمسألة تعدد الزوجات وكذلك حجاب النساء والطلاق، ورد عليه أحد المسلمين مستخدماً العديد من الأدلة العقلية والفقهية وعن الضرورات التى أباحها الإسلام للزواج بأكثر من واحدة وعن حق هؤلاء الأزواج فى الطلاق فى حالات معينة أباحها الإسلام .

راجع ثمرات الفنون، بيروت، الاثني عشر ١٩ جمادى الأولى، ١٣٠٣، العدد ٥٦٩، ص ٣ - وبذلك أتاحت هذه الكتابات نوع من السجال الفكرى أشبه بالمنظرات .

جدول رقم ١ - الكتب في المجال الديني^(١).

م	اسم الكتاب	المؤلف	مكان وتاريخ الطبع
١	البرهان على ضعف الإنسان	ميخائيل مشاقفة	بيروت/ ١٨٦٧م
٢	قوت النفس	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٢
٣	الترنيمات والمزامير	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٢
٤	القواعد السنوية في تفسير الأسفار الإلهية	جيمس أنس الأمريكي	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨١
٥	تاريخ يسوع المسيح للأحداث	ريتشارد نيوتون	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٢
٦	خلاصة الأدلة السنوية على صدق أصول الديانة المسيحية	جيمس أنس الأمريكي	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٧٧
٧	سير الأبطال والعظماء الأقدمين	جيمس أنس الأمريكي	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٣
٨	نظام التعليم في علم اللاهوت	جيمس أنس الأمريكي	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
٩	مناهج الحكماء في نفى النشوء والارتقاء	إبراهيم أفندي حوراني	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
١٠	الأغاني الروحية	صموئيل جيب/ وجورج فورد	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٦
١١	نور التعليم في أخبار العهد القديم	أوسنن فلبس	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
١٢	لا تسرق	دانيال بلس	المطبعة الأمريكية/ بيروت/ ١٨٨٤
١٣	ذليل الصواب إلى صدق الكتاب	يوحنا ورتبات ^(٢)	بيروت/ ١٨٧٦ ^(٣) .

(١) النشرة الأسبوعية: الاثنين ٣ تشرين الثاني ١٨٨٤، عدد ٤٥ ص ٣٦ .

- انظر أيضا: النشرة الأسبوعية: ٢١ كانون الثاني ١٨٨٤ العدد ٤ - ص ٢٦ .

- الصليب - ٣١ تموز ١٨٨٤، ص ٢٠٠ .

- المقتطف - الجزء الثامن المجلد الثاني، العام الثاني، ١٨٧٧، ص ١٩٢ .

- المقتطف الجزء الثالث العام الثامن، كانون أول ١٨٨٣، ص ١٩١ .

- المقتطف الجزء الخامس، المجلد الخامس، ١٨٨٠، ص ١٣٥ .

ويلاحظ من الجدول السابق ما يلي :

- ١- أن المؤلفات في المجال الديني لم يكن قاصراً على أعضاء الإرسالية الأمريكية فقط بل انضم إليهم في هذا المجال عدد من المؤلفين الشاميين الذين انضموا إليهم وأصبحوا مخلصين في الدفاع عن مذهبهم الجديد .
- ٢- حدثت العديد من المبارزات الفكرية التي ساعدت على النهضة الفكرية في البلاد الشامية مثل كتاب إبراهيم الحوراني "مناهج الحكماء في نفى الارتقاء" وهو رد على نظرية الارتقاء لدارون .
- ٣- هناك العديد من الكتب التي وضعت في الأساس للدفاع عن الديانة المسيحية والمذهب البروتستانتي خصوصاً. وفي الغالب أن واضعيها كانوا من الشوام الذين انضموا للإرسالية الأمريكية .
- ٤- ظهر في هذه الكتب الدعوة لاستخدام العقل والتفكير ومن ذلك دعوة يوحنا ورتبات "لأنه بدون العقل لا يمكن أن تقوم الديانة أن ذلك ضروري في كل درجة من البحث في أدلة الوحي وتفسير معانيه وقبول تعاليمه"^(١) وبذلك تكافقت هذه الجهود في إحداث التحول الفكري ولكنها موجهة لهدف واحد وأن اختلفت الوسائل وهو الهدف التبشيري .

ثانياً الكتب العلمية :

هناك العديد من المؤلفات العلمية في المجالات المختلفة، نعرضها في

الجدول الآتي:

المؤلفات العلمية في الإرسالية الأمريكية

م	الكتاب	المؤلف	م وتاريخ الطبع
١	العروس البديعة في علم الطبيعة	أسعد الشدوري	المطبعة الأمريكية/ ١٨٧٣
٢	خارطة الكرة الأرضية	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ ١٨٨٣
٣	أطلس الكتاب المقدس	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية / ١٨٨٣
٤	النهج القويم في التاريخ القديم	هارفي بورتر	المطبعة الأمريكية / ١٨٨٦
٥	خريطة بر الشام	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية/ ١٨٨٧

(*) سبق ذلك كتاب جيمس أنس "نظام التعليم في علم اللاهوت القويم" الذي حاول فيه الرد على نظرية دارون" وأن دارون كافر لا يؤمن بالمسيح ولا بالآخرة وأن غاية أبحاثه العلمية نفى المسيح في كل دائرة الطبيعة والعلم .

(١) يوحنا ورتبات: دليل الصواب إلى صدق الكتاب، الجمعية البريطانية،

بيروت، ١٨٧٦، ص ١٠٠ .

م	الكتاب	المؤلف	م وتاريخ الطبع
٦	خريطة أواسط أفريقيا	الإرسالية الأمريكية	المطبعة الأمريكية / ١٨٨٧
٧	الآيات البيّنات في غرائب الأرض والسّموات	د/ إبراهيم الحوراني	المطبعة الأمريكية/ ١٨٨٣
٨	قاموس عربي إنكليزي	يوحنا ورتنات وهارفي بورتر	مطبعة المقتطف
٩	قاموس إنكليزي عربي	يوحنا ورتنات وهارفي بورتر	مطبعة المقتطف
١٠	اكتفاء القنوع ^(١)	أدورد فاندريك	المطبعة الأمريكية ^(٢) .

نتج عن هذه المؤلفات ما يمكن أن نسميه حركة فكرية في بلاد الشام وصار معها مواكباً أياها عدد من الاكتشافات فعلى سبيل المثال، استطاع "إبراهيم ثابت" وهو الذي تلقى التعليم في المدرسة الكلية الأمريكية أن يكشف دواء "لدوار البحر وقئى الحبالى"، وأطلع عليه عدد من كبار الأطباء في إنجلترا وفرنسا، ونجح الدواء^(٢). وعلى المستوى الأخر فقد نجحت الإرسالية في رسم عدد من الخرائط لبلاد الشام وهم في ذلك متسقون مع أنفسهم فهم في الأصل يسعون للتبشير ولهم أهداف محددة وفي الطريق لا مانع من خدمة العلم - فبعد رسم الخرائط، عملوا على اكتشاف الآثار في

(١) هذا الكتاب جمع أسماء الكتب العربية المطبوعة منذ أقدم العهود لوقت المؤلف في القرن التاسع عشر وأماكن طبعتها وترجمة لمؤلفيها، كما أضاف إليه فهرسين على حروف المعجم ذكر في أواخرها المصنفات التي وردت أسماءها في الكتاب، وفي الثاني مصنفاتها.

- المقتطف - الجزء السادس العام الواحد والعشرون، يونيو ١٨٩٧م ص

. ٤٥٩

(١) المقتطف: العام السابع، آذار ١٨٨٣، الجزء الثامن، ص ٥١٠.

- انظر أيضاً: المقتطف: الجزء العاشر، من العام العاشر، يوليو ١٨٨٦، ص ٦٣٨.

- المقتطف: الجزء الثامن، العام الحادى عشر، مايو، ١٨٨٧، ص ٥١٢.

- ثمرات الفنون: الاثني ٧ شعبان ١٣٠٣، العدد ٥٨٠/ ص ١.

- المقتطف: الجزء الرابع العام التاسع عشر، إبريل ١٨٩٥، ص ٣٠٠.

(٢) المقتطف: الجزء الثاني، ٢١ فبراير ١٨٩٧، ص ١٤٩.

العلم - فبعد رسم الخرائط، عملوا على اكتشاف الآثار في فلسطين تحقيقاً
للوعود التوراتية التي يؤمنون بها^(١).

وفي المجمل العام نتج عن هذه الكتب حركة فكرية حديثة في بلاد
الشام ونجحت هذه الحركة في تغريب الشام عموماً، لا سيما وأنها في بدايتها
كانت غربية ولم تخرج من جذور التراث العربي للمنطقة.

وكان المسيحيون الشام هم أكثر من استفاد من هذا التحول سواء في
التلقى أو الكتابة بعكس المسلمين السنة الذين سيطرت على أذهانهم فكرة
الخوف من الآخر، نتيجة ما ترسب في أذهانهم من ذكريات الحروب
الصليبية، وأدى هذا بالفعل لتغريب النصرانية، على الأقل حتى الربع
الأخير من القرن العشرين عندما تحولت القيادة للمسلمين مرة أخرى.

رابعاً : توزيع الكتب والمكتبات :

عملت الإرسالية الأمريكية على الاهتمام بالمكتبات وتوزيع الكتب
كجزء من المشروع التبشيري الأمريكي في بلاد الشام، فعن طريق المكتبة
من الممكن اكتساب الأصدقاء، ومحاولة بث مجموعات من الكتب التي تحمل
أفكار خاصة، وعن طريق الكتب تصل الأفكار للأماكن النائية والبعيدة التي
لا يستطيع أن يصل إليها مجموعة من المبشرين لممارسة العمل التبشيري،
ومن وسائل الإرسالية الأمريكية عموماً دعوتها للقراءة ولتأسيس المكتبات
العامة، وتزويدها بمجموعة من الكتب للمطالعة في شتى أنواع العلوم
والآداب المختلفة، وبذلك تعتبر المكتبة موجه لأفكار المترددين عليها، وهذا
ساعد فيما بعد على انتشار حب القراءة والمعارف والثقافة بين الناس،
وبالتالي جزء مهم جداً من النهضة الفكرية التي شهدتها بلاد الشام.

ويصف تقرير للإرسالية الأمريكية - كانت المطبعة ما تزال في
مالطة - أنه "قد حدثت إعاقة لتوزيع الكتب، فعدد كبير منها كان مكسباً في
المستودعات في مالطة"^(٢)، وفي العام التالي كانت نفس الشكوى حتى أن
الكتاب المقدس نفسه لم يكن يوجد عليه طلب، وكان الحل الذي أوجده
الإرسالية هو أن توظف لديها موظف خاص لبيع الكتب في الأطراف النائية

(١) المقتطف : الجزء الثامن العام الثامن عشر، مايو ١٨٩٤، ص ٥٧٣ .

(2) Missionary Herald, Nov 1830, Exrct from Aletter from Mr

Temple, Pp 242-250.

من البلاد، فهو هنا بمثابة مكتبة متنقلة، في الوقت ذاته الذي يعمل فيه كمبشو بين أولئك الذين يبتاعون منه الكتب^(١).

وبدأت الرغبة في القراءة واقتناء الكتب تزيد لدى الناس خصوصا بعد انتشار المدارس، وأيضا كيفية عرض الكتب، فاقتبس الأمريكيان التجريبية التي طبقت في أيرلندا من قبل وهي أن يكون المدرس في المدرسة بائع وعارض للكتب وهم- المدرسون، سوف يؤدون مصالحي كثيرة ليس فقط كمدرسين ولكن كموزعين وناشرين لكلمة الرب وأيضا موزعين للكتب والكراسات الدينية، وأيضا أن يعملوا كقارئين، بنفس الخطة التي طبقت في أيرلندا^(٢) في الوقت ذاته عملوا على توزيع الكتب بين الحجاج في القدس خصوصا أنهم من جنسيات مختلفة ولغات شتى ونجحوا في ذلك لحد بعيد لدرجة أن تقرير للإرسالية يعترف أنه في الفترة من ٢٠ مارس وحتى مايو ١٨٣٥م بيع عدد ٣٥٤ كتاب وهي عبارة عن كتب مقدسة، وكتب مدرسية، وكراسات^(٣). وهو يدلنا على تقدم القراءة والرغبة في اقتناء الكتب، وعلى نجاح أسلوب الإرسالية الأمريكية في توزيع كتبها التي لم تقف عند حد الشام فقط بل والبلاد الأخرى من خلال الحج إلى بيت المقدس.

ونتيجة لأن المطبعة الأمريكية في الشام كانت أكبر طابع وموزع للكتب، خصوصا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ولنجاح أسلوبهم في توزيع الكتب عن طريق شبكة المدارس والمحطات التبشيرية، لذا كان الطلب على الكتب يزداد حتى في إطار المنافسة مع الطوائف الأخرى التي لم تتردد في طلب الكتب من الإرسالية الأمريكية.

ففي تقرير من مستر طومسون "Thomson" يذكر فيه "تسلمت خطابا من قس يوناني ومدرس من المدرسة البطريركية اليونانية في دمشق، يطلبون مني أن أرسل إليهم ١٠٠ كتاب من المزامير باللغة العربية

(1) Missionary Herald, May 1831. A joint letter from messrs. Bird and Whiting pp 208-212.

(2) Missionary Herald, Sep, 1834.. Journal of Mr. Thomson. Pp 321-326.

(3) Missionary Herald, Feb, 1836. Letter from Mr. Whiting, Dated May 1 St 1835, at Jerusalem.

وحوالى ٥٠ كتاب باللغة اليونانية وأيضا وصل خطاب من أسقف حلب يطلب إمداده بكل الكتب العربية التى لدينا^(١).

وبدأ الطلب على الكتب فى الزيادة خصوصا فى القدس والقري المحيطة بها، ووصلت الكتب للأماكن البعيدة ليافا وغزة ورملة واللد والكوك ونابلس وجنين "Jenean" وإلى عدد من القرى فى المناطق الجبلية غرب وشمال نازاريث "Nazareth" ويعترف التقرير بقوله "وقد فتح لنا مجالا مغريا للمجهود التبشيري فى تلك القرى المسيحية فى جبال نابلس وغيرها من البلاد النائية"^(٢).

وذكر تقرير للإرسالية أن عدد الكتب التى وزعت فى عام ١٨٣٨م بلغ ٥٧٠٧ نسخة من الكتب والكراسات، وهى عبارة عن ٧٦١ و٢٩٥ صفحة، من بينها ٢٦٠ نسخة من الكتاب المقدس^(٣) بينما فى تقرير آخر لعام ١٨٤٠م بلغ التوزيع ٦,٩٣٤ نسخة من الكتب فى بيروت فقط، غير القدس وغير الأماكن النائية فى الشام، مع الأخذ فى الاعتبار أن السفر لتوزيع الكتب خلال هذا العام كان أقل من الأعوام السابقة.. وهذا يوضح أنه كان هناك رغبة متزايدة بين الناس للحصول على كتب الإرسالية^(٤).

وفى غالب الأحيان كانت الكتب توزع مجانا، وفى حالات كثيرة إن لم يكن فى كل الحالات كانت الكتب توزع بأقل من التكلفة الحقيقية لها، ففى تقرير لمستر طومسون يذكر "هذا الصباح طلب اثنان من الرجال من حاصبيا أن يحصلوا على كتب، وبعد حوار طويل أعطيتهما حوالى ٦٠ من الكراسات والكتب الصغيرة... وعندما طلبا التوراة طنبت الثمن وبعد إلحاح ومسئومات دفعا ٤,٥ قرش وعندما أعطيتهما كتب التوراة ٠,٠٠ ولم يكن تصميمى على

(1) Missionary Herald, July, 1837. Journal of Mr. W- M. Thomson. P. 100.

(2) Missionary Herald, Oct, 1838, Report of The station at Jerusalem for the year ending. March 1838. Pp 420-423.

(3) Missionary Herald, Dec, 1838. Report of the Beyroot station. Report of the year. 1838 Pp 471-475.

(4) Missionary Herald, Sep, 1840. Annual report of The Beyroot station. Dec, 31 1 St, 1839.

الحصول على نقود سوى جعلهما أكثر حرصا عليه - فكتاب التوراة يشكل مجلد كبير ويكلف دولارات عديدة^(١).

ولم يكن موزع الكتب يكتفى بالتوزيع فقط، بل كان فى الغالب مبشرا أيضا، وأثيرت العديد من المناقشات مع المخالفين فى المذهب الدينى، وولدت هذه المناقشات الأفكار الجديدة، ورغبت الناس أكثر فى القراءة، وحب التعلم والثقافة، خصوصا وأن هذه الكتب كانت توزع فى القرى الداخلية والأصقاع البعيدة^(٢) وبدأت الكنائس الوطنية فى التنبه لخطر انتشار الكتب البروتستانتية بين أتباعها، فعملوا على مقاومة ذلك الأمر بكل شدة، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل حتى فى ظل وجود مطابع خاصة بهذه الطوائف لغلاء أسعار كتبهم، وكذلك لأنها أقل فى المادة المؤلفة نفسها، وأيضا لعدم تنوع مجالات هذه الكتب^(٣).

وكنوع من زيادة الاستقرار فى بيع الكتب وتوزيعها فقد أخذت الإرسالية فى تأسيس المكتبات المستقرة لبيع الكتب، وتعيين أحد أعضاء الكنيسة الإنجيلية كموظف بها مثلما حدث فى حاصبيا^(٤).

وكان لنشاط الإرسالية فى توزيع الكتب عدة نتائج منها :

١- ترغيب الناس فى القراءة واقتناء الكتب، مما أدى لنشر بعض المفاهيم الجديدة مثل المشاركة الثقافية لعوام الناس الذين يعيشون داخل البلاد النائية.

٢- فى ظل المنافسة بين الإرسالية الأمريكية والإرساليات الأخرى وكذلك الوطنيين، زادت أعداد الكتب المؤلفة والموزعة مما ولد العديد من المجادلات والمناقشات التى أثمرت فى النهاية عن

(1) Missionary Herald, Oct 1839, Journal of Mr. W. M. Thomson at Beyroot. Pp 369-382.

(2) Missionary Herald, July 1841, Report of the station at Beyroot, Jan 1 St, 1841. Pp 301-404.

(3) Missionary Herald, Aug. 1842, Report of the Jerusalem station for the year 1841. Pp 322 - 325.

(4) Missionary Herald, May 1857, Station Reports. Pp 146 - 153.

حركة فكرية، وإطلاع على الأفكار الجديدة، وآخر تطورات العلوم في الغرب، والتي كانت كتب وصحف الإرسالية تحرص عليه تماما .

ولم تكتف الإرسالية بتوزيع الكتب فقط بل شجعت على إنشاء العديد من غرف القراءة- المكتبات العامة في زماننا حاليا - وأكثر منها وكانت تلقى فيها الخطب الأدبية والعلمية وتقام بها احتفالات توزيع الجوائز على المتسابقين، وبهذا تكتسب الصداقات للإرسالية وأنشطتها المختلفة^(١).

وبنلك بدأت في بلاد الشام جنوة لحركة فكرية أقامتها الإرسالية الأمريكية وأشعلتها المنافسة بين الإرساليات المختلفة. ويعتبر توزيع الكتب وإقامة المكتبات إحداهم أسس النهضة الفكرية في بلاد الشام.

خامسا- الصحافة:

أدركت الإرسالية الأمريكية قيمة التفكير في إنشاء الصحف لخدمة الأفكار التي تؤمن بها، بعد أن أدركت أهمية الصحافة، والنقص الذي يعانيه الشام في الصحف؛ لذا كان التفكير في إنشاء الصحف والمجلات، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ- مجموعة فوائد :

وهي باكورة المجلات الشامية، صدرت في ١٨٥١م كأول مجلة في الشام في العصر الحديث، أنشأها مجموعة من المبشرين الأمريكيين، وطبعت في المطبعة الأمريكية في بيروت، وكانت الغاية من إصدارها نشر العلوم الدينية لما لها من اتصال وثيق بالسياسة التبشيرية الأمريكية في الشام، ولقد نشرت لجانب العلوم الدينية العلوم التاريخية والجغرافية^(٢).

(١) لمزيد من المعلومات حول غرف القراءة راجع .

- انظر أيضا: الإصلاح: الاثني ٢١ تموز ١٩١٣، العدد ١٤٥٦ ص ٣ .

- الكلية - العدد الثالث، يناير ١٩١٢، ص ٩٣ .

- فلسطين - العدد ٢٥٨ - ١٧ تموز ١٩١٣ - يافار ص ٢ .

(٢) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ج ٤ ص ٥٣ .

- انظر أيضا: نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ٢٦ .

- محمد كرد علي: خطط الشام، مرجع سابق، ج ٤ ص ٨٨ .

وصدرت المجلة بالتقويمين الشمسي والقمرى، واستمرت فى الإصدار حتى عام ١٨٥٥م ، أى لمدة أربعة أعوام ، وقد بلغ مجموع عدد صفحاتها ١٤٤ صفحة، وتعتبر المجلة فى كليتها أجنبية، لأنه لم يشارك فيها أى مفكر شامى^(١).

ورغم أن هذه المجلة كانت تصدر فى بدايتها مرة كل عام، ثم بعد ذلك مرة كل أربعة أشهر، إلا أنها بالغة الأهمية، فهى - وبالرغم من كونها مجلة دينية تبشيرية، وبالرغم من كونها مجلة تابعة لإرسالية أجنبية - الإرسالية الأمريكية - إلا أنها صاحبة الريادة فى المجال الصحفى فى بلاد الشام، فهى أول صحيفة باللغة العربية فى الديار الشامية كاملة، وكانت "مجموع فوائد" بداية لإرهاصات الصحف فقد تبعها إنشاء بعض الصحف الصغيرة التى يمكن اعتبارها نشرات صغيرة ومقدمة للصحف الكبيرة. مثل النشرة الأسبوعية.

ب- أخبار عن انتشار الإنجيل :

وهى نشرة شهرية أنشأها د/ كرنيلوس فاندريك فى غرة مارس ١٨٦٣م، وكانت تهتم فى الأساس بإذاعة أخبار المرسلين البروتستانت فى أقطار العالم، وتعميم انتشار الإنجيل بين القبائل المختلفة فى الشرق الأدنى، وكانت هذه النشرة تصدر فى البداية فى صفحتين، وبعد صدورها بثلاثة أشهر أى فى يونيو ١٨٦٣م أصبحت أربع صفحات^(٢) وكانت رسومها مطبوعة باتقان ويؤتى بقوالبها محفورة من أمريكا، ويظهر مما نشر فيها خلال خمس سنوات أنها كانت نشرة دينية، حتى يكاد الباحث لا يجد فيها سوى أخبار عن أعمال المبشرين البروتستانت فى أفريقيا والهند واليابان والصين، وما كان يجرى من اضطهاد للإنجيليين فى أسبانيا وفرنسا وإيطاليا^(٣).

(١) شمس الدين الرفاعى: مرجع سابق، ج١، ص٤٨ .

- انظر أيضا: فليب دى طرازى: مرجع سابق، ج١، ص٥٣ .

- تيسير خليل محمد الزواهره، مرجع سابق، ص١٦٧ .

(٢) فليب دى طرازى: مرجع سابق، ج١، ص٦٦ .

(٣) يوسف قزماخورى: مرجع سابق، ص٦٦ .

الصين، والدعوة لبذل المال في سبيل العمل الإنجيلي وتقديم العديد من القصص لتحبيذ ذلك كذلك العمل على الدعوة للتبشير بالخلاص، من ذلك مقال كتب في هذا المعنى مما جاء فيه " وهكذا أنت أيها القارئ أن كنت تصير إناء حامل الراحة من راس نبع النعمة إلى نفس ذابلة وفانية في فقر الخطية والشر تحفظ روحك مرتاحة وحياتك دائماً جديدة، بينما تجتهد أن تبارك الآخرين تقاض على روحك بركة عظيمة وترتاح دائماً وتتقوى المياه المقبولة التي تسكبها على الغرس الذابل والعطشان ترتفع إلى فوق وتنزل عليك أيضاً كالندى المريح اللطيف"^(١).

ولا يخلو عدد من النشرة تقريباً دون ذكر لأخبار عن الإرساليات الإنجيلية في العالم وخصوصاً أواسط أفريقيا واليابان، فعن جزيرة مدغشقر تذكر في نهاية خبر عن أعمال المبشرين الأمريكيين هناك " فليتنا كنا نشاهد بيننا في الكنيسة الإنجيلية السورية رغبة نظير رغبتهم في تقديم عطايانا لأجل انتشار الإنجيل ومصاريف كنائسنا"^(٢).

وتظهر في النشرة العديد من المقالات العلمية في مختلف العلوم الحديثة كالطب والكيمياء، وهي تكتب بلغة سهلة التناول، مما يسهل معه على القارئ المتوسط فهمها، وهناك العديد من المقالات في التاريخ والجغرافيا، ولكنها موضوعات تخرج من الأساس التوراتي. وهذه الموضوعات في مجملها تساعد على إثارة الفكر والتثقيف.

ويمكننا أن نوضح أهم ما قدمته المجلة في مجالين مختلفين هما:

- إثارة القضايا الفكرية سواء دينية أو تاريخية.
- الهجوم على الطوائف الأخرى.

فمن حيث إثارة القضايا الفكرية تبنت المجلة الحديث عن تاريخ الإصلاح الديني في أوروبا، مبينة الفساد الذي كان يسيطر على الحياة الدينية قبل الإصلاح، ودخول أنواع الفساد في الإيمان والأعمال بين الأكليروس والعوام، وفي القرنين ١٦، ١٥ نهض إناس ذوو تقوى وغيره لأجل الإصلاح

(١) النشرة الأسبوعية: ١٦ كانون الثاني، ١٨٧٢، ص ٢٠.

(٢) النشرة الأسبوعية: ٩ كانون الثاني ١٨٧٢، ص ٣.

ج- كوكب الصبح المنير :

وهو عنوان نشرة شهرية دينية مصورة، عبارة عن أربع صفحات متوسطة، أصدرتها الإرسالية الأمريكية في غزة يناير ١٨٧١م، لتوزيعها مجاناً على تلامذة مدارسهم، وهي تتضمن أخباراً وحكماً وأغازاً روحية وترانيم دينية وفوائد أدبية، وكان شعارها الآية "المجد لله في الأعلى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" وكان عنوانها مكتوباً بشكل كوكب تبعث أشعته على بيروت وإلى طرفي العنوان رسمان يمثل أحدهما بناية الكنيسة الإنجيلية، والأخر برج الساعة الأمريكية في بيروت أيضاً^(١).

د- النشرة الشهرية :

هو اسم مجلة دينية شهرية ذات ثمانى صفحات صغيرة، أنشأها الدكتور كرنيليو فانديك، ظهر عددها الأول في غزة يناير ١٨٦٦م بعد الصحيفة المسماة "أخبار عن انتشار الإنجيل في أماكن مختلفة"، وكانت الغاية من إصدار هذه المجلة بث تعاليم المذهب البروتستانتي مع إذاعة أخبار المبشرين به^(٢) وكان يحرق بها المبشرون الأمريكيون وعدد من الأهالي الشوام الذين ارتبطوا بهم.، وكانت المجلة تمتلئ في سنواتها الأولى بالعديد من المقالات التي غايتها الظاهرة تهذيب النفوس، وغايتها الباطنة نشر الفكر البروتستانتي بين الناس^(٣).

(١) فليب دى طرازى: مرجع سابق، ج ٢ ص ١٨ .

(٢) فليب دى طرازى: نفسه، ج ٢، ص ٦٩ .

(٣) يوسف قرماخورى: مرجع سابق، ص ٦٦ .

وحدثت العديد من التغييرات على أيديهم^(١) ونتج عن هذا الإصلاح من وجهة نظر المجلة:

- ١- هدم السور الحاجز بين الإنسان وربه .
- ٢- أن الإصلاح يجعل الله والإنسان يتقابلان وجها لوجه، بعد أن كانت الباباوية تفصل بينهما ولكن الإصلاح جمعهما .
- ٣- أن الإصلاح أرجع المسيح للإنسان وبذلك فتح طريقا سهلا يقدر أن يصل بالإنسان لخالقه^(٢) .

كما حدثت مناقشات ساخنة على صفحات "النشرة الأسبوعية" حول تحرر النساء وهل لهن حق المساواة بالرجال في الهيئة الاجتماعية، حيث هاجم "أسعد داغر" التحرر النسائي معتبرا أن ليس لهن الحق في المساواة بالرجال، فرد عليه كاتب آخر هو "عبدالله جبور" مفندا آراؤه، ولكن النقاش في هذه القضية ضم أطراف أخرى فقد شاركت إحدى منتهيات مدرسة البنات السورية الإنجيلية مفندة آراء "أسعد داغر" مستعينة بالعديد من الآراء والأدلة مثل أن المرأة لها صوتا في الانتخابات بأمرىكا كالرجال تماما" وفي نهاية مقالها ذكرت "فمن أنكر عليهم بعد ذلك القدرة على القيام بأعمال الرجال فليقول بنفسه تلك الأمور البيئية ويكل أعماله إلى المرأة ويرى هل تقدر على القيام بها أولا"^(٣) .

القضية الأخرى التي أثارت العديد من النقاش هي قضية التطور لدارون، فقد كتبت العديد من المقالات والمحاورات حول هذا الموضوع، منتصرين لكل الآراء التي ضد دارون متهمين إياه وأتباعه بالجهل وعدم الانتصار للعلم^(٤)، وأن غاية ما يريد دارون الهجوم على المسيح والمسيحيين فهو وأتباعه ضد الديانة المسيحية، وابتداء من عام ١٨٨٥م أخذت المجلة في نشر العديد من المقالات "لإبراهيم الحوراني" حول دارون تحت عنوان "الحق

-
- (١) النشرة الأسبوعية: ٦ شباط ١٨٧٢، ص ٤١ .
 - (٢) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء، ١٢ آذار، ١٨٧٢ ص ٨٣ .
 - (٣) النشرة الأسبوعية: ٢ شباط ١٨٨٥، عدد ٥ ص
 - (٤) النشرة الأسبوعية: محاوراة بين درويني ومسيحي في أهمها يحترم العلم، ٣ تشرين الثاني، ١٨٨٤، عدد ٤٥ ص ٣٥٥ .
 - انظر أيضا: النشرة الأسبوعية، ٨ أيلول ١٨٨٤، عدد ٣٧، ص ٢٩١ .
 - النشرة الأسبوعية، ٥ تشرين ١٨٨٥، عدد ٤٠، ص ٣١٤ .

اليقين في الرد على بطل داروين^(١) وهذه المقالات نشرت بعد ذلك في كتاب، وأدت هذه القضية لنقل الفلسفات المادية وغيرها للعالم العربي ونقل الفكر العلماني .

ونرى أن أخطر قضية أثارها المجلة في خلال كل أعدادها هي الموقف من اليهود، حيث بدأت باستعمال الأسماء التوراتية للمناطق الجغرافية مثل حبرون^(٢)، "Hebron" وصورة لخروج بنات إسرائيل بالدفوف والمثلثات للقاء شاول ودواد عند رجوعهم منتصرين على الفلسطينيين^(٣)، وذلك تمهيداً لتثبيت حق اليهود في الأراضي الفلسطينية .

وفي سلسلة من المقالات بعنوان "إتمام النبوات في شعب اليهود" مما جاء فيه "ثم أن بعض النبوات على عهد الله مع إبراهيم وهو أن يهب لنسله أرض كنعان ملكاً دائماً ليس بمنتقص مما ذكر أنفاً فإن بنى إسرائيل لأبد من أن يتجمعوا من بين جميع الوثنيين، ومن كل الجهات ويأتوا إلى بلادهم ويتبوأوها كما تبوأها أبائهم من قبلهم ولو كان هذا الميثاق جعل لغير ذرية إبراهيم لتعذر الآن صحته وتحقيقه لأنه لا يوجد الآن من تلك الأمم الخالية ممن كان معاصراً لإبراهيم منذ ثلاثة آلاف سنة عين ولا أثر سوى اليهود"^(٤) . وبذلك نجد الدعوة الواضحة من المجلة لإعادة اليهود للوطن المختار وهو فلسطين، وهذا نابع من إيمانهم بالعقيدة الألفية، ولقد تبع هذا الإيمان العديد من الخطوات الأخرى مثل الاستكشافات الأثرية في فلسطين، ومحاولة كتابة العديد من الكتب عن جغرافية ونباتات وجو وأثار فلسطين، فكانت هذه الكتابات بمثابة استكشاف لفلسطين للعمل على توطين اليهود فيها من هنا علينا أن نتأكد أن السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل حتى الآن تحكمها عوامل دينية في الأساس^(٥) هذا عرض موجز للقضايا الفكرية التي أثارها

(١) النشرة الأسبوعية : ١٢ تشرين الأول ١٨٨٥، العدد ٤١، ص ٣٢٥ .
(*) حبرون : الخليل .

(٢) النشرة الأسبوعية : ٢٢ كانون الثاني ١٨٨٣، ص ٢٩ .

(٣) النشرة الأسبوعية: ٦ شباط ١٨٧٢، ص ٤٥ .

(**) والإنجيليون الأمريكيون يؤمنون بعظمة التوراة وقبول المسيح منقذاً وبقدومه الثاني، وهم يؤمنون بضرورة دعم إسرائيل والدفاع عنها بكل الوسائل واعتبار مباركتها من رضى الله" الذى يلعن معارضيها ومنتقديها وهم يرون أن إقامة إسرائيل وتجميع اليهود في فلسطين هو أعظم حدث في التاريخ الحديث، ودليل على أن نبوءات التوراة صارت حقيقة =

المجلة لجانب العديد من القضايا الأخرى، أضف لذلك فقد قامت المجلة بتوجيه العديد من النقد والهجوم لبقية الطوائف مثل المورانة - والمسلمين وكذلك كان النقد الشديد موجه ضد الإرسالية اليسوعية المنافس الرئيسي لهم .

فمن أمثلة الهجوم على اليسوعيين أنهم دعاة خراب فكل موضع حلوا فيه خربوه وكل عمل مدوا يدا إليه أفسدوه وتقول المجلة "وقد مدوا أيدهم إلى الطوائف الشرقية ولا بد من إفسادهم إياها"^(١) وفي عدد آخر تذكر "انتبهوا أيها الناس إلى تعاليم اليسوعيين السرية واعرفوا من هم الذين إلتجأوا إلى هذه الجهات إذ لم تحتلمهم سائر البلدان، وانتبهوا أيها الرتب والطغمت من الرهبان وأهل الدين وأعرفوا مقاومكم ومضاداتكم من أين وكيف وعلى أية طريقة ولأية غاية وإذا لبثتم متغافلين تمكن هؤلاء من خنقكم فمتى شعرتم بالحبل يشد على أعناقكم لا تقولوا ما من أحد نبهنا"^(٢) وهناك العديد من المجادلات بين الطرفين مثل هجوم اليسوعيين على الكلية الإنجيلية السورية ورد النشرة الأسبوعية على ذلك^(٣).

- يوسف الحسن : (دكتور) البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٢٠ .

وهذا يؤكد أن التغلغل التوراتي في الحركة البروتستانتية أدى لظهور فكرة الصهيونية النصرانية قبل فكرة الصهيونية اليهودية وتبنيها لفكرة عودة اليهود لفلسطين تمهيدا لعودة المسيح .

لمزيد من المعلومات راجع. سفر بن عبد الرحمن الحوالى (دكتور): القدس - بين الوعد الحق والوعد المفترى مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٤هـ، ص ٤٤ .

(١) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء ١٤ أيار ١٨٧٢، ص ١٦٠ .

(٢) النشرة الأسبوعية: الثلاثاء ٢١ أيار ١٨٧٢، عدد ٢١، ص ١٦٤ .

(*) ارتبط بهذا الهجوم التبادل المورانة المرتبطين باليسوعيين، فقد هاجمهم النشرة من حيث تنكرهم أنهم يوما ما من أصحاب المشيئة الواحدة، وهم يدافعون عن ارتباطهم بروما منذ البداية، قائلة ولما خضعوا لرومية قبلوا على رقايمهم رف العبودية وسلموا حريتهم وسمحوا للأجانب بالمداخلة في أمورهم " النشرة الأسبوعية ٢٣ تموز ١٨٧٢م، العدد ٣٠، ص ٢٣٧، انظر: النشرة الأسبوعية، ٨ تشرين ١٨٧٢، العدد ٤١، ص ٣٢٣ .

أما هجوم النشرة على المسلمين فقد كان في صورة الغمز واللمز من بعيد فمثلاً "سئل قاضي الوهابيين ما هي الخطايا المميتة قال أكبرها شرب المخزى - التبغ - قال السائل وأين تذهب بالقتل والفسق والسرقة، قال الله رحوم، فحسب قاض الوهابيين من شرب تبغاً يهلك لا محالة ولكن السارق والفاسق والقاتل يرجو رحمة الله، ومثل ذلك رأى البعض أن الكذب والمكر والحلفان وما يشبه ذلك يغفر بسهولة أو يطهر بماء مصلى عليه، ولكن من أكل لحماً نهار الجمعة أو في الصوم الكبير يذهب إلى جهنم مكوراً"^(١).

وبالطبع لا يحتاج هذا الكلام لأى تفنيد، فهو كلام خاطئ أرادوا به تشويه صورة المسلمين فى أعين الناس، عن طريق نشر مثل هذه الأكاذيب ضد مخالفهم .

وابتداء من شهر يناير ١٨٩٠م تعطلت النشرة الأسبوعية بأمر من الحكومة لمدة عام كامل لأنها نقلت عن الجرائد المحلية تلغرافات لا توافق مشرب الحكومة فى ذلك العهد^(٢)، ويبدو أنها خارجة على الدين وأثارت مشاكل دينية .

ويتضح مما سبق. أن هذه المجلة لعبت دوراً كبيراً فى تهيئة الأجواء لظهور العديد من المجلات الأخرى فى الشام لا سيما عند الطوائف الأخرى مثل اليسوعيين الذين أصدروا البشير .

قامت هذه النشرة الأسبوعية بدور كبير فى العمل التبشيري للإرسالية الأمريكية ولتنشر قواعد المذهب البروتستانتي. والهجوم على الطوائف والمذاهب الأخرى ولا سيما المورانة والمسلمين واليسوعيين، مثال ذلك ما نشر فى .

بالرغم مما يقال عن الدور التبشيري لهذه المجلة فإننا لا نستطيع أن ننكر الدور الذى لعبته "النشرة الأسبوعية" فى تثقيف المجتمع الشامي، وإثارة العديد من القضايا الفكرية أثارت العديد من القضايا الفكرية فى الوقت ذاته فقد فتحت أمام هذا المجتمع النافذة بل النوافذ على تيارات الفكر العالمى والنظريات الجديدة فى المجالات المختلفة، مثل العلمانية والمادية .

(١) النشرة الأسبوعية: ٣٠ ١٨٧٢ نيسان، العدد ١٨، ص ١٤٣ .

(٢) فليب دى طرازى: مرجع سابق، ج ٢ ص ٢٠ .

أخطر ما كانت تؤسس له هذه المجلة هو فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين بوصفهم شعب الله المختار. ولعبت النشرة في ذلك دور كبير في تهيئة الأذهان لهذا الحدث.

و- الطبيب :

صدرت مجلة الطبيب كأول مجلة طبية متخصصة باللغة العربية، في البلاد الشامية، وهي نقله نوعية للصحافة المتخصصة التي تقدم العلوم المختلفة ومنها الطب والصيدلة باللغة العربية، وإطلاع الناس على أحدث المخترعات في الآلات الطبية لجانب أهم المؤلفات التي صدرت في أوروبا وأمريكا.

وصاحب امتياز الطبيب هو المبشر الأمريكي د/ جورج بوست، الذي أعلن عن رغبته في أن يصدر مجلة الطبيب في ست عشرة صفحة من القطع المتوسط، لتتضمن الأخبار المهمة عن الطب والجراحة وشرح الأدوية الجديدة وأحدث طرق العلاج، وكان مقرها في الكلية الإنجيلية السورية^(١).

وبين جورج بوست السبب وراء إنشاء المجلة في:

- ١- محاولة نشر العلم في بلاد الشرق بعد أن ذهب عنها وخيم الجهل- وذلك من وجهة نظره - .
- ٢- الرغبة في التعريف بالعلوم الحديثة والاختراعات التي ظهرت في الغرب^(٢).

وساعد جورج بوست العديد من الكتاب والعلماء الذين برزت أسماؤهم في البلاد العربية مثل يوحنا ورتبات، سليم جليخ، سليم موصلى، أمين مغبغب، شبلى شمیل، ميخائيل انطون، يوسف كحيل، مراد بارودي، نقولا نمر .

وكانت مجلة الطبيب كثيرة التوقف لأسباب مختلفة حتى أنه ضمن عمرها الذي بلغ حوالي ٢٠ عاماً، لم تصدر إلا ست سنوات^(٣)، كما تغيرت الإدارة أكثر من مرة.

(١) الجنان، الجزء الثامن، ١٥ نيسان ١٨٧٣، ص ٢٦٠ .

(٢) الطبيب:، الجزء الأول، ١٥ آذار ١٨٨٤م .

(٣) المقتطف. الجزء السابع، العام التاسع عشر، يوليو ١٨٩٥ ص ٥٤٠ .

-انظر أيضا: المقتطف، الجزء الثامن، العام الخامس، المجلد الخامس، كانون الأول، ١٨٨٠، ص ٢٢٤، المقتطف، الجزء السابع، العام الثامن نيسان ١٨٨٤، ص ٤٤٨ .

وفي يناير ١٨٨٤م أسند جورج بوست صاحب الامتياز إدارة المجلة- الطيب- لـ الشيخ إبراهيم اليازجي والدكتورين بشارة زلزل و خليل سعادة، متعللاً بكثرة مشاغله^(١).

وفي العدد الأول الذي خرج للنور تحت إدارة المجموعة الجديدة أعلنوا أنهم سيحولون هذه المجلة من مجلة طبية متخصصة مقصورة الفائدة على عدد معين من الأطباء لمجلة تهتم كل الفئات "فقد عزمنا على أن نوسع فيها بما تدعو إليه حاجة كل مطالع ما تكون فيه فائدة للعالم والصانع والتاجر والزارع والصيدلي والطبيب والشاعر والأديب والمترسل والخطيب إلى ما ينتظم في هذا السلك من فنون الجنان واللسان"^(٢).

وبالفعل بدأت الموضوعات الأدبية في الظهور مثل - "الإنشاء" والجرائد الأدبية" و"أمالي اللغوية" وظهرت عروض للكتب الأدبية، وأيضاً الموضوعات الجغرافية، والرحلات، وموضوعات عن المدراس^(٣) ولكن الإدارة الجديدة لم تستمر أكثر من عام وأعلنت بعده توقف المجلة، وكان السبب أزمة مالية عانت منها "الطيب" وعدم دفع الاشتراكات^(٤).

وعلى الرغم من الأزمات العديدة التي قابلت مجلة الطيب إلا أنها أفادت في عدة نقاط.

١- فتحت أمام القارئ العربي أحدث الإصدارات العلمية في كافة المجالات عن طريق عروض الكتب الحديثة. وكان بها باب آخر عن أحدث الاختراعات .

٢- ترجمت العديد من الموضوعات العلمية في كافة مناحي العلوم مما ساعد على التقدم الفكري والإمام بالجديد أمام الشوام .

٣- توقفت هذه المجلة وقل الاهتمام بها ؛ بعد أن تحولت لغة التعليم الطبي في المدرسة الكلية السورية ، وكذلك القصر العيني لتصبح اللغة الإنجليزية .

(١) الطيب، الجزء الأول، السنة ١٥ آذار ١٨٨٤، ص ١ .

(٢) الطيب: الجزء الأول، ١٥ آذار ١٨٨٤م، ص ٣ .

(٣) الطيب: الجزء الثالث ١٥ نيسان ١٨٨٤، ص ٤١ .

- الطيب: الجزء التاسع، ١٥ تموز ١٨٨٤، ص

(٤) النشرة الأسبوعية: الاثني ١٦ آذار ١٨٨٥، عدد ١١، ص ٨٧ .

ج- المقتطف:

أسسها يعقوب صروف وفارس نمر ، وصدر العدد الأول منها فى بيروت فى أول أيار / مايو سنة ١٨٧٦ ، ثم انتقلت إلى مصر فى عام ١٨٨٨ م . وتعتبر مجلة المقتطف من أهم المجلات العلمية التى صدرت باللغة العربية فى ذلك الوقت ، وقد كانت المقتطف وثيقة الصلة بالإرسالية الأمريكية فى الشام ؛ وذلك بحكم ارتباط أصحابها بالتعليم ، ثم العمل ثم اعتناق المذهب البروتستانتي ، حتى أن اختيار الاسم "المقتطف" كان من اختيار د/ كرنيلْيوس فاندِيك، واعتبرت المقتطف هى الناطقة بلسان الإرسالية لاسيما فى مصر (١) .

والمقتطف مجلة شهرية علمية صناعية زراعية، وكانت تشتمل فى البداية على ٢٤ صفحة، ثم اتسع نطاق الصفحات تدريجيا حتى بلغ عدد صفحاتها ١٠٤ بحرف دقيق، وكانت من أوسع المجلات العربية انتشارا (٢) .

وكان السبب الداعي لإنشاء "المقتطف" - حسبما قال مؤسسها - هو شدة احتياج الوطن إلى ما يتسهل به الوصول إلى العلم والصناعة وفى العدد الأول إشارة لفضل المدرسة الكلية الأمريكية وأساتذتها على المقتطف ووعود هؤلاء الأساتذة بالمساعدة والمساهمة فى إنجاح هذه المجلة (٣) .

(١) يذكر يعقوب صروف أحد مؤسسى هذه المجلة قوله "ورأينا أنه يستحيل علينا أن نجارى الأمم الغربية فى العلوم والمعارف إذا اقتصرنا على ما يترجم ويؤلف من الكتب لأن العلوم الحديثة جارية ولا بد من جريدة تقتطف ثمار المعارف والمباحث العلمية شهرا فشهرًا وتذيعها فى الأقطار العربية، فعدنا النية على إنشاء المقتطف ورسمنا خطته ... ولم نختر له اسما وذهبنا إلى أساذنا الدكتور فاندِيك وكان فى المرصد الفلكي حيث كان يقضى أكثر أوقاته فاستشرناه فيما عزمنا عليه وسألناه أن يختار لنا أسماءه فأبرقت أسرته وجعل يشدد عزائمنا ... وقال سميها "المقتطف" ثم كتب إلى صاحب السعادة خليل أفندى الخورى وكان مديرا للمطبوعات فى سورية يطلب إليه أن يسعى لنا فى جلب الرخصة السلطانية .

- يعقوب صروف: مرجع سابق، ص ١٨٤ .

(٢) فليب دى طرازى: مرجع سابق، ج ٢ ص ٥٢ .

(٣) المقتطف - العدد الأول - أيار / مايو عام ١٨٧٦ م ، ص ١ .

والمقتطف من أهم المجالات العربية التي ناقشت الموضوعات العلمية وأخذت تعرض لها بلغة سهلة مبسطة منذ عددها الأول، حيث تحدثت عن عمل الزجاج" وعن سطح القمر" والميكروسكوب"، في الوقت الذي لم تهمل فيه الدعوة للأخذ عن الغرب الأوربي الذي أصبح أكثر حضارة وتمدنا، من هنا امتلأت المجلة بالموضوعات عما وصل إليه الغرب والمذاهب الفلسفية الجديدة، بينما كان نصيب العرب وفي ذلك أيضا كثيرا - كما سيوضح فيما يلي:

سعت المقتطف للدعوة للفرقة بين العرب والعثمانيين فالأخيرين أقل في مضمار الحضارة من العرب، وكانت تعمل من طرف خفي على أضعاف النعرة الدينية والوطنية بما تنشر من آراء تشكك في العقيدة، وبما تدعو إليه من نزعات عالمية لا يراد بها إلا تقريب الفوارق بين العرب والأوربيين المستعمرين -، وهي تترجم لعظماء الرجال من الغربيين، ولا تكاد تجد فيها ترجمة لرجل من أبطال الإسلام^(١)، ومن أهم ما كانت تدعو إليه هذه المجلة كان محاولة نشر اللغة العامية واستخدامها بديلا عن الفصحى^(٢). ولهذا دلالة واضحة في الرغبة في القضاء على واحدة من أهم مقومات الوحدة بين المسلمين، وهي المرمى الذي وجهوا إليه سهامهم بغية تحويل الوحدة الفكرية عند المسلمين إلى أخلط فكرية متباينة، كما حاولوا التقليل من قدرة اللغة العربية على مسابرة ركب التطور.

وعندما ضاقت بيروت بأصحاب المجلة هاجروا بها لمصر وذلك لأن السلطات بدأت تضيق بهم وبنشاطهم سواء الصحفي أو غيره أضف لذلك رغبتهم في الخروج إلى جو أرحب، وطمعا في المجد الشخصي^(٣) والملفت للنظر أنه بعد هجرتهم إلى مصر سمحت لهم السلطات المصرية ثم

(١) محمد محمد حسين (دكتور): الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٥٤، ج١ ص ٢٤٣.

(٢) راجع هذه الدعوة في أعداد المقتطف عام ١٩١٢، وانظر أيضا: نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، دار الثقافة، الإسكندرية، ١٩٦٤.

(٣) أحمد طاهر حسنين (دكتور): دور الشاميين المهاجرين إلى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، دار الوثيقة، دمشق، ١٩٨٣، ص ٢٧.

الإنجليزية بإصدار الصحف المختلفة سواء المقطم أو المقتطف وأصبحوا أبقاقا للحضارة الغربية .

فقد رأى كرومر أن يتخذ له بطانة من الصحفيين ؛ للدعوة للوجود الإنجليزى ومسئولية الرجل الأبيض ، ولمقاومة الأهرام التى كانت تحمى النفوذ الفرنسى، فتقدم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكلريوس لإدارة المطبوعات فى ١٨ إبريل ١٨٨٨م يرجون الترخيص لهم بإنشاء جريدة سياسية تجارية غرضها خدمة الوطن واسمها المقطم وتكون يومية. وبالفعل صدرت "المقطم" التى أصبحت من أهم أبقاق الدعوة للوجود البريطانى وما استفادته مصر من وجود الإنجليز .^(٥)

وبالرغم من علاقة المقتطف بالإرسالية الأمريكية فى الشام، ثم علاقتها بالاحتلال البريطانى ؛ إلا أنها قد لعبت دورا فى تعريب الموضوعات العلمية، وفى التعريف بكل جديد فى مجال العلم والمذاهب الفلسفية الجديدة. وأهم ما يميز هذه المجلة هو البحث فى النشاط العلمى عند العرب السابقين فى المرحلة الحضارية الأونى. فكانت المجلة تبشر عن هذا التراث العلمى وتخرجه فى صورة مقالات للنور، وذلك لتغذية الشعور القومى عند العرب فى مواجهة الدولة العثمانية .

ومن خلال دراسة مقارنة أجراها أحد الباحثين^(١) بين المقتطف و١٢ مجلة أخرى من حيث عدد المقالات التى تتناول تاريخ العلم عامة وعند العرب خاصة تمثلت الأرقام التالية :

(* إبراهيم عبده (دكتور): تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضة الفكرية والاجتماعية، مطبعة التوكل، القاهرة، ١٩٤٤، ص ١٧٥ .

(١) قدرى طوقان: تاريخ العلوم - بحث منشور ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٥٩، ص ١٨ .

عنوان البحث	عدد المقالات فى المقتطف	عدد المقالات فى المجلات الـ ١٢
الجغرافيا عند العرب	٩	١
الكيمياء والنبات والحيوان عند العرب	١٨	١٣
الفلك عند العرب	١٣	٢
الرياضة عند العرب	٢٠	١٧
الفيزياء عند العرب	١٠	١٤
الطب والجراحة عند العرب	١٦	-
البيطرة عند العرب	١	-
تاريخ الحضارات بما فيه الحضارة العربية	٨	١٥
تاريخ العلم [عند غير العرب]	١١	٥

ومن هنا يتضح زيادة عدد المقالات فى تاريخ العلم والعلوم المختلفة عند العرب وفى العالم عموماً أكثر مما ورد فى ١٢ مجلة علمية عربية فى نفس الفترة. هذا يمكننا من القول أن المقتطف سعت لتحقيق هدف سياسى بطريق علمى، وهو العمل للقومية العربية عن طريق إحياء مجيد العرب وتراثهم الغابر .

وبذلك لعبت الصحافة دوراً كبيراً فى تكوين اتجاه فكرى قومى معاد للعثمانيين ، ونشر تيارات الفكر الغربى . فعن طريقها دارت العديد من المساجلات الفكرية بين الأطراف المختلفة، سواء كانت هذه المساجلات دينية أو فكرية مثل أزمة الردود على "دارون" ونظريته، والمساجلات مع المورانة والمسلمين^(١).

عن طريق الصحف تم الدعوة للعديد من الأفكار الجديدة مثل الدعوة لإحلال الوطنية محل الدين، والرغبة فى المساواة بين جميع الطوائف فى الوطن الواحد^(٢) - وكذلك الدعوة لتعليم المرأة وتحريرها من القيود التى

(١) راجع فى ذلك : النشرة الأسبوعية : محاوره بين دورين ومسيحي فى أيهما يحترم العلم ، ٣ تشرين الثالى ١٨٨٤ ، ص.ص ٣٥٥ ، ٣٥٧ . والنشرة الأسبوعية ، ١٢ تشرين الأول ١٨٨٥ ، العدد ٤١ ، ص ٣٢٥ . والنشرة الأسبوعية فى ١٤ أيلر ١٨٧٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) راجع سليم النستاق : الحكام ، الجنان ، الجزء السادس عشر ، آب ١٨٧٠ ، ص ٤٨١ - ٤٨٣ . وأيضاً : سليم النستاق : لمادان فى تأخر ، الجنان ، الجزء السادس ، آذار ١٨٧٠ . وأيضاً : حيدر حورى : الدين والوطن ، الجنان ، الجزء الرابع عشر ، تموز ١٨٧٠ ، ص ٤٣٦ .

تقيدها - وهنا حدثت العديد من المساجلات بين المؤيدين والمعارضين للفكرة^(١).

وأخطر ما قامت به الصحف التابعة للإرسالية الأمريكية هو العمل على ترسيخ العديد من المفاهيم الخاصة باليهود شعب الله المختار، ووجوب عودتهم لأرض فلسطين "أرض الميعاد"، وإطلاق الأسماء التوراتية على الأماكن المختلفة في فلسطين.

سادسا - الجمعيات :

في إطار التحولات الفكرى التى شهدتها بلاد الشام ظهرت الجمعيات الأدبية والعلمية ثم الجمعيات ذات الأهداف السياسية لأول مرة فى هذه الديار، وأدت لتجمعات المثقفين وهو ما أدى فى النهاية لتطوير الأفكار ولتوليد المزيد من الأفكار الجديدة والفلسفات المادية والعلمانية ولعبت الإرسالية الأمريكية فى هذا المجال الدور الأبرز حيث كانت نشأة أول جمعية أدبية فى بلاد الشام - وهى جمعية الآداب والفنون - على أيديهم، وبشجيع كامل منهم.

وخدمت هذه الجمعيات التحول الفكرى فى بلاد الشام لأنها عملت على تنمية المعارف بما يلقى من خطابات دورية بين الأعضاء فى شتى مجالات المعرفة الإنسانية، وفيها كان يتم التعريف بالأفكار والمذاهب الجديدة التى ظهرت فى الغرب، غير أنه ينبغى إلا ننسى أن الهدف الأساسى لم يكن للرجعة فى نشر الثقافة والعلم إنما هو التبشير بالأفكار البروتستانتية . وعن طريق مكنتبات هذه الجمعيات انتشرت القراءة بين الناس، وحدثت فيها العديد من المناظرات الفكرية ما بين مؤيد ومعارض. وبذلك لعبت الجمعيات دوراً كبيراً فى النهضة الفكرية التى ظهرت فى تلك البلاد فى القرن التاسع عشر ويجب إلا يغيب عن أذهاننا أن هذه الجمعيات لم تظهر إلا فى مدينة بيروت أولاً ثم انتشرت بعد ذلك فى بقية البلاد الشامية وذلك راجع بالأساس لأنها المركز الأساسى للإرسالية الأمريكية، وهى أيضاً ميناء الشام الأساسى

(١) راجع هجوم أسعد داغر على تحرر النساء ورد عبد الله جيور عليه فى النشرة الأسبوعية ، ٢ شباط ١٨٨٥ ، عدد ٥ ، كما حفلت الأعداد التالية بنقاش واسع حول تلك القضية . كذلك راجع هيلانة بارودى : الأخلاق والعوائد ، المقطع ، الجزء السادس ، السنة السابعة ، تموز ، ١٨٨٢ ، ص ١١٢ .

والعاصمة التجارية للشام كله، وابتداء من عام ١٨٨٨م جعلت ولاية بمفردها فنالت بذلك الامتياز على بقية المدن الشامية الأخرى.

أهم ما يميز الجمعيات عموما أنها حاولت التأسيس للمنهج الجماعي في الفكر والثقافة بمعنى بذل جهد جماعي في محاولة لإيجاد تيار فكري.

أ- جمعية الآداب والفنون :

تشكلت كأول جمعية في بلاد الشام عام ١٨٤٧م ، وكانت في البداية بمثابة ناد أدبي أمريكي أسسه المبشرون قبل افتتاح أى من المدارس الكبيرة المعروفة^(١) . وكان الساعي في تأسيسها منذ البداية هو ناصيف اليازجي وبطرس البستاني ، اللذان قدما هذا الاقتراح لأصدقائهما من المبشرين الأمريكيين منذ عام ١٨٤٢م . وتم تعيين لجنة لتنفيذ هذا الاقتراح حتى ظهرت للنور عام ١٨٤٧م ، ورأسها المبشر عالي سميث، وكانت هذه الجمعية تعقد اجتماعا كل أسبوعين يتحدث فيه أحد الأعضاء عن موضوع أدبي ، وبلغ عدد جلسات هذه الجمعية ٥٣ جلسة ، وكانت تعنى بالقاء الخطب والمناظرات والمناقشات في مسائل علمية وأدبية^(٢) .

وضمت هذه الجمعية مكتبة كانت تشتمل منذ البداية على خمسمائة وستة عشر مخطوطا عربيا وعلى أحد عشر مخطوطا تركيا، وعلى عدد هائل من الكتب المطبوعة في شتى اللغات، وهى تتناول الدين والفلسفة والشعر والطب والفلك والرياضيات والتاريخ واللغة، وقد تبرع بها أعضاء الجمعية^(٣) .

وابتكرت هذه الجمعية فى عضويتها ما يسمى بالعضو المراسل، أى الذى لا يسكن فى بيروت، مثلا صيدا، ودمشق، وطرابلس وغيرها من المدن الشامية الأخرى، ومن خلال مراجعة أسماء أعضاء الجمعية حتى عام ١٨٥٢م وهو تاريخ نهاية آخر جلسة لها، يتضح أنها لم تضم فى عضويتها

(١) محمد بديع شريف: (دكتور) مرجع سابق ص ٨٠ انظر أيضا: عبدالكريم

غراية: مرجع سابق، ص ٢١٥ .

(٢) حورح أنطويوس: مرجع سابق، ص ١١٦ .

- شاهين مكاربيوس: مرجع سابق، ص ٣٩١ .

(٣) فيب دى طرازي: حرائر الكتب العربية فى الحافقين، وزارة التربية الوطنية - لبنان، د/

ت، ح ٢ ص ٤١٥ .

أى فرد من المسلمين ولا من الدروز بل كانت تضم المبشرين الأمريكيين، ومن ارتبط بهم من الوطنيين الشوام، ورجل إنجليزي هو تشرشل^(١).

ورأس الجمعية المبشر على سميث وكان له ثلاث من النواب هم، النائب الأول الخواجة هنرى دى فرست، النائب الثانى، الخواجة نعمة ثابت، النائب الثالث، الخواجة جرجس هويتن، والكاتبان كاتب الوقايع، الخواجة بطرس البستاني وكاتب الرسائل الخواجة نوفل نعمة الله نوفل ولها أمينان هما أمين الصندوق وهو الخواجة ميخائيل شحادة، وأمين المكتبة الخواجة أنطونيوس الأميوني^(٢).

وكان القانون الأساسى للجمعية يتكون من ١٥ مادة: توضح تنظيمات للجمعية، والهدف منها، والرسوم التى يدفعها الأعضاء، وكذلك تنظيم أعمالها^(٣).

ب- الجمعية العلمية السورية :

لا ريب أن الإرسالية الأمريكية هى التى لعبت الدور الأكبر فى نشأة "جمعية الآداب والفنون" التى أغلقت أبوابها فى عام ١٨٥٢م وكان لهذه الجمعية دور كبير سواء فى إحداث تطور فكرى كما قدمنا سابقا، أو فى إغراء الطوائف الأخرى بتكوين جمعيات جديدة.

فى عام ١٨٧٥ تقدم عدد من المسلمين باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك فى تأليف جمعية جديدة تتحد فيها جهود أهل العقائد الدينية جميعها لخدمة العلد، على شرط ألا يكون للمبشرين فيها أى أثر، وبذلك نشأت "الجمعية العلمية السورية، فى ١٨٧٥م، وبلغ عدد أعضاؤها ١٥٠ عضواً،

(١) جلال يحيى : مرجع سابق ، ج ١ نصر ١٨٨ .

(٢) أعمال الجمعية العلمية السورية، إشراف بطرس البستاني، بيروت، ١٨٥٣ ص ٨ من المقدمة.

(٣) ونص البند الثالث على أن "أعضاء الجمعية يكونون : مستوطنين ومراسلين وإكراميين - يقصد أعضاء الشرف - والذي يرغب الدخول فى هذه الجمعية يجب عليه أن تصرح باسمه أولاً العمدة العاملة فى إحدى الجلسات القانونية ثم يستقر الانتخاب عليه فى الجلسة التالية ولا يتم الانتخاب إلا باتفاق ثلثى الأعضاء الحاضرين"، كما نصت المادة الخامسة عشر على عدم مشروعية إجراء أى تغيير فى نظم الجمعية، ما لم يذكر ذلك جهاراً فى جلسة سالفة . انظر أعمال الجمعية العمومية ، المصدر السابق ، المقدمة .

ويلاحظ أن قانونها ونظامها ووسائلها وغاياتها وأنظمتها كان كلها على غرار الجمعية السابقة، ونالت هذه الجمعية اعتراف الدولة العثمانية في عام ١٨٦٨م^(١).

وبذلك نلاحظ أن العناصر الغالبة والمسيطرة على هذه الجمعية كانت هي التابعة للإرسالية الأمريكية مثل: أبناء اليازجي وأبناء بطرس البستاني، ولكن غلب الطابع السياسي القومي على نشاط هذه الجمعية وهو ما كان مطلوباً من الإرسالية الأمريكية آنذاك.

وكان تأسيس الجمعية العلمية السورية مهذا للحركة السياسية الجديدة، فقد جاء أول صوت أرسلته حركة العرب القومية في جلسة سرية عقدها بعض أعضاء هذه الجمعية^(٢).

وأدت الجمعية لظهور تيار ثقافي تربوي يمكن أن نصفه بأنه تيار وطني علماني، وهو ما يتفق مع غايات الإرسالية الأمريكية، ويتميز بما يلي:

أولاً : العناية بإحياء اللغة العربية وجعلها أداة طبيعية لاستيعاب المفاهيم الحديثة.

ثانياً : تقبل مبدأ العبادة كشأن شخصي وذلك بتأثير من الحركة البروتستانتية.

ثالثاً : اعتماد المبدأ الوطني بديلاً للرابطة الدينية وإطراح الطائفية مع المحافظة على التعليم الديني كأساس للتهديب والأخلاق.

رابعاً : العناية بإدخال العلوم الحديثة ونشرها في البلاد، وكذلك العناية، بالتعليم الصناعي والمهني من أجل تقدم البلاد^(٣).

(١) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص ١١٩.

- انظر أيضاً: جلال يحيى (دكتور): العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦، ص ١٩٧.

- جورجى زيدان: مرجع سابق، ج٤، ص ٦٩.

(٢) عبدالعزيز رفاعي: (دكتور): أصول الوعي القومي العربي، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٥٦.

-انظر أيضاً: محمود صالح منسى: (دكتور): حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥، ط٢، ص ٥٦.

وتعود الأهمية الحقيقية لهذه الجمعية أنها حولت النقاش فى الموضوعات الثقافية إلى حوار سياسى جماعى الهدف منه التخلص من الحكم العثمانى للديار الشامية من هنا كان تبنى الدعوة القومية كوسيلة للقضاء على الدولة الحاكمة، وبعد ذلك فى بدايات القرن العشرين تم التخلص من الدعوة القومية لصالح دعوات إقليمية.

فى هذه الجمعية تغنى إبراهيم اليازجى بالقومية العربية وألقى العديد من القصائد التى أشاد فيها بمجد العرب وحضارتهم، وسمو لغتهم وتراثهم الأدبى، وحذر العرب من أضرار التفرق والتخاصم الدينى وندد بحكم الأتراك العثمانيين ودعا للاتحاد لرفع نيرهم عن عاتق العرب، وانتشرت هذه القصائد الحماسية فى مختلف بلدان الشام ومن أقوال اليازجى: أهداف سامية لا يتم إدراكها إلا بحد السيف فإن شئت بلوغها فتش عن السيف^(٢).

وقد عقدت الجمعية ٥٣ جلسة فيما عدا الجلسات المفتوحة التى بلغ عددها أكثر من عشرين جلسة تناولت شتى الموضوعات وهى فى مجملها تدعو لأفكار محددة مثل موضوع فى "لذات العلم وفوائده" الذى ألقاه كرنيلبوس فانديك والذى اختتمه بقول الإمام على:

ما الفضل إلا لأهل العلم أنهم *** على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه *** والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغى به بدلا *** فالناس موتى وأهل العلم أحياء^(٣).

كما نشرت موضوعات فى كافة مناحى العلوم الحديثة، وكذلك ألقى الضوء على العديد من الاختراعات الحديثة، وكذلك كان هناك اهتمام بالنساء والمطالبة بتعليمهن، وإلقاء العديد من الأضواء حول علوم العرب قديما.

ولقد لعبت هذه الجمعية دوراً فى نشر الثقافة والفكر فى كافة المجالات الأدبية والعلمية، كما كان لمكتبتها دوراً آخرافى نشر المعرفة بين

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوى فى البلاد العربية فى المئة سنة الأخيرة، منشور

ضمن الفكر العربى مرجع سابق، ص ٤٧٧ .

(٢) الأمير مصطفى الشهابى: مرجع سابق، ص ٤٥، ص ٤٦ .

(٣) بطرس البستاني: أعمال الجمعية العلمية مرجع سابق، ص ١٠ .

الناس فلا ريب أن تكون هذه الجمعية الأساس لبقية الجمعيات التي قامت بعد ذلك .

وانبثق من الجمعية العلمية السورية "الجمعية السرية" التي عملت على تفويض السلطة العثمانية، في الوقت ذاته تحولت الجمعية من غرض ثقافي لأغراض سياسية. وكان القضاء على الحكم العثماني من الأهداف العزيزة المنال لدى الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام^(١).

وعلى هذا يمكننا القول أن الجمعية العلمية السورية كانت بمنظراتها الفكرية والأدبية في كافة مجالات المعرفة بالإضافة للتعريف بالأفكار والمذاهب الجديدة، ومبادئ الحرية وغيرها دافعا للأعضاء للتحول من الأثر الثقافي الفكري للعمل السياسي السري وهو ما كان له أخطر الأدوار في تاريخ الشام الحديث .

د- جمعية بيروت السرية :

بدأت هذه الجمعية على يد مجموعة ممن تعلموا في "المدرسة الكلية الأمريكية" وكانوا ضالعين في كافة أنشطة الإرسالية الأمريكية وهم فارس نمر ويعقوب صروف، وشاهين مكاريوس، وإبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني، وكان بينهم وليم فانديك، وقد أسسوا "جمعية بيروت السرية" في عام ١٨٧٥م^(٢) وكانوا يجتمعون في بناية "كولاج هول" في حرم الجامعة الأمريكية ببيروت، وكان هدفهم الأسمى السعي لسلخ لبنان وسوريا عن جسم السلطنة العثمانية، وهنا لجأوا للمحافل الماسونية كي يتسترأ فيها لإخفاء نشاطهم^(٣).

وبذلك يرى البعض أن أول عمل منظم ظهر لحركة القومية العربية يجب أن يعزى لهذه الجمعية السرية، والتي كان لها فروع في دمشق

(١) كمال اليازجي : إبراهيم الحوراني ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

(٢) أسد رستم (دكتور): لبنان في عهد المتصرفية، دار النهار، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٤٨ - ٢٥٣ حيث يذكر أسد رستم أنه استقى هذه المعلومات من فارس نمر نفسه خلال لقاء معه في ديسمبر ١٩٣٠ وأن وليم فانديك وآخرين أيدوا له صحة ما رواه فارس نمر .

(٣) ميشال جحا: إبراهيم اليازجي، دار رياض الريس، لندن، ١٩٩٢، ص ٦٣

- انظر أيضا: عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ٢٢٣ .

وطرابلس وصيدا، واهتزت السلطات العثمانية لهذه الجمعية وسرت الشائعات بأن مدحت باشا يشجع أيضا الجمعية لذا استدعاه السلطان من ولاية الشام^(١).

كانت اجتماعات هذه الجمعية سرية للحفاظ على أرواحهم من الإعدام على يد الإدارة العثمانية التي كانت تبحث عنهم بشتى الطرق، في إطار مقاومة الدولة للتيارات الانفصالية ولم تخلف لنا هذه الجمعية إلا ثلاث منشورات فقط^(٢) هي التي يمكننا من خلالها أن نتبين ملامح فكر الجمعية وأعضائها وحقيقة ما كانت تدعو إليه.

احتوى المنشور الأول على تأنيب لاذع لأهل الشام لخضوعهم للأتراك ولتفرقهم، ودعا للاتحاد بين كافة الطوائف لوضع حد للأطماع في الشام، ولوقف الاستبداد التركي، أما النشرة الثانية فقد هاجمت الحكم العثماني بشكل ساخر ونفت عليه شهادته في تنفيذ الإصلاحات التي طالما وعد بها، وطالب المنشور بالحكم الذاتي لبلاد الشام^(٣) أما المنشور الثالث وهو أهمها فهو يتضمن أول بيان مدون عن برنامج العرب السياسي وقد وصف انتحال السلطان للخلافة بأنه اغتصاب لحق العرب، وأن الأتراك كثيرا ما خالفوا شريعة الإسلام وورد فيه "أنه بعد التشاور مع زملائنا في جميع أنحاء البلاد فقد تم وضع برنامج سننفذه ولو بحد السيف إذا اقتضى الأمر" وأهم هذه النقاط هي منح سورية الاستقلال متحدة مع جبل لبنان، الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد، رفع الرقابة والقيود التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم، استخدام القوات المجندة من أهل البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط^(٤).

(١) نادر العطار: مرجع سابق ص ٢٤٦ .

- انظر أيضا: الأمير مصطفى الشهابي: مرجع سابق، ص ٤٧ .
(* أرسل لها قنصل بريطانيا في بيروت لحكومته في لندن .

(٢) نادر العطار: المرجع سابق، ص ٢٤٦ .

- انظر أيضا: علي محافظة: مرجع سابق، ص ١٣٠ .

- عبدالعزيز رفاعي: مرجع سابق، ص ٦٠ .

- شمس الدين الرفاعي: مرجع سابق، ص ١٢٩ .

(٣) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص ١٥٤، ص ١٥٥ ويؤرخ هذا المنشور بـ

٣١ ديسمبر ١٨٨٠ .

ويبدو ان الجمعية توقفت فيما بين عامي ١٨٨١ : ١٨٨٢م^(١) . وهي الفترة التي تتوأكب مع هجرة يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكارايوس إلى مصر، ربما خوفاً من القبض عليهم في ظل القبضة الحديدية للسلطان عبدالحميد الذي حاول بكل السبل معرفة أعضاء الجمعية، وفي سبيل ذلك زج بالعديد من رجاله لمعرفة الأسماء، وذلك في إطار محاولاته للحفاظ على الدولة العثمانية متماسكة ضد الفكر الانفصالي عنها- في إطار فكرة الجامعة الإسلامية .

وما يهمنا هنا ليس المنشورات برغم ما لها من أهمية بالغة في مولد الحركة القومية العربية وتحولها من مجرد فكرة في الأذهان لواقع عملي، بل لأن هذه الجمعية كانت نموذج واقعي للاتجاهات الفكرية التي نجحت الإرسالية الأمريكية في بثه في "تفوذ المرتبطين بها من أبناء الشام، وما معني أن يوجد أمريكي "وليم فان ديك كعضو في هذه الجمعية إلا إذا كان هناك تشجيع من الإرسالية التي كان أبوه من أبرز أعضائها على هذا العمل .

هـ- جمعية شمس البر :

بدأت فكرة الجمعيات في الانتشار في بيروت على أيدي الإرسالية الأمريكية صاحبة ومؤسسة الفكرة في بلاد الشام لأول مرة ، بل في العالم العربي كله، ولم تكثف الإرسالية بجمعية واحدة بل تعددت الجمعيات وتعددت الأغراض التي تقوم في الأساس على هدف واحد تؤمن به الإرسالية وتعمل على نشره من خلال هذه الجمعيات المختلفة .

قامت جمعية شمس البر في بيروت عام ١٨٦٩م كفرع لاتحاد الشبان المسيحيين في إنجلترا، وكان عدة وعمدة الجمعية من طلبة المدارس الأمريكية في الشام ومن المبشرين الأمريكيان والمرتبطين بهم من الشوام^(٢) .

وبالرغم من أن هذه الجمعية كانت أدبية خطابية، ولكن اشترط في المنضمين إليها بعض الشروط الدينية، لذا كان معظم المنضمين من نصارى الشام بالإضافة لأعضاء الإرسالية الأمريكية، ومن أعضائها فارس نمر، ويعقوب صروف، ويوحنا ورتبات، وجورجي زيدان، وقد انتشرت روح هذه

(١) نفسه ، ص ١٥٧

(٢) عبدالكريم غراية: مرجع سابق، ص ٢٢٢ .

الجمعية بانتشار أعضائها في أنحاء سوريا ومصر، وبنيت لها العديد من الفروع مثل دمشق تحت اسم "رباط المحبة" وأنشئ هذا الفرع عام ١٨٧٤م^(١).

ويلاحظ على هذه الجمعية أنها كانت ذات أغراض دينية ظاهرها الأعمال الخيرية، بجانب النشاط الثقافي الذي قامت به، فقد اتحدت مع جمعية السيدات للامتناع عن المسكرات" في محاربة المسكرات بكل أنواعها وافتتاح العديد من النوادي التي بها مكتبات، ليتردد عليها الشباب بدلا من التردد على الحانات وأماكن اللهو، وزودت المقر الجديد بمكتبة^(٢).

والمتابع لأنشطة جمعية شمس البر الثقافية يلاحظ أنها قامت بدور كبير جدا في نشر الفكر المادي العلماني الأوربي، وكذلك المذاهب الأوربية الحديثة.

ففي الاحتفالات التي كانت تقيمها الجمعية بين وقت وآخر وكانت تقام المناظرات المختلفة، ففي ٩ مايو ١٨٨٤ جرت المناظرة بين أنطون أفندي شحير واثناسيوس أفندي صيقل في "هل العلوم اللغوية ألزم للإنسان من العلوم الطبيعية"^(٣) كما جرت المناظرة بين نسيب أفندي عبدالله وبين نجيب أفندي انطانيوس وكان موضوع المناظرة هل العادات الأوربية أكثر فائدة من العادات السورية، وحكم بين الطرفين نقولا أفندي نمر رئيس الجمعية الذي قضى بملائمة انتقاء الأفضل من عوائد البلدين، بمعنى أن يختار من العوائد الأوربية أحسنهما، ومن العوائد السورية خيرها بما يحصل معه خليط عوائد رشيدة مفيدة^(٤).

-
- (١) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ج٤ ص٧٠ .
- انظر أيضا: جورجى زيدان: مذكرات جورجى زيدان، الهلال، المجلد ٦٢، عدد يونية ١٩٥٤، ص٤٥ .
- كمال اليازجى: مرجع سابق، ص٣٦ .
(٢) ثمرات الفنون: الاثنيون ١١ دى القعدة، ١٣١٧هـ، عدد ١٢٧٢، ص٥٥ .
(٣) المقتطف: الجزء الأول، السنة السادسة ١٨٨١، ص٦٤ .
- انظر أيضا: النشرة الأسبوعية: الاثنيون ١٩ أيار ١٨٨٤، عدد ٢١ ص١٦٧ .
(٤) المقتطف: الجزء التاسع العام التاسع، يونيو ١٨٨٥، ص٥٦٩ .

المجمع العلمي الشرقي :

أنشئ هذا المجمع في بيروت عام ١٨٨٢م على يد الإرسالية الأمريكية، ومن ارتبط بهم من الشوام مثل يعقوب صروف وفارس نمر ووليم فانديك ويوحنا ورتبات وميخائيل مشاققة وسليم بطرس البستاني وغيرهم، وتولى رئاسة دورته الأولى د/ كرنيليوس فانديك وكان كاتب المجمع هو وليم فان ديك^(١) ولم يطل بقاء هذا المجمع بعد هجرة أصحاب المقتطف لمصر .

وكان الهدف من هذا المجمع عند تأسيسه أحياء العلوم، وتقوية الأسباب الدافعة لتعميم المعارف في الوطن، وعقد النية على بلوغ هذه الغاية، وجمع المعلومات عن الشام في كافة المظاهر والنواحي الجيولوجية والجوية، ومعرفة أنواع الحيوانات والنباتات، ومعرفة الأمراض الغالبة والأمراض الوافدة، وجمع الأمثال العامية والاصطلاحات بين أهل المدن والقرى والبدو والحضر، وجمع الآثار^(٢) فقد كانت الأهداف أشبه بالقيام بمسح شامل للبيئة والإنسان داخل الشام، وهو ما تلجأ إليه الآن المراكز الأجنبية داخل البلدان العربية لمعرفة كيف يفكر الناس، وتبين الوسائل للسيطرة عليهم . وهذه الدراسات تتم لخدمة الاستعمار ، فالعلاقة وثيقة بين الاستشراق والتبشير والاستعمار^(٣) .

ومن خلال إلقاء نظرة على الموضوعات التي عرضت في جلسات عام ١٨٨٢م وهو أنشط الأعوام في حياة المجمع يلاحظ أنها تناولت العديد من مجالات المعرفة، وأيضا التعريف بما تحويه بلاد الشام من آثار . ففي جلسة نوفمبر ١٨٨٢م تكلم "جرجي يني" عن آثار الكورة التي تعود لعصر الفينيقيين وفي نهاية حديثه يذكر قوله "وهي تدل على عظمة السلف وأسأله

ولمزيد من التفاصيل راجع - ثمرات الفنون، ١٧ جماد الثاني ١٣٠٦، العدد ٧٢١ ط .

- (١) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، جـ ٤ ص ٧٣ .
- (٢) المقتطف: الجزء التاسع من السنة الثامنة، حزيران ١٨٨٤، ص ٥٣٠ .
- (٣) لمزيد من المعلومات حول ارتباط التبشير بالاستعمار راجع : محمد بن ناصر الشترى : مرجع سابق ، ص ٧٩ .

تعالى أن ينعم على سورية المحبوبة برجال يعيدون لها شيئا من باذخ مجدها ورفيع سؤدها^(١).

وفي جلسة يناير ١٨٨٢م ألقى يعقوب صروف خطبة عن تاريخ الجبر والمقابلة^(٢) وفي جلسة ٨ مارس ١٨٨٢م خطب فارس نمر في علم الهيئة القديم والحديث ويعقوب صروف في "قناطر زبيدة" ووليم فان ديك في "الكلورفل في الحيوانات"^(٣).

وبعد نهاية العام الأول من عمر المجمع خطب كرنيلوس فانديك رئيس المجمع في "بيان كيفية نجاح المجمع العلمية" وطلب من الأعضاء الحفاظ على هذه العوامل وهي - العمل على أن يكون تكوين المجمع محكما لمن سيأتي بعدهم، اختيار الأعضاء الجدد إلا ممن يتفق معهم فكريا ويأتمل معهم روحيا ويكون مستعد لبذل المتاعب وطلب العلم، وأن يكون لكل منهم وجهة خاصة به في العلم يبذل فيه قصارى جهده للوصول لغاية القمة فيه مع وجوب أن يتقف العضو نفسه في المجالات الأخرى^(٤).

وانطلاقا من هدف المجمع في نشر الأهداف القومية والتبشيرية بين الناس أعلنوا في عام ١٨٨٥م عن الجائزة البستانية تخليدا لذكرى بطرس البستاني، وكانت تدور حول "الوسائل لترقية المعارف في سورية"^(٥).

ويتضح من أعمال المجمع العلمي الشرقي أنه كان باعنا على نشر الأفكار الجديدة في الجلسات التي كان يعقدها ويحضرها الأعضاء وكذلك توجه الدعوات لغير الأعضاء للحضور، في الوقت نفسه أقيمت بعض الأعمال حول أصل الحضارة الفينيقية^(٦)، وهو ما يظهر الدافع وراء الدعوة

(١) المقتطف: الجزء الخامس، العام السابع، ك ١٨٨٢، ص ٢٨٤.

(٢) المقتطف: الجزء السادس من السنة السابعة ك ١٨٨٢م ص ٣٣٣.

(٣) المقتطف: الجزء الحادي عشر من العام السادس، نيسان، ١٨٨٢، ص ٧٠٤.

(٤) المقتطف: الجزء الحادي عشر، السنة ٧، حزيران ١٨٨٣، ص ٦٤١.

(٥) المقتطف: الجزء التاسع، العام التاسع، يونيو ١٨٨٥م، ص ٥٦١.

(٦) بذل المشرون ومن قبلهم المستشرقون جهدا في بعث العصبية القديمة فعنوا

بإحياء الحضارات القديمة من فينيقية وبابلية وفرعونية؛ بهدف تجسيد عوامل الفرقة بين المسلمين في مختلف المجالات الجنسية والقومية والجغرافية، =

للإقليمية الضيقة في مواجهة الدولة الإسلامية العثمانية. ومن جهة أخرى يلاحظ على ما ألقى من موضوعات في المجمع أن بعضها يشيد بمجد العرب التالذ وحضارتهم القديمة وهي امتداد لدعوة عملت الإرسالية الأمريكية على تبنيها منذ فترة سابقة وهي الدعوة للقومية العربية وهنا قمة التناقض الفكرى حينما تتبنى جهة واحدة فكرتين متناقضتين، ولكن يبدو أن الهدف الأساسى للإرسالية وما انبثق عنها من جمعيات وصحف وغيرها لم يكن الدعوة لهذه الأفكار بهدف نشرها وتبنيها بل كان الهدف الأساسى هو العمل على تقويض أركان الدولة العثمانية العائق الأساسى أمامهم - رغم الضعف الذى تعانیه - فقد كان سقوط الدولة العثمانية أمامهم يمثل سقوط رمز .

جمعية باكورة سوريا :

نالت المرأة اهتماما خاصا من الإرسالية الأمريكية ، وذلك للدور الذى تلعبه المرأة فى حياة الأسرة ، لذا كان الاهتمام بترويج النمط الغربى للنساء بين نساء الشام ، ومن هذا المنطلق اهتمت الإرسالية بإنشاء الجمعيات النسائية .

أنشئت هذه الجمعية فى غرة ١٨٨٠م برئاسة السيدة مريم مكاريوس وهى زوجة د/ شاهين مكاريوس، فقد اتفقت مع بعض صديقاتها على إنشاء هذه الجمعية وتوجيه اهتمامها لنشر الثقافة والفكر بين السيدات وتهذيبهن بشتى العلوم^(١)، وعند نشأة هذه الجمعية فى بيروت صاحبها ضجة شديدة فقد كانت أول جمعية نسائية تقام فى بيروت، ونالت الرخصة من إدارة المعارف فى الولاية عام ١٨٨٩م لنشر الخطب والمناظرات التى كانت تعقد فيها^(٢) .

ويلاحظ أن الخطب والمناظرات التى كانت تلقى فى هذه الجمعية كانت ترمى لأهداف عديدة غرضها البدء بترقية أحوال المرأة الشامية، ودفعها للقراءة والاستزادة من العلوم، ثم بعد ذلك دفع المرأة للمطالبة

= ولذبذبة الولاء بين الإسلام وتلك الحضارات . راجع فى ذلك : سيد رزق حجر (دكتور) : حاضر العالم الإسلامى ، مكتبة الأنصار ، أمها ، ١٤١٦هـ ، ص ١٢٣ .

(١) المقتطف: الجزء السابع، ١٢ أبريل ١٨٨٨، ص ٤٣٦ .
(٢) اللطائف: الجزء العاشر، ١٥ فبراير، ١٨٨٩، ص ٤٤٣ .

بالمساواة مع الرجل وبالتزوين وترك الحجاب، فهي أهداف ولكن على مراحل متعددة^(١).

فقد كتبت إحدى عضوات الجمعية ذاكراً أن المعاملة للمرأة كانت في غاية الانحطاط وأنها كانت مستعبدة ولا يعتبرونها أكثر من جارية وحرموها التمتع بلذة الحرية، وهذه الأمور ما زالت مستمرة في الشام آنذاك ، وذلك من وجهة نظرها هي ، لذا تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة وذلك بما تقتضيه حقوق العدالة الإنسانية^(٢).

وتدرجت بعد ذلك حيث طالبت الجمعية بأن تأخذ المرأة زينتها وبأن يترك الرجال للنساء حرية تجميل أنفسهن وإبراز جمالهن واختيار الألوان الخاصة في الملابس وكيفية ستر المرأة لعيوب جسدها حتى لا تظهر أثناء الحديث أو المشي وتذكر في ذلك "أن الشعر والوجه والعنق من أعظم آيات الحسن في المرأة" وتدعو المرأة بعد ذلك لكشفها والسفور بها لإبراز جمال هذه الأعضاء^(٣)، ونحن نعلم أن النقاب كان هو السائد في ذلك الوقت وعند كل الفئات وباختلاف الطوائف فلم يكن قاصراً على المسلمين فقط . فهي دعوة لأن تتبنى المرأة النمط الغربي .

وبدأت الدعوة لعمل المرأة بحجة النفع العام والنفع الخاص، وهي أول دعوة توجه للمرأة الشامية للعمل والخروج من المنزل^(٤)، وهذه الدعوة وأن بدأت على استحياء فقد تلتها نفس الدعوة ولكن بقوة أكثر في العام التالي مباشرة، حيث ألقى سليم البستاني خطابه الشهير "التي تهز السرير بيسارها تهز الأرض بيمينها" ففيها دعوة لأن تشارك المرأة الرجل في بناء المجتمع وتقدمه فهي نصف القوة البشرية وهنا عليها أن تأخذ المجال للعمل

(١) فريدة حبيقة : الذوق في الملبس والجمال ، المقتطف ، الجزء الثاني ، السنة السابعة ، تموز ١٨٨٢ ، ص ١١٣ وما بعدها .

(٢) المقتطف : الجزء الحادي عشر، العام السادس، نيسان، ١٨٨٢م .

(٣) فريدة حبيقة: مرجع سابق ، ص ١١٢ .

(٤) هيلانة بارودي: الأخلاق والعوائد، المقتطف، الجزء السادس، السنة السابعة،

١٨٨٣، ص ٣٦٨ .

ولإعلان المساواة الكاملة بين المرأة والرجل^(١)، ودعت الجمعية بل وركزت على إبراز النماذج الغربية للنساء حتى يمكن أن يتخذن قدوة لنساء الشام، فتحدثن عن مدام سكاربيليني^(٢) التي وصلت لدرجة عالية من العلم حتى قلدها إيطاليا النيشان الذهبي عام ١٨٧٢م^(٣)، والهدف من هذه النماذج إقناع المرأة أنها ليست أقل من الرجل لا في الملكات العقلية ولا في الكفاءة الشخصية لذا فالمساواة هي قمة العدالة بين الطرفين .

ولم تكتف الجمعية بنشر الأفكار التي تؤمن بها في مجال الثقافة والفكر فقط بل كان لها دور في التبشير من خلال الأعمال الخيرية حيث كانت تقام في بيوت بعض العضوات دروس بسيطة تناسب مستوى المعوزات من النساء وتوزع عليهن بعض الكساوى والنقود التي جمعت لهن من عضوات الجمعية^(٤) .

وعندما هاجرت بعض عضوات الجمعية إلى مصر أنشأن فروعاً للجمعية منها "جمعية زهرة مصر" التي أنشأت بين بنات المدارس الأمريكية بالقاهرة^(٥) .

وأول ما يلاحظ على هذه الجمعية أن عضواتها المؤسسات كن تلميذات في مدارس الأمريكان، وكن زوجات لأشخاص مرتبطين بالأمريكيين مثل شاهين مكاريوس وياقوت صروف، مما يدل على الارتباط بين الإرسالية الأمريكية وبين الجمعية .

عملت الجمعية على المناداة بالأفكار الغربية مثل: تعليم المرأة، والمساواة بين الرجل والمرأة، ثم خروج المرأة للعمل، والدعوة لترقية أحوال المرأة، وهي المرة الأولى التي تذكر فيها مثل هذا الأفكار في تاريخ بلاد الشام كله، وكان لها أثر كبير. حتى أننا نرى أن النساء اللاتي قمن بالترويج

(١) سليم البستان: التي هز السرير بيسارها هز الأرض يمينها، الجزء الأول، العام الثامن، آب ١٨٨٣م، ص:٧:ص:١٢ .

(٢) ياقوت صروف: النساء الفلكيات، المقتطف: الجزء السادس العام العاشر، مارس، ١٨٨٦، ص:٣٧٣ .

(٣) عبدالرحمن بك سامي: مرجع سابق، ص:٣٢٨ .

(٤) المقتطف: الجزء الحادى عشر، السنة الثالثة عشرة، أغسطس، ١٨٨٩،

لهذه الأفكار في مصر كن شاميات^(٥)، ممن تأثروا بهذه الجمعية والتعليم الأمريكي في الشام عموماً.

وقد لعبت هذه الجمعيات دوراً كبيراً في تشجيع الطوائف الأخرى على تكوين جمعيات على غرارها، وكالعادة كان اليسوعيون أول من احتذى هذا المثال، فأسسوا في عام ١٨٥٠م "الجمعية الشرقية" في بيروت^(١)، وكانت تعقد اجتماعات دورية تلقى فيها المحاضرات في العلوم المختلفة^(٢) أما المسلمون فقد أنشأوا "جمعية المقاصد الخيرية" في بيروت أيضاً، وقد لعبت دوراً كبيراً في تأسيس المدارس الإسلامية، ونشر العلم بين المسلمين، ومواجهة خطر الإرساليات التبشيرية، وتشجيع الفكر والثقافة، كأحد أهم المقومات للوقوف في وجه الأخطار التبشيرية^(٣) ورداً على ظهور جمعية باكورة سوريا للنهضة بالمرأة فقد واجه المسلمون ذلك بإقامة جمعية نهضة الفتاة المسلمة التي نصت في برنامجها أنها جمعية نسائية إسلامية مقصدها تعليم الفتيات اليتيمات من البنات المسلمات، وإلقاء المحاضرات لتتقيهن^(٤).

وبذلك فقد كانت هذه الجمعيات أحد أهم مقومات نشر الفكر والثقافة الغربية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر بما نشرته من أفكار، وبما نقلته من أحر إبداعات الغرب الأوربي في كافة المجالات.

لم يقتصر أثر هذه الجمعيات على بلاد الشام فقط، بل امتد أثره ليشمل مصر أيضاً عن طريق المهاجرين والمهاجرات من أعضاء الجمعيات الذين أقاموا في القاهرة ووطنطا، وأنشأوا العديد من الجمعيات فيهما.

(*) مثل زينب فواز وغيرها، لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع حلمي

النمى: زينب فواز الرائدة المجهولة، دار النهر، القاهرة، ١٩٨٧.

(١) راجع جلال نجى: مرجع سابق، ص ١٨٨.

(٢) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص ١١٨.

(٣) محمد عبدالرحمن برج (دكتور): محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية

١٩٠٦ : ١٩٢٠، هـ - م - ع - القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٠.

-انظر أيضاً: المقتطف: الجزء الثالث، العام السادس آب ١٨٨١،

ص ١٩١.

(٤) فتاة لبنان: العدد ٧، تموز ١٩١٤، ص ١٤٩.

وبذلك فقد استخدمت الإرسالية الأمريكية كافة الوسائل الفكرية فى نشر الفكر العلمانى والقومى بغية التوصل لهدفها الأساسى وهو القضاء على الدولة العثمانية ، كما أن الرغبة فى نشر الثقافة لم تكن هدفا فى حد ذاتها بل كانت إحدى وسائل التبشير .

الفصل السادس
موقف الإدارة والشوام من
التبشير الأمريكى فى الشام

أولاً - موقف الدولة العثمانية

- الامتيازات الأجنبية .
- التنظيمات الخيرية .
- الموقف من التعليم الأمريكى .
- الاعتراف بالبروتستانت .

تعاملت الدولة العثمانية مع رعاياها من أهل الذمة كدولة إسلامية تحافظ على الإسلام وتتطلق سياستها منه، لذا كان من الطبيعي أن تعامل المسلمين وغير المسلمين معاملة واحدة حسب ما نظمته الشرع الإسلامي فقد كانت الدولة في معاملتها مع أهل الذمة تطبق عليهم عهود الذمة (١) .

كان المسيحيون الذين عاشوا تحت الحكم العثماني فى كثير من الأوقات أفضل حالا مما كان عليه المسيحيون فى بعض الدول الأوربية، إذ أن المسلمين والمسيحيين استطاعوا أن يعيشوا جنبا إلى جنب لمئات السنين بدرجة كبيرة من الهدوء والسكينة أكثر من الشعوب المسيحية فى أوربا، بتطاحنهم الدينى الذى لا يحصى، وهذا لا بد وأنه يعزى إلى التسامح الدينى الذى دائما ما تميزت به الدولة العثمانية(٢) .

ووقفت الدولة العثمانية موقفا شديداً إزاء الإرساليات الكاثوليكية الهادفة لتحويل الأرثوذكس للكاثوليكية فى عام ١٨١٨م صدر أمر شريف همايونى لوالى حلب بوقف نشاط الرهبان الأوربيين الذين يقومون بهذا النشاط(٣) .

نفس هذا الموقف حدث بعد ذلك فى عام ١٨٣٨م عندما أصدر السلطان مرسوما إلى محمد على باشا والقاضى والعلماء ينبه فيه لمنع نشاط الإرساليات الكاثوليكية التى تعمل على تحويل الأرثوذكس "لكاثوليكية" دين الأفرنج(٤) .

(١) عبدالعزيز رفاعى (دكتور): أصول الوعى القومى العربى، المطبوعات الحديثق، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٥٣ .

(2) Philippaneth; turkey, Decadence and Rebirth, London, p18.

(٣) وقد نص هذا الفرمان على أن "الذين يتبعون دين الإفرنج من رعايا طائفة الروم يرتدون إلى رتبتهم القديمة وأن يحصل التنبيه المحكم بهذا الخصوص والذين يتحركون خلافه ما لهم يؤخذ لجانب الميرى وهم ينفوا ويتباعدوا إلى ديار أخرى " . عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م، ص ٢٣٤ .

(٤) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، صورة فرمان رقم ٧٠ أواسط ربيع الآخر ١٢٥٤هـ، يولية ١٨٣٨م. وهو يقصد بالإفرنج هنا الأوربيين عموما ، وهى لفظة قديمة ترجع لعصر الحروب الصليبية .

وبذلك وقفت السلطات العثمانية ضد النشاط الكاثوليكي لتحويل رعاياها الأرثوذكس ذلك أن الدولة كانت في قوتها ولا تجسر تلك الإرساليات على العمل في وسط المسلمين بالصورة التي حدثت فيما بعد، في الوقت نفسه وقف علماء الدين الإسلامي من هؤلاء المبشرين موقفاً سلبياً، ولم يساعدوا على وقف نشاط هذه الإرساليات باعتبار أنها ليست موجهة ضد المسلمين وأن الكفر ملة واحدة يستوى فيه الأرثوذكس مع اليهود مع البروتستانت^(١). ولم يرد بخلد المفتين أن المسلمين سوف يتعرضون بعد قليل لنفس الموقف حينما تعمل الإرسالية الأمريكية بكثافة في وسطهم. ومما يلفت النظر مخالفة المفتي هنا لمرسوم السلطان العثماني.

وفي القرن التاسع عشر اختلّف الأمر فقد ازداد ضعف الدولة العثمانية الإسلامية وزاد نشاط الإرساليات التبشيرية- في القرن التاسع عشر وخصوصاً بعد التنظيمات ١٨٣٩ - ١٨٥٦م- ودخل الأمريكان مجال التبشير^(٢) ولم تكن الدولة قادرة على الوقوف في وجههم، وذلك بمقتضى القوانين التي أجبرت على إصدارها بمقتضى التنظيمات. كما أنها لم تكن لترضى بالسكوت على نشاطهم خصوصاً وقد بدأوا في العمل بين المسلمين، ويمكننا تلمس موقف الدولة العثمانية من خلال عدة أمور هي:

- ١- الامتيازات الأجنبية
- ٢- التنظيمات الخيرية
- ٣- الموقف من التعليم الأمريكي
- ٤- الاعتراف بالبروتستانت

(١) يتضح ذلك من الفتوى التي صدرت في الشام في منتصف القرن الثامن عشر وهي: "عندما رفع بطرك الأرثوذكس سؤال في صورة فتوى للشيخ سليمان المنصوري الحنفي عن حكم من يترك الأرثوذكسية للكاثوليكية واحتلّطوا بالأفرنج الحريين" في محاولة لاستعدائه عليهم لأن الأفرنج محاربين ضد المسلمين وجاءت فتوى المفتي "أن الكفر ملة واحدة فإن تدين النصراني بما تدين به اليهودي أو تدين اليهودي بما تدين به النصراني أو ما تدين به الأفرنج فلا يكون ذلك ناقضاً لعهودهم... ولا يجوز لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبين أم شاميين أم غيرهم أو يأمرهم بامتثالهم للطرك أو المطران المشهورين بالكفر". وبذلك وقفت الفتوى ومن صار على نهجها موقفاً سلبياً من التبشير الأوربي. عبدالعزيز نوار: مصدر سابق، ص ١٢٨

(*) عمل الغرب على التدخل في الشؤون العثمانية بحجة الدين الذي استخدم كعباءة يغطي الطمع المحض لهذه الدول في الدولة العثمانية Philip paneth; op, cit. P18

١- الامتيازات الأجنبية :

منحت الدولة العثمانية العديد من الامتيازات لرعايا الدول الأوروبية للاستفادة منها في مجالات التجارة، خصوصاً وأن الدولة كانت في قوتها مرهوبة الجانب، ولكن بعد ضعف الدولة تحولت هذه الامتيازات لسيف مسلط على رقبتها، فقد استغلت الدول الأجنبية هذا الضعف لنيل المزيد من الامتيازات والحقوق، في نفس الوقت، كانت تفسر هذه الامتيازات بما يتفق مع مصالحها وأهوائها، وأصبح للقناصل نفوذ قوى داخل ولايات الدولة العثمانية، وأصبح من حقهم التدخل لمنع تنفيذ قرارات أصدرتها الدولة، بل أن السفراء في الأستانة في القرن التاسع عشر تعدوا دورهم الحقيقي وأصبحوا رقابة على الدولة نفسها، وبذلك استفحل خطر الامتيازات الأجنبية .

وبينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية (*) تعيش تبعاً لمبدأ "مونرو" الداعي لعزلتها، ولم يكن لها أطماع سياسية في الدولة العثمانية ولا في ولاياتها، ولكن منذ ثلاثينات القرن التاسع عشر بدأ يظهر النشاط الثقافي - والديني والتعليمي الأمريكي في الشرق العربي وخصوصاً بلاد الشام- نتيجة لخروج أمريكا على مبدأ مونرو- وهنا قصدت أمريكا الحصول على الامتيازات الأجنبية حفاظاً على مصالحها وحقوق رعاياها وخصوصاً من الإرساليات التبشيرية، في الوقت نفسه كانت أمريكا تبغ الحصول على جزء من تركة الرجل المريض التي تعتمل الصراعات على تركته بين الدول الأوروبية .

(*) ارتبطت أمريكا كغيرها من الدول الغربية بمعاهدة امتيازات مع الدولة العثمانية في عام ١٨٣٠م في عهد السلطان محمود الثاني ويستفاد من مآل هذه المعاهدات أنها إنما منحت للدول الأجنبية رفقا برعاياهم واستحلاباً لراحتهم وإصلاحاً لحریتهم، ولكنها أصبحت مع توالى الزمن واستفحال أمر تلك الدول عشرة في طريق عمال الدولة العثمانية وإغلالاً لأيديها وقد توسع السفراء والقناصل في استخدامها حتى صاروا يضعون حمايتهم على من شاؤوا من رعايا الدولة بحجة كونهم من تراجمتهم أو قواستهم الهلال: المجلد ١٤، ١٩٠٥، ص ٢٠٨ .

عملت أمريكا على عقد اتفاقية^(٥) تجارية مع الدولة العثمانية وذلك لتنشيط التجارة مع الولايات العثمانية، فمنذ عام ١٨٢٩م وجه الرئيس الأمريكي "جاكسون ١٨٢٩م" بعثة للأستانة بغية توقيع المعاهدة الأمريكية العثمانية الأولى، وكان رئيس البعثة هو "بيدل" وهو قائد أسطول المتوسط الأمريكية و"دافيدا اوفلي" و"اتشلدريدن" عن التجار^(١) وتم فعلا عقد الاتفاقية في ٧ مايو ١٨٣٠، ونصت تلك المعاهدة على عبارة الأمة الأكثر تفضيلا وعلى مبدأ المواطنين الخارجيين عن نطاق التشريع الوطني وعلى بند سرى يطلب العثمانيون فيه مساعدة من الوزير الأمريكي لتنفيذ اتفاقيات لصناعة السفن في أمريكا، وبالفعل تمت موافقة مجلس الشيوخ على المعاهدة عدا البند السرى واختار الرئيس جاكسون العميد البحري دافيد بورتر " ليكون ممثلا لأمريكا لدى الباب العالي^(٢) .

فقد نصت هذه المعاهدة^(٣) في المادة ٤٥ والتي استفاد منها المبشرون الأمريكيين وهي. إذا حصل خلاف أو قضية بين رعايا الدولة العلية وأفراد الأمريكيين فلا يجوز النظر في تلك القضية أو ذلك الخلاف ولا الحكم فيها إلا بحضور الترجمان الأميركي والقضايا التي تتجاوز قيمتها الخمسمائة قرش يصير رفعها إلى الباب العالي ليحكم فيها حكما عادلا وكل أمريكي عائش بسلام ولم تقم عليه دعوى جنائية أو لم تثبت عليه لا يجوز إساءة معاملته حتى وإذا ارتكب أحدهم جنائية فلا يجوز للحكومة المحلية إلغاء القبض عليه ومحاكمته لأن ذلك من خصائص وزير أو قناصل هاتة الولايات

(٥) كانت السياسة الأمريكية في العالم العربي وممتلكات الدولة العثمانية وفي أفريقيا وفارس تلتزم إلى حد كبير بمبدأ مونرو - ولذا وبشكل واضح قامت أسس هذه العلاقات على أساس تجارى وتشيرى وتعليمى دون التدخل في أمور هذه المناطق من النواحي السياسية والإدارية ومنذ وقت مكر اتجهت أمريكا نحو عقد اتفاق تجارى مع الدولة العثمانية، وكان ذلك منذ ١٧٨٤م عبدالغفار محمد حسين : (دكتور) مبدأ مونروا ومتغيرات السياسة الأمريكية من سنة ١٨٦٠ وحتى سنة ١٩٠٠، طنطا ١٩٩٢، ج ٢ ص ٥ .

(١) بوندار بيسكى: سياستان إزاء العالم العربى، ترجمة خيرى الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥، ص ٢١٨ .

(٢) توماس بيرسون : مرجع سابق، ص ٥٥ .

(٣) بدأت الامتيازات في الدولة العثمانية بالمعاهدة التي عقدت بين الدولة وفرنسا في فبراير ١٥٣٦م ، وصدر لها حظ شريف بفتح بعض الامتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين بأراضي الدولة العثمانية ، وتعدت الدول الأوروبية فرنسا في عقد المعاهدات مع الدولة العثمانية .

محمد فريد تاريخ الدولة العلية العثمانية ، دار الخليل ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٩٢-٩٥ .

ليعاقبوه بحسب ما تستحقه جانيته وطبق العادة الجارية مع الأفرنج" (١) وبذلك فقد نال الأمريكيون الإعفاء من التقاضى حسب القوانين العثمانية ليتقاضوا حسب قوانينهم هم، وهو ما يؤدي لإطلاق أيديهم.

ونصت المعاهدة كذلك على معاملة الولايات المتحدة معاملة الدولة الأكثر رعاية، ومعاملة الأمريكيين كرعايا الدول الصديقة وإعطائهم حرية التجارة في أملاك الدولة وألا يحاكموا إلا أمام محاكمهم القنصلية. كما أعطت المعاهدات الولايات المتحدة حق تعيين القناصل ونواب القناصل في الأملاك العثمانية كلما وجدت ضرورة لذلك، وقامت الإرساليات البروتستانتية بنشاط كبير في أعقاب عقد هذه المعاهدة (٢).

وكثير ما كانت تحدث خلافات حول تفسير بعض المواد والتي كان المبشرون يصرون على أنها تضمن الحقوق القضائية بشكل كامل (٣).

وفي عام ١٨٦٢م عقدت معاهدة بين أمريكا والدولة العثمانية وكانت صالحة لمدة ٢٨ عاماً، ونصت على أنه لكل من الدولتين المتعاهدتين حقاً بأن تخبر الأخرى بعد مضي أربع عشرة سنة (وهي مدة تكون قد نفذت في خلالها جميع أحكام هذه المعاهدة) إذا كانت ترغب مراجعة هذه المعاهدات أو نقضها، ونصت على أن تسرى تلك المعاهدة على جميع ولايات الدولة العثمانية (٤).

وبحكم تلك المعاهدات حصلت أمريكا على كثير من الامتيازات ، ففي عام ١٨٧٥م أرادت الدولة العثمانية زيادة الضرائب من ٨ : ١١% على الواردات واحتاجت لموافقة الدول صاحبة الامتيازات ومنها أمريكا التي استخدمت ذلك في نيل مطالب دبلوماسية حول شئون التمييز في المعاملة للمدارس الأمريكية والإرساليات، وبذلك رفعت الرسوم على الواردات لتحقيق أهداف ومصالحة المبشرين (٥).

(١) فليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء، المطبعة التجارية، الإسكندرية، ١٨٩٠، ج ١ ص ٢٦٥.

(٢) فواد المرسى خاطر (دكتور): مرجع سابق، ص ٨٠.

- بونداريفسكي - مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٣) توماس بريسون: مرجع سابق، ص ٧٧.

(٤) فليب جلاد: مصدر سابق، ص ٢٦٩.

(٥) توماس بريسون: مرجع سابق، ص

ويرتبط بنظام الامتيازات، الإعفاءات الجمركية التي استفادت منها الإرسالية الأمريكية في الشام، وصدرت في الدستور العثماني الذي أعطى للرهبان على اختلاف أنواعهم مجموعة من الإعفاءات الجمركية هي:

- المواد المستخدمة في تزيين الكنائس وإجراء الأمور المذهبية ونص على أن الإعفاء يكون جاري بحسب قيمة هذه المواد لسنة واحدة لإدارة الرهبان والراهبات الموجودين في كل دير وبمكاتبتهم ومدارسهم والأماكن الخيرية التي يديرونها^(١).

وعلى هذا الأساس فقد أعفيت الأشياء التي يريد إدخالها المبشرين مستفيدة من هذه الإعفاءات.

وبسبب زيادة نفوذ البروتستانت وتدخلهم في شئون البلاد عازمت الحكومة العثمانية على إخراجهم من أراضيها، ولكن تدخل الحكومة الأمريكية^(٢) حال دون ذلك فقد احتج "تيريل" السفير الأمريكي لدى الباب العالي واستطاع بالتعاون التام مع السفير البريطاني أن يلغى ذلك الأمر^(٣).

وبذلك لم تعد الدولة العثمانية تستطيع أن تتخذ إجراء حاسم وقوى إزاء نشاط الإرسالية الأمريكية ولتمسك أمريكا بكل نصوص الامتيازات، فعن طريق هذه الامتيازات أحبط السفير الأمريكي في الأستانة قرار الحكومة.

وهنا نجد أن هذه المعاهدات التي عقدتها الدولة العثمانية مع الولايات المتحدة الأمريكية لمصالح اقتصادية في الأساس استفادت منها أمريكا في المجالات الأخرى ولا سيما في المجال التبشيري، وهنا قدمت الدولة مواقف إيجابية للتبشير الأمريكي تمكن المبشرون من ترجمتها لصالحهم.

(١) الدستور العثماني: ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ، ط ٢، ج ٢ ص ٥٤٣.

(٢) تيسير أحمد حسن وهابية: مرجع سابق، ص ٢٥٨.

(٣) توماس بريسون: مرجع سابق، ص ٨٥.

كما استفادت الأملاك التابعة للإرسالية الأمريكية فى الشام من الامتيازات والإعفاءات الجمركية^(١) التى قررتها الدولة العثمانية للرهبان وللأعمال الخيرية^(٢).

التنظيمات العثمانية وأثرها على التبشير الأمريكى :

عانت الدولة العثمانية منذ منتصف القرن الثامن عشر من الضعف الذى ضرب أطنايه فى كافة مناحى الحياة، وبدأت بعض المحاولات الإصلاحية والتنظيمات فى الدولة نتيجة للهزائم العسكرية التى أجبرت الدولة على تقديم التنازلات للدول الأوربية ولا سيما لروسيا العدو اللدود الذى كان يتربص بالدولة للحصول على أى مكسب من أملاك الدولة العثمانية ولا سيما المضائق والبلقان .

يمكننا أن نقسم التنظيمات لمرحلتين :

الأولى: وهى التى مهدت للتنظيمات بالشكل الرسمى والقانونى والتى قام بها السلطان سليم الثالث (١٧٨٩ : ١٨٠٧ م) والتى انتهت بالإطاحة به وبإصلاحاته، بعد موافقة شيخ الإسلام على عزله ، وتولى بعده السلطان مصطفى الرابع^(٣)، وانتهت هذه المرحلة بالقضاء على الانكشارية فيما عرف "بالواقعة الخيرية" .

والثانية : وهى المرحلة التى بدأت فيها التنظيمات رسميا ، والتى لعبت الأثر الأكبر فى التبشير الأمريكى فى الشام ، والتبشير فى جميع أرجاء الدولة العثمانية عموما . وبدأت بخط شريف كلخانة ١٨٣٩ ، ثم خط شريف همايون ١٨٥٦ م ، وانتهت بالدستور العثمانى ١٨٧٦ م .

أ- خط شريف كلخانة : ١٨٣٩ م :

عندما اعتلى السلطان عبدالمجيد (يوليو ١٨٣٩ - يونية ١٨٦١) العرش العثمانى ، كانت الدولة تمر بأزمة خطيرة حيث انهارت الجيوش

(*) كان فى الممالك العثمانية عدد غير قليل من المؤسسات الأجنبية، الاقتصادية والثقافية والدينية والخيرية... وطبعى أن هذه المؤسسات كانت تستفيد من الامتيازات الأجنبية، وتنال ضروبا من التشجيع والتوجيه والحماية من الدول التى تنتسب إليها وتساهم مساهمة كبيرة فى توسيع وتقوية نفوذها من الوجهتين المادية والمعنوية- راجع لمزيد من المعلومات ساطع الحصرى: البلاد العربية والدولة العثمانية. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٠، ط ٢ ص ١٤٧ .

(1) list of American Educational, op. Cit, p. 14.

(٢) عبد الكريم رافق : العرب .. مرجع سابق ، ص ٣٧٨ .

العثمانية أمام قوات محمد علي في موقعة نزيب ١٨٣٩" وأصبح الطريق مفتوحا أمام القوات المصرية للعاصمة نفسها. ومن هنا فقد أجبر السلطان تحت ضغط الدول الأوروبية ، وكذلك وزيره مصطفى رشيد باشا ذو التعليم والثقافة الفرنسية ، على اتباع سياسة إصلاحية ترضى الدول الأوروبية^(١).

كانت الثورات التي قام بها رعايا الدولة من غير المسلمين - مثل ثورة علي باشا والي ياننة ، وثورة اليونان - قد أدت لمضاعفات سريعة في العلاقات السياسية الدولية ومهدت الطريق للدول الأوروبية أن تتفق على ضرورة فرض نظام إدارى على الحكومة العثمانية يسمح بضمان الأمن للرعايا المسيحيين وكان في وسع الحكومات الأوروبية أن تفتيد من هذه الحالة لكي تضمن على حساب هؤلاء أو أولئك مزايا أخرى أو حتى لكي تتسبب في انهيار الدولة العثمانية^(٢).

وبذلك تم الاتفاق بين العثمانيين والدول الأوروبية على إعلان التنظيمات الخيرية التي عرفت باسم خط كلخانة" لإعطاء الامتيازات للمسيحيين لإرضاء الدول الأوروبية حتى تقف بجانب الدولة في محاربة القوات المصرية بالشام وهو ما حدث بالفعل .

ونص خط كلخانة على نصوص أفادت المبشرين عموما ، حيث أعلنت المساواة لأول مرة بين كافة الطوائف في الدولة العثمانية ، فلقد نص هذا الخط على إعلان الحريات العامة والممتلكات والأشخاص ، دون النظر للمعتقدات الدينية ، كما نص على أحقية غير المسلمين من أهل الذمة في ترميم كنائسهم ومعابدهم ومقابرهم حسب هيتها الأصلية ، وإجراء الحريات الدينية كاملة ، وحذف كل الألفاظ والتمييزات التي كانت تستخدم في الكتابات الرسمية وتميز صنف على صنف آخر من الناس لاختلاف دينهم^(٣) . وهنا كان الإعلان الرسمي عن بداية تحول قوانين الدولة للنهج العلماني الأوربي. وبذلك بدأت إلغاء الفوارق بين الطوائف في الدولة العثمانية وهو ما يمثل تقدم كبير لصالح المسيحيين في الدولة العثمانية الذين اتجهت أنظارهم تماما

(١) جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٩٠-١٩١ .

(٢) وفاء أحمد الستاوى: فكرة الإصلاح في تذاكر أحمد جودت، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب عين شمس، ١٩٩٥، ص ٥٤ .

(٣) محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٤-٢٥٦ .

نحو أوربا لمزيد من التدخل لتنفيذ الإصلاحات بدلا من تطلعهم للدولة نفسها^(١).

في هذا الخط وقع التناقض ما بين القديم والجديد وعدم القدرة التامة على المزج بينهما فقد نص "يعلم العالم كله بأن التعاليم القرآنية الجليلة وقوانين الإمبراطورية كانت قواعد محترمة في السنوات الأولى وبهذا تزايدت قوة وسطوة الدولة وتمتع جميع رعاياها دون استثناء بأقصى الرفاهة والنعيم"، كذلك الحال كان السلطان عبدالمجيد قد وقع على البيان مكرها وكان هذا المصلح رغم أنه يعتبر التنظيمات دوما ككتازلات وافق عليها خلافا لإرادته، وحالما كانت تتاح له الفرصة، كان يعمل كل ما في وسعه لعرقلة تنفيذها^(٢).

أما المسلمون فبوجه عام لم يرحبوا بهذه التنازلات التي حصل عليها أهل الذمة عموما، ورأوا فيها أنها أجريت تحت ضغط الدول الأوربية المسيحية لصالح المسيحيين في الشرق^(٣).

وفي المجمل فقد أفادت مواد هذا الخط، الإرسالية الأمريكية بشكل كبير ومنحها حرية الحركة والعمل في جو أكثر ملائمة بعد ما نص عليه من امتيازات عديدة، وبذلك كانت التنظيمات هي الإعلان القانوني لعلمانية الدولة العثمانية .

ب- خط شريف هايون ١٨٥٦ :

كما أعلن خط كلخانة تحت ضغوط الدول الأوربية ؛ أعلن خط شريف هايون لطلب مساعدة الدول الأوربية للدولة العثمانية في حربها مع

(1) Shaw, S., E., op cit, pp59-61.

(٢) لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ترجمة عفيفة البستاني - دار التقدم، موسكو، ١٩٧١، ص ١٤٨ و ص ١٥٠.

(٣) جلال نجيب: مرجع سابق، ج ١، ص ١٩٥.

روسيا-حرب القرم- وقبل عقد مؤتمر باريس (٢٥ فبراير ١٨٥٦)^(*) بأسبوع ، وهذا يعني أن الدولة أعلنت الخط الهمايوني تحت الضغط الواقع عليها .

فقبل المؤتمر بفترة قليلة نجح اللورد ستراتفورد "Lord Strat Ford" بعد مجهودات طويلة، في استخلاص الخط الهمايوني للإصلاح بخصوص الرعايا المسيحيين، وتمت الإشارة له في معاهدة باريس كدليل على نوايا السلطان الطيبة^(*)، وفي مثل هذه الحالة، فإن القوى الموقعة على المعاهدة رأت أن السلطان ينوى القيام بالعديد من الخطوات الإصلاحية^(١).

وأقر السلطان عبد المجيد في خط همايون سنة ١٨٥٦م ، المبادئ التي وردت في خط كلخانة سنة ١٨٣٦م ، وأكد على مبدأ المساواة لكافة رعاياه، ويمكن إجمال أهم النقاط التي وردت فيه فيما يلي:

إقرار امتيازات الطوائف غير الإسلامية بعد إعادة النظر في تنظيماتها على أن تتقدم كل طائفة للباب العالي بمقترحات الإصلاح التي تتفق

(*) في مؤتمر باريس عقدت الدولة العثمانية معاهدة بوخارست التي أجبرت فيها على تقديم العديد من التنازلات لحساب روسيا ، فعلى سبيل المثال جرد البحر الأسود من قوة تأثير الدولة العثمانية عليه وأصبح مفتوحا للتجارة البحرية لكل الدول ومنعت الدولة العثمانية من الاحتفاظ بأى ترسانة بحرية على سواحلها .
• Sirvalentine chirol: op. Cit. P306.

(*) فقد جاء في المادة ٩ من المعاهدة أن : "سلطان الدولة العثمانية لعنايته بخير رعاياه جميعا قد تفضل بإصدار منشور غايته إصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم في الأديان والجنس وأخذ في ذمته مقصده الخيري نحو النصرارى القاطنين في بلاده ، وحيث كان من رغبته أن يبدى الآن شهادة جديدة على نيته في ذلك عزم على أن يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه فتلقى الدول المشار إليها هذه المطالعة بتأكيد ما لها من النفع والفائدة ولكن المفهوم منها صريحا أنها لا توجب حقا لهذه الدول في أى حال كان على أن تتعرض كلا أو بعضا لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بإدارة سلطنته الداخلية " . محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٧٨ .

(1) Sirvalentine Chirol: Turkish Empire. forn1288 to 1914. London

مع ما طرأ على الدولة العثمانية من رقى وتقدم السماح لهذه الطوائف بالحرية في ممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها^(١).

أعطاهم الحق في إلحاق أبنائهم بالمدارس الحكومية والعسكرية والمدنية بشرط أن يستوفوا الشروط المطلوبة للقبول بهذه المدارس، هذا بعد أن وجدت الدولة شكلا رسميا في إطار التنظيمات^(٢).

أهم ما نص عليه المرسوم الجديد هو تأكيد حق الدولة في تجنيد المسيحيين للخدمة العسكرية مع تخويلهم الحق في دفع البديل النقدي للإعفاء من أداء الخدمة^(٣).

ولم يعد من الممكن إجبار المسلمين الذين يعتنقون النصرانية على الارتداد عنها،^(٤) وخلافا لخط كلخانة فقد اعتبر خط همايون من قبل الدول كالتزام دولي، وهذا ما ورد في المادة ٩ من معاهدة صلح باريس، ولم يكن باستطاعة السلطان إلغاءه ولا تغييره بدون موافقة الدول. على عكس كلخانة^(٥).

وكان خط همايون أكثر دقة في تحديد التغييرات الواجب إجراؤها، ولم يبد فيه انقسام الشخصية الذي اتضح في خط شريف كلخانة، كما أن

(١) محمد فريد: مرجع سابق، ص ٢٥٦ : ص ٢٥٩ .
- انظر أيضا: هند فتال - رفيق شكرى : تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر، جروس برس، بيروت، ١٩٨٨، ص ١١٩ .

(٢) . محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

(3) Sir valentine chirol . op. Cit. P307.

- عبدالعزيز الشناوى : مرجع سابق ، ج١ ص ٩٦ .
(٤) محمد فريد : مرجع سابق ، ص ٢٥٨ حيث ورد في المرسوم "لا يمنع أي شخص من تبعتها الملكية من إجراء رسوم الدين المتمسك به ولا يؤذى بالنسبة لتمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه" . وانظر أيضا : كارل بروكلمان : الإسلام في القرن التاسع عشر، ترجمة نبيه أمين فارس - منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٠ ص ٤٦ ، - وفاء أحمد البستاوى:

مرجع سابق، ص ١٠٠ .

(٥) لوتسكى: مرجع سابق، ص ١٥٩ .

صيغته كانت أكثر عصرية وأكثر اقتباساً بأية قرآنية أو بقوانين الدولة القديمة وأمجادها، وكان ذلك أمراً مؤثراً من الناحية النفسية^(١).

في الوقت نفسه ينبغي الإشارة إلى أن الفئة من العثمانيين الذين كلنوا وراء هذه الإصلاحات قد تلقوا تعليمهم في أوروبا وتأثروا بالأفكار العلمانية الغربية وأصبحوا أكثر اقتناعاً بها فأندفعوا نحو هذه الأفكار دون مراعاة لأصول الاقتباس مما أوقع الدولة العثمانية في مشاكل كثيرة .

د- أثر التنظيمات :

لعبت التنظيمات العثمانية - وهي الإعلان الرسمي لعلمانية قوانين الدولة - دوراً كبيراً في تشجيع التبشير وذلك بمنح المبشرين حريتهم كاملة في نشر أفكارهم الدينية والترويج لها، وكان قمة الامتيازات التي حصلوا عليها في خط شريف همايون هو عدم تطبيق "حد الردة" وأبطاله، فلم يعد من حق الدولة عقاب من يترك الإسلام ليعتق مذهب مسيحي، وهذا في حد ذاته كفل للمبشرين الأمان اللازم لهم لممارسة أعمالهم. هذا في الوقت الذي لا نستطيع أن نغفل فيه أثر هذه التنظيمات في ازدياد حدة الصراعات بين المسلمين والمسيحيين ، ذلك لأن المسلمين اعتبروا امتيازات النصارى التي حصلوا عليها بموجب التنظيمات انتقاصاً من حقوقهم ، وخروجاً على عهد الذمة . وهو ما لعب دوراً كبيراً في إعطاء الفرصة للدول الأوروبية للتدخل لحماية المسيحيين وبالتالي كفالة الحماية اللازمة للمبشرين وهنا ساعدت فترة التنظيمات التبشير في ضمان الأمان والحرية اللازمان له، وهذه المساعدة وأن كانت بغير قصد إلا أنها أتت نتائجها الكاملة للمبشرين .

فقد ازداد غضب المسلمين^(٢) من المساواة التي أعلنت في التنظيمات مما أدى لحدوث حالات هياج شديد ففي حلب رصد "سكين" قنصل إنجلترا

(١) أحمد عبدالرحيم مصطفى : أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢١٠ .

(٢) أسعد خياط قنصل انكلترة إلى الكونت دي كلارندون عن يافا ١٣ كانون الثاني ١٨٥٨م، فليب وفريد الخازن مرجع سابق، ج١ ص ٢٩٠ .

- يذكر شارل أوبانل عن مذابح دمشق ص ١٩٠ تموز ١٨٦٠ قوله: جاءت جماعة من المسلمين بخمسة كلاب وأطلقت عليهم أسامي الملوك المسيحيين الخمسة موقعي معاهدة باريس ١٨٥٦م" وذلك نقمة عليهم بسبب صدور التنظيمات الخيرية التي اعتقد الناس أنها صدرت بضغط أوربية، فليب وفريد الخازن مرجع سابق ج ٢، ص ٢٠٧ .

العام حدوث هياج بسبب تحريضات غير واحد من أعيان المسلمين الذين يعتقدون أن الحكومة جارت عليهم بانتقاصها من شئونهم الخاصة، وبذلك ثارت العداوة بين المسلمين والمسيحيين وولدت روح العداة والثورة على الحكومة^(١) كما كتب القنصل جمس فين للكونت دي ملسبورى فى ٨ يوليو ١٨٥٨م قائلا "أن أحد سائقى الجمال السذج وهو بدوى يشتغل بنقل الملح من البحر الميت قد أكد فى الأسبوع المنقضى إلى المستر مينتولام" أن البلاد لا تخص سلطان تركيا لأنه منح المسيحيين امتيازات مضادة للشرع وعليه فلا بد لسيوف المؤمنين الصادقين من أن تدنس بدم المسيحيين^(٢) ويبدو لنا من خطابات القناصل فى المدن الشامية المختلفة والتي كانوا يرسلونها للقناصل العامة أن التنظيمات لم تكن مرعية الجانب دائما من جانب الحكومات المحلية- حسب درجة اقتناع القانمين عليها بها - وأن الحكومة العثمانية نفسها كانت تغض الطرف عن العديد من الشكاوى التي تصل إليها عن مخالفة التنظيمات بل ربما كانت تقوم من طرق خفى بالعمل على تخويف الأجانب والمبشرين من الاستمرار فى الشام، ففى رسالة لأحد القناصل أنه ذهب للناصره والتقى بقاضى يسمى الشيخ أمين ووجد رجل يدعى "إلياس الصفورى" وهو بروتستانتى ويفتح بيته للاجتماعات الليلية التي تتلى فيها الكتب المقدسة ويحضرها رجل مسلم من القرية فأنبه القاضى وهدده فتدخل القنصل قائلا "أن جلالة السلطان كتب فرمانا - يقصد التنظيمات - يولى كل فرد من تبعته أن يدين بما أراد بحيث يحق لكل من شاء تغيير مذهبه عن اعتقاد أن يفعل وإنما يحظر إجباره على جحد دينه" وكانت إجابة القاضى أن السلطان يأكل بطيخا أصفر" وهى عبارة عن أن السلطان يتكلم عن عجز أو عدم فطنة^(٣) وبذلك نجد كيف أن المبشرين بدأوا فى استغلال التنظيمات فى أعمالهم التبشيرية.

(١) رسالة من سكين قنصل إنجلترا العام فى حلب إلى اليسون ٣١ تموز ١٨٥٨م،

فليب وفريد الخازن - مجموعة المحررات السياسية ج١، ص ٣٢٥ .

(٢) رسالة من القنصل جمس فين للكونت دي ملسبورى ٨ تموز ١٨٥٨، فليب

وفريد الخازن: مصدر سابق، ج١، ص ٣٢٢ .

(٣) رسالة من الفيس قنصل رو جرس إلى القنصل فين عن حيفا ١٨ حزيران

١٨٥٨م، نقلا عن فيب وفريد الخازن: مرجع سابق، ج١ ص ٣١٨ .

وفى خطاب للفنصل "مور" فى ٣ سبتمبر ١٨٥٩م يشكوا من أن بعض الوطنيين الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي فى قضاء المتاولة^(١) يتعرضون للصعاب والتعذيب والمبشرين الأميركيين المقيمين فى صيدا يشكون أيضا، وصدرت الأوامر لخورشيد باشا حاكم الأيالة بأن يرفع هذه المظالم ولكنه لم يفعل واستمرت نفس الصعاب برغم صدور التوصيات من الأستانة لحاكم الأيالة^(١).

وبذلك نجد أن التنظيمات لعبت دورا قويا فى توفير الجو المناسب لقيام الإرسالية الأمريكية التبشيرية بأعمالها، ولكن من وجهة أخرى يكشف العرض السابق أن الدولة العثمانية التى أعلنت هذه التنظيمات لإرضاء دول أوروبا ولطلب مساعدتها سواء ضد محمد على فى الشام أو روسيا فى حرب القرم لم تكن مقتنعة بهذه التنظيمات فكانت تضع العراقيل أمام تنفيذها عن طريق إيعازها للموظفين بذلك .

ارتبط بالتنظيمات الخيرية ما قدمته الدولة العثمانية من الامتيازات للدول الأجنبية ترصيه نها، واستفادت الإرساليات التصيرية من هذه الامتيازات، وبحق فلم تكن الدولة تبغى مساعدة التبشير ولكن استفيد من امتيازاتها فى ذلك من أهم هذه الامتيازات منح الأجانب المقيمين فى الدولة العثمانية حق الملكية، فقد نص مرسوم التنظيمات ١٨٥٦م بالسماح للأجانب بالتملك فى الدولة العثمانية" وبما أن القوانين الكائنة بحق قضايا بيع الأملاك والتصرف فى العقارات متساوية بحق تبعى الملوكانية كافة فبعد أن تعمل الصور التنظيمية فيما بين سلطنتى السنية والدول الأجنبية تعطى المساعدة للأجانب أن يتصرفوا فى الأملاك أيضا بحسب اتباع قوانين دولة العلية

(*) وقد لقي سعى المبشرين فى الشام نجاحا حيث أن كثير من المذاهب فى الشام كانت تمهى لهذا باستثناء أهل السنة .

(١) خطاب من مور الفنصل العام إلى السير بولفر ١٣ أيلول ١٨٥٩م فليب وفريد الحازن، ج١ ص ٣٧٨ .

- تنصر رجل مسلم دمشقى على المذهب البروتستانتي، ولم يستطع حاكم سوريا فعل شئ لأن التنظيمات تنص على حرية العقيدة، نفس الأمر حدث مع امرأة أخرى فى شمال بيروت .

- Mission ary Herald, Augut, 1870. KeBes Shima moslems religionus Liberty . Pp244.Z 46.

وامتثال نظمات الضابطة البلدية وإعطائهم أصل التكاليف التي يعطيها الأهالي الوطنيون"^(١).

وفي عام ١٨٦٩م أصدر السلطان فرماناً بأحقية تملك الأجانب في جميع أنحاء الدولة باستثناء الحجاز ، وصدر معه أيضاً امتياز جديد استفادت منه الإرسالية الأمريكية وهو ينص على عدم أحقية الإدارة المحلية ولا مأموري الضابطة أن يدخلوا المنازل التي يمتلكها الأجانب وكذلك حدائقها المتصلة بها إلا بحضور القنصل أو حضور معتمد من جهته^(٢) وهكذا أصبح الأجانب لهم حق التملك والإعفاء الضريبي وعدم الخضوع لقضاء الدولة كل ذلك نتيجة للامتيازات الأجنبية التي تعلي من شأن الأجنبي في مواجهة الرعية العثمانية، وصبت كل هذه الامتيازات في كنف الإرساليات التبشيرية وفي مقدمتها الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام.

وفي تقرير لمجلس الإرساليات الأجنبية التابع للكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة ١٩٠٦ يذكر أنه أصبح هناك ملكية خاصة للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام تدفع من أجلها ضرائب كلية أو جزئية وهي التقييم الكلي لولاية بيروت

التقييم الكلي لولاية بيروت	١٥٨,٠٥٠	دولار
التقييم الكلي لمتصرفية لبنان	١٠٥,٧٠٣	دولار
التقييم الكلي سوريا	١٥,٧٠٠	دولار
الإجمالي	٢٧٩,٤٥٣	دولار ^(٣) .

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا تركيز الملكية في بيروت أكثر من بقية البلدان الشامية وفي المرحلة الثانية لبنان حيث تركز النشاط التبشيري البروتستانتي في جبل الدروز ويأتي في المرحلة الأخيرة سورية.

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، نقلاً عن الوثائق التركية، ص ٢٨ .

(٢) الجنان: الجزء الثالث عشر، بيروت تموز، ١٨٧٢، ص ٤٤٨ .

(٣) The Board of foreign missions of the presbyterian church in U.S.A. op. Cit, p.13.

ملكية الإرسالية في ولاية بيروت كمثل

السنق	قضاء	المكان	نوع الملكية	القيمة	مملوكة منذ
	بيروت	بيروت	مدرسة عليا للبنات، كنيسة، مطبعة صالة للأعضاء، مستوصف، ٩ محلات مدرسة لاهوتية عليا	٧٢٣٠٠ دولار	ت ١٨٦٦
			مسكن أرض	١٦٠٠٠ دولار	ت ١٩٠٤
		الجديدة	كنيسة - منزل قس مدرسة	١٠٠٠ دولار	١٨٧٣
	الجديدة مرجع عيون	الجديدة	مدرسة عليا للبنات، مسكن	٢٣٠٠ دولار	ت ١٨٨٣
		دير مماس	كنيسة ومدرسة	١٤٠٠ دولار	١٨٦٤
		اييل السفر	كنيسة ومدرسة	١٤٠٠ دولار	١٨٦٦
		الخيام	كنيسة ومدرسة	١٣٠٠ دولار	١٨٦٤
		الخربة	مدرسة	١٠٠ دولار	ت ١٨٦٤
	صيدا	صيدا	مدرسة بنات	١٢٠٠ دولار	ت ١٨٧٥
		صيدا	كنيسة وستوديو	٢٥٠٠٠ دولار	١٨٦٤
		صيدا	مدرسة بنين	٢٥٠٠ دولار	ت ١٨٨٢
	صور	علما	كنيسة وستوديو	٨٠٠ دولار	١٨٥٨
		قانا	كنيسة وستوديو	٣٥٠ دولار	١٨٦٤
	طرابلس	طرابلس	مدرسة بنات وكنيسة	٢٥٠٠ دولار	١٨٧٦
		المينا	مستوصف	٢٥٠ دولار	١٨٧٦
		المينا	مستشفى	٣٠٠٠ دولار	ت ١٨٨٣
	الحصن	عماد	كنيسة ومنزل قس	٨٣٠ دولار	ت ١٨٨٣
		الخربة	مدرسة	١٥٠ دولار	ت ١٩٠١
	عكار	بيتو	كنيسة صغيرة ومنزل قس كنيسة صغيرة	١٣٠٠ دولار	ت ١٨٨٣
	صافيتا	المينارة	كنيسة صغيرة	٨٠٠ دولار	ت ١٨٨٨٣
		الشيخ محمد	كنيسة ومنزل قس	٤٤٥ دولار	١٨٨٠
		برج صافيتا	كنيسة ومنزل قس	١٤٥٠ دولار	١٨٨٠ (١)

يتضح لنا من الجدول السابق عدة حقائق أهمها:

- ١- استفادت الإرسالية الأمريكية من صدور قوانين السماح بتملك الأجانب في الديار العثمانية استفادة بالغة .
- ٢- أن نشاط الإرسالية انتشر في كافة البلاد الشامية حتى الصغيرة منها وغير المشهورة - كما يتضح من الجدول السابق أسماء هذه البلدان .
- ٣- انتشرت الكنائس البروتستانتية- وملكيته للإرسالية الأمريكية بصورة كبيرة مما يعنى النجاح فى الأعمال التبشيرية .

٣- موقف الدولة العثمانية من التعليم الأمريكى:

لم تكن الدولة العثمانية قبل القرن التاسع عشر تشرف على أمور التعليم داخل البلاد التابعة لها ، ولا حتى داخل الأستانة نفسها ، وتركت الإشراف والإنفاق عليه للأوقاف التى يرصدها أهل الخير والمحسنون . وكان التعليم فى غالبية تعليمًا دينيًا ، ولكن فى القرن التاسع عشر اختلفت الأمور فقد بدأت التأثيرات الأوروبية فى الظهور، ولم يكن للدولة أن تستمر على نهجها القديم فى ترك أمور التعليم للأوقاف فتدخلت وأخذت على عاتقها الإشراف عليه منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١) .

وكانت الدولة العثمانية تمنح كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين - امتيازات خاصة فى كل ما يمت للشئون الدينية، ومنها شئون التعليم، وكانت هذه الامتيازات الخاصة تشتمل "لغة التعليم" فكان يحق لكل جماعة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينهم، ولم يتمتع المسلمون بشئ من التنظيمات والامتيازات التى كان يتمتع بها إخوانهم المسيحيون فى أمور المدارس والتعليم (٢) .

-
- (١) راجع شربل داغر (دكتور): التعليم العصرى موحدا فى الافتراق الملى، منشور ضمن كتاب العلم والمعرفة، مرجع سابق، ص ١٧٧ .
 - (٢) ناصر الدين الأسد (دكتور): الاتجاهات الأدبية الحديثة فى فلسطين والأردن، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٥ .
 - إسماعيل حقى: مرجع سابق، ج ٢ ص ٥٩٤ .
 - أحمد عبدالرحيم مصطفى (دكتور): مرجع سابق، ص ٢١٧ .
 - أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص ٣٣٥ .

وفى عام ١٨٦٩م ظهر القانون الذى عرف بنظام إدارة المعارف وكان الهدف من وضعه أقامه العديد من العراقيين أمام إنشاء المدارس التبشيرية ولا سيما الأمريكية، ووضع هذا القانون عدد من الشروط لا بد من توافرها قبل إنشاء أى مدرسة وهذه الشروط هي:

١- يجب الحصول على رخصة رسمية من إدارة المعارف والوالى قبل فتح المدرسة الخاصة.

٢- يجب عرض جداول الدروس وكتب التعليم على إدارة المعارف كى لا تدرس فى هذه المدارس دروس مغايرة للأداب والسياسة.

وبمقتضى هذا القانون راقبت الحكومة مناهج الدراسة فى المدارس التبشيرية^(١) ولقد أدى هذا القانون لاستياء الإرساليات الأنجلو سكسونية بشدة، واحتج المرسلون الأمريكيون على ما أسموه العداء العثماني (التتوير) التى تؤدى من وجهة نظرهم لفتح مدارس الدولة كدفاع عن النفس واعتبروا الدولة بمثابة العدو الميت "its deadly foe"^(٢).

وبالرغم من ضيق الإرسالية الأمريكية من هذا القانون إلا أنها احترمتها وكانت ترسل قائمة بالدراسات ونسخ من كل الكتب التى تدرس فى مدارسها فى الشام عموماً لإدارة المعارف، حتى تحصل على رخصة الاستمرار^(٣).

وعندما صدر الدستور العثماني سنة ١٨٧٦م أقر فى المادة ١٢٩ على أنه لا بد قبل تأسيس المدارس الخاصة من الحصول على رخصة من إدارة معارف الولاية وتصديقاً منها على جداول الدروس وكتب التعليم بها "كيلا تطالع فى هذه الكتب دروس مغايرة للأداب ولا للسياسة وإذا كانت توجد أوراق شهادات فى أيادى المعلمين الذين تعينهم فاتحو هذه المكاتب فيلزمهم أن صادقوا عليها من إدارة المعارف"^(٤).

واحتمت المدارس الأمريكية بالامتيازات الأجنبية حتى ضد القانون العثماني الصادر ١٨٦٩، ولكن تحت ضغط المسلمين بدأت الدولة العثمانية

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ١٧٧.

(2) A.l. tibawi – op. Cit. P 258.

(٣) الدستور: مصدر سابق، ص ١٧٤.

(٤) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ١٧٦ - الأمريكية.

وهي دولة الإسلام الكبرى في الوقوف في وجه المبشرين وترسل لموظفيها بعدم إعطاء التسهيلات للمبشرين والوقوف في وجوههم، وفي الحقيقة فقد كانت الدولة مضطرة إلى التنظيمات وما منحت من حقوق لغير المسلمين .

فمن دلائل ذلك أن الدولة أخذت منذ عام ١٨٨٣ ترسل أوامرها لمتصرف القدس تحذره من السماح بتشييد الأبنية المخصصة للعبادة أو التعليم أو الأعمال الخيرية دون تصريح مسبق من الباب العالي، ولكن الإرسالية الأمريكية - وغيرها من الإرساليات - كانت تلجأ لسياسة فرض الأمر الواقع أمام الدولة، وكل ما كانت الحكومة تستطيع فعله هو حرمانها من التمتع بالإعفاءات الجمركية - لبعض الأدوات المستخدمة في المدارس - التي نالتها المدارس التي حصلت على فرمان تأسيسها^(١) كذلك يبدو أن حكومة بيروت وهي المركز الرئيسي للمبشرين الأمريكيين في الشام أخذت تضايقهم فيعترف تقرير للإرسالية أنه على الرغم من كل الالتماسات والشهادات وقوائم الكتب، والنسخ النموذجية منها التي جددت مرتين فإن حكومة بيروت لم تصدر أي تصاريح^(٢).

وفي عام ١٨٨٨م أغلقت الدولة العثمانية مدارس المبشرين الأمريكيين لأنها فتحت أبوابها دون الحصول على رخصة من الحكومة، ولكن فنصل أمريكا في بيروت ووزير الولايات المتحدة المفوض في الأستانة تدخل في الأمر حتى سمح الوالي "على رضا باشا" بأن تعود تلك المدارس لفتح أبوابها على إلا تقبل إلا التلاميذ المسيحيين، ولكن الوزير والقنصل ما زال يسعيان حتى حملا الوالي على إلغاء هذا الشرط^(٣) كما أغلقت الدولة العديد من المدارس الأمريكية في "مينارة" و"الحاكورة" و"بينون" و"جبرائيل" و"تل عباس" وذلك لأن هذه المدارس أسست بدون إذن الحكومة^(٤).

وانطلقت الآراء التي تطالب الدولة العثمانية بزيادة الاهتمام بالتعليم في بلاد الشام على أساس أن كثرة المدارس الأجنبية فيها، وأن الدولة لن

(١) عبدالعزيز عوض: مرجع سابق، ص ١٧٦ - الأمريكية.

(2) Missionary Herald. feb. 1890. Missional the church Missionary soutu Vol -63-1890. Pp. 68-71.

(٣) مصطفى الخالدي - عمر فروخ: مرجع سابق، ص ١٢٢ .

(٤) رفيق التميمي - محمد بحت : ولاية بيروت - القسم الشمالي - طرابلس الشام واللاذقية، مطبعة الولاية، بيروت، ١٩٣٣، ص ٢٦٧ .

تستطيع بمفردها مزاحمة هذه المدارس ولكنها تستطيع أن ترصد بعض المساعدات للمدارس الأهلية لمساعدتها على الإكثار من عدد طلابها^(١).

كما عملت السلطات العثمانية على افتتاح المدارس الحكومية للوقوف في وجه المدارس الأمريكية من ذلك افتتاح مدرسة صناعي ليلي للأنات^(٢) في مواجهة المكتب التي افتتحه الأمريكيون لتعليم الفتيات في صيدا.

عملت الدولة العثمانية على زيادة الاهتمام بالتعليم في بلاد الشام لمواجهة الخطر التبشيري واهتمت بالتعليم العالي لمواجهة هذا النشاط التعليمي، ففي سنة ١٩٠٣م أصدرت الحكومة العثمانية أمرا بإنشاء معهد الطب في دمشق وكان أساتذته في غالبيتهم أتراكا وكانت لغية التدريس التركية أما الطلاب فكانوا من بلاد الشام ومن بلاد الأناضول^(٣).

كما سمحت الدولة العثمانية للنساء في ممالكها بأن يشتغلن في صناعة الطب وذلك لأن الأمريكيين قد فتحوا مدارس الطب للنساء فعملت الدولة على مواجهة هذا النشاط بنشاط متشابه^(٤) كما افتتحت المدرسة السلطانية في بيروت لتعليم اللغات العربية والتركية والفرنسية والحساب والهندسة والجغرافيا والقانون وعلوم التشريعة^(٥) والدولة في إنشائها لهذه المدارس سواء المدارس الابتدائية أو العليا مدفوعة بروح عقيدية في مقاومة هذا النشاط التعليمي لم تكن تمتلك القدرة على الاستمرار في هذا التقدم

(١) الإصلاح: ١١ تشرين الثاني ١٩١٣، العدد ١٠٤٧، بيروت، ص ١.

(٢) ثمرات الفنون: ١٥ محرم ١٣١٨، العدد ١٢٨١، بيروت، ص ٥.

(٣) نقولا زيادة (دكتور) مرجع سابق، ص ٢٤٦.

- الطيب - الجزء الحادى عشر/ السنة الأولى، بيروت ١٥٠ إلى ١٨٨٤، ص ٢١٦.

- ثمرات الفنون الاثني ١٢١٢ شوال ١٣١٧ - العدد ١٢٦٨، ص ٦.

- ثمرات الفنون الجزء الحادى عشر الاثني ٢٠ رمضان ١٣١٧ العدد ١٢٥٦، ص ٤.

(٤) راجع: محمد بشير الكاتب: المدرسة الطبية في دمشق وأثرها في ابتداء التعليم

الطبي في سوريا، منشور ضمن كتاب العلم والمعرفة في العالم العثماني، مرجع

سابق، ص ١٤٧: ص ١٥٠، انظر أيضا: أنيس الجليس، الجزء التاسع، السنة

الأولى، ٣٠ سبتمبر ١٨٩٨، القاهرة ص ٢٩١.

(٥) ثمرات الفنون، الاثني، ١٥ ذى الحجة ١٣٠٣، ص ٣.

لأسباب عديدة . أضف لذلك الأزمة المالية الحالكة التي كانت تمر بها الدولة.

وارتبط إنشاء هذه المدارس بالموظفين العثمانيين في ولايات الشام، فبدأ بعض الولاة في تشجيع التعليم الحكومي للوقوف في وجه التعليم الأمريكي فنجد متصرف اللاذقية يطلب تمثيل رواية "حمدان" لينفق من إيراداتها على لوازم المدرسة التي أقيمت في اللاذقية^(١) كذلك مدحت باشا عندما وصل دمشق سنة ١٨٦٨م عمل على رفع شأن التعليم والإصلاح في نظمه بعد ما رأى أنه ليس للحكومة سوى بعض مدارس ابتدائية ضعيفة^(٢) وبالرغم من هذه الجهود إلا أنها لم تكن لتستمر لأنها مرتبطة بشخصيات الولاة والمتصرفين وإيمانهم بالتعليم وقيمته فقد قدمت العديد من الشكاوى مما وصلت إليه أحوال التعليم الحكومي من ذلك الشكاوى التي قدمت لمدير المعارف في ولاية سورية في عام ١٩٠٠م ، بسبب خراب مكتب الإناث الكائن في صالحية دمشق المتعطل لعدة أشهر بسبب ما حدث في سقفة، وعدم توفر مال لإيجار مبنى آخر أو لإصلاح المبنى القديم^(٣) وفي اللاذقية تخربت المدارس الحكومية التي أنشئت لمواجهة خطر الإرسالية الأمريكية في وسط النصيريين حتى وصفت بـ "أما الآن فترى تلك المعاهد التي نشأت عن اندفاع ملي جدير بالإجلال والإكرام مهملة تداعي أكثرها واندثر"^(٤) وعندما قام مفتش عام معارف ولاية بيروت بالتفتيش على المدارس وجد أن أكثرها متهاك وغير قادر على تربية النشئ تربية تغنيهم عن مدارس الأجانب^(٥) وفي عهد الاتحاد والترقي سنة ١٩٠٩ كانت الخلافات السياسية والانتماءات الحزبية تؤثر على العلاقة ما بين رجال الإدارة وهو ما يترك أثره بالتالي على كيفية أحوال المدارس في الشام من ذلك ما حدث من خلاف بين وال بيروت الذي قطع العلاقة الرسمية مع مدير إدارة المعارف الذي ينتمي للحزب الاتحادي، في حين أن إدارة المعارف بولاية بيروت كانت تشرف على عدد من المدارس لا يوجد ما يضاهيه في أي مكان آخر بالدولة

(١) الإصلاح: ٣ حزيرات ١٩١٣، العدد ١٤٠٧، ص ٣ .

(٢) عدنان الخطيب: مرجع سابق، ص ١٠٥ .

(٣) ثمرات الفنون: الاثني ١ شعبان ١٣١٤هـ، العدد ١١١٠، ص ٣ .

(٤) رفيق التميم - محمد هجعت: ولاية بيروت. القسم الشمالي، مرجع سابق ص

٢٦٣ .

(٥) الأقبال: الاثني، ٢٥ إيار ١٩١٤، العدد ٥٤٨، ص ٦، بيروت .

العثمانية، وهذا الخلاف "يترتب عنه محاذير كثيرة لكثرة المدارس الأجنبية"^(١).

٤ - الاعتراف بالكنيسة الإنجيلية:

حتى بداية النشاط التبشيري الأمريكي البروتستانتي في بلاد الشام ١٨١٩م، لم يكن فيها طائفة بروتستانتية، ولكن نتيجة لظهور نتائج لهذا النشاط بدأت تتكون جالية بروتستانتية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعملت هذه الجالية على نيل الاعتراف الرسمي بها كطائفة دينية، وبذلت الدول البروتستانتية وعلى رأسها بريطانيا وأمريكا وألمانيا دور كبير في نيل هذا الاعتراف من جانب السلطات العثمانية .

وفي عهد السلطان "عبدالمجيد الأول" ، وبموجب التنظيمات ، بدأ منح الحقوق للمذاهب الدينية المسيحية، فقد أرسل الباب العالي رسالة وزارية للسفارة البريطانية في ١٥ نوفمبر ١٨٤٧م يعترف بالبروتستانت كطائفة مستقلة في الدولة العثمانية^(٢) ونتيجة لمساعي أخرى نالت هذه الطائفة نفس الامتيازات التي كان معترفاً بها للطوائف المسيحية من الدولة العثمانية، بواسطة فرمان سلطاني بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٨٥٠م ١٤ محرم ١٢٦٧هـ - وقد اعترف هذا فرمان بحق هذه الطائفة في انتخاب وكيل لها يكون له سلطة النظر في دعاوى أحوالهم الشخصية (زواج - طلاق - ميراث، وصاية)^(٣) وكان اسطفان آغا أول وكيل للطائفة البروتستانتية في الأساتنة، كان مكتبة معروفاً لدى الباب العالي، كما كان له مركزه الأدبي الرفيع^(٤).

وفي ١١ مارس ١٨٧٨ نشر الباب العالي لائحة لتنظيم هذه الطائفة على مثال الطوائف الأخرى، ولكن البروتستانت رفضوا هذه اللائحة وأعدوا

-
- (١) أبابيل: يوم الاثنين ٢٤ ذي القعدة، ١٢٣٠هـ، بيروت العدد ١٨٧ .
 (٢) نوفل نعمة الله نوفل: كشف اللثام عن محيا الحكومة والأحكام في إقليم مصر وبر الشام، تحقيق ميشال أبي فاضل، جان نخول، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠، ص ٣٥١ .
 (٣) أر نست سمعان : (دكتور): الطوائف المسيحية في مصر، مجلة صديق الكاهن، القاهرة، أكتوبر، ١٩٧٩، ص ١٧٢ .
 (٤) أديب نجيب سلامة: مرجع سابق، ص ١١٣ .

لائحة أخرى تقابلها في ١٩ أبريل ١٨٨٠م وقد رفضت الحكومة العثمانية بدورها هذه اللائحة^(١).

وبعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، وسيطرة الاتحاد والترقي على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية ساروا شوطا كبير في إرضاء الطوائف فمُنحت لها عدة امتيازات كانت في معظمها موجودة من قبل ، وإن كان الاتحاديون قد أضافوا إليها بعض الامتيازات ومنها :

- يحق لكل جماعة انتخاب رئيسها من بينها ماعدا كنيستي اللاتين وبعد الانتخاب يعطى براءة، والرؤساء الثانوية تعين من قبل الرئيس الأول .
- أن لهؤلاء الرؤساء الروحانيين ألقاب تكريم وأثار تعظيم خاصة بهم، وقد يقبل نظاما (لا عرفا) الرؤساء الحائزين براءات عالية ووكلاءهم الرسمية أعضاء لمجالس الإدارة ومن الأصول قبول الرؤساء بعد الانتخاب لحضور السلطان المعظم .
- كل طائفة حرة بإجراء مراسم دينها كما تشاء .
- للطوائف حق إدارة الكنائس والديور والمقابر والمستشفيات والمارستات ودور الأيتام الموجودة بدون مداخلة .
- يحق لهم تأسيس المدارس وفقا لمنهاج نظارة المعارف. والرخصة تكون باسم الرئيس ويسوغ لهم التدريس بلسانهم .
- إذا لزم تحليف الراهب أو الحاخام. بحضور المحاكم فيحرم تذكرة لرئيسه الروحي وهو يحلفه وتكتفى المحكمة بذلك، وإذا اقتضى توقيفهم بناء على مظنونية فقط فيقرر لهم محل خاص مثل سائر الممتازين .
- إذا أراد غير المسلم الاهتداء بالدين الحنيف فلا يقبل إسلامه حالا، بل يبعث به إلى أبويه وأقربائه ثم إلى الرؤساء الروحانيين وهؤلاء ينصحون له، فإن أصر يؤت به إلى مجلس الإدارة ويلقن كلمة الشهادة^(٢).

وبذلك نالت الكنيسة الإنجيلية الاعتراف الرسمي من الدولة العثمانية كما نالت الامتيازات التي كانت تتمتع بها الطوائف الأخرى، ومن الملفت للنظر أن الاتحاد والترقي كانوا يمنحون الطوائف المسيحية الامتيازات كسبا لود الدول الأوروبية، ولعل خير دليل على ذلك أنه غير مسموح لغير المسلم

(١) أر نست سمعان: مرجع سابق ص ١٧٢ .

(٢) حسني عبدالهادي: أصول الإدارة المذهبية في الدولة العثمانية، السراس، الجزء

الثامن، المجلد الثاني، ٢٠ تشرين ١٩١٠، ص ٣٢١ : ص ٣٢٣ .

بالدخول في الإسلام مرة واحدة بل لا بد من عودته لأبويه ثم لرؤساء
الروحانيين، وكلنا يعلم مدى ما في هذا الشرط من الإجحاف بل ومخالفة
الشريعة الإسلامية^(١).

(١) وفي هذا يقول ابن القيم أن إسلام الطفل يصح إذا عقل الإسلام وهذا هو ما
اتفق عليه أبو حنيفة ومالك وأحمد وأصحابهم، أما الشافعي فقال لا يصح
إسلامه ولأصحابه وجهان آخران: أحدهما أنه يوقف إسلامه فإن بلغ واستمر
على حكم الإسلام كان مسلماً. والوجه الثاني أنه يصح إسلامه ولكن لو
ارتد لا يقتل حتى يبلغ، فإن رجع إلى الإسلام وإلا قتل. ويؤكد الشافعي
على ضرورة أن يحال بينه وبين أهله الكفار لئلا يفتنوه فإن بلغ ووصف الكفر
هدد وضوب بالإسلام، فإن أصر رد إليهم. ابن القيم الجوزية: أحكام أهل
الذمة، تحقيق صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٦١،
ج ٢، ص ٤٩٣، ٤٩٧.

ثانياً - موقف الإدارة المصرية من
التبشير الأمريكى فى الشام

أ - الموقف من أهل الذمة .

ب - الموقف من المرتدين .

بالرغم من قصر عمر الوجود المصرى فى بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤٠)؛ إلا أنه لعب دورا كبيرا فى تاريخها، فمنذ استيلاء القوات المصرية على الشام عملت الإدارة الجديدة على بسط الأمن بين ربوعه ومحاولة بسط إدارة جديدة ومنظمة^(١).

فقد شجعت إدارة محمد على الإرسالية التبشيرية الأمريكية على بداية نشاطها الفعلى ونقل مطبعتها من مالطة لبيروت، وهو ما دفع أيضا الإرساليات الكاثوليكية الأخرى مثل الإرسالية اليسوعية على زيادة أنشطتهم كجزء من المنافسة مع الإرسالية الأمريكية وأيضاً استغلالاً للسماح والحرية الدينية ثم الدبلوماسية التى حصل عليها الجميع من حكم محمد على.

جدير بالذكر أن إدارة محمد على عملت على كسب ود ورضا الدول الأجنبية المسيحية فى محاولة لطلب مساندتها ضد الدولة العثمانية فى نزاعه معها. فقد كان المستفيد الأول من هذا الصراع هو الدول الأوروبية التى عملت على كسب الامتيازات لرعاياها بمن فيهم من المبشرين وكذلك نيل الحقوق للمسيحيين الوطنيين من رعايا الدولة - وهو فى النهاية ما ضخم من نفوذ القناصل الأجانب وفى مقدمتهم القنصل الأمريكى فى الشام^(٢).

• أما عن موقف الإدارة المصرية من التبشير فيمكننا فهمه من خلال نقطتين هما :

١-الموقف من أهل الذمة.

٢-الموقف من المرتدين.

١- موقف الإدارة المصرية من أهل الذمة فى بلاد الشام:
ارتبط تاريخ الشام فى العصر الحديث بالطائفية الدينية التى سيطرت على مقدرات الأمور فى هذه البلاد، واختلف موقف هذه الطوائف من الدولة

(١) لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام (١٨٣١-١٨٤٠) ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٠ ، ص ٦٥-٧٠ .

(٢) نفسه ، ص ٢٦٥-٢٦٧ .

العثمانية من طائفة لأخرى تبعا لاتجاهها العقائدى والفكرى فى الوقت ذاته تعاملت معهم الدولة العثمانية انطلاقا من شروط الذمة^(١٠).

ومنذ القرن التاسع عشر ونتيجة للتدخل الأوروبى الذى حرّض الطوائف على الانفصال عن الدولة العثمانية لم تشعر الأكثرية من نصارى الشام بأى ولاء تجاه الحكد العثمانى، وكانوا دائما ما يرنون بأبصارهم للغرب حيث الدول الأوربية ومحاولة الارتباط بها، وبعد دخول إبراهيم باشا الشام أعلن المساواة- حسب المفهوم الذى جاءت به الثورة الفرنسية وهو مفهوم علمانى- بين الطوائف المختلفة بغض النظر عن المذاهب الدينية فوجد فيه النصارى واليهود فرصة تتيح لهم التخلص من الحكم العثمانى، ومما شجعهم على ذلك ما لمسوه من تصرفات الإدارة المصرية التى من شأنها تزايد الامتيازات الممنوحة للنصارى وفى المقابل كسر شوكة المسلمين من أهالى الشام^(١١).

ومنذ البداية عمل الحكم المصرى على تقريب النصارى إليه وخصوصا المورانة وذلك لموازنة النفوذ مع الدروز الذين وقفوا موقف العداء من حكم محمد على منذ البداية، ورفعوا راية العصيان ضده، فى حين

(*) شروط أهل الذمة هى التى ضمنّت لغير المسلمين حماية الدولة العثمانية لهم ، ويلزم للإمام - وهو هنا السلطان العثمانى أو نائبه - أحد أهل الذمة بحكم الإسلام فى ضمان النفس والمال والعرض وإقامة الحدود عليهم فيما يعتقدون تحريمه كالزنا ، وما يعتقدون حله كالخمر ، لأن عقد الذمة لا يصح إلا بالتزام أحكام الإسلام ، ولكن يلزمهم التمييز عن المسلمين فى المقابر ، فتقاعد مقابرهم عن مقابر المسلمين ، وشد الزنار ولا يركبون الخيل ولا يتصدرون المجالس ، ويمنعون من إحداث كنائس وبيع ، كما يمنعون من بناء ما تهدم منها ، ويمنعون من إظهار أحمر والخنزير ويمنعون من إظهار الأكل والشرب فى نهار رمضان .لمزيد من التفاصيل انظر : ابن قيم الحوزية :مرجع سابق ، صفحات مختلفة . وانظر أيضا عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمى : حاشية الأروض المربع بشرح زاد المستنقع ، الرياض ، ١٤١٦ هـ ، ط ٦ ، ص ٣٠٢-٣١٧ . وانظر أيضا : أبو أحسن على بن محمد بن حبيب البصرى: الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩، ص ١٢٨. وأيضاً: أبو يعلى محمد بن الحسين: الأحكام السلطانية، القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٣٨ .

(١) أحمد فهد بركات الشراكة : حركة اخامة الإسلامية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٠٩ . رسالة ماجستير . كلية السات، جامعة عين شمس، ١٩٨٢، ص ١٠١ . وانظر أيضا : نقولا زباددة: مرجع سابق، ص ٢١٦ .

أنه في يونيو ١٨٣٢م أعلن البطريرك يوسف حبيش^(٩) أمر المورانة بالانضمام للحكم المصري، وطلب منهم حمل السلاح والتوجه لمساعدة إبراهيم باشا^(١٠)، وكان دافع المورانة لذلك هو علاقة الطرفين بفرنسا ورغبة في الحصول على مكاسب جديدة.

ولقد زعزع حكم محمد علي لبلاد الشام من عهد الذمة مع الطوائف غير المسلمة، وسمح لهم بمخالفة كل الشروط التي أخذت عليهم منذ عهد عمر بن الخطاب، فسمح لهم بركوب الخيل ولبس العمامة وبناء الكنائس وتولية الوظائف الإدارية^(١١)، وهنا كانت بداية التحول من النهج الديني للدولة العثمانية إلى النهج العلماني في الحكم تحت إدارة محمد علي.

فقد كتب إبراهيم باشا في أوائل فترة حكمه للشام إلى متسلم اللاذقية يقول "والتعرض إلى الرعايا وعدم مؤسساتهم هذا مخالف لرضانا لأن الإسلام والنصارى جميعهم رعايانا وأمر المذهب ماله مدخل بحكم السياسة فيلزم أن يكون كل حاله المؤمن يجرى إسلامه والعيسوي كذلك ولا أحد يتسلط على أحد^(١٢)، وبذلك ظهرت لأول مرة في بلاد الشام على أيدي إدارة محمد علي، التي عملت على إلغاء الفوراق القائمة على أساس الدين.

كما أصدر إبراهيم باشا منذ بداية دخوله الشام أمرا بإلغاء كافة العوائد والمرتببات التي كانت تفرض على الأديرة والمعابد، وكان يوزع جزء

(*) نفس هذا البطريرك هو الذي أعلن الحرمان ضد من لا يشارك في الثورة ضد الحكم المصري في عام ١٨٣٩م "فكل من تجاسر وخالف أمرنا هذا فليكن محروما من بيعه الله ويحل عليه الغضب والنقمة الإلهية كائنا من كان فنسأل مراحمته تعالى أن يعطيكم يد العناية يبلوغ مقاصدكم" عبدالعزيز نوار: مرجع سابق، ص ٣٢٤.

- (١) عن وثائق بكركي، نقلا عن أنطون كتافاكو: مصدر سابق، ص ١٣.
- (٢) فليب حتى وادورد جرجي وجبرائيل جبورة: تاريخ العرب، دار غندور للطباعة، بيروت، ١٩٩٤، ط ١، ص ٨٤٥.
- (٣) أسد رسته (دكتور): إدارة الشام روحها وهيكلها وأثرها في عهد محمد علي، منشور صس كتاب في ذكرى الطفل إبراهيم باشا، الجمعية التاريخية المصرية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٠، ط ٢، ص ١١٣.

منها كمرتبات على بعض موظفي الإدارة مثل القضاة، كما أمر بدفع هذه المرتبات لمن كانوا يحصلون عليها من خزانة الدولة^(١)، وعندما اشتكى قاضي القدس بأنه لم يحصل على عوائده من هذه الأديرة منذ أمر إبراهيم باشا، دفعت له من خزانة الدولة بعد أن حرر بها دفتر^(٢)، ورفض إبراهيم باشا كافة العرائض المقدمة ممن كانوا يحصلون على هذه العوائد بإعادتها لإبقاء القديم على قدمه، وبناء على هذا وردت عرائض الشكر من هذه الطوائف تتضمن شكرهم على إلغاء هذه العوائد، وعلى ما نالوا من الحماية والرعاية^(٣).

ونال النصارى واليهود في بلاد الشام كثير من الامتيازات التي سارت بهم عدة خطوات نحو إعلان المساواة بين كافة الطوائف وهو ما يعتبر خطوة نحو إعلان الدولة المدنية وإلغاء السيادة الدينية^(٤)، ولم يقتصر الأمر على ذلك فعندما طلب النصارى من أهالي "حماة" توسيع كنيستهم لأنها صغيرة وفي أغلب الأعياد والأحد يبقى المتقدمون منهم داخل الكنيسة والفقراء خارج الكنيسة من شدة الضيق، فأجابهم إبراهيم باشا "أن يصرح لهم بتوسيعها"^(٥).

في الوقت نفسه أمرت إدارة محمد على بعدم تسخير دواب الأديرة^(٦)، وعندما طلب رهبان دير الروم المقيمون في القدس رفع الجمارك عن الصابون والهدايا" الذي يرسلونه لذوى المرحم والإحسان لاستجلاب الدعاء ، فأجابهم بعدم أخذ جمارك على هذه الهدايا^(٧)، ورفض إبراهيم باشا

(1) Afab Jutbi, Al. Sayyid Mersot Egyptian the reign of Muhammad Ali, Cambridge, 1990. p 222.

(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث محفظة رقم ٦٦٠ جرنال وقايع المصلحة بطرف كاتبة يوحنا بحرى، رقم ٨٨، الاثنين ٢٤ شوال ١٢٤٧، ٢٨ مارس ١٨٣١م.

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٥، ترجمة التقرير الورد من محمد منيب كاتب تقارير الجيش المصرى لمحمد على باشا رقم ١/٩٥ الأحد ٢٨ رجب ١٢٤٧هـ، يناير ١٨٣٢م.

(٤) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة رقم ١٣٩.

(٥) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨١، وثيقة رقم ٢٧١ ربيع الثاني ١٢٥٤هـ.

(٦) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٦، تقرير عربى رقم ٤/٣٣، ٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، ٩ مايو ١٩٣٢م.

(٧) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٧، وثيقة ٢٧/٢٣/٩٠ صفر ١٢٥٢هـ، ١٥ يونية ١٨٣٦م.

الحماية على الأديرة ومنع التعدي عليها^(١)، وكان إبراهيم يقول عن النصارى "أنهم رعية سعادة أفندينا ولى النعم المعظم واجب لهم الصيانة والحماية والرعاية"^(٢)، ولأول مرة فى تاريخ الشام يتم ترقية أحد النصارى لرتبة "بك" وهو حنا بحرى الذى أصبح مدير حسابات إيالات الشام، ويبدو من خلال الوثائق أنه كان قريب جدا لمحمد على وإدارته، وعلى العموم فقد قدم المسيحيين بمعارفهم وأيضا صلاحيتهم بل حذقهم للحسابات خدمات لا تقدر بثمن لإدارة محمد على ، وكان لهم أن يأخذوا الثمن^(٣).

وبذلك فقد أفسح إعلان العلمانية المجال أمام الإرساليات التبشيرية الغربية، وبذلك أتاح مجال العمل لقوتين: إحداهما فرنسية والأخرى أمريكية^(٤).

كما أن إعلان المساواة بالمفهوم الغربى العلمانى بين الرعايا قد ملأ المسلمين هما، فهذا أمر لم يقبله مسلمو الشام، وعندما ذهب عدد من علماء الشام يشكون إلى إبراهيم باشا انقلاب الأوضاع ، ويبسطون أمامه حزنهم من استعلاء الذميين وركوبهم الخيل كالمسلمين ، فلم يكن من إبراهيم باشا إلا أن سخر منهم سخرية مرة وردهم كاسفى الببال، إذ نصحهم أن يركبوا الجمال من اليوم حتى يصيروا أعلى من النصارى كافة، ثم أحزنهم أكثر بحضوره حفلا من حفلات النصارى، وشهد طقوسهم^(٥). وهذا يفسر لنا الموقف العدائى الذى وقفه المسلمون من الإدارة المصرية فى بلاد الشام، وقد ساعدت هذه السلبية المبشرين على ممارسة نشاطهم فى جو مثالى .

(١) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٠، صورة الوثيقة العربية رقم

٢٣٦، ٢٣ ربيع آخر ١٢٤٨هـ، ٢١ سبتمبر ١٨٣٢ .

(٢) دار الوثائق : محافظ الأبحاث محفظة رقم ٧٠، جرنال ديوان محروسة دمشق

يوم الاثنين ٢٢ ربيع الثانى ١٢٤٨ هـ، ٢٠ سبتمبر ١٨٣٢م .

(٣) A.A. paton, f.R.G.S.: History of the Egyptian Revolution From the period of the Mamelukes to the death of Mohammed Ali. London, 1870. VolIII , Second edition. P. 113.

- دار الوثائق: محافظ الأبحاث محفظة رقم ٧٨ وثيقة رقم ٢٤/٢٦٧، ٢٧ رجب

١٢٥٢هـ، ٩ نوفمبر ١٨٣٦ .

(٤) جورج أنطونيوس: مرجع سابق، ص ٩٧ .

(٥) حسين مؤنس (دكتور): مرجع سابق ، ص ٢٧٥ .

الأمر الآخر الذي فعلته الإدارة المصرية في الشام وانعكس بشكل مباشر على الإرسالية الأمريكية هو تجنيد الدروز في الجيش المصري وهو ما كان ثقل الوطأة عليهم، وتخلصاً من ذلك تنصر عدد كبير من الدروز وبقي بعض أولادهم على نصرانيتهم وارتبطوا بالكنيسة واشتركوا في مناولة القربان المقدس^(١).

وعلى هذا نجد أن الحكم المصري في الشام هو الذي أفسح المجال للإرساليات التبشيرية عموماً للعمل في البلاد بعد الاتجاه نحو الإدارة العلمانية بإعلان المساواة بين الطوائف في إطار فصل الدين عن الدولة والاتجاه نحو الدولة المدنية، وهو ما شهدته للمرة الأولى في تاريخها.

وفي تلك الأثناء عمل محمد علي على كسب ود الدول الأجنبية في نزاعه مع السلطان العثماني وسعيه لبسط نفوذه على الشام، من هنا لجأ إلى منح التسهيلات لهذه الدول، وهو ما سهل لها التغلغل في كافة مناحي الحياة في بلاد الشام وسمح لهم بفتح القنصليات داخل البلاد، وأيضاً بتوسيع أنشطاتهم التعليمية والثقافية والاقتصادية لهذه الدول^(٢).

ومن أهم الأحداث التي حدثت في فترة حكم محمد علي للشام حلول القناصل الأجانب بالقدس وبيروت ودمشق، وكان وصول أول قنصل بريطاني في القدس سنة ١٨٣٨م^(٣)، كذلك دخول أول قنصل بريطاني لدمشق في ٣ فبراير ١٨٣٧م، ذلك بعد أن لبث في بيروت لمدة أربع سنين ممنوع من دخول دمشق حيث كانت التقاليد القديمة تمنع ركوب الأفرنج لسخيل، احتراماً لدمشق ومكانتها، ولم يستطع هذا القنصل دخول دمشق إلا بسطوة حكومة محمد علي في الشام^(٤).

وفي مارس ١٨٣١م أرسل قنصل أمريكا في بيروت وساحل الشام لمحمد علي يطلب منه أن يرسل لكافة الموظفين في الإدارات المختلفة ببلاد

(١) مذكرات د/ كرنيليوس فانديك، الهلال، مجلد، ١٤، ١٩٠٦م، ص ١٩٩ .
(٢) دار الوثائق القومية، محافظ أبحاث الشام، محفظة رقم ٧٦، الوثيقة العربية رقم ٢٢٣ .

(٣) الكز اندر شولش : مرجع سابق، ص ٦١ .

(٤) مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق أحمد غسان سياتو، دار قتيبة، دمشق، د/ت، ص ٦٨، ص ٦٩ .

الشام أن يقدموا له المساعدات. وهو بذلك أول قنصل لأمريكا فى بلاد الشام^(١).

واعتمادا على الترحيب والتسهيلات التى قدمتها إدارة محمد على فى الشام للقناصل، نجد هؤلاء قد استغلوا الموقف لأبعد الحدود حتى تعدوا الأدوار الدبلوماسية لحدود مناصبهم، وبدأت تظهر الشكوى من تدخلهم المستمر فى البلاد، ووقفت إدارة محمد على عاجزة أمام تصرفاتهم، وكانوا يدخلون من شاءوا فى حمايتهم. وهنا كان القناصل عموما بما فىهم قنصل أمريكا أداة فعالة لحماية الإرساليات التبشيرية التابعة لدولهم فى الوقت الذى تدخلوا فيه لحماية من نجحت هذه الإرساليات فى جذبها لمذهبهم الدينى^(٢).

وتدخل قنصل أمريكا لحماية أتباعه ومن دخل تحت نفوذه وحمايته حتى لو خالفوا قواعد القانون المحلى المعمول بها، وكان يحمى فى بيته الفارين من العدالة بحجة أنهم من أتباعه^(٣).

بل أن نائب القنصل الأمريكى فى بيروت لم يكتف بذلك بل كان يعين نوابا له فى المدن والسواحل الشامية، حتى تلك التى لا يوجد بها أمريكان من الأصل، مما كان سببا فى شكوى محمد على من مثل هذه الأفعال^(٤)، وهذا ما دعا المبعوث الأمريكى جورج جليدون للقول "أن القنصليات الأمريكية فى الشام اشتهرت بإهمال الصفة العامة ومخالفة

(١) ومما جاء فى رسالته "الرجا من مكارم سعادتكم تكرموا علينا بصدور شريف أمركم كتاب لتسنمكم الأكبر المقيم هنا بالتوصية حكم المرسوم بشأن صيانة وحماية من يكون بوظائف خدماتنا وتحت سلطتنا باعتنائهم الشروط والعهدو حكم طريق القناصل الأحياب . دار الوثائق: محافظ عابدين، محفظة رقم ٥ وثيقة رقم ٢/١١٠ مكرر ١١ شوال ١٢٤٧هـ، ١٥ مارس ١٨٣٢ .
(* للتدليل على ذلك راجع:

- درا الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٥ وثيقة رقم ٧٧ .
(٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، الوثيقة العربية رقم ٢٥/٢٧٣ شوال ١٢٥٤/١٣ يناير ١٨٣٩م.
(٣) تقرير وليم هود جسون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية فى الشرق، نقلا عن فؤاد شكرى (دكتور): بناء دولة مصر محمد على، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨ص ٢٨٨ .

الواجبات القنصلية" ، وقد احتج محمد على على سلوك القنصليات الأمريكية في سوريا في أثناء المقابلات التي عقدت في أكتوبر ١٨٣٦م بالإسكندرية بينه وبين اللبوت قائد القوات البحرية الأمريكية في البحر المتوسط، وأعلن الباشا غضبه من الحميات الكثيرة وغير القانونية التي يعطيها قنصل أمريكا للرعايا العثمانيين^(١).

ولما كانت الحميات الأجنبية الممنوحة لرعايا الدولة العثمانية تجعلهم يفيدون من نفس الوضع القانوني الذي ينص على استثناء الأجانب من القوانين المحلية ، فقد عمد القناصل ونوابهم ووكلاؤهم إلى بيع هذه الحميات وهذا ما فعله قنصل أمريكا في الشام ووقفت الإدارة المصرية عاجزة أمام ذلك الأمر^(٢).

ومن مظاهر زيادة نفوذ القناصل وعجز الإدارة المصرية عن مواجهتهم أنه عندما عين "دوايين" قنصلا لأمريكا لم يحترم ما كان ساريا على القناصل قبل ذلك - وكانت العادة من قبل تقضى بأن يقيم القنصل في يافا ويعين وكيله له في القدس - وأقام في القدس ورفع شارة دولته على القنصلية ، وهو ما استفز الأهالي بصفة عامة ورجال الدين بصفة خاصة وكتب عدد من العلماء إلى محمد على يحتجون على ذلك قائلين أنه : "لم يسبق منذ الفتح العمرية لآن أن يكون بالقدس قونسولس لأحد الدول ٠٠٠ وما قصده وإصراره الأكيد إلا تقليل شأن بيت الله المقدس الذي ما تجاسر غيره من الدول بطلب مثل ذلك" . وختم على هذه الوثيقة ٣٦ من كبار العلماء والأشراف بالقدس^(٣). وكان رد الحكومة المصرية في القاهرة دليلا على عجزها مواجهة القناصل ، فجاء في ردها : "وأنه لما كان القنصل المشار إليه رجلا قليل الأدب فإذا أراد في المستقبل أن يرفع العلم أو يعمل

(١) تقرير جورج جليدون للإدارة الأمريكية عن القنصليات الأمريكية في الشروق، نقلًا عن أحمد الحته (دكتور): البعثات المصرية إلى الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، المجلة المصرية للقانون الدولي، ١٩٥٧، ص ٩١ .

(٢) أحمد فريد على مصطفى: توسع مصر في الشام وأثره على موقف الدول من المسألة السياسية في عصر محمد على ١٨٣١ : ١٨٤١، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ص ١٢٩ .

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة ٧٥ - ٤ صفر ١٢٤٩ .

شيئا آخر يجافى الأدب يشار إلى المتسلم سرا ليعوز إلى الأهلين بطرده من البلد...^(١) . وهنا نرى أن الإدارة لجأت للأهالي ليوقفوا هم ضد القناصل.

نفس الموقف حدث بعد ذلك عندما طلب القناصل بيع أملاك المسلمين لدفع التعويضات لليهود صفد^(٢) فأرسل محمد على أمرا لبوغوص بيك" ملدام أصدقاؤنا القناصل أجروا وصمموا على ذلك فتخلصا من هذه الغائلة قد صدرت الأوامر خطابا لسليمان باشا بمبيع أملاك وعقارات هؤلاء الفقراء لتقسيم أثمانها على المدعيين كذبا^(٣) .

هذا في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر من محمد على لشريف باشا للاستعلام من قاضي القدس والعلماء حول ما عرضه قنصل أمريكا "قليدون" بخصوص قطعة الأرض التي اشتراها الراهب الأمريكي جرجس هوتين" بجوار قبر النبي داود وأراد جعلها مقبرة، وصدر الحكم الشرعي "فقد صرح الفقهاء العظام بأنه لا يجوز إحداث بيعه أو كنيسة أو صومعة أو مقبرة في دارنا^(٤) ولا يعاد المتهدم"^(٥) .

هذا ما دفع إبراهيم باشا للقول "أن هؤلاء القوم" القناصل، هم مصدر المي أنهم يعرقلون كل خطوة تخطوها الحكومة، أن والطاعون لا يعد شيئا بالنسبة لحضرات القناصل أننا نستطيع أن نتخذ الحيطة حيال السلطان أما القناصل فإنهم يزجونني ولا أستطيع الدفاع عن نفسي أمامهم^(٦) .

(١) دار الوثائق: محفظة رقم ٧٤ ترجمة الوثيقة رقم ١٧٤، ربيع الأول

١٢٤٩هـ، يولية ١٨٣٣م.

(*) عن هذه الأحداث راجع

- A.A. paton, op. Cit. 116-117.

(٢) الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من ولده العزيز إبراهيم إلى وفاته. المخطوطات المصرية بدار الكتب رقم ٢٨٦٠٩، ج ٢ ص ٣٥٨ .

(**) لم نستطع أن نعرف رد محمد علي على هذا الأمر رغم بحثنا في الوثائق عن هذا الرد.

(٣) أسد رستم : (دكتور) الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا، الجامعة الأمريكية، بيروت، مجلد ٣، ٤ خطاب من قاض القدس إلى محمد شريف، باشا ٢٥ محرم ١٢٥٢هـ، ١٣ مايو ١٨٣٦، ص ٣٠ .

(٤) أحمد فريد علي مصطفى: مرجع سابق، ص ١٢٧ .

وأرسل محمد علي لبوغوص بك في ١٣ أكتوبر ١٨٣٧م يخبره بما أرسله شريف باشا من إنشاء قنصل أمريكا لكنيسة على أنها منزل، ويطلب منه مخاطبة قنصل جنرال أمريكا، ثم مخاطبة محمد علي بما يترأى له من ملحوظات^(١) وأرسل محمد شريف باشا لبوغوص بك يسأله في ١٦ مايو ١٨٣٧م قائلاً "هل من الأصول المقررة أن يقتنى القناصل ووكلاؤهم وسائر المستأمنين أراضي وأملاكاً في البلاد الإسلامية، وأن لم يكن ذلك من الأصول في شيء فماذا يجب أن يعمل به؟ وهل من الأصول أيضاً أن يحمي هؤلاء القناصل أو وكلاؤهم العمال الذين يعملون في حدائقهم وأراضيهم؟"^(٢) ولقد ضرب ترجمان وكيل قنصل أمريكا "في سويدية" قهرمان أفندي ضربة واحدة، كما أن الخواجة "جاليس كايسون" وكيل قنصل أمريكا المار الذكر يحاول أن يحمي من يوجد في خدمته من التجار المعتبرين وأصحاب الأملاك"^(٢).

يتضح مما سبق أن إدارة محمد علي شجعت ورحبت بالقناصل الأجانب وعلى رأسهم قنصل أمريكا. في الشام كسباً لود دولهم ولكن هؤلاء لم يراعوا التقاليد وأصبحوا شوكة في حلق الإدارة التي رحبت بهم في البداية ووقفت موقف العاجز أمامهم بعد ذلك .

شجع القناصل النشاط التبشيري للإرساليات التابعة لبلادهم، كما فعل قنصل أمريكا بمحاولته بناء كنيسة على أنها منزل ومحاولته الحصول على إذن ببناء مقبرة على قطعة أرض اشتراها راهب أمريكي في القدس .

من الطبيعي أنه إذا كان القنصل الأمريكي يحمي عدداً كبيراً من الرعايا العثمانيين - كما ذكر محمد علي - فمن الطبيعي أن يتولى حماية

(١) الأوامر والمكاتبات: مصدر سابق. جـ ٢٢ ص ٣٥ .

(*) لمزيد من التفاصيل عن تدخل القناصل في أمور الإدارة وأنهم أصبحوا صداع للإدارة المصرية راجع دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، وثيقة رقم ٢٥/٦٩ .

- انظر أيضاً: الأوامر والمكاتبات: مصدر سابق، جـ ٢

ص ٣٥٩/جـ ٣٢ ص ٣٥ .

(٢) دار الوثائق محفظة رقم ٧٩ ترجمة الوثيقة رقم ٢٥/٦٩ من ٩ صفر ١٢٥٣ .

الإرسالية الأمريكية في الشام ومن يعتنق المذهب البروتستانتى - وكذلك حماية المؤسسات الدينية والتعليمية الأمريكية في الشام .

يدلنا هذا بما لا يدع مجالاً للشك أن النشاط التبشيري الأمريكى الفعلى بدأ فى عهد حكم محمد على نتيجة لهذا التشجيع أو بمعنى أصح للاستفادة من الامتيازات التى منحتها إدارة محمد على للأجانب فى بلاد الشام كسبا لود دولهم .

يمكننا أن نؤرخ بدايات الوجود الأجنبى والتغلغل فى المجالات الاقتصادية والتعليمية والثقافية فى بلاد الشام بهذه الأزمة التى حدثت بين التابع والمتبوع - محمد على - والسلطان العثمانى - حيث حرص كلاهما على منح العديد من الامتيازات للأجانب ولقناصلهم كسباً لود دولهم فى محاربة كل طرف للأخر^(*) .

٢- موقف إدارة محمد على من المرتدين :

وقف حكم محمد على للشام موقفاً مزدوجاً من المرتدين عن الإسلام وهو موقف ساند وساعد التبشير واعتبر إيجابياً من وجهة نظر المبشرين، وعكس مدى عجز الإدارة المصرية فى مواجهة التبشير الذى تقوى وأصبح يمارس نشاطاً فعلياً حتى بين المسلمين ، وهو ما كان ممنوعاً ولا يجرؤ على العمل به قبل الحكم المصرى للشام .

فقد وقفت الإدارة المصرية موقفاً سلبياً من المسيحيين الذين أسلموا وارتدوا بعد ذلك عن إسلامهم للمسيحية مرة ثانية رغم أنهم فى ذلك مرتدين تطبق عليهم قوانين الردة الإسلامية. وذلك من منطلق الإدارة العلمانية التى تبنتها الإدارة فى عهد محمد على .

فقد أبلغ إبراهيم باشا المعية السنوية لإبلاغ محمد على باشا أن متسلم بيروت أبلغه أن ثلاثة ذميين من سكان بيروت كانوا أسلموا من قبل وأنهم

(*) على سبيل المثال تدخل القناصل فى حماية بعض المجرمين ومنع الحكام من القبض عليهم. كما تدخل القناصل لنيل العديد من الامتيازات الاقتصادية لتجار بلادهم، وكذلك الحصول على امتيازات قضائية .
- راجع تقرير جورج جيلدون: مصدر سابق، ص ٦٥، وما بعدها .

ارتدوا الآن ووقفت الإدارة في الشام عاجزة عن فعل شئ إزاء هذه القضية^(١) نفس الموقف حدث في غزة عندما كتب عشرة من العلماء والمفتون لمتسلم غزة الذي رفع الأمر لإبراهيم باشا عن إسلام رجل ذمى يسمى إسكندر ثم عودته للمسيحية مرة ثانية وأنه بذلك ارتكب في دين الإسلام أمراً قبيحاً استحق به القتل بإجماع المسلمين لقول سيد المرسلين "من بدل دينه فاقتلوه"^(٢) وأيضاً وقفت الإدارة المصرية موقفاً سلبياً من هذه القضية. وهو ما دفع قناصل الدول الأوروبية وأمريكا للتدخل لحماية هذا المرتد^(٣) وهو ما قوى المسيحيين والإرساليات التبشيرية التي استفادت من هذه الامتيازات التي كفلتها لهم التنظيمات العثمانية سنة ١٨٥٦م في مواجهة المسلمين .

وبذلك نلاحظ الآتي:

أن الإدارة المصرية في الشام وقفت موقفاً سلبياً تجاه من يرتد عن الدين الإسلامي مما شجع المبشرين على العمل في هذا الجو، فبالرغم من توسلات علماء المسلمين في الشام لمعاقبة المرتدين لم تحرك الإدارة المصرية ساكناً. ويتضح من خلال هذه القضايا عدم قدرة الموظفين المصريين على اتخاذ أى رأى وكل منهم يحاول أن يلقي التبعة على غيره إلى أن تصل لمحمد على في مصر .

ولم يقف الأمر عند هذه الحالة بل امتد لأكثر من ذلك مراحل أخرى فعندما أرادت فتاة مسيحية اعتناق الإسلام وذهبت أمام القاضى وأعلنت إسلامها تدخل القناصل لمنع ذلك بحجة أنها صغيرة وأنها أجبرت على

(١) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٤/ ٢٥/ ٢١٣ شعبان ١٢٥٣هـ، ١٦ مايو ١٨٣٧م.

(٢) محافظ الأبحاث - محفظة رقم ٨٠، الوثيقة العربية ٢١٤/ ١٦/ ٦ جماد الثاني/ ١٢٥٤ هـ، ٢٩ يولية ١٨٣٨م.

(٣) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٨٠، المكاتب العربية رقم ٢١٤، ١٥ شعبان ١٢٥٤هـ، ٥ نوفمبر ١٨٣٨م. وانظر أيضاً محفظة رقم ٤٠ ترجمة الوثيقة رقم ٢٥/ ٢١٣. وأيضاً محفظة رقم ٤٠ وثيقة رقم ٢٥/ ١٩٩. وأيضاً محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩ وثيقة رقم ٥/ ١٩٩، ٥ شعبان ١٢٥٣، ٥ نوفمبر ١٨٣٧م.

الإسلام مما أدى للتأثير على الفتاة وإنكارها الإسلام بعد ذلك^(١) ويمثل هذا موقفاً سلبياً وأيضاً جواً مثالياً للعمل التبشيري.

كما تنصر الأمير بشير وهو من أقرب أصدقاء ومعاوني الإدارة المصرية في الشام، وتشجع بقية الشهابيين على التنصر مثله ويذكر مصدر معاصر قوله^(٢) "ثم إنه بعد ارتداده جمع كبار الشهابيين إلى ناديه وأبان لهم جليلة قصده من التنصر - وهو الحصول على مكاسب من الدول الأوروبية - مقترحاً عليهم أن يقتدوا به ويحذوا حذوه وقد أوضح لهم عن الفوائد التي تتجم لهم بترك الإسلام^(٣) .

ووقفت الإدارة المصرية موقفاً متشدداً من وكيل أحد القناصل الذي اشترى فتاة مسلمة، حتى أن إبراهيم باشا يقول: "الخاصة بالبنات المشترية من طائفة النصارى عبدة الأصنام في بر الشام ٥٠٠ فوجهت إلى المختصين خطابات مؤكدة لكي يحققوا هذه المسألة.. وأكدت عليهم قائلاً! إذا لم تحقق هذه المسألة على وجه السرعة أرسلت من طرفي أشخاص لكي يحققوا هذه المسألة"^(٤) وفي خطاب آخر يذكر "فكُتبت كتابات شديدة لمن يلزم لهم ليكون التحقيق بصورة خفية ومن شتى الجهات"^(٥).

-
- (١) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٤، وثيقة رقم ١٩٢، ١٢ ربيع الآخر ١٢٤٩، ٣٠٠ أغسطس ١٨٣٣ م.
- (٢) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٧، صورة مرفق المكاتبه رقم ١٦٦ / ٢٣ ٢٥ ربيع الثاني ١٢٥٢ هـ، ٢٣ أغسطس ١٨٣٦ م.
- (٣) يوسف خطار أبو شقرا: مصدر سابق، ص ٨.
- (٤) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٤٧ / ٢٥ / ٤ / رمضان ١٢٥٣ هـ، ٩ أغسطس ١٨٣٦ م.
- (٥) دار الوثائق: محافظ الأبحاث، محفظة رقم ٧٩، ١ / ١٥٦ وهي في ملف من ربيع الأول إلى شعبان ١٢٥٣ هـ، ٣ ديسمبر ١٨٣٧ م. وثيقة رقم ٢٥ / ٢٤٧ ٤ رمضان ١٢٥٣ هـ.

وبذلك فقد وقف الحكـم المـصرى موقفا مزدوجا فبينما وقف بشدة تجاه تنصير الدروز^(١)، نجدة يتقاعس تجاه المرتدين عن الإسلام، وهو يقف موقفا شديداً تجاه شراء النصارى للبنات المسلمات^(٢) فى الوقت الذى تساهل فيه تجاه الفتاة التى أسنمت وتدخل القناصل لإجبارها على العودة لدينها.

ووقف الحكـم المـصرى بذلك مشجعا للتبشير الذى استفاد من الحرب المصرية العثمانية فى نيل العديد من الامتيازات من كلا الطرفين .

(١) عندما بلغ محمد عنى تنصير بعض الدروز ، طلب من شريف باشا ومن الأمير بشير الشهاى الخيولة دون ذلك ولو باستخدام القوة ، وقال "على أنه إن كان صحيحا فإن صرره عنى الدين والملك أمر مسلم ، فيلزم قبل كل شيء النظر فى الخيولة دون وقوعه " راجع دار الوثائق : محافظ الأنجاث ، محفظة رقم ٧٧ ، مجلد ٢ ، ص ٣٢٨ . وثيقة رقم ٣/١٤٤ ، فى ٩ جمادى الأول ١٢٥٢هـ .

(*) وهو موقف شرعى فائسـم لا يكون عبداً لغير المسلم حتى وإن كان مشتره من أهل الكتاب . وفى هذه الحالة يجب إبطال البيع وذلك لقوله تعالى "ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا" . كما أن بيع العبد غير المسلم لرجل غير مسلم لا يجوز عنى المشهور لرجاء إسلامه لو امتلكه سيد مسلم . عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصى : مرجع سابق ، ص ٣٧٤-٣٧٦ .

ثالثًا: موقف الشوام من الإرسالية الأمريكية

أ- جهود بطرس البستاني

ب- موقف المسلمون

ج- موقف الطوائف المسيحية

عندما نزلت الإرسالية الأمريكية بلاد الشام لأول مرة عام ١٨١٩ ، لم يكن بها أي طائفة بروتستانتية، لذا فقد جابهت صعوبات كثيرة في البداية إلى أن نجحت في تكوين طائفة تركز عليها داخل الشام .

هذا في الوقت الذي لاقى فيه الإرسالية مقاومة شديدة الوطأة سواء من المسلمين أو من بقية الطوائف المسيحية، وامتدت المقاومة لإنشاء المدارس وإقامة الجمعيات والصحف في محاولة الرد على الدعاية البروتستانتية التي أثارها الإرسالية الأمريكية هذا في الوقت الذي ساند فيه اتباع الإرسالية من الشوام النشاط التبشيري للإرسالية بشتى الوسائل وبمختلف الجهود .

ونعرض هنا لموقف المؤيدين للإرسالية^(١) متخذين من بطرس البستاني نموذجا سواء في جهوده التعليمية أو الصحفية ومؤلفاته وهي جهود مدعومة من الإرسالية، ثم عرضنا لموقف الطوائف المسيحية من الإرسالية وكذلك لموقف المسلمين، وذلك في محاولة لبيان رؤية الشوام من الإرسالية وجهودها، وأنشطتها .

أولا: جهود بطرس البستاني في التعليم:

أ- المدرسة الوطنية العليا :

بينما كانت الإرسالية الأمريكية البريسبتيرية في بلاد الشام ذات السبق الأول والفريد في إنشاء المدارس بمختلف درجاتها وأنواعها، كان البروتستانت الوطنيون المرتبطون بالإرسالية الأمريكية من أوائل من عملوا على نشر التعليم في بلادهم، ومن أبرز هؤلاء المعلم "بطرس البستاني" وهو مؤسس المدرسة الوطنية العليا في بيروت ١٨٦٣^(٢).

(١) آمن رجال الإرسالية بأنه "يجب أن يكون التبشير بين الشوام بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها" .

راجع مانع بن حماد الجهنى : مرجع سابق ، ص ٦٧٩ .

(*) ولد بطرس البستاني في قرية الدبية جنوبي لبنان عام ١٨١٩ وتعلم على يد كاهنها الخوري محال البستاني مادئ القراءة والسريانية وأصول العبادة المارونية، ثم أرسل لمدرسة عين ورقة وهي يومئذ المدرسة الدينية العالية للمورانة وفي عام ١٨٤٠م انتقل لبيروت وكان قد بلغ ٢١ من عمره، ولتلك السنة أثر يذكر في حياة البستاني الذي عمل مترجما مع الأسطول الإنجليزى الذى جاء لإخراجه إبراهيم باشا من الشام، وكانت المرحلة الحاسمة في حياة البستاني عندما تعرف على انششرين الأمريكيين وتأصلت بينه وبينهم عرى المعرفة والصداقة فكان يعممهم اللغة العربية ويعرب لهم ما يودون نشره من-

كانت المدرسة الوطنية العليا تحوى قسمين أحدهما داخلى يقيم به الطلبة إقامة كاملة، والآخر يذهب الطلبة للمدرسة ويعودون لبيوتهم يومياً بعد إنتهاء اليوم الدراسي، وتستمر السنة الدراسية عشرة أشهر تمتد من اليوم الأول من شهر أكتوبر وأخرها ٣١ يوليو والإجازة لمدة شهرين وكانت تحصل المدرسة على مصاريف قدرها ٢٠ ليرة مجبديّة عن القسم الداخلى، أما فى القسم النهارى فكانت كانت تحصل على ١٥ ليرة فقط^(١).

وكانت المدرسة تضم ثلاثة مبان:

- المبنى (أ) وهو محل نوم لصغار السن من التلاميذ وقاعة الاستقبال ومحل الاجتماعات الاحتفالية والاختبارات .
المبنى (ب) محل نوم كبار السن من التلاميذ .
المبنى (ج) محل نوم متوسطى السن ومحل الأكل؛ المدرسة العمومية والمدارس الخصوصية؛ دور اللعب الصيفية والشتوية. وكان المعلم بطرس البستاني وعائلته يقيمون مع التلاميذ فى نفس المبنى^(٢).

رقد تلقى بطرس البستاني مساعدات مالية وكتباً من طبع الإرسالية الأمريكية ، كما ارتبط بالأمريكيين وارتبطت بهم المدرسة ارتباطاً وثيقاً، كما أنه تلقى مساعدات مالية من السيدة وطسن Miss Watson الإنجليزية التى أنشئت العديد من المدارس فى بلاد الشام لتعليم البنات^(٣) فلا بد أن هذه المساعدات ذات مغزى .

= كتب ورسائل. ثم اعتنق مذهبهم البروتستانتي، وشارك كما سلف القول فى تأسيس مدرسة عبية العليا كما أنه ألف العديد من الكتب التى درست فى المدارس العليا مثل "كشفت الحجاب فى علم الحساب" و"بلوغ الأرب فى نحو العرب" وبذلك فقد كان البستاني أهم أهلى ساعد الإرسالية الأمريكية فى كافة المشاريع التى قامت بها. لمزيد من المعلومات راجع، أنيس المقدسى: الفنون الأدبية وإعلامها فى النهضة العربية الحديثة، دار الكاتب العربى، بيروت، ١٩٦٣، ص ١٨٤ .

(١) بطرس البستاني: المدرسة الوطنية، الجنان، الجزء الثامن عشر، بيروت، ١٥

أيلول، ١٨٧٣، ٦٢٠٠ .

(٢) بطرس البستاني: مرجع سابق، ص ٦٢٩ .

(٣) المقطم، الجمعة ٢٨ أغسطس ١٨٩١، ص ٣ .

ولا ريب أن إنشاء بطرس البستاني المدرسة الوطنية في بيروت، في أعقاب حركة ١٨٦٠م الطائفية، هو التجسيد العملي لما كان يدعو إليه من أهداف وهي ثلاثة نقاط أساسية ضمنها هذه المدرسة تختصر موقفه من سياسة التعليم العامة، وهذه النقاط هي: الابتعاد عن الطائفية وابتغاء الوحدة الوطنية، والحفاظ على اللغة العربية، وتعليم اللغات الأجنبية واقتباس علومها^(١) وبذلك يبدو من اسم المدرسة رغبة مؤسسها في إعلاء شأن المواطنة، وجعلها الأساس وصاحبة الكلمة العليا في الوطن، بعيداً عن الخلافات المذهبية التي كانت سبباً في العديد من المذابح. وبالمصطلحات الحديثة فقد كان البستاني المرتبط بالإرسالية الأمريكية يهدف لمجتمع مدني لا مجتمع ديني.

وكانت هذه المدرسة تضم بعض الطلاب الذين ينتمون لطوائف شتى، من المسيحيين واليهود ولكنها لم تضم أحداً من المسلمين خصوصاً أهل السنة، في نفس الوقت الذي وجد خلاف بين بعض رجال الدين المسيحي وخصوصاً الكاثوليك حول أهداف هذه المدرسة^(٢) وربما تشككوا في نواياها وأهدافها بحكم كون مديرها وصاحبها من البروتستانت المعروفين بتعاونهم الوثيق مع الإرسالية الأمريكية، فهو في نظرهم مجرد واجهة لا أكثر.

أما عن المناهج في هذه المدرسة فقد كانت تدرس اللغات العربية والإنجليزية والفرنسية والتركية واليونانية واللاتينية، والصرف، والنحو، والعروض، والمعاني، والبيان، والبديع، والمنطق، والجغرافيا، والتاريخ، والحساب، والجبر، والهندسة، والمساحة، والطبيعات، والكيمياء، والفسولوجيا، والجيولوجيا، والنبات، والفقه، والتأليف والخطب وعلم آلات الموسيقى، التصوير والحفر كمواد اختيارية^(٣).

أما عن معلمي هذه المدرسة والمواد التي كانوا يدرسونها فهم كالتالي:

-
- (١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن كتاب الفكر العربي في مائة سنة، هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية - بيروت ١٩٦٧، ص ٤٨٠.
- (٢) شاكر الخوري (دكتور): مجمع المسرات، مصر، ١٩٠٨، ص ١١٥.
- (٣) بطرس البستاني: المدرسة الوطنية، مرجع سابق، ص ٦٢٦.

الرئيس المعلم بطرس البستاني	كان يعلم صفا اللغة الإنجليزية
نائب الرئيس ولده سليد	وكان يعلم الصف الأول اللغة الإنجليزية
سارة ابنة بطرس البستاني	كانت تعلم صفا اللغة الإنجليزية
الشيخ ناصيف اليازجي	كان يعلم الصف الأول اللغة العربية
إبراهيم اليازجي	كان يقوم مقام والده (ناصيف) إذا غاب
الشيخ يوسف الأسير	كان معلماً لأحد الصفوف لمادة الصرف
الشيخ خطار الدحداح	كان يعلم الصف الأول اللغة الفرنسية
المعلم سعد الله البستاني	كان يعلم الصف الثالث اللغة الفرنسية
الشيخ قبلان الدحداح	كان يعلم الصف الثاني اللغة الفرنسية
المعلم شاهين سركريس	كان يعلم الصف الثاني في العربية والحساب العربية
إبراهيم ناصيف	كان يدرس اللغة العربية
المعلم سليم نقلا	كان يعلم المبتدئين اللغة العربية ^(١) .

لاقت المدرسة الوطنية التشجيع من رجال الإدارة، ففي يوم الاثنين ١٧ يناير سنة ١٨٧٠، زارها صاحب السعادة عبدالهادي باشا متصرف بيروت، الذي سعد بما وجده في المدرسة من حسن استعداد الطلبة، الذين انشدوا قصائدهم بالعربية والتركية والفرنسية والإنكليزية واليونانية في الدعاء والثناء لأجل السلطان العثماني^(٢). وبذلك فقد لعبت المدرسة دوراً كبيراً في بث الأفكار الوطنية والدعوة للدولة المدنية، في مقابل إبراز مساوئ الحكم العثماني والدعوة للتخلص منه.

وبعد تأسيس الكلية الإنجليزية السورية ١٨٦٦م، أصبحت المدرسة الوطنية بمثابة القسم الإعدادي التي تعد الطلبة للإلتحاق بها، فقد أقاموا معاً في نفس المبنى لعدة سنوات^(٣) ولكن ابتداء من عام ١٨٧٦م أنشئت الكلية السورية دائرتها الإعدادية، فمنذ ذلك الوقت أغلقت المدرسة الوطنية أبوابها بعد أن ظلت تعمل لمدة ١٣ عاماً في ظل الرعاية الكاملة من الإرسالية الأمريكية، وهو ما يتماشى مع توجهاتها التي تهدف لخلق جيل من الوطنيين الذين يستخدمون كستار تعمل الإرسالية من خلالهم، في البداية على الأقل، ثم

(١) شاكر الخوري: مرجع سابق. ص ١١٥.

(٢) الجنان: الجزء الثالث، شاص. ١٨٧٠م، ص ٧٠.

(٣) كمال الصيني (دكتور): مرجع سابق، ص ١٨٧.

- أنيس المقدسي: مرجع سابق، ص ١٩٢.

بعد ذلك تعمل الإرسالية بواجبتها هي، ولا سيما بعد تثبيت جذورها وهذا ما حدث في حالة المدرسة الوطنية.

ثانيا: جهود بطرس البستاني في التأليف:

يعتبر بطرس البستاني من قادة الفكر في عصر التحول الفكري في بلاد الشام، والتي عمت آثاره الفكرية العالم العربي كله فيما بعد، فأنشأ الصحف، وأنشأ المدارس مثر المدرسة الوطنية كما أنه ألف الكثير من الكتب الموسوعية التي تدل على علو بابه في مجال العلم بكافة أنواعه، فهو يكتب في العلوم والمعارف، والعلوم الدينية، وهو صاحب أول موسوعة علمية عربية على النظام الحديث، "دائرة معارف".

وبطرس البستاني من أكثر الوطنيين الشوام ارتباطا بالإرسالية الأمريكية، فقد وصل هذا الارتباط للامتزاج الروحي، حيث أصبح من العاملين على نشره والدعوة إليه بكل السبل.

ومن أهم مؤلفاته :

"محيط المحيط"، وهو معجم يفي بحاجات الكتاب ويجمع بين سهولة التناول وجودة الترتيب، مع ما يتطلبه تقدم العصر من إضافات في بعض الأبواب ووضع على الطريقة الأبجدية، ونشره عام ١٨٦٩م وقد ضمنه الإصلاحات العلمية، واستجمع فيه شتات اللغة واستدنى سواردها على أسلوب بسيط وسهل^(١).

"دائرة المعارف": هي موسوعة في العلم والأدب والتاريخ وسائر العلوم الطبيعية والرياضية والادبية أصدر منها في حياته ٦ مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن^(٢).

"كشف الحجاب في علم الحساب" وهو يذكر في فاتحة الكتاب قوله أنه لما كانت شمس علم الحساب قد كادت تغيب عن أبناء العرب، وذلك لعدم وجود كتاب في لغتهم واضح العبارات سهل الإشارات يتوصل به الطلاب إلى بلوغ الأدب... مع أن هذا العلم من أجل العلوم الرياضية وباب لما وراءه من العلوم التعليمية... ضئيل إلى بعض... أن أجمع في هذا الفن كتابا

(١) أنيس المقدسي: مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٦٩.

أضـم إليه ما تفرق من مسائله وأحل ما تعقد من مشاكله^(١) ويبلغ حجم الكتاب ٤٠٠ صفحة وهو ملئ بالرسومات التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب أول كتاب فى اللغة العربية عن علم الحساب الحديث.

"قطر المحيط": وهو يوضح السبب فى تسميته بقطر المحيط فى قوله: "لأن نسبته إلى كتابنا المطول فى هذه الصناعة المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها" وأهدى هذا الكتاب للخديوى سعيد حاكم مصر، والكتاب جزآن، يقع كل جزء فيما يزيد على ١٠٠ صفحة^(٢).

وهناك عدة ترجمات وبعض مقالات نشرها البستاني تدل على ما قدمه للغة العربية والأدب العربى عموماً من معارف وعلوم حديثة.

ثالثاً: جهود بطرس البستاني فى الصحافة:

لعب بطرس البستاني دوراً كبيراً فى الصحافة الشامية فهو من أهم مؤسسى الصحف فى القرن التاسع عشر، وهذه الصحف ارتبطت بالإرسالية الأمريكية لارتباط صاحبها- البستاني بالإرسالية كواحد من أهم الشوام الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتى وارتبطوا بالإرسالية فى كافة أنشطتها التبشيرية والفكرية عموماً - فى الوقت ذاته كان من أهم أهداف الإرسالية تشكيل عدد من المرتبطين بهم وتكوينهم للقيام بنفس الدور الذى تقوم به الإرسالية حتى يكونوا هم الواجهة.

ومن أهم المجلات التى أصدرها البستاني :

أ- نفيـر سورىـا :

أنشأها بطرس البستاني فى ١٨٦٠م ، وهى من صفحتين، وكانت تنادى بالتأخى بين أصحاب المذاهب المختلفة، وضرورة تعاونهم فى

(١) بطرس البستاني: كشف الحجاب فى علم الحساب، مطبعة الأميركان، بيروت، ١٨٧٢م. طبعة رابعة، فائحة الكتاب.

(٢) بطرس البستاني: قطر المحيط، جزآن، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٦٩ الافتتاحية.

بعد ذلك تعمل الإرسالية بواجبتها هي، ولا سيما بعد تثبيت جذورها وهذا ما حدث في حالة المدرسة الوطنية.

ثانيا: جهود بطرس البستاني في التأليف:

يعتبر بطرس البستاني من قادة الفكر في عصر التحول الفكري في بلاد الشام، والتي عمت آثاره الفكرية العالم العربي كله فيما بعد، فأنشأ الصحف، وأنشأ المدارس مثل المدرسة الوطنية كما أنه ألف الكثير من الكتب الموسوعية التي تدل على علو باعه في مجال العلم بكافة أنواعه، فهو يكتب في العلوم والمعارف، والعلوم الدينية، وهو صاحب أول موسوعة علمية عربية على النظام الحديث، "دائرة معارف".

وبطرس البستاني من أكثر الوطنيين الشوام ارتباطا بالإرسالية الأمريكية، فقد وصل هذا الارتباط للامتزاج الروحي، حيث أصبح من العاملين على نشره والدعوة إليه بكل السبل.

ومن أهم مؤلفاته :

"محيط المحيط"، وهو معجم يفي بحاجات الكتاب ويجمع بين سهولة التناول وجودة الترتيب. مع ما يتطلبه تقدم العصر من إضافات في بعض الأبواب ووضع على الطريقة الأبجدية، ونشره عام ١٨٦٩م وقد ضمنه الإصلاحات العلمية، واستجمع فيه شتات اللغة واستدنى شواردها على أسلوب بسيط وسهل^(١).

"دائرة المعارف": هي موسوعة في العلم والأدب والتاريخ وسائر العلوم الطبيعية والرياضية والأدبية أصدر منها في حياته ٦ مجلدات وأتم ابنه سليم السابع والثامن^(٢).

"كشف الحجاب في عند الحساب" وهو يذكر في فاتحة الكتاب قوله أنه لما كانت شمس علم الحساب قد كادت تغيب عن أبناء العرب، وذلك لعدم وجود كتاب في لغتهم واضح العبارات سهل الإشارات يتوصل به الطلاب إلى بلوغ الأدب... مع أن هذا العلم من أجل العلوم الرياضية وباب لما وراءه من العلوم التعليمية... ضُرب إلى بعض... أن أجمع في هذا الفن كتابا

(١) أنيس المقدسي: مرجع س. ص ٣١٧.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ أدب اللغة العربية، مرجع سابق، ج٤، ص ٢٦٩.

أضـم إليه ما تفرق من مسائله وأحل ما تعقد من مشاكله^(١) ويبلغ حجم الكتاب ٤٠٠ صفحة وهو ملئ بالرسومات التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب أول كتب في اللغة العربية عن علم الحساب الحديث.

"قـطر المحيط": وهو يوضح السبب في تسميته بقطر المحيط في قوله: "لأن نسبته إلى كتابنا المطول في هذه الصناعة المسمى بمحيط المحيط توشك أن تكون كنسبة قطر دائرة إلى محيطها" وأهدى هذا الكتاب للخديوى سعيد حاكم مصر، والكتاب جزآن، يقع كل جزء فيما يزيد على ١٠٠ صفحة^(٢).

وهناك عدة ترجمات وبعض مقالات نشرها البستاني تدل على ما قدمه للغة العربية والأدب العربي عموماً من معارف وعلوم حديثة.

ثالثاً: جهود بطرس البستاني في الصحافة:

لعب بطرس البستاني دوراً كبيراً في الصحافة الشامية فهو من أهم مؤسسي الصحف في القرن التاسع عشر، وهذه الصحف ارتبطت بالإرسالية الأمريكية لارتباط صاحبها- البستاني بالإرسالية كواحد من أهم الشوام الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي وارتبطوا بالإرسالية في كافة أنشطتها التبشيرية والفكرية عموماً - في الوقت ذاته كان من أهم أهداف الإرسالية تشكيل عدد من المرتبطين بهم وتكوينهم للقيام بنفس الدور الذي تقوم به الإرسالية حتى يكونوا هم الواجهة.

ومن أهم المجلات التي أصدرها البستاني :

أ- نفيـر سورـيا :

أنشأها بطرس البستاني في ١٨٦٠م ، وهي من صفحتين، وكانت تنادي بالتآخي بين أصحاب المذاهب المختلفة، وضرورة تعاونهم في

(١) بطرس البستاني: كشف الحجاب في علم الحساب، مطبعة الأميركان، بيروت، ١٨٧٢م. طبعة رابعة، فاتحة الكتاب.

(٢) بطرس البستاني: قطر المحيط، جزآن، المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٨٦٩ الافتتاحية.

سبيل الدراسة والتحصيل، وهاجم التعصب^(١)، وشرح الروابط التي توحد بين أبناء الشام، وكانت النفير في أعدادها الثلاثة عشر نفيرا يدعو إلى الوئام ويؤيد بين المواطنين المحبة والسلام^(٢) وهذه المجلة وهي أولى المحاولات الصحفية للبستاني كانت عبارة عن خواطر وطنية أثارها فطائع المذابح في ١٨٦٠م وكان يدعو فيها لنسيان الضغائن والاتحاد بين أبناء الوطن الواحد. وهي دعوة مبكرة للوطنية وللتقليل من أثر الفكرة الدينية كتمهيد للفكرة القومية التي يمكننا القول أن مجلة نفير سوريا بذرت البذرة الأولى لها:

ب- مجلة الجنان^(٣):

أسسها بطرس البستاني في عام ١٨٧٠م في بيروت وأدار شؤونها هو وعائلته مدة ستة عشرة عاما، وفيها نقرأ: "إن الشرق كان مزدهرا وتمدنا في الماضي. ثم فقد ما كان عليه بسبب الحكم الفاسد، وأنه ليس من علاج لذلك إلا الحكم الصالح الذي لا يمكن أن يقوم إلا بفضل اشتراك الجميع فيه، وفصل الدين عن السياسة، وفصل السلطة القضائية عن التنفيذية"^(٤). وهنا كانت الدعوة الصريحة للهجوم على الدولة العثمانية بوصفها بالفساد، والمطالبة بالاشتراك في الحكم وإعلان الدولة المدنية، وهي نفس أفكار الإرسالية الأمريكية.

وكانت الجنان ميدانا لأقلام كتاب العربية في ذلك العصر في السياسة والأدب والعلم والتاريخ والشعر والطب والزراعة والحقوق والرياضيات والفكاهة وغيرها، وهذه المجلة تشتمل على تاريخ الحركة العلمية والأدبية

(١) جلال يحيى (دكتور): العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٩٦.

(٢) إبراهيم عبده مرجع سابق، ص ٦٤.

(*) والجنان أولى المجلات الأهلية (غير الحكومية) في البلدان العربية فهي من قبيل تعد رائدة المجلات الوطنية، ومرآة صادقة لما كانت تفكر به، أو تشعر به الطبقة المتعلمة من الشعب. أنيس المقدسي مرجع سابق، ص ١٩٦. هذا في الوقت الذي يمكننا فيه القول "أما كانت تعمل لمصر كصحيفة مصرية ونالت من بر الخديوي إسماعيل الكثير من المال، وقد أشارت إلى ذلك بعض الوثائق المحفوظة في قصر عابدين نقلا عن إبراهيم عبده: مرجع سابق، ص ٦٥.

(٣) البرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة - ١٧٩٨ - ١٩٣٩ - ترجمة كريم عزقون - دار النهار. بيروت ١، ص ٣١٥.

والسياسية في العالم العربي يومئذ^(١) ويلاحظ أن في بدايتها كانت ركيكة اللغة مما يدل على أن منشئها انصرفوا بكليتهم عن اللفظ للجوهر المعنوي^(٢) ولكن ابتداء من السنة الثانية للجنان عمل الجنان على استخدام الألفاظ اللغوية الفصحى، وذلك إحياء "للألفاظ الكثيرة التي تزينت بها لغتنا الشريفة إحياء لها"^(٣).

والجنان كان شعارها المكتوب هو "حب الوطن من الإيمان" وصدرت صفحاتها بيئتين من الشعر هما :

إليك صحيفة نشرت حديثا *** فأغنت بالسماع عن العيان
كفردوس حوى ثمرا شهيا *** لذاك دعوتها باسم الجنان

وهي مجلة نصف شهرية، كانت تطبع ٢٤ عددا في العام، وأوضح بطرس البستاني السبب في نشأة مجلته لعدة أسباب هي:

- أنها وسيلة لتنشيط المعارف العمومية وتقوية أركانها بين الجمهور .
- إحياء اللغة وتحسينها والمحافظة على الإتقان بين أهلها .
- أن تكون بابا لأصحاب المعارف وميدانا يجول فيه قلم المهرة من أصحاب العلم^(٤).

طالبت الجنان بالإصلاح في كافة مناحي الحياة وهاجمت الأوضاع المتدهورة التي يعاني منها الشام - من وجهة نظرهم - وعملت على تذكير الناس بماضيهم العريق وذلك من خلال المقارنة بين ماضي البلاد صاحبة الحضارة التي أنعمت بها على العالم وبين ما آل إليه الشرق في ذلك الوقت - حسب قول البستاني - من الجهل والغباوة والإنحطاط في المعارف والصناعات والتجارة، فقد سيطر التخلف^(٥).

(١) جورجى زيدان: مرجع سابق، ج ٤ ص ٦١ .

(٢) فليب دى طرازى - مرجع سابق، ج ٢ ص ٤٦ .

(٣) احنان، الجزء السادس، ١٥ آذار ١٨٧١ - ص ١٧٧ .

(٤) احنان، المجلد الأول، كانون الثاني، ١٨٧٠، صفحة الغلاف .

(٥) احنان، المجلد الأول، كانون الثاني ١٨٧٠، ص ١٥، مقال بعنوان الشرق. انظر أيضا:

سليم البستاني: الصناعة، احنان الجزء الثاني، كانون ١٨٧٠، ص ٤٩، وأيضا: وليم

ضرس الأمريكاي: فيبقية - احنان، الجزء الثاني عشر، حزيران ١٨٧٠، ص ٣٧٤ .

واحنان، الجزء السادس، آذار ١٨٧٠، ص ١٦٠ .

ودعت الجنان لوجوب إصلاح الأحوال في البلاد بإصلاح الناس ومحاولة تهيئتهم للمطالبة بهذه الإصلاحات "قيا أيها الشرقيون إن ينبوع إصلاحنا هو هممتنا وجدنا وكدنا فهل يسوغ أن نسير سيرا زميلا والدهر يركض في المركبات النارية والأسلاك البرقية إليكم عن الفساد والرشوة والخداع ودونكم الصلاح والصدق والعدل والاتحاد والتعاون والألفة والمحبة"^(١).

عملت على الدعوة للوطنية لتحل محل العصبية الدينية، فدعت لإعلان المساواة بين جميع الطوائف في الاشتراك في الحكم ، بغض النظر عن المذهب الديني، وهنا إعلاء للدولة المدنية على حساب الدولة الدينية، من وجهة نظر المجلة سبب التخلف فتقول "لأننا منذ انقسمنا إلى عصب دينية وأخذ كل منا يحاول عضد عصبيته وتتكيس غيرها قد عمنا التأخر وخسف ظلام الجهل بديارنا"^(٢) ولا يخفى أن السبب الأقوى لعدم تقدمنا في هذه البلاد ناشئ من التعصبات الدينية والأوهام الفاسدة التي تجعل البعض يظنون أنهم أجل قدرا أو أسمى ديانة من أن يأتلفوا مع من لا يوافقهم في المعتقدات الدينية"^(٣). وهذا هجوم صريح على الإسلام والدولة العثمانية ، ودعوة مباشرة للتخلص من الحكم العثماني .

وخرجت الجنان بعد ذلك بنتيجة مؤداها، وجوب فصل الدين عن السياسة، وهي كما يذكر سليم البستاني، من الحسنات التي يجب الأخذ بها نقلًا عن التمدن الأوربي الحديث، ومن شأن هذا المبدأ ترقية البلاد وتقدم الثروة في كافة مجالات العمل الاقتصادي. وهي دعوة لإحلال العلمانية محل الدعوة الدينية^(٤) وبذلك فالجنان تقدم العديد من النقد الموجه للوضع القائم مطالبة بعدد من الإتجاهات الجديدة مثل الاتجاه العلماني والإعلاء من شأن الفكرة الوطنية في مواجهة الفكرة الدينية.

-
- (١) سليم أفندي البستاني: الإصلاح. الجزء السابع، انيسان، ١٨٧١، ص ٢١٠ .
 - (٢) سليم البستاني: لماذا نحن في تاجر، الجنان، الجزء السادس، آذار، ١٨٧٠، ص
 - (٣) موسى طنوس: الألفة - الجنان، الجزء الخامس، آذار ١٨٧٠، ص ١٣٦ - الجنان الجزء العاشر، أيار ١٨٧٠، ص ٣٠٣ .
 - انظر أيضا: حين الخوري: الدين والوطن، الجنان، الجزء الرابع عشر، تموز ١٨٧٠، ص ٤٣٦ .
 - (٤) سليم البستاني: الحكام - الجنان، الجزء السادس عشر، آب ١٨٧٠ م ص ٤٨١ - انظر أيضا: موسى طنوس: الألفة، الجنان، الجزء الخامس، آذار ١٨٧٠، ص ٣٠٤ .

و الدعوة للوطنية جرت الحديث لمجال آخر أشد أهمية وهو الموقف من الدولة العثمانية حيث وجه النقد اللاذع للدولة وللمجالس التي أنشأتها متهمة إياها بالفساد، ولذا فالعدل لا يتحقق إلا إذا كانت الأمة الحاكمة كلها من أمة واحدة ذات مكانة حضارية وأدبية رفيعة لا من أمة ما زالت تعيش فى طفولية الآداب والمعارف^(١)، يقصد العثمانيين .

وهنا بدأت الجنان فى بذر البذرة الأولى لوجوب الانفصال عن الدولة العثمانية، فالعثمانيون حسب قول المجلة ليسوا عربا وهم ليسوا أهل حضارة قديمة بل أنهم ما زالوا أطفال فى سلم الحضارة.. وتطورت هذه الدعوة لأن يحكم العرب أنفسهم بأنفسهم، وهنا الدعوة للقومية العربية والانفصال عن الحكم العثماني أو كما كانوا يسمونه فى الجمعيات السرية، الاستعمار التركي^(٢).

ودعت الجنان لتحرير المرأة من أغلالها وإعلان المساواة بين الرجل والمرأة فى الحقوق، فللمرأة مثملا للرجل من الحقوق ولم يميز الخالق سبحانه وتعالى بين الذكر والأنثى من ناحية العقل والنطق وهما متساويان فى الخلقة البشرية^(٣) ودعت الجنان لتعليم المرأة، وإطلاق الحرية لعقلها لتفكر وتتدبر فى الأمور، فهى ليست مجرد إنسانة تعيش فى المنزل كقطعة الأثاث فقط، بل لا يجب ترك المرأة مغلوطة^(٤) فى قيود الخشونة القديمة^(٥)، وهذه

(١) سليم البستانى: جملة سياسية - الجنان، الجزء الثالث عشر، تموز ١٨٧٤ ص ٤٣٤ الجنان، الجزء الثامن عشر، ١٥ أيلول ١٨٧٧ ص ٦١٣ .

(٢) نفسه، ص ٤٣٥ . وانظر أيضا : سليم البستانى : لماذا نحن فى تأخر، مرجع سابق، ص ٢١١-٢١٢ .

(٣) سليم أفندى صدقة: فى حقوق النساء، الجنان، بيروت، الجزء الثانى عشر ١ تموز ١٨٧٠، ص ٤٠١ .

* نصح المشترون أعوانهم على الاهتمام بالمرأة والعمل على ترويح النموذج الغربى عن طريق السير على هذه الأسس وهى :

١. إيجاد بيوت للطلبة والطالبات، وإنشاء جمعيات للشبان والشابات .

٢. إيجاد الأندية والتشجيع على الاختلاط .

٣. الاعتناء بجلب النساء الأجنبية اللاتي يعملن فى مجال التبشير ليتصلن بالنساء المسلمات .

٤. مهاجمة تقاليد وعادات المرأة المسلمة ووصفها بالأغلال التى تقيدها .

راجع : محمد بن ناصر الشترى : مرجع سابق، ص ٢٦ .

محاولة مزيفة لتصوير وضع المرأة وكأنها مقيدة فى الأغلال ، ودعوة لترويج النموذج الغربى بين نساء الشام وهو ما يتفق مع أهداف الإرسالية الأمريكية .

على كل الأحوال فقد ساعد الجنان على نشر بعض النظريات الفكرية الحديثة فى البلاد الشامية، وكان عضداً قوياً للتحول الفكرى التى بدأت بوادرها الأولى فى هذه البلاد فى نفس الفترة الزمنية .

عمل الجنان على نشر الآراء الداعية للتخلص من الحكم العثمانى، وإعلاء شأن الأفكار القومية، والإعلاء فى شأن العرب فى مقابل قيام المجلة بوصف الدولة العثمانية للانحطاط ومسئوليتها عن التخلف الذى صار إليه العرب .

عملت على الدعوة لإعلان المساواة بين الطوائف وإلغاء التمييز الدينى بين المذاهب .

ثانياً: موقف مسلمى الشام من الإرسالية الأمريكية :

من خلال المصادر والوثائق، الخاصة بالإرسالية الأمريكية فى السلم والتي أمكننا الإطلاع عليها يمكننا أن نرصد الفشل الذى منيت به هذه الإرسالية فى العمل وسط المسلمين فحولت نشاطها التبشيرية وجهه أخرى للعمل بين المسيحيين من المذاهب الأخرى. ولكن ظل النشاط التعليمى للإرسالية الأمريكية يؤرق المسلمين^(١) خصوصاً فى ظل الانتشار الهائل

(١) فرنسيس أفندى فتح الله مرآش : المرأة بين الخشونة والتمدن، الجنان، الجزء السابع عشر، بيروت، أيلول، ١٨٧٢ - ص ٥٨٧ .
- انظر أيضاً: سليم البستانى: نجيب ولطيفة، الجنان الجزء السادس، ١٥ آذار ١٨٧١، ص ٢٠١ .

* يذكر القس صمويل زويمر - وهو أشهر مبشر أمريكى فى القرن العشرين - تعليقا على الفشل الذريع فى التبشير بين المسلمين ، موجهها حديثه للمبشرين قائلا : "لكن مهمة التبشير التى نذبتكم لها الدول المسيحية فى البلاد الإسلامية ليست فى إدخال المسلمين فى المسيحية ، فإن فى هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم هى أن تخرجوا المسلم من الإسلام - عن طريق التعليم - ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صلة له بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها . راجع مانع بن حماد الجهنى : مرجع سابق ، ص ٦٧٩ .

للتعليم الأمريكي وانتشاره وسط المسلمين بشكل كبير، فكان العمل على مقاومة هذا النشاط عن طريقين:

- ١- إنشاء الجمعيات لنشر التعليم بين المسلمين ————
- ٢- نقد النظام التعليمي الأمريكي في الشام والتحذير منه.

١- إنشاء الجمعيات الخيرية :

لم يكن المسلمون راضين عن مدارس الإرساليات، وكانوا يشكون في أهدافها ؛ وذلك لإلحاحها على التبشير وتعليم الدين المسيحي حتى للمسلمين من الطلاب ، ولشكهم بإخلاصها فهي في ظنهم لم تتجشم هذه المشاق، رحمة بالشرق. وإنما رغبت في أن تجعل لمشربها السياسي حزبا لها. وتجاه هذا كله، كانت حركة التجديد الإسلامية قد وصلت للشام^(١) ودبت الغيرة والحمية بين نفوس المسلمين فظهرت جمعية المقاصد الخيرية في بيروت وصيدا، وظهرت الجمعية الخيرية في دمشق، وكانت خاتمة ذلك النشاط الكلية الإسلامية في بيروت، وبعض الجمعيات في المدن الأخرى.

ذلك أن النهضة العلمية التي قامت بها الإرسالية الأمريكية في الشام استفاد منها في الأساس المسيحيون الشوام، لذا فكر المسلمون في ترقية أحوالهم الثقافية والعلمية بإنشاء المدارس الإسلامية.

أ- جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية^(*):

هي أول جمعية إسلامية في الشام افتتحت في غرة شعبان ١٢٩٥هـ — آخر يوليو ١٨٧٨م، بغرض نشر العلم بين المسلمين، فساهمت في نشأة

(١) نعيم عطية: معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الأخيرة، منشور ضمن كتاب. الفكر العربي في مائة سنة. هيئة الدراسات العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٤٧٥.

(*) عند تأسيسها كان النص التأسيسي لها " أنه بعد الإنكسار على الله سبحانه وتعالى والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه على أن يكون كل منهم عضداً واحداً متناصرين لمنافع الوطن العمومي والذب عن مضاره بكل إقدام بما في الوسع والإمكان والله المستعان " أحمد عارف الزين "مرجع سابق، ص ١١٠ .

مدرستين للبنين ومدرستين للبنات^(١) وزاد نشاط هذه الجمعية بشكل كبير ففي عام ١٨٨٠ بلغ عدد تلميذات مدرسة البنات ٤٨٠ تلميذة بعد أن كن في العام السابق ١٥٠ تلميذة، وبلغ عدد الذكور في نفس العام ٢٤٠ تلميذ، كما أن هذه الجمعية سعت في إرسال خمسة طلاب للدراسة في مدرسة الطب بالقصر العيني، على نفقة الجمعية ذاتها، وأعلنت عن رغبتها لإنشاء مدرسة داخلية^(٢).

واستفادت الجمعية من النهج الدعائي الذي أسسته المدارس الأمريكية في الشام بجعل امتحاناتها علنية، وإقامة الحفلات، ودعوة الناس إليها، من ذلك امتحان مدرسة الإناث التابعة لجمعية المقاصد الخيرية، والذي كان علنيا، ورحبت به كل الصحف الإسلامية لبراعة التلميذات في العلوم التي امتحن فيها^(٣).

ونالت الجمعية تعضيد ومساندة الإدارة العثمانية على أساس أنها فرصة للوقوف في وجه التبشير الأمريكي ومدارسه^(٤) وكان قمة النشاط العلمي لهذه الجمعية إنشاء الكلية الإسلامية في بيروت والتي رأسها أحمد عباس الأزهرى وذلك كرد فعل على الجامعة الأمريكية في بيروت- الكلية الإنجليزية السورية^(٥) وفي ظل هذا النجاح كانت الجمعية نموذجا للجمعيات الإسلامية التي أنشئت في المدن الشامية الأخرى^(٦).

-
- (١) نعمان أفندي قسا طلي : الروضة الغناء في دمشق الفيحاء، بيروت ١٨٧٩، ص ٢٠ . هشام نشاة: الشيخ عبدالقادر القباني وجريدة ثمرات الفنون، منشور ضمن كتاب "الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ : ١٩٣٩ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د/ ت، ص ١٠٢ .
- (٢) المقتطف - الجزء العاشر من السنة الرابعة، مارس ١٨٨٠، ط ٢١، ص ٢٧٨ .
- (٣) أبابيل، الاثنين ٢٤ رجب ١٣٣٠، العدد ١٧١، بيروت .
- (٤) الإصلاح. السبت ١٩ تموز ١٩١٣، العدد ١٤٥٥، ص ٢ بيروت .
- (٥) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص ١٨٢ .
- عبدالكريم غرابيه - مرجع سابق، ص ١٧١ .
- (٦) أبابيل: الاثنين ٢٩ شعبان ١٣٣٠، ١٩١٢، بيروت - ص ٢ .

وبالرغم من نشاط الجمعية إلا أنها لم تستطع أن تقف في وجه الإرسالية الأمريكية ولا أنشطتها المختلفة وذلك للعجز والقصور في النواحي المادية التي واجهت الجمعية^(*).

ب- الجمعية الخيرية الإسلامية في دمشق :

أنشئت في دمشق بأمر من واليها مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧١م) ودفعاً لشبهة العمل السياسي أسميت الخيرية، وكان همها الأساسي العمل على توعية الناس وبث حيب العلم والرغبة في تحصيله بين الشباب المسلمين^(١) وكان يوم ٥ فبراير يوماً مشهوداً في دمشق إذ خطت الجمعية الخطوط العملية الأولى في الرد على المبشرين الأمريكان، فقد افتتحت المدرسة الأولى في بناء جامع "السياغورشة" وانتسب إليها ١١٦ تلميذاً، وفي خلال عام ١٨٧٩ تم افتتاح المدارس التالية:

- في يوم ٣ مارس افتتحت مدرسة الحبال وقد انتسب إليها ١٠٠ تلميذاً
- في يوم ٨ مارس افتتحت مدرسة السياهية وقد انتسب إليها، ١٤ تلميذاً
- في يوم ١٦ مارس افتتحت مدرسة الشامية وقد انتسب إليها ١٥٢ تلميذاً
- في يوم ١٨ مارس افتتحت مدرسة الخانكية وقد انتسب إليها ٩٨ تلميذاً
- في يوم ١ إبريل افتتحت مدرسة الصاحبة وقد انتسب إليها ٥١ تلميذاً

(*) في نفس الوقت انطلقت الدعوى لنبيذ الجهل ونشر التعليم وهي في حد ذاتها توضح العجز الشديد للجمعيات الإسلامية عن فعل شيء يذكر أمام نشاط الإرسالية الأمريكية من ذلك "ويشاهد المتجول قرى خالية من المعاهد العلمية والرجال المفكرين بالحياة الأبدية وأطلالا تندب أبناء مضوا وأجداد درجوا مع الأيام السالفة، تلك حالة تدمى القلوب وتدمع العيون بينما نرى الأعيار تنشط من عقال الكسل والخمول وتخلع عنها جلايب الجهل وترتدى حلال العلوم والمعارف"، أحمد الباشا - إلى مجلس عمومي سورية - الإقبال - بيروت / ١٦ آذار ١٩١٤، العدد ٥٣٨، ص ٧.

(١) على محافظة (دكتور): الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨ : ١٩١٤ - الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٧.

وأخر مدرسة أعلنت الجمعية عن افتتاحها فى السنة كانت مدرسة "البيزورى" وقد افتتحت يوم ١٦ يونيو ١٨٧٩م^(١).

وهناك كثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية الأخرى التى أنشئت للرد على الأعمال التبشيرية الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية فى لواء القدس^(٢) وكذلك جمعية البر والإحسان فى يافا^(٣) وأيضاً جمعية الدعوة والإرشاد التى عمل رشيد رضا^(٤) على تأسيسها منذ كان فى طرابلس يتلقى العلم فيها، ولكنه لم ينجح فى تكوينها إلا فى عام ١٩٠٩ فى القاهرة^(٥).

٢- نقد المسلمين للنظام التعليمى الأمريكى فى الشام:

وقف المسلمون موقفاً عدائياً إزاء التعليم الأمريكى وهاجموه بشدة ولكن هذا الهجوم أن كان قادر على الهدم- وهى مرحلة لم يصل إليها فإنه لم يكن يمتلك البديل الذى يقدمه للناس، فكان الضرر على المسلمين أكثر لأنهم تخلفوا عن ركب العلم الحديث، لفترة من الزمن.

(١) عدنان الخطيب: مرجع سابق، ص ١٠٦ .

(٢) فلسطين، الأربعاء ١١ حزيران ١٩١٤، العدد ٣٣٠ - يافا - ص ٥ .

(٣) فلسطين، ٤ حزيران ١٩١٤، العدد ٣٢٨، يافا، ص ٤ .

* رشيد رضا : ولد فى عام ١٨٦٥ فى طرابلس الشام ، وبدأ تعليمه على الطريقة التقليدية ، ثم تعلم الفرنسية وذهب إلى مصر وأمضى فيها بقية حياته يصدر جريدة المنار ، التى استمر صدورها ما بين عامى ١٨٩٨-١٩٣٥ . وقد تأثر رشيد رضا بتعاليم محمد عبده ، وأصبح رضا الزعيم الروحى للحركة السلفية ، له العديد من المؤلفات أشهرها كتاب "الخلافة" الذى وصف بأنه أحسن عرض موثق للنظرية الإسلامية فى الدولة الإسلامية منذ كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردى . وفى عدد من مقالاته فى جريدة المنار وقف رشيد رضا إلى جانب العرب ضد العثمانيين ، وهاجم السلطان عبد الحميد الثانى متهما إياه بالاستبداد ، كما أيد الاتحاد والترقى ، ولكنه عارضهم بعد تنكرهم للعرب واتباعهم سياسة التتريك . راجع : عبد الكرم رافق : مرجع سابق ، ص ٥٢١-٥٢٢ .

(٤) أحمد فهد بركات الشوابكة: مرجع سابق، ص ٧٩-ص ٨٠ .

كان تعليم البنات الهدف الأول للنقد، فقد هاجم البعض تعليم البنات وانهن وأن كن يتعلمن اللغات الأجنبية والعلوم الحديثة فأنهن لا يتعلمن اللغة العربية ولا علم الأخلاق وواجبات الزوجة ولا إشغال المنزل وهي معلومات ضرورية لكل زوجة ولكنها مهمة في التعليم الأجنبي^(١).

وامتدت الدعوة بعد ذلك للقول أن التعليم الأجنبي الأمريكي في الشام أصبح من أهم أسباب تأخر الزواج^(٢)، وقد نقد أحد المعارضين بقوله: "وعندى أن المرأة تلد ولدا تعلمه التعليم الصحيح والتربية النافعة الدينية لهى خير من ألف امرأة تأخذ شهادة الليسانس على النظام الأوربي، ومما تقدم يعلم أن تعليم البنات اليوم كله فاسد ونظام مدارسها عقيم جدا^(٣) ويخرج آخر بقوله" هل تعلمن ترتيب البيت ومساعدة والدتهن والاعتناء بأخواتهن وتكريم والديهن، أقول ولا أخاف اللوم أنهن لم يتعلمن شيئا من هذا، فماذا تعلمن إذا، والجواب المختصر أنهن تعلمن الموضه"^(٤).

وفى مواجهة التعليم التبشيري الأمريكى أصدر العلماء الفتاوى التى تحرم على المسلمين دخول مدارسهم ، ومن ذلك تلك الفتوى التى أصدرها علماء الدين فى الشام فى عام ١٩١٣ ردا على سؤال : "ما قول علماء الإسلام نفع الله بهم الخاص والعام فيمن يتدين الإسلام ثم يدخل ولده ذكرا أو انثى فى مدارس البروتستانت وهم موظفون من قبل رؤساء قومهم للدعوة إلى النصرانية ولهم على ذلك معاشات تقوم بجميع لوازمهم ونفقات يبلونها فى كل ما يروج الاستجابة إلى دعوتهم ويتظاهرون بأنهم معلمون وتصريحهم بأنهم بالنصرانية مبشرون فهل يجوز ذلك فى شريعة الإسلام، أفقتونا بهذا المصايب جماعة من المسلمين"^(٥). وكانت الإجابة : لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسلم ولده ذكرا أو أنثى لغير المعلمين من

(١) نجيب الحاج: مدارس البنات وتعليمهن - أنيس الجليس ، الجزء السادس العلم

الرابع . ٣٠ يونيو ١٩٠١، ص ٦٨٤ .

(٢) نجيب الحاج: قلة الزواج - أنيس الجليس، الجزء الأول من السنة الخامسة ١

يناير ١٩٠٢ .

(٣) محمد الباطن. تعليم البنات، الإقبال، الاثني، ١٢ كانون الثاني، ١٩١٩، العدد

. ٥٢٩

(٤) نجيب أفندى مشعلاق: تعليم البنات، الجامعة العثمانية، الجزء الثامن من المجلد

الأول. يوليو ١٨٩٩، ص ١٤٢ - ألقى في جمعية شمس البر البيروتية.

(٥) الإقبال: الاثني ٩ حزيران ١٩١٣، العدد ٥٠٠، ص ٣ .

يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسلم ولده ذكرا أو أنثى لغير المعلمين من المسلمين لا في مدرسة ولا في غيرها حتى مع أنها محققة بالمشاهدة فقد صار من المعلوم الضروري عند كل من له تمييز وبصيرة أن المسلم في هذه السنين الأخيرة قد يأمن جانب المسيحي الحيشى أو اليهودى أو جانب المجوس أو الوثنى ولا يمكنه أن يأمن جانب المسيحي الأوربى والأمريكى وعلى الخصوص هؤلاء المبشرين بالفساد^(١).

وبالرغم من هذه الفتوى، بدأ المسلمون ينضمون بصورة كبيرة للمدارس الأمريكية وجاءت كل الجهود لمنعهم بأثر عكسى تماما. وذلك لعدة أسباب :

- ١- كانت مدارس الجمعيات الإسلامية من الفقر الشديد سواء في مناهج وطرق التعليم أو في الافتقار لسياسة تعليمية واضحة وطويلة ومخططة مثلما كان الحال عند الإرسالية الأمريكية.
 - ٢- عمل المسلمون على توجيه سهام النقد للتعليم الأمريكى-خصوصا تعليم البنات-دون وضع أسلوب بديل، وباقتنار لروح العصر ومتغيراته مما أدى لأثر عكسى وإزداد انتشار التعليم الأمريكى بين المسلمين.
 - ٣- عانت الجمعيات الإسلامية من الفقر الشديد فى النواحي المادية، لذا لم تكن قادرة على الاستمرار فى تقديم خدماتها، ولا نشر المدارس.
- ثالثا: موقف الطوائف المسيحية الأخرى من الإرسالية الأمريكية فى الشام :

رأينا مما سبق أن الإرسالية الأمريكية فشلت فى أن تجد لها منفذ لتبشير المسلمين فعملت على التبشير بين الطوائف المسيحية الشرقية، مثل الموارنة والأورام الأرثوذكس، فى الوقت نفسه حدثت منازعات و منافسات ما بين اليسوعيين الذين كانوا يساندون الكاثوليك وبين الإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام.

فقد كان لمجىء الإرساليات التبشيرية أثر فى إنكفاء الخلاف الطائفى بين المسلمين والمسيحيين وكذلك امتداد التبشير البروتستانتي أدى لردود فعل عنيفة من قبل الطوائف المسيحية الشرقية التى أحست وكأنها تهزم فى عقر دارها^(٢).

(١) الإقبال: الآتين ٩ حزيران ١٩١٣، العدد ٥٠٠، ص ٤.

(٢) نعيم عطية: مرجع سابق، ص ٤٧٠.

فما أن جاء المبشرون البروتستانت إلى سورية حتى وقف رجال المذهب الماروني والمذهب الأرثوذكس موقف الدفاع الشديد، فكان البطريرك الماروني يهدد كل ما روني يقترب من البروتستانت أو يعاملهم أو يؤجرهم سكنا أو يزورهم أو يلبي لهم طلبا أو يساعدهم على البقاء في البلاد بالحرمان^(١).

وقاد بطرك الموارنة حربا شرسة ضد من يعتنق البروتستانتية من أتباعه، فقد رأى في البروتستانتية عدوا كبيرا يواجه نفوذه ويعمل على تعويضه فمضد بداية نزول الإرسالية الأمريكية الشام، أعلن البطريرك الحرمان ضد كل الذين ارتادوا المدارس الإنجيلية، وقد استجابت الموارنة لنداء البطريرك وكان من نتائجه إحراق أناجيل الأمريكان والإنكليز علنا لأنهم في راية أكفر الكافرين^(٢).

فعندما أعلن المعلم أسعد الشدياف انضمامه للإرساليات الأمريكية واعتناقه البروتستانتية، وترك العمل في الكنيسة المارونية فقد كان معلما للمبشر الأمريكي فسك ثم بيرد للغة العربية، وعندما عجز البطريرك الماروني عن رده للمارونية ألقى في غرفة من غرف الدير حيث مات تحت أثر التعذيب حوالي عام ١٨٣٠ وأعلنت الإرسالية الأمريكية أن أسعد أول شهيد للبروتستانتية في الشام^(٣).

وعلى هذا النهج سار الموارنة في تعذيب كل من يعتنق المذهب البروتستانتية^(٤) واستخدموا كافة الوسائل والأساليب التي تحول دون ذلك، فعندما اعتنق أحمد فارس الشدياق "أخو سعد" البروتستانتية مثل أخيه، عذبه الموارنة فهرب لمالطة يدعوه من المبشرين الأمريكيين وكان يقوم خلال

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ - مرجع سابق، ص ١٣٧ .

(٢) محمد أحمد ترحيني: الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٣ .

(3) American Beard of Commissioners For Foreign mission op. cit. Pp. 2:5.

(*) يذكر فاندريك في مذكراته كيف اختطف الأكبروس الماروني شابان مارونيان اعتنقا المذهب البروتستانتية، وكيف أتهم أو سوعوا المبشرين الأمريكيين المتصاحبين لهما ضربا - كرنيسوس فاندريك: مذكراته - الهلال، ٦-١٩، مجلد ٤٤، ص ٢٠٤ .

الفترة التي قضاها معهم والتي بلغت أربعة عشر عاما بتدريس اللغة العربية للمبشرين^(١).

ولم يكن الروم الأرثوذكس أقل عداء للإرسالية الأمريكية من الموارنة، فقد سعى رجال الإكليروس الأرثوذكس بشتى الوسائل لحماية رعيته من أثر الإرسالية الأمريكية^(٢). ففى حمص عذبت فتاة لمجرد زيارتها لزوجة المبشر ويلسن، وغير ذلك من المواقف التي تدل على موقف رجال الإكليروس الأرثوذكس^(٣).

وفى مواجهة النشاط التبشيري الأمريكي عمل الأرثوذكس على الدعوة لإنشاء المدارس والكليات العالية لمواجهة نشاط الإرسالية الأمريكية المتزايد^(٤) كما أنشأ عدد من المتعلمين الشباب الأرثوذكس "الجمعية السورية الأرثوذكسية" فى بيروت وذلك للرد على دعاية الإرسالية الأمريكية فى التبشيريين الأرثوذكس^(٥).

وفى مواجهة التعليم الأمريكى أصدر البطاركة الأرثوذكس فى استانبول والقدس أمر بأنه يجب على كل أطفال الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ترك المدارس الأمريكية، وأنذر الناس بسحب أطفالهم وإلا يتم حرمانهم، ما منع المدرسين الأرثوذكس من العمل فى المدارس الأمريكية^(٦) نفس هذا الموقف من التعليم الأمريكى وقفه الموارنة الذين عملوا على مقاومته، بل أنهم أغروا الأمير بشير الشهابى بإغلاق المدارس الأمريكية فى جبل لبنان ولما ذهب أحد كبار الدروز يحتج على ذلك ويفهم البطريريك أن هذه

(١) محمد الهادى المطوى: مرجع سابق، ص ٧١ .

- جورجى زيدان: تراجم، مرجع سابق، ج٢، ص ١٠١ .

- د/ عبدالعزيز نوار: وثائق أساسية، مرجع سابق، ص ٣٥٢ .

(٢) كمال الصليبي: مرجع سابق، ص ٩٠ .

(٣) انظر تلك المواقف فى : مصطفى الخالدى وعمر فروخ، مرجع سابق،

ص ١٣٨ .

(٤) جورجى زيدان: الهلال، العدد ٢، عام ١٩٥٢، ص ٥٨ .

(٥) عبدالكريم غرايبة: مرجع سابق، ص ٢٢٣ .

(6) Missionary Herald – July, 1837. Journal of Nr W. m. Thomson an maunt Jebanon. Pp.97.

المدارس وهى مسيحية أصلا إنما جعلت لفائدة الطرفين فأجابته المطران المارونى ببيروت أنه سيبتش بكل درزى ويخضع الهراطقة عن قريب لإرادته^(١) ، وأنه سيغلق مدارسهم - أي مدارس الأمريكيين - فى الجبل بسبب تهديد وضغط^(٢) (الدروز).

وبذلك نرى كيف وقف المسيحيون الشوام فى وجه الإرسالية الأمريكية موقفا عنيفا، ولكن هذا الموقف لم يؤثر كثيرا على أعمال الإرسالية الأمريكية سوى فى بدايتها، ولكن بعد أن ثبتت جذورها فقدت هذه المقاومة معظم أسلحتها وخصوصا أن الإرسالية الأمريكية ووجهت معظم نشاطها للتعليم.

وأثار نشاط الإرسالية الأمريكية غيره البعثات الكاثوليكية التى أخذت بدورها تعمل على نشر التعليم وإقامة المدارس وأصبح اليسوعيون^(*) الذين عادوا منذ عام ١٨٣١م هم القوى الرئيسية المنافسة للإرسالية الأمريكية^(٣).

(١) نادر العطار: مرجع سابق، ص ١٩٠ .

(*) وقف الوزير الإنجليزى المشارك فى لجنة التحقيق الخاصة بأزمة ١٨٦٠ موقفا مؤيدا للدروز فأرجع المورانة السبب فى ذلك لمقاومة الأكلروس المارونى للإرسالية الأمريكية البروتستانتية. الأب لويس بلبيل اللبنانى : تبرير النصلوى مما نسب إليهم فى حوادث ١٨٦٠، المشرق، المجلد ٢٦ عام ١٩٢٨، ص ٦٤٣ .

(٢) مذكرات كرنيلوس فاندريك: الهلال، المجلد ١٤، الجزء الخامس، ١٩٠٦، ص ٢٧٤ .

(*) جاء اليسوعيين إلى بلاد الشام لأول مرة ١٦٢٥م، ورغم العديد من الصعوبات التى قابلتهم، فقد استطاعوا أن يحتفظوا بكيانهم وينجزوا أعمالهم بشئ من النجاح، وألغيت جمعيتهم فى عام ١٧٧٣م فتنفروا وأغلقوا معظم مؤسساتهم الشام ، ولم يعودوا مرة أخرى لممارسة نشاطهم فى الشام إلا ابتداء من عام ١٨٣١م لمواجهة النشاط التبشيرى الأمريكى : المجلد ٢٥، عام ١٩٢٧، ص ٥٥٨ .

شمس الدين الرفاعى: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٨ .

(٣) محمود صالح منسى: مرجع سابق، ص ٥٤ .

- سوسن سليم: مرجع سابق، ص ١٥٣ .

كان الميدان الرئيسي للمنافسة بين الإرسالياتين الأمريكية واليسوعية هو التعليم فيذكر الأب جوليان اليسوعي "إذا لم يدخل الآباء بعزم في هذا السبيل فإن المبشرين الأمريكيين والأنكليز يوجهون تباد البروتستانتية بكامله، فحماية مسيحي سوريا من إغواء البروتستانتية ومذهبها في مهام مبشريننا الأولى وهدفاً وموضوعاً لجهودهم الثابتة"^(١) وأخذ اليسوعيون في إنشاء العديد من المدارس الثانوية والعالية أسوة بالبروتستانت^(٢) وما أن أسس الأمريكيون كليتهم السورية الإنجيلية حتى أسرع اليسوعيون لنقل مدرستهم من قرية غزير^(٣) لبيروت^(٤) وبدأوا يضعون أساس جامعة القديس يوسف لينافسوا بها الجامعة الأمريكية^(٥).

ونتيجة للمنافسة الحادة بين الفريقين-الأمريكان، واليسوعيين-فقد اتسعت المعرفة بالثقافة الغربية، فقد غنمت الشام عدداً كبيراً من المدارس لتعليم جميع الطوائف بلا استثناء فقد قال أحد رؤساء البروتستانت: إن اليسوعيين في سوريا لا يفعلون شيئاً سوى تقليدنا، فإذا أنشأنا مدرسة أنشأ اليسوعيين ما يماثلها، وقد أنشأنا جامعة بروتستانتية، فحصلوا من روما على إذن بإنشاء جامعة في بيروت، وأنشأنا مطبعة باللغة العربية فأنشأوا مثلها^(٤).

(١) نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ٨ .

(٢) أحمد سراج الدين: مرجع سابق، ص ٣٣٢ .

(**) بالرغم من محاربة الفرنسيين للتربية اليسوعية داخل فرنسا، كان رئيس وزراء فرنسا يصرح "أن معاداة اليسوعيون ليست سلعة للتصدير" بمعنى أن اضطهاد فرنسا للتربية اليسوعية في داخل فرنسا اتخذ طابعاً معكوساً في الشام حيث أمدوهم بكل وسائل الدعم .

(٣) خليل صابات (دكتور): تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٥٨، ص ٥١ .

- الطيب: بيروت، الجزء الحادي عشر، السنة الأولى، ١٥ آب ١٨٨٤، ص

٢١٦ .

(٤) محمد الحادي المطوي: مرجع سابق، ج ١ ص ٣١ .

- نور الدين حاطوم: مرجع سابق، ص ١٣١ .

وبذلك فقد أفادت هذه المنافسة في إثراء الحياة الفكرية والعلمية في بلاد الشام حيث التنافس على إصدار الصحف وإقامة الجمعيات وإنشاء المدارس، ولكنها أضرت بالشام حيث عمقت البعد الطائفي، وأعطت الأجنبي حجة وتكأة للتدخل الأجنبي، كما أنها جعلت من الشباب الشوام عدة مشارب تبعا لنظم تعليم كل منهم .

الخاتمة

وجدت الكثير من دوافع التبشير الأمريكي في منطقة الشام لعل أهمها — في البداية على الأقل — الدافع الديني الذي دفع المبشرين للخروج من بلادهم لنشر المذهب البروتستانتى في بلاد الشام ، وتحقيقاً للنبوءات التوراتية التي يؤمنون بها مثل عودة المسيح قبل نهاية الألفية الثانية ، وتحقيقاً لهذا المبدأ الديني عملوا على محاولة تحقيق شروط هذا المبدأ وهو عودة اليهود — شعب الله المختار من وجهة نظرهم — لفلسطين ، من هنا كان الاهتمام المتزايد بمحاولة اكتشاف فلسطين ودراسة جغرافيتها وتاريخها ونباتها وكل ما يرتبط بها ، وهكذا كان البروتستانت أسرع من اليهود أنفسهم في الدعوة لإقامة وطن لهم في فلسطين .

لم تقتصر هذه الدوافع على العامل الديني فقط فسرعان ما أضيف إليها عوامل أخرى مثل العامل السياسي الذي سرعان ما سيطر على معظم أعمال الإرسالية التي أصبحت داعية للوجود السياسي الأمريكي في بلاد الشام وأصبح المبشر الذي جاء في زي القسيس هو كتيبة الغزو الاستعماري المبكر الذي سبق مرحلة الاستعمار .

وقد كشفت الأنشطة المختلفة التي قامت بها الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام عن تدهور في الفكر القائم بين مختلف الطوائف المسيحية والطوائف الأخرى مثل الدروز والنصيرية والإسماعيلية والتي شابته الأساطير معظم تعاليمهم ومعتقداتهم الدينية ، وهنا كانت الحاجة ماسة لإعادة التفكير في تحديد البناء الفكري لهذه الطوائف .

استخدمت الإرسالية الأمريكية مختلف الوسائل لبيسط نفوذها ونشر أفكارها التي تؤمن بها وكان التعليم أحد أهم الوسائل فمن خلال مناهج

التبشير في الأساس ، أما العامل الحضاري فما هو الإقناع لإخفاء الحقيقة ورائه .

أصبحت الكلية الإنجيلية السورية – التي أصبحت فيما بعد الجامعة الأمريكية – في بيروت أهم جامعة في المشرق العربي وعن طريقها بذر الفكر القومي والمذاهب الفلسفية الحديثة والأفكار العلمانية التي لم تكن معروفة من قبل في بلاد الشام ، وعن طريق التنافس بين الإرساليات المختلفة أنشئت عدة جامعات أخرى مثل جامعة سان جوزيف التي أنشأها اليسوعيون في بيروت لمنافسة الكلية الإنجيلية السورية ، وبذلك ساد التعليم الغربي والثقافة الغربية وساعد على ذلك أن الأكثرية من سكان الشام كانوا نصاري بعكس ما حدث في الدولة العثمانية – بعد التنظيمات – ومصر فقد أصابها الازدواجية الفكرية ما بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي التقليدي وذلك عائد لأن الأكثرية مسلمة .

عملت الإرسالية الأمريكية – ومن جانبها الإرساليات الأخرى التي تنافست معها في كل شيء – على القضاء على الدولة العثمانية بوصفها دولة الإسلام الكبرى والتي تقف حائل منيع أمام المخططات التبشيرية ، وأيضاً بوصفها رمز يجب القضاء عليه وهو ما نجحوا فيه في النهاية .

وفي سبيل القضاء على الدولة العثمانية كان الاهتمام المبكر بنشر فكرة القومية العربية لذا خرجت القصيدة الأولى في تمجيدها من إبراهيم اليازجي وداخل إحدى الجمعيات التي أسستها الإرسالية ، وبعد أن بدأ ساعد الفكرة يقوى عملت الإرسالية على القضاء عليه وهنا يتضح عدة عوامل أهمها : أولاً : أن الإرسالية عملت على تدعيم فكرة القومية العربية في مواجهة الدولة العثمانية وبعد أن تم القضاء عليها لم يعد هناك حاجة لهذه الدعوة ، وثانياً : تحولت ريادة الفكرة القومية العربية من المسيحيين للمسلمين الذي أصبحوا أكثر اهتماماً باللغة والأدب والتراث العربي ، كما أن

الإرسالية نفسها روجت للأفكار الإقليمية والقومية الأخرى لا سيما بين الأرمن .

عملت الإرسالية على استخدام اللغة العربية في التعليم في مدارس الإرسالية وفي الكلية الإنجيلية السورية وذلك للتقرب من الأهالي وإحياء الكتب العربية والأدب والتراث العربي وذلك أيضاً لتقوية فكرة القومية العربية ثم بعد ذلك تم التخلي عن اللغة العربية واستخدمت اللغة الإنجليزية كبديل ، واستفادت اللغة العربية من ذلك فائدة كبيرة فقد ترجمت إليها كتب في مختلف العلوم الحديثة وأضيف إليها المصطلحات العلمية الحديثة مما يعني قدرة العربية على المرونة وبعدها عن الجمود والتخلف .

من الشام حزبت الإرساليات الأمريكية للعمل في مصر والعراق والخليج العربي وغيرها من بلدان المغرب العربي فكانت الشام بذلك المحطة الأولى لعمل هذه الإرساليات ، ولمحاولة استكشاف المناطق التي ستعمل بها ، وعلينا أن نعي أن الإرساليات الأمريكية ما كان لها أن تمارس هذه الأنشطة لولا ضعف الدولة التي بدأت تفقد سيطرتها على مقاليد الأمور خصوصاً بعد التنظيمات .

المصادر والمراجع

- أولاً- الوثائق غير المنشورة .
- ثانياً- الوثائق المنشورة .
- ثالثاً- المذكرات .
- رابعاً- المراجع .
- خامساً- الرسائل الجامعية.
- سادساً- المقالات والبحوث .
- سابعاً- الدوريات .

أولاً : الوثائق (غير المنشورة) :

أ - الوثائق العربية :

- دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ أبحاث الشام
وهي تبدأ بالمحفظة رقم (٦٥) وتنتهي بالمحافظة
رقم (٩٤) وقد قمت بمسح كامل لها .

ب - الوثائق الأجنبية (غير المنشورة) :

American Board of Commissioners for Foreign
missions, Missionary paper, No. 7 Memoir of Asaad
Eshshidiak .

List of American Educational, Religious, and
charitable institutions, in the Provinces of Syria, Beirut
and the Lebanon, May 1906. American Archives, T. 367,
Role 23, Lebanon .

ثانياً : الوثائق المنشورة :

أ - الوثائق العربية :

(١) أحمد الحتة : تقرير جورج جليدون للإدارة الأمريكية عن القنصليات

الأمريكية في الشرق نشر في البعثات المصرية إلى الولايات
المتحدة في القرن التاسع عشر .

(٢) أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد علي باشا

الكبير .

(٣) الأوامر والمكاتبات الصادرة من عزيز مصر محمد علي باشا ثم من

ولده إبراهيم إلى وفاته ، دار المخطوطات المصرية . رقم

. ٢٨٦٠٩

- (٤) بولس قرالي : فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان
وسوريا نقلاً عن تقارير أنطون كتافاكو قنصل النمسا في عكا
وصيدا ، مطبعة العلم لبنان ، ١٩٣٧ .
- (٥) الدستور العثماني : ترجمة نوفل أفندي نعمة الله نوفل ، المطبعة
الأدبية ، بيروت ، ١٣٠١ هـ .
- (٦) عبد العزيز نوار : وثائق أساسية من تاريخ لبنان ١٥١٧ : ١٩٢٠ م
، جامعة بيروت ، ١٩٧٤ .
- (٧) فليب جلاد : قاموس الإدارة والقضاء ، المطبعة التجارية ،
الإسكندرية ، ١٨٩٠ .
- (٨) فليب وفريد الخازن : المحررات السياسية ، جونبة ، لبنان ، ١٩١٠ .
- (٩) محمد فواد شكري : تقرير وليم هود جسون للإدارة الأمريكية عن
القنصليات الأمريكية في الشرق ، نشر في بناء دولة مصر
محمد علي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- (١٠) الهيئة العامة للاستعلامات : ملف وثائق فلسطين ، القاهرة ،
١٩٦٩م .
- (١١) ياسين سويد : فرنسا والموارثة ، تقارير ومراسلات الحملة العسكرية
الفرنسية على سوريا ١٨٦٠ : ١٨٦١ ، شركة المطبوعات ،
بيروت ، ١٩٩٢ .

ب - الوثائق الأجنبية المنشورة :

وهي عبارة عن رسائل وتقارير الإرسالية الأمريكية في الشام :

- (1) Missionary Herald, June. 1821, Report of the Station
Vol. 47, 1851.
- (2) -----, Jun. 1824, Beirut: Annual report.
- (3) -----, Dec. 1827, Extract From Mr. Goodell's
Correspondence.

- (4) -----, Jan. 1828, Western Asia, Vol. 24 (1828).
- (5) -----, Jan. 1829, Western Asia : Stations, Vol. 25 (1829) .
- (6) -----, March. 1829, Journal of Messrs Fisk and King at Jerusalem.
- (7) -----, May. 1829, Special Agency to the Meaditerranean, Vol. 25.
- (8) -----, Jan. 1830, Western Asia : Stations, Vol. 26 (1830) .
- (9) -----, Feb. 1830, Views and Proceeding in reference to the Mission, Vol. 26.
- (10)-----, Feb. 1830, Operations of the church, Missionary Society in the Mediterranean.
- (11)-----, Feb. 1830, Views and Proceeding pteference to this mission, Vol. 26, 1830.
- (12)-----, Feb. 1830, Books on Missionary Subjects designed for the young .
- (13)-----, Nov. 1830, Arrival of Messrs Bird and Whiting at Buyrout, Vol. 26.
- (14)-----, Nov. 1830, Report of the station at Beyroot, for the year 1835.
- (15)-----, Nov. 1830, Extract from a letter from Mr. Temple.
- (16)-----, Jan. 1831, Extract of a letter from Mr. king, Vol. 27 (1831).
- (17)-----, April. 1831, Pling Fisk.
- (18)-----, May. 1831, A jaint letter from Messrs Bird and Whiting.
- (19)-----, April. 1832, Extract from Journal of Mr. Whiting.
- (20)-----, Oct. 1832, Joint Communication from Messrs. Bird and Whiting, Vol. 28, 1832.

- (21)-----, Oct. 1832, Mediterranean.
- (22)-----, Dec. 1833. Printing Establishment for the Mediterranean.
- (23)-----, Dec. 1833, Printing Establishment for the Mediterranean.
- (24)-----, April. 1834, A General Letter from the missionaries.
- (25)-----, April. 1834, Syria, Vol. 30 (1834).
- (26)-----, Sep. 1834, Extracts from a communication of Messrs Bird, Smith and Theomson , Vol. 30, 1834 .
- (27)-----, Sep. 1834, Journal of Mr. Thomson.
- (28)-----, Feb. 1835, Journal of Mr. Thomson at Jerusalem.
- (29)-----, March. 1835, Extracts from Communication of Mr. Smith, Vol. 31, 1835.
- (30)-----, Feb. 1836, Journal of Mr. Whiting at Jerusalem.
- (31)-----, Feb. 1836, Letter from Mr. Whiting, Dated – May 1st 1835.
- (32)-----, March. 1836, Extracts from a letter of Mr. Thomson, Report of school and Viaity.
- (33)-----, March. 1836, Extract from a letter of Mr. Bird, Dated July 1835, Vol. 32, 1836 .
- (34)-----, April. 1836, Syria and the Holy Land, Quarter by Pafet, Vol. 32 (1836) .
- (35)-----, Nov. 1836, Report of the Station at Beyroot, for the year 1835, Vol. 32, 1836.
- (36)-----, Nov. 1836, Extracts from a general letter of the Missionary.
- (37)-----, July. 1837, Journal of Mr. W.M.Thomson on Mount Lebanon.

- (38)-----, June. 1838, Boohs Printed for the missionary of the Board.
- (39)-----, Sep. 1838, Journal of Mr. Whiting at Jerusalem.
- (40)-----, Oct. 1838, Report of Station at Jerusalem for the year ending, March. 1838.
- (41)-----, Nov. 1838, Report of the station at Jerusalem for the year ending. March, 1838.
- (42)-----, Nov. 1838, Report of the Mission Dated Dec. 31, 1838, Vol. 35, 1839.
- (43)-----, Nov. 1838, Report of the Station Beyroot for the year 1835, Vol. 36, 1838.
- (44)-----, Dec. 1838, Report of the Beyroot Station for the year 1837, Vol. 34, 1838.
- (45)-----, Oct. 1839, Journal of Mr. W.M. Thomson at Beyroot.
- (46)-----, Nov. 1839, Report of the mission dated – Dec. 1838.
- (47)-----, Sep. 1840, Annual report of the Beyroot Station, Dec. 31st, 1839.
- (48)-----, July. 1841, Report of the Station Beyroot, Jan. 1st, 1841, Vol. 37, 1841.
- (49)-----, July. 1841, Report of the Station at Beyroot. Jan. 1st, 1841, Vol. 37, 1841.
- (50)-----, July. 1841, Report of the Station at Beyroot, Jan. 1st, 1841.
- (51)-----, July. 1841, Report of the station at Bayroot.
- (52)-----, Aug. 1842, Report of the Jerusalem Station on for the year 1841, Vol. 38, 1842.
- (53)-----, Aug. 1842, Report of the Jerusalem Station for the year 1841.

- (54)-----, Feb. 1845, Miss Smith account of the rise of Prot estantism at Hasbeiya, Vol. 41, 1845.
- (55)-----, June. 1847, Appeal for Missionary.
- (56)-----, June. 1847, Report of the Station at Abeih.
- (57)-----, April. 1848, Report of the Abeih Station, Vol. 44, 1848.
- (58)-----, June. 1849, Report of the Station at Abeih.
- (59)-----, June. 1849, Report from the Beirut Station.
- (60)-----, Aug. 1849, Aleppo : A letter from Messrs Benton and Ford, Vol. 45, 1849.
- (61)-----, Aug. 1850, Abeih Report of the Station for 1849.
- (62)-----, Aug. 1850, Abeih Annual : Report of the Station for 1849.
- (63)-----, Aug. 1850, Abeih, Report of the Station for 1849.
- (64)-----, Jan. 1851, Letter from Mr. Whiting, July 23, 1850.
- (65)-----, Jan.: 1851, Abeih : A letter from Mr. Whiting, July 23, 1850, Vol. 47, 1851.
- (66)-----, June. 1851, Report of the Abeih Station, Vol. 47, 1851.
- (67)-----, April. 1851, Report of the Abeih Station .
- (68)-----, Feb. 1852, Aleppo : Letter from Mr. Ford, Oct. 22, 1851.
- (69)-----, April. 1852, Tripoli: Station report.
- (70)-----, May. 1852, Abeih: Annual report, Vol. 48 (1852).
- (71)-----, July. 1852, Beirut: Annual report.

- (72)-----, July. 1852, Beirut, Annual report, Vol. 49, 1853.
- (73)-----, May. 1852, Abeih Annual report, Vol. 48, 1852.
- (74)-----, May. 1852, Abeih Station Report, Vol. 44, 1853.
- (75)-----, July. 1853, Sidon: Annual report.
- (76)-----, June. 1854, Beirut Annual report.
- (77)-----, April. 1854, Sidon: Annual report, Vol. 50, 1854.
- (78)-----, April. 1854, Tripoli: Annual report.
- (79)-----, May. 1854, Abeih Annual report
- (80)-----, Jun. 1854, Beirut, Annual report, Vol. 50, 1854.
- (81)-----, Sep. 1854, Papal Seuts in Syria.
- (82)-----, Oct. 1855, London Jew`s Socity.
- (83)-----, June. 1856, Bahmadun: Annual report.
- (84)-----, Jun. 1856, Beirut: Annual report.
- (85)-----, April. 1857, Report of the Abeih Station.
- (86)-----, April. 1857, Report of Abeih Station for 1856.
- (87)-----, April. 1857, Station reports. Vol. 53, 1857.
- (88)-----, May. 1857, Station Report, Vol. 53, 1857.
- (89)-----, May. 1857, Station Reports.
- (90)-----, April. 1858, Station Report, Vol. 54, 1858.
- (91)-----, April. 1858, Station Reports, Vol. 54, 1858.
- (92)-----, May. 1858, Station Report, Vol. 54, 1858.

- (93)-----, May. 1859, Station Reports, Vol. 55, 1859..
- (94)-----, May. 1859, Station report.
- (95)-----, May. 1859, Station report.
- (96)-----, Sep. 1859, A letter from Mr. Bliss, Vol. 55, 1859.
- (97)-----, June. 1860, Station Reports (Abeih and Suk El Ghurb), Vol. 56 (1860) .
- (98)-----, June. 1860, Station Report, Vol. 56, 1860.
- (99)-----, July. 1860, Letter from Mr. Jessup, Aprile 10, Vol. 56, 1860.
- (100) -----, June. 1861, Beirut : Letter from Mr. Jessup .
- (101) -----, Feb. 1861, Letter from Mr. Jessup.
- (102) -----, March. 1861, Station Reports.
- (103) -----, May. 1861, Station report (Sidon) Vol. 57 (1861).
- (104) -----, May. 1861, Station report (Tripoli) Vol. 57 (1861).
- (105) -----, July. 1861, Station Mission, Tripoli : Letter from Mr. Lyons.
- (106) -----, April. 1862, Letter from Mr. Jessup.
- (107) -----, July. 1862, Beirut : Letter from Mr. Jessup .
- (108) -----, June. 1863, Abeih: letter from Mr.Calhon.
- (109) -----, Feb. 1863, A protestant College in Syria .
- (110) -----, May. 1863, Beirut Station Report, Vol. 59, 1863.

- (111) -----, May. 1863, Beirut Station Report, Vol. 54, 1863.
- (112) -----, May. 1863, Beirut Station Report .
- (113) -----, July. 1863, Sidon : Letter from Mr. Samuel Jessup, Vol. 59, 1863.
- (114) -----, April. 1864, Abeih Station Report, Vol. 60, 1864.
- (115) -----, April. 1864, Annual report of the Beirut Station, Vol. 60, 1864.
- (116) -----, June. 1864, Sidon Station.
- (117) -----, Feb. 1865, Letter from Mr. Berry, Vol. 61, 1865.
- (118) -----, Feb. 1867, Syria Station, Vol. 63, 1867.
- (119) -----, May. 1867, letter from Mr. Jessup.
- (120) -----, May. 1867, Monthly Summary, Vol. 63, 1867.
- (121) -----, May. 1867, Station Reports.
- (122) -----, Dec. 1867, Sidon : Letter from Samuel Jessup. Oct. 26, Vol. 64, 1868.
- (123) -----, Oct. 1867, Annual meeting of the Board.
- (124) -----, July. 1868, The Education of Native Ministry by Rev. George E.Post.
- (125) -----, Oct. 1868, Monthly Summary, Vol. 64, 1868.
- (126) -----, Nov. 1868, Lebanon and the Abeih Seminary by Rev. S.H.C alhon and Rev. H.H. Jessup, Vol. 64, 1868.
- (127) -----, May. 1869, Woman work trial and trust Mr. Eliza N.Thomson By Mrs. Anderson.

- (128) -----, March. 1849, Tripoli, Letter from Mr. Foote. Dec. 1849.
- (129) -----, March. 1869, The Beirut Protestant College.
- (130) -----, Nov. 1869, Annual meeting of the board.

ثالثاً : المذكرات :

- كرنيليوس فانيك : مذكرات كرنيليوس فانديك ، الهلال ، مجلد ١٤ ، ١٩٠٦ .
- جورجى زيدان : مذكرات جورجى زيدان ، الهلال ، المجلد ٦٢ ، ١٩٥٤ .
- شاكور الخورى : مجمع المسرات ، مصر ، ١٩٠٨ .

رابعاً : المراجع

(أ) المراجع العربية :

- (١) إبراهيم خليل أحمد : المستشرقون والمبشرون فى العالم العربى والإسلامى ، مكتبة الوعى العربى ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- (٢) إبراهيم عبده : إعلام الصحافة العربية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- (٣) : تطور الصحافة المصرية وأثرها فى النهضة الفكرية والاجتماعية ، مطبعة التوكل ، القاهرة ، ١٩٤٤ .
- (٤) ابن منظور : لسان العرب ، دار لسان العرب ، بيروت ، ١٩٧٩ .

- (٥) أبو الفتوح رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ الطباعة فى بلدان الشرق الأوسط ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (٦) أبو الوفا الغنيمى التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- (٧) أحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتي من الدخيل ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .
- (٨) أحمد عارف الزين : تاريخ صيدا ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ١٩١٣ .
- (٩) أحمد عبد الرحيم مصطفى : الولايات المتحدة والمشرق العربي ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨ .
- (١٠) : أصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣ .
- (١١) أحمد عبد الوهاب : المسيح فى مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- (١٢) أحمد طاهر حسيب : دور الشاميين المهاجرين الى مصر فى النهضة الأدبية الحديثة ، دار الوثبة ، دمشق ، ١٩٨٢ .
- (١٣) أحمد محمد عوف : المؤتمرات الخفية ضد الاسلام والمسيحية ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٩٢ .
- (١٤) أديب فرحات : سوريا ولبنان ، المطبعة الوطنية ، بيروت ، ١٩٢٣ .
- (١٥) أسامة عانوتسي : الحركة الأدبية فى بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٠ .

- (٢٧) توماس بريسون : العلاقات الدبلوماسية الامريكية مع الشرق الأوسط ١٧٨٤:١٩٧٥، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٥ .
- (٢٨) تيسير خليل الزوااهرة : تاريخ الحياة الاجتماعية فى لواء دمشق ١٨٤٠:١٨٦٤، جامعة مؤتة ، الأردن ، ١٩٩٥ .
- (٢٩) ثروت قــــادس : الكتاب المقدس فى التاريخ العربى المعاصر ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- (٣٠) جلال يحيى : العالم العربى الحديث ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٦ .
- (٣١) جلال يحيى ومحمد نصر مهنا : مشكلات الاقليات فى الوطن العربى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- (٣٢) جميل صليبيــــا : الاتجاهات الفكرية فى بلاد الشام وأثرها فى الأدب الحديث ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- (٣٣) جورج أنطونيــــوس : يقظة العرب ، تقديم نبيه أمين فارس ترجمة ناصر الدين الأسد واحسان عباس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- (٣٤) جورج بوســــت : المصباح الوضاح فى صناعة الجراح ، بيروت ، ١٨٧٣ .
- (٣٥) جورجى زيــــدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة ، (د.ت).
- (٣٦) : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ، مكتبة الحياه ، بيروت ، (د.ت) .

- (٤٨) رفيق التميمي ومحمد بهجت : ولاية بيروت القسم الشمالي ،
دار لحد خاطر ، بيروت ، ١٩٧٩ .
- (٤٩) رودريك ماثيوز ومتى العقراوي : التربية في الشرق الأوسط ،
ترجمة أمير بقطر ، المطبعة العصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- (٥٠) رياض نجيب الريس : المسيحيون والعروبة ، دار
رياض الريس ، لندن ، ١٩٩١ م .
- (٥١) ريجينا الشريفة : الصهيونية غير اليهودية
جذورها في التاريخ الغربي ، ترجمة أحمد عبد الله عبد
العزيز ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٥ .
- (٥٢) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ،
دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٦٠ .
- (٥٣) ستيفين هامسلي لونغ : سوريا ولبنان تحت الانتداب
الفرنسي ، ترجمة بيار عقل ، دار الحقيقة ، بيروت ،
١٩٧٨ .
- (٥٤) سعد الدين ابراهيم : الملل والنحل والإعراق هموم
الاقليات في الوطن العربي ، مركز ابن خلدون ، القاهرة ،
١٩٩٣ .
- (٥٥) سعيد اسماعيل علي : الفكر التربوي العربي الحديث ،
عالم المعرفة ، الكويت ، مايو ، ١٩٨٧ .
- (٥٦) سفر بن عبد الرحمن الحوالي : القدس بين الوعد الحق والوعد
المفترى ، مكتبة السنه ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ .
- (٥٧) سليم حسن هاشمي : الاسماعيليون عبر التاريخ ،
بيروت ، ١٩٦٩ .
- (٥٨) سليمان أبو عز الدين : ابراهيم باشا في سورية ،
المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٢٩ .

- (٧٠) عبد العزيز الشنـاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ .
- (٧١) عبد العزيز عـوض : الإدارة العثمانية فى ولاية سوريا (١٨٦٤:١٩١٤) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .
- (٧٢) عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- (٧٣) عبد الغفار محمد حسين : مبدأ مونرو ومتغيرات السياسة الامريكية من سنة ١٨٦٠ وحتى سنة ١٩٠٠ ، طنطا ، ١٩٩٢ .
- (٧٤) عبد القادر بن محمد النعمى : الدراس فى تاريخ المدارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٠ م .
- (٧٥) عبد الكريم رافـق : العرب والعثمانيون (١٥١٦:١٩١٤) ، دمشق ، ١٩٧٤ .
- (٧٦) : بلاد الشام ومصر منذ الفتح العثماني حتى حملة نابليون بوناپرت ، دمشق ، ١٩٦٨ .
- (٧٧) : بحوث فى التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام فى العصر الحديث ، دمشق ، ١٩٨٥ .
- (٧٨) عبد الكريم غرايبـة : سوريا فى القرن التاسع عشر ١٨٤٠:١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- (٧٩) عبد المنعم ماجـد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (٨٠) عبد الودود شلبـي : أفيقوا أيها المسلمون ، الدار السعودية ، جدة ، ١٩٨١ .

- (٩٣) فليب حتى وادورد جرجس وجبرائيل جبورة : تاريخ العوب ، دار غنور للطباعة ، بيروت ، ١٩٩٤/١٩ .
- (٩٤) فليب فارح ويوسف كارياج : المسيحيون واليهود فى التاريخ الاسلامي العربي والتركي ، ترجمة بشير السباعي ، دار سينا ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- (٩٥) الكابيتان بــــــــــــــــورون : الدروز ، ترجمة عادل نقى الدين ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، لبنان ، ١٩٣٤ .
- (٩٦) كارل بروكلمان : الاسلام فى القرن التاسع عشر ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٠ .
- (٩٧) كرم شلبيــــــــــــــــي : الاذاعات التصيرية الموجهة الى المسلمين العرب ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة ، (د.ت).
- (٩٨) كرنيلوس فانديــــــــــــــــك : النقش فى الحجر ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٨٨٦ .
- (٩٩) : فى الاصول الهندسية ، بيــــــــــــــــروت ، ١٨٧٥ .
- (١٠٠) : أصول الكيمياء ، بيــــــــــــــــروت ١٨٦٩ م .
- (١٠١) : المرأة الوضبية فى الكرة الارضية ، بيروت ، ١٨٧٠ .
- (١٠٢) الكزاندر شولــــــــــــــــش : تحولات جذرية فى فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢ م ، دراسات حول التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، ترجمة كامل جميل العسلي ، دار الهدى ، الأردن ، ١٩٩٠ .

- (١٠٣) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- (١٠٤) كمال اليازجي : الشيخ ابراهيم الحوراني في فجر النهضة الحديثية ١٨٤٤ : ١٩١٦ ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩١٦ م .
- (١٠٥) كنيسة القديسين مارمقس الرسول والابا بطرس : شهود يهوه ، القاهرة (د.ت) ودون تحديد المطبعة .
- (١٠٦) لويس شيخو : بيروت تاريخها وآثارها ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٥ م .
- (١٠٧) ليلى الصبّاغ : الجاليات الاوربية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين ١٦،١٧ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٩ ،
- (١٠٨) ليولـص : ابن حور ، ترجمة كرنيليوس فانديك ، المطبعة الامريكانية ، بيروت ، (د.ت) .
- (١٠٩) ماجدة صلاح مخلوف : الاتحاد والترقي في الأدبين العربي والتركي ، القاهرة ، ١٩٩٠ .
- (١١٠) : الخلافة في خطاب أتاتودك : مركز بحوث آسيا ، الزقازيق ، ٢٠٠١ .
- (١١١) مار اسطفان الدويهي : تاريخ الطائفة المارونية ، تحقيق رشيد الخوري الشرنوبي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعية ، بيروت ، ١٨٩٠ م .
- (١١٢) مجهول : تاريخ تقسيم جبل لبنان وحالة الحكام وعوائلهم والمذاهب ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ١٦ تاريخ فاضل .

- (١١٣) : مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا
، تحقيق أحمد غسان سباتو ، دار فتنية ، دمشق ، (د.ت) .
- (١١٤) محمد أبو زهـرة : محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر
العربي ، القاهرة ، (د.ت) .
- (١١٥) محمد الانور السنهوتى : مذاهب الفرق الكلامية ، دار الثقافة
العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
- (١١٦) محمد البهـي : الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار
الغربي ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- (١١٧) محمد تقى الفقيهـه : جبل عامل فى التاريخ ، دار الاضواء ،
بيروت ، ١٩٨٦ .
- (١١٨) محمد رفعت الامام : الارمن فى مصر فى القرن التاسع عشر
، دار نوبار ، القاهرة ، ١٩٩٦ .
- (١١٩) محمد السمـاك : القرار العربي فى الازمة اللبنانية ، دار
الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- (١٢٠) محمد عبد الرحمن برج : محب الدين الخطيب ودوره فى الحركة
العربية ١٩٠٦ : ١٩٢٠ - هـ . م . ع ، القاهرة ١٩٩٠ .
- (١٢١) محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية ، النهضة المصرية ،
القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٢٢) : طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ، دار المعارف ،
القاهرة ، ١٩٦٢ .
- (١٢٣) محمد كرد على : خطط الشام ، مطبعة الترقى ، دمشق ،
١٩٢٦ .
- (١٢٤) محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ،
مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

- (١٢٥) محمد الهادي : أحمد فارس الشدياق ١٨٠١:١٨٨٧م ،
دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٩ .
- (١٢٦) محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوي
، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ .
- (١٢٧) مصطفى الشهابي : القومية العربية تاريخها وقوامها ومرامها
، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ، (د.ت) .
- (١٢٨) مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الاسلام ، دار
الكاتب العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- (١٢٩) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد
العربية ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٥٣ .
- (١٣٠) معتز سيد عبـد الله : الاتجاهات التعصبية ، عالم
المعرفة ، مايو ١٩٨٦م .
- (١٣١) منير الشريـف : المسلمون العلويون من هم ،
وأين هم ، المطبعة العمومية ، دمشق ، ١٩٦٠م .
- (١٣٢) ميخائيل مشاقـة : منتخبات من الجواب على اقتراح
الاحباب ، تحقيق أسد رستم وصبحي ابو شقرا ، وزارة
التربية الوطنية اللبنانية ، بيروت ، ١٩٥٥ .
- (١٣٣) : مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، ملحم عبده
وأندراوسي حنا ، القاهرة ، ١٩٠٨ .
- (١٣٤) : الدليل الى طاعة الانجيل ، المطبعة الاميركانية ،
بيروت ، ١٨٨٧م . ط ٣ .
- (١٣٥) ميشال جـا : ابراهيم اليازجي ، دار ريلض
الريس ، لندن .
- (١٣٦) نادر العطـار : تاريخ سوريا في العصور

(ب) المراجع الأجنبية :

- (1) Addison James : The Christian approach to the Moslem, A historical Study, New York, 1966.
- (2) Azazan, Hory, The Armenian Communities in the Arabic Countries, Syria, 1993.
- (3) Bayard Dodge, The American University of Beirut, Khayat's Beirut, 1958.
- (4) David Shavit, The United States in The Middle East, A Historical Dictionary, New York, 1988.
- (5) George Lenczowski, United States interests in the middle East, Washington, U.S.A. 1968.
- (6) Hitti, Philip, Origins of the druze People and Religion, Columbia University Press, 1928.
- (7) Holt, P.M., Egypt and the Ferital Crecent, London, 1979.
- (8) Houran, Albert, Minorites in the Arab World, Oxford, University Press, 1947.
- (9), Albert, The Ottoman Background of the Modern Middle East, Esset, 1970.
- (10) Kefneh, Cragg, Christian in history in the Middle East.
- (11) B.Lewis, A history of the Trusads. Vol. 1, Philadelphia, 1958.
- (12), The Sources for the history of the syrian the assassins speculum. Vol. XXv11, Taisah usehes, 1952.
- (13) Olivier meier, Al-Mugatatafle Debat Sur le darwinisme Begrouth, 1876 – 1885, Les Dossiers Du Cedej. Cairo, 1986.

- (14) Robertw Stoney, America and the Arab States, An eneasy Encounter, Center for middle Eastern studies, the University of texas, New york.
- (15) Shaw, Stan ford and Ezelkural, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, University Press, 1977.
- (16) Stephen, B.L. Penrese, It they may have life, American Universty of Beirut, Lebanon, 1970.
- (17) A.L. Tibawi, American Interests in Syria, 1800-1901, Oxford, 1960.

خامسا : الرسائل الجامعية الغير منشورة .

- (١) أحمد سيد أحمد عمر : الطائفية وعدم الاستقرار السياسي فى لبنان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التجارة ، أسيوط ، ١٩٩٣ .
- (٢) أحمد فريد على مصطفى : توسع مصر فى الشام وأثره على موقف الدول من المسألة السياسية فى عصر محمد على ١٨٣١:١٨٤١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب القاهرة .
- (٣) أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية منذ النصف الثامن من القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٠٩م ، رسالة ماجستير ، كلية البنات ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٢ .
- (٤) تيسير أحمد حسين وهابية : القدس فى القرن التاسع عشر — رسالة ماجستير غير منشورة آداب سوهاج ، ١٩٨٢ .

- (٥) حسين سليمــــان : لبنان فى فترة الصراع الداخلى
١٧٣٥:١٧٩٠م ، رسالة ماجستير غير منشورة / آداب
القاهرة ، ١٩٧٨ .
- (٦) عبد العزيز عــــوض : متصرفية القدس فى العصر العثمانى ،
رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب عين شمس .
- (٧) ماجدة صلاح مخلوف : معروضات أحمد جودت باشا ، دراسة
وتحقيق وترجمة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب
عين شمس ، ١٩٨٣ .
- (٨) محمد فؤاد محمد خليل : التبشير الامريكى فى منطقة الخليج
العربى ١٨٩٠:١٩٦٢ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،
آداب عين شمس ، ١٩٩٦ .
- (٩) وفاء أحمد البستاوى : فكرة الاصلاح فى تذاكر أحمد جودت ،
رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب عين شمس ، ١٩٩٥ .

سادسا : المقالات والبحوث .

- (١) أحمد رضا : المتاولة أو الشيعة فى جبل عامل ،
المقتطف ، القاهرة ، مايو ١٩١٠م .
- (٢) أحمد سراج الدين : الحركات التربوية وتطويرها فى سوريا
ولبنان خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الابحاث ، الجامعة
الامريكية ، بيروت ، ١٩٥١ .
- (٣) أحمد شوكت الشطبي : زبده ما قيل فى المنه سنه الاخيرة عن
التراث العربى ، ضمن كتاب نشاط العرب العلمى فى
المائة سنة ، اشراف هيئة الدراسات العربية ، الجامعة
الامريكية ، بيروت ١٩٥٩ .

- (٤) أحمد عزت عبد الكريم : التقسيم الإداري لسورية في العصر العثماني ، حوليات آداب عين شمس ، المجلد الاول ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
- (٥) ارنست سمعان : الطوائف المسيحية في مصر ، مجلة صديق الكاهن ، القاهرة ، أكتوبر ، ١٩٧٩ .
- (٦) اسحق ابراهيم : مدارس الأحمد ، المرشد ، ١٣ مايو ١٩٠٤ .
- (٧) اسد رستم : صفحة جديدة من تاريخ الثورة الدرزية ١٨٢٤-١٨٣٨م ، مجلة المشرق ، بيروت ، المجلد ٣٥ ، ١٩٣٧ .
- (٨) : ادارة الشام روحها وهيكلها وآثرها في عهد محمد علي ، منشور ضمن كتاب في ذكرى البطل ابراهيم باشا ، الجمعية التاريخية المصرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢١ ، ١٩٩٠ .
- (٩) اسكندر بك بارودي : تعليم المرأة عندنا ، الكلية ، العدد الثامن يونيو ١٩١٢ .
- (١٠) أنيس المقدس الخوري : الحركة الفكرية في الدولة العباسية ، الكلية ، العدد الرابع ، فبراير ١٩١١ .
- (١١) برهان الدين دجاني : الجامعة الامريكية في بيروت والوطن العربي ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكية ، بيروت آذار ١٩٥٤ .
- (١٢) القس بورتس : الصلاة من أجل المرسلين في الوطن وفي الخارج ، النشرة الاسبوعية ، بيروت ، الاثنين ٩ شباط ١٨٨٥ م .

- (٢٥) شاهين مكارىــــــــــــــــوس : المعارف فى سوريه ، المقتطف ،
الجزء الثامن ، العام السابع اذار ١٨٨٣ .
- (٢٦) : الجزء التاسع ، العام السابع ، نيسان ١٨٨٣ ، سيات
. ١٨٨٣ .
- (٢٧) شفيق حــــــــــــــــا : أزمة السنة ١٨٨٢ أدوين لويس ،
ضمن كتاب العيد المنوى للجامعة الامريكية ، اشرف
جبرائيل جبور ، بيروت ، ١٦٦٧ .
- (٢٨) عبد الحميد سماحــــــــــــــــه : الفلك عند العرب ، ضمن كتاب
نشاط العربي العلمي فى مائة عام ، الجامعة الأمريكية ،
بيروت - ١٩٥٩ .
- (٢٩) عبد الرحمن بك سامــــــــــــــــي : القول الحق فى بيروت ودمشق ،
للطائف ، الجزء العاشر ، السنة الخامسة ، ١٥ فبراير
١٨٩١ م .
- (٣٠) عبد العزيز نــــــــــــــــوار : الحرب الاهلية وأبعادها الطائفية ،
مجلة السياسة الدولية ، القاهرة ، يناير ١٩٧٦ .
- (٣١) : تطور لبنان السياسي والاجتماعى منذ أواخر القرن
الثامن عشر حتى أواخر الحكم المصري ١٨٤٠م ، منشور
ضمن كتاب الازمة اللبنانية ، معهد الدراسات العربية ،
القاهرة ، ١٩٧٨ .
- (٣٢) فريده حبيــــــــــــــــقــــــــــــــــا : الذوق فى اللباس والجمال ، المقتطف ،
أول حزيران ، ١٨٨٢ .
- (٣٣) قدري طوقــــــــــــــــان : تاريخ العلوم ، بحث منشور ضمن
كتاب نشاط العرب العلمي فى مائة عام ، الجامعة
الامريكية ، بيروت ، ١٩٥٩ .

- (٣٤) محمد بديع شريف : اليقظة الفكرية والسياسية في القرن التاسع عشر ، منشور ضمن كتاب دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- (٣٥) موريس كولنجت وهنري نكر : العرس الفضي للمكتب الفرنسي الطبي ، المشرق ، المجلد ١١ ، اباء ، ١٩٠٨ .
- (٣٦) موسى طنوس : الالفه ، الجنات ، الجزء الخامس ، اذار ١٨٧٠ م .
- (٣٧) ميخائيل سليمان : فلسطين والفلسطينيون في العقل الامريكى ، ضمن كتاب فلسطين والسياسة الامريكى من ويلسون الى كلينتون ، مركز الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٦ .
- (٣٨) لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة في المشرق ، المشرق ، العدد ١١ ، المجلد ٣ ، حزيران ، ١٩٠٠ .
- (٣٩) : الاداب العربية في القرن التاسع عشر ، المشرق ، المجلد ١١ ، ١٩٠٨ .
- (٤٠) نبيل عبد الحميد : التبشير الامريكى في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٤ ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، المجلد ٢٧ . عام ١٩٨١ .
- (٤١) نبيه أمين فارس : أميركا وانهضة العربية الحديثة ، مجلة الابحاث ، الجامعة الامريكى ، بيروت ، سبتمبر ١٩٥٨ .
- (٤٢) نعمات قساطلي : مذابح سورية ١٨٦٠ ومقدماتها الاهلية ، اللطائف ، القاهرة ، الجزء الخامس ، السنة السادسة ، ١٥ سبتمبر ١٨٩١ .

- (٤٣) نعيم عطية : معالم الفكر التربوي في البلاد العربية
في المئة سنة الاخيرة ، منشور ضمن كتاب الفكر العربي
في مائة سنة ، هيئة الدراسات العربية ، الجامعة الامريكية
، بيروت ، ١٩٦٧ .
- (٤٤) نقولا زيـــــــــــــــــاده : أثر الجامعة في حياة العالم العربي ،
منشور ضمن كتاب شاميات ، دار رياض الريس ، لندن ،
(د.ت) .
- (٤٥) هيلانه بــــــــــــــــارودي : الاخلاق والعوائد ، المقتطف ، الجزء
السادس ، السنة السابعة ، ١٨٨٣ م .
- (٤٦) يعقوب الجريديــــــــــــــــي : النصيرية ، مجلة الجنان ، بيروت ،
١٥ تشرين الاول ١٨٧٥ م .

سابعا : الدوريات .

- (١) ابابـــــــــــــــــيل : جريده اسلامية كانت تصدر في بيروت
بصفة اسبوعية أصدرها حسين محي الدين الجمال .
- (٢) الاخبــــــــــــــــار : جريدة مصرية صدرت في القاهرة ،
١٩٠٧ .
- (٣) الاصلــــــــــــــــاح : أصدرها في بيروت أحمد حسن طــــــــــــــــارة
ود . حلیم قدورة وكانت تصدر يومياً ، وهي جريدة سياسية
تجارية صناعية أدبية زراعية .
- (٤) الاقبــــــــــــــــال : اصدرها في بيروت عبد الباسط الانسي وهي
جريده علمية - سياسية - عمرانية .
- (٥) أنيس الجليــــــــــــــــس : وهي مجلة نسائية شهرية أصدرتها في مصر
للكسندراً ملتيادي أفيرينوه .

- (٦) ثمرات الفنون : اصدرتها جمعية ثمرات الفنون الاسلامية فى بيروت .
- (٧) الجامعة العثمانية :
- (٨) الجنان : اصدرها بطرس البستاني فى بيروت عام ١٨١٠ م .
- (٩) الحسناء : مجلة نسائية شهرية اصدرها فى بيروت جرجس نقولا باز .
- (١٠) مجلة سرقيس .
- (١١) مجلة الطبيب : اصدرها فى بيروت د . جورج بوست .
- (١٢) فتاه لبنان : أنشأتها فى لبنان سليمة أبى راشد فى كانون الثاني ١٩١٤ م .
- (١٣) فلسطين : كانت تصدر فى يافا مرتين فى الاسبوع ، اصدرها عيسى داود العيني .
- (١٤) الكلية : اصدرتها الكلية الانجيلية السورية فى بيروت .
- (١٥) اللطائف : اصدرها شاهين مكاريوس فى القاهرة من عام ١٨٨٦:١٨٩٦ م .
- (١٦) مدارس الاحد : جريدة مصرية تصدرها الكنيسة القبطية الارثوذكسية .
- (١٧) المرشد : مجلة اصدرتها الارشالية الامريكية فى مصر ابتداء من عام ١٨٩٤ م .
- (١٨) المشرق : اصدرها فى بيروت الاب لويس شيخو اليسوعى فى اطار التنافس مع الارشالية الامريكية .
- (١٩) مجلة المقتطف : اصدرها فى بيروت يعقوب صروف وفارس نمو ثم انتقلت للقاهرة .

- (٢٠) المقطم : أصدرها في القاهرة فارس نمر ويعقوب
صروف .
- (٢١) النبـراس : مجلة شهرية أصدرها في بيروت مصطفى
الغلاييني عام ١٩٠٩ .
- (٢٢) النشرة الاسبوعية : أصدرتها الارشالية الامريكية في الشام .
- (٢٣) الهـدى : مجلة أصدرتها الإرسالية الأمريكية في القاهرة .
- (٢٤) الهـلال : أصدرها في القاهرة جورجى زيدان .
- (٢٥) مجلة المصـور : مجلة مصرية تصدر عن دار الهـلالى .

المخلص

اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسي والاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية في العالم العربي ، ولكن نفس هذه الدراسات التاريخية العربية أغفلت الدور الديني ، وهو الأساس الذي بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

فأمريكا التي طبقت مبدأ مونرو في سياستها الخارجية وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها في مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنيتها من أسس الإرساليات في الدولة العثمانية والبلاد العربية جزء منها ، وبذلك فقد بدء النفوذ الأمريكي في المشرق العربي نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلي .

وقسمت الدراسة إلى مدخل وتمهيد وستة فصول تناولت في المدخل ملامح النظام الإداري في بلاد الشام وطبيعة العلاقة مع الدولة العثمانية ، وفي التمهيد تناولت الدوافع المختلفة للتبشير سواء العامل الديني والاقتصادي والحضاري والسياسي كذلك حاولت توضيح الهدف الذي من أجله كان عمل الإرسالية الأمريكية وغيرها من الإرساليات التبشيرية .

الفصل الأول بعنوان " أوضاع الطوائف الدينية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر " حاولت أن أوضح فيه الطوائف الموجودة في بلاد الشام من مسلمين ومسيحيين ويهود وما يندرج تحت كل طائفة منهم من طوائف أخرى ، لبيان مدى ما وصل إليه حال كل طائفة من هذه الطوائف وملائمة ظروفها المختلفة لعمل الإرسالية الأمريكية ثم أوضحت مدى العلاقة بين هذه الطوائف .

أما الفصل الثاني وهو بعنوان " تأسيس الإرسالية الأمريكية ونشاطها الديني " فقد تناولت فيه تأسيس الإرسالية في أمريكا ، ثم المحطات التبشيرية ابتداء من محطة مالطة ثم بيروت والقدس وعبيه وصيدا ، كما تناولت الأنشطة المختلفة التي استخدمتها الإرسالية في التعليم من حيث التعليم الابتدائي ثم المناهج التي استخدمت فيها ، كما تناولت المدارس العليا بشيء من التفصيل مثل مدرسة البنات في بيروت ومدرسة عبيه ومدرسة صيدا للفنون والصناعات وغيرها من المدارس وفي نهاية الفصل أوضحت مدى تأثير التعليم على أوضاع الشام .

والفصل الثالث بعنوان " النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام " حيث تناولت الأنشطة المختلفة التي استخدمتها الإرسالية في التعليم من حيث التعليم الابتدائي ثم المناهج التي استخدمت فيها ، كما تناولت المدارس العليا بشيء من التفصيل مثل مدرسة البنات في بيروت ومدرسة عبيه ومدرسة صيدا للفنون والصناعات وغيرها من المدارس وفي نهاية الفصل أوضحت مدى تأثير التعليم على أوضاع الشام .

وفي الفصل الرابع وهو تحت عنوان " الكلية الإنجيلية السورية " أوضحت مدى حاجة الإرسالية لكلية كما أوضحت الجهود التي بذلت في جمع التبرعات لإنشائها ، وكذلك تناولت الأقسام المختلفة للكلية ، وكذلك اللغة المستخدمة في التعليم وهي اللغة العربية وتغييرها للإنجليزية بعد ذلك كما تحدثت عن أجناس الطلاب وصحافتهم داخل الكلية .

وفي الفصل الخامس تناولت التأثير الفكري للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام حيث تناولت الطباعة والترجمة والمؤلفات وتوزيع الكتب والصحافة والجمعيات الأدبية المختلفة ، والتي نتج عنها مجتمعة تحول فكري في بلاد الشام .

وفى الفصل السادس والأخير والذي جاء بعنوان " موقف الإدارة من التبشير الأمريكي فى بلاد الشام " تناولت فيه موقف الإدارة المصرية أثناء حكم محمد على فى الفترة من ١٨٣٢:١٨٤٠م حيث أوضحت الموقف من أهل الذمة ثم من المرئدين عن الإسلام عموماً .. أما موقف الدولة العثمانية فقد تناولته من خلال عدة نقاط تتمثل فى الامتيازات الأجنبية والتنظيمات العثمانية والموقف من التعليم واعتراف الدولة بالطائفة البروتستانتية كأحد الطوائف المسيحية الموجودة فى الدولة العثمانية .

وقد اعتمدت الدراسات على المادة الأصلية من وثائق الأرشيف الأمريكي وكذلك الوثائق الموجودة فى دار الوثائق القومية بالقاهرة ، وتقارير وخطابات المبشرين الأمريكيين ، كما رجعت للصحف المعاصرة لفترة الدراسة واستقيت منها مادة علمية أفادت البحث كثيراً .

و أنهيت البحث بخاتمة تتضمن أهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

والله الموفق؛

Cairo, and reports and litters from American preachers, and the popular magazines, and the press.

Finally I deal with the results of the study in the conclusion.

In the fourth chapter, I deal with the “Syrian Bible Faculty” and explain the need for founding this faculty. I also explain the efforts for collecting the money which was needed for founding it. I also deal with the different sections of the faculty, and the language which was first in Arabic and then was later changed to English. I then study the kinds of students in the faculty and its press.

In the fifth chapter, I deal with the intellectual influence of the American mission in Syria, so , I study the press , translations books , as well as literary societies , which produced comprehensive intellectual change in Syria .

In the sixth chapter, I study the attitude of the Egyptian administration towards the American mission under the reign of Mohamed Ali who ruled from 1832 – 1840. I, explain the attitude towards the “ Ahl Adhims “ (non-Moslems), and the conversion of Muslims to Islam. I also explain the attitude of the Ottoman empire towards the following points: the capitulations , “ The Tanzimat “ education and Protestants as the main Christian element in the Ottoman empire .

This study relied on many sources such as documents from American Archives, the National Egyptian Archives in

In the first chapter, which is entitled "The positions of the religious guilds in Syria in the nineteenth century", I explain the role of the existing Moslem, Christian, and Jewish guilds in Syria. I list the other guilds in order to explain the position of each guild, and to show that this position was suitable for the American mission. I also explain the relationship between these guilds to the mission.

The second chapter is entitled "The foundation of the American mission and its religious activities" I deal with the founding of the American mission in the U.S.A, and the missionary stations from the first station in Malta to Beirut, Jerusalem, Abia, and the sidon station. I deal with the other activities which were used, I also deal with High schools such as: the Girl's school in Beirut, the school of Abia and sidon for arts and industries, and other schools. At the end of the chapter I explain the influence of education in the state of Syria.

In the third chapter which is entitled "the education activities of the missions in Syria", I deal with the missionary schools, their methods, and the influence of this type of education in Syria.

Summary

Historical studies interested in the role of the United States of America in the Arab World usually talk about the political and economic influence. However, these studies ignore the religious role, which was the base of the U.S.A in building its influence in the region.

Although the U.S.A practiced the "Monroe Doctrine" in its foreign policy and continued keeping itself away from problems outside of its borders, it nevertheless sent missionaries to the Ottoman Empire and the Arab states within it. From this we can see that the American role in the Arab East began religiously based on the civilizing activities

My study is divided into an introduction, a prologue, six chapters, and the conclusion. The introduction deals with the features of the administrative system in Syria and its relationship with the Ottoman empire.

The prologue deals with the different motives of the preaching movement such as the religious, cultural, economic, and political factors. The prologue is also interested in the aim of American mission and other missions.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	المقدمة
١	التمهيد
١	أولاً : الشام في العهد العثماني
٤	حكم محمد علي للشام
٦	الشام في فترة التنظيمات العثمانية
٨	ثانياً : التبشير : المعنى ، الدافع ، الهدف
٩	- المعنى
١١	- دوافع التبشير
١٤	- أهداف التبشير
	الفصل الأول : أوضاع الطوائف الدينية في بلاد الشام في القرن
١٦	التاسع عشر
١٦	أولاً : المسلمون
٣٣	ثانياً : المسيحيون
٤٧	ثالثاً : اليهود
٥٠	رابعاً : العلاقة بين الطوائف في بلاد الشام
	الفصل الثاني : تأسيس الإرسالية الأمريكية ونشاطها الديني في بلاد
٥٤	الشام
٥٦	أولاً : تأسيس الإرسالية الأمريكية في بلاد الشام
٦٠	ثانياً : المحطات التبشيرية
٨٦	ثالثاً : الأنشطة المساعدة للتبشير
٨٩	رابعاً : مدارس الأحد
٩٢	الفصل الثالث : النشاط التعليمي للإرسالية الأمريكية في بلاد الشام
٩٣	أولاً : التعليم في بلاد الشام في العصر العثماني
٩٧	ثانياً : أهمية التعليم للمبشرين
٩٩	ثالثاً : نظام التعليم الأمريكي التبشيري في الشام
٩٩	١- التعليم الابتدائي
١٢٢	٢- المدارس العليا
١٤٧	الفصل الرابع : الكلية الإنجيلية السورية
١٤٨	أولاً : تأسيس الكلية الإنجيلية السورية

١٥٦ ثانياً : أقسام الكلية
١٦٦ ثالثاً : لغة التدريس بالكلية
١٧٠ رابعاً : الطلاب وجنسياتهم
١٧٤ خامساً : صحافة الكلية
١٧٧ الفصل الخامس : التأثير الفكرى للإرسالية الأمريكية فى بلاد الشام
١٨٠ أولاً : الطباعة
١٨٧ ثانياً : الترجمة
١٩٥ ثالثاً : المؤلفات
٢١٠ رابعاً : توزيع الكتب والمكتبات
٢١٤ خامساً : الصحافة
٢٢٩ سادساً الجمعيات
٢٤٥ الفصل السادس : موقف الإدارة من التبشير الأمريكى فى الشام
٢٤٦ أولاً : موقف الدولة العثمانية
٢٦١ ثانياً : موقف الإدارة المصرية:
٢٨٧ ثالثاً : موقف الشوام من الإرسالية الأمريكية
٢٨٨ أ - جهود بطرس البستاني فى التعليم
٢٩٨ ب - موقف المسلمين من الإرسالية الأمريكية
 ج - موقف الطوائف المسيحية الأخرى من الإرسالية الأمريكية
٣٠٤ الأمريكية
٣٠٩ الخاتمة
٣١٢ المصادر والمراجع
٣١٢ أولاً - الوثائق غير المنشورة
٣١٢ ثانياً - الوثائق المنشورة
٣٢١ ثالثاً - المذكرات
٣٢١ رابعاً - المراجع العربية والأجنبية
٣٣٧ خامساً - الرسائل الجامعية غير المنشورة
٣٣٨ سادساً - البحوث والمقالات
٣٤٣ سابعاً - الدوريات
٣٤٦ الملخص

التنصير الأمريكى فى بلاد الشام

١٨٣٤ - ١٩١٤



□ اهتمت الدراسات التاريخية بالدور السياسى والاقتصادى للولايات المتحدة الأمريكية فى العالم العربى ولكن نفس هذه الدراسات أهملت دورها الدينى، وهو الأساس الذى بنيت عليه نفوذها فيما بعد .

□ فأمرىكا التى طبقت مبدأ مونرو فى سياستها الخارجىة وظلت حريصة على ألا تزج بنفسها فى مشاكل الصراعات خارج أراضيها ، خرج من بين بنيتها من أسس الإرساليات فى الدولة العثمانىة والبلاد العربىة جزء منها . وبذلك فقد بدأ النفوذ الأمريكى فى المشرق العربى نفوذاً دينياً قام على النشاط الأهلى . واحتسمى بالدبلوماسية البريطانىة الراعى والحليف لهم .

□ جدير بالذكر أن أول إرسالية أمريكية وصلت للعالم العربى كله كانت لفلسطين عام ١٨١٩ ، ثم تبعتها إرسالية أخرى لبلاد الشام عام ١٨٢٠ وإن كانت البداية الفعلية لهم كانت عام ١٨٣٤م أثناء حكم محمد على للشام بوجهه العلمانى .

□ وفى هذا الكتاب رصد لظاهرة التبشير (التنصير) فى الشام والعالم العربى .

الناشر

د. / عبد الرازق عبد الرازق عيسى

■ دكتوراه فى التاريخ الحديث بتقدير مرتبة الشرف الأولى من آداب عين شمس ٢٠٠٢م .

■ ماجستير تاريخ حديث بتقدير ممتاز من آداب عين شمس ١٩٩٥م .

■ عمل فى مركز تاريخ مصر المعاصر . ويعمل حالياً أستاذاً مساعداً للتاريخ الحديث فى كلية التربية لإعداد المعلمات بالمدينة المنورة .

■ الأعمال العلمىة المنشورة ما بين مؤلف ومحقق مثل :

- تاريخ القضاء فى مصر العثمانىة ١٥١٧ - ١٧٩٨ - الهيئة العامة للكتاب .

- محاضر مجلس شورى النواب - الجزء الأول - دار الكتب المصرىة .

- مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسىس لعبد الرحمن الجبرتى .

- النزهة الذهبىة فى ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزىة لعمد بن أبى السرور البكرى .